ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم

دائرة معارف سياسة شرقية فى جزأين
مع ملحق خاص

١٣٧ معاهدة ووثيقة سياسية

تأليف
أمين محمد سعيد



مكتبة مدبولى
١٩٩٩

ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم

دائرة معارف سياسية شرقية فى جزأين مع ملحق خاص

يحتوي علي تاريخ مفصل للنهضة الوطنية الشرقية الجديدة وفيه سيرة ١٩ ملكاً وأميراً مسلماً وبيان واف عن نشأتهم وطراز معيشتهم ودولهم ونظمها السياسة وعلاقاتها الدولية وبسط لقضايا الشعوب الشرقية

١٢٧ معاهدة ووثيقة سياسية

تأليف

أمين محمد سعيد

مكتبة مدبولي

١٩٩٩

كتاب: ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم

لكاتب: أمين محمد سعيد

لمراجعة: أحمد أحمد زيادة

ناشر: مكتبة مدبولي ٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة

تليفون: ٥٧٥٦٤٢١ ـ فاكس: ٥٧٥٢٨٥٤

لتجهيزات الفنية: «زهران» للخدمات الإعلامية والدعاية والإعلان

تليفون: ٣٣٧٧٦٧٨٨ ـ ٤٣٢٠١٧٧

مقدمة

لئن جاز أن يدعى هذا العصر فى أوربا وأميركا عصر الصناعة أو عصر الاختراع فهو من بعض الوجوه عصر التعارف فى الشرق الأدنى، ذلك لأننا من بعد ما أيقظتنا الحادثات ونبهتنا أغلاطنا إلى وجودنا بأسواط العذاب، أخذنا نشعر بالحاجة إلي التعارف، وأن يتصل بعضنا ببعض ولو على صفحات القرطاس وأثير الأفكار، فلا عجب أن يسد هذا الكتاب القيم فراغاً عظيما بما يمليه على الباحث من أخبار الملوك وسير الأمراء والرؤساء ممن لهم شأنهم العظيم فى الأوساط الشرقية التى يعملون فيها.

والواقع أن علائم النهضة فى هذه البلدان الشاسعة متوفرة تتناول جميع النواحى التى يبدو فيها النشاط، ولكن ظهور الكتب التى توصل القارئ بالرجال المسؤولين وتطلعه على داخلة من يقوم منهم بالأعباء الجسام هى فى عقيدتى خير مقياس لهذه النهضة المباركة، وكلما اشتد الطلب عليها كان ذلك أدعى إلي القول أن اليقظة أبلغ فى العقول وأشد تأصلا فى النفوس.

وكان التاريخ فى القرون الوسط عبارة عن تاريخ شخص الملك من ذكر مولده وبيان نشأته ووصف طلعته وشرح زفافه وتعداد نسائه وإحصاء أبنائه إلي الإفاضة فى روحاته وغدواته، والخوارق التى حصلت عند وفاته، ذلك لأن الملك كان كل شئ، وأما الشعب فلا شئ، فلما انتشرت الأفكار الاجتماعية وانتقل مركز الثقل إلي الشعب أخذ المؤرخون يولون وجوههم شطر الأوضاع التى عليها الأمة فيفيضون فى شرح أخلاقها وعقائدها وأساطيرها وتشريعها وبناء أسرتها وفنها وأدبها وعلمها وتنظيمها الحربى والاقتصادى إلي غير

ذلك من الأمور التى تتناول الشعب بمجموعه، وصارت حياة الملوك والأمراء صفحة فقط من تاريخ سائر الأفراد تزيد وتنقص بحسب الملك أو الأمير من الشأن والقيمة الذاتية. ولتاريخ الملوك المسلمين هذا ميزة هى أنه يتناول فى بعض الأحيان أشخاصاً بارزين لم يستمدوا مقامهم من الملك أو الإمارة أو الرياسة فقط بل استمدوه من أعمال لهم خالدة قد لانفيها حقها إذا اقتصرنا على وصفها بأنها ثورة أو انقلاب فقط، فما فعله الملك فيصل بن الحسين مثلا منذ قاد الجيش الشمالى فى الثورة العربية ودخل دمشق ثم تبوأ عرش العراق إلي أن عاجلته المنون فاختطفته من على أوج مجده - ولكن ويالالأسف قبل إتمامه مهمته - هو تاريخ نهضة قومية بعيدة الأثر قد يكون من ورائها انقلاب خطير فى العلائق بين أوربا والشرق، ولم يكن فيصل بن الحسين الثائر الوحيد فى هذه المجموعة الخطيرة. بل إن الجمهورية التركية التى ألقت على الغرب دورساً بليغة فى وجوب احترام الشرق وأوقفت الطغيان الاوربى عند حد معين بعد ما استفحل أمره وكاد يجرف أمما بقضها وقضيضها إلي حظيرة الاستعمار، هى جمهورية مدينة بالدرجة الأولى لرئيس واحد من الرؤساء الذين ترجمهم هذا الكتاب القيم.

اذن فمع كل ما لمجموع الشعب من الشأن المفوق ولحياته المشتركة من القيمة الغالية فالأفراد البارزون سواء أكانوا ملوكا أم رعايا، عظاميين أو عصاميين، لايزالون هدف الكتاب ومحور أهل الملاحظات ومحط أنظار المؤلفين - لا لميزات وهمية اكتسبوها من مخلفات القرون الوسطى، أو دعاوى باطلة يحاولون ترسيخها فى الأذهان الفارغة، بل لأن أعمالهم هى عنوان الانقلاب السياسى الطارئ، ورمز التدرج الاجتماعى المستجد، فيكون الاهتمام بالملوك

والحالة هذه لايختلف من حيث الأساس عن الاهتمام بالرجل الكبير أيا كان، ولم يدر فى خلد المؤلف وهو يكتب من حيث الأساس عن الاهتمام بالرجل الكبير أيا كان، ولم يدر فى خلد المؤلف وهو يكتب للنشء الحديث فى الشرق الإسلامى أن يملأ كتابه بالمواد الجافة أو الإحصائيات المتعبة، أو يكيل فيه المديح جزافا على الطريقة القديمة البالية. بل لم يقصر فى إعطاء كل ذى حق حقه من الملوك والأمراء والرؤساء الذين ترجمهم بحيث يجد القارئ حياة الذين لم يفعلوا شيئا، أو ليتهم لم يفعلوا شيئاً مدونة بنزاهة إلي جانب حياة من فعلوا كل شئ. ويلذع فى بعض الأحيان لذعاً قاسياً موجعاً، ولاسيما متى كان انحراف أصحاب الترجمة انحرافاً داعياً إلي غبن الأمة وغش الوطن، وهذا واجب مقدس لأن من أهم وظائف المؤرخ ألا يكون شفوقاً بل عادلاً وأن يهتدى بالحقائق لا بما يغلى فى صدره من الأهواء، وأنى يطبق أحكامه فى القضايا المعروضة عليه. سواء أكانت قضايا الخاصة أم قضايا العامة على القاعدة الرشيدة اللألاءة:

«والناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر»

القاهرة فى ٥ اكتوبر سنة ١٩٣٣

عبد الرحمن شهبندر

ما هو هذا الكتاب؟

باسمك اللهم وبحمدك، وصلاة وسلاماً على صفوة أنبيائك ورسلك:

لم يكن للمسلمين عقب الحرب العظمى وقد وضعت أوزارها يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨ دولة مستقلة يحسب حسابها، ويرهب جانبها، فقد اهتبل الحلفاء فرصة عقد الهدنة بينهم وبين الترك فاحتلوا عاصمتهم، وأنشبوا مخالبهم فى جسم دولتهم، ثم حكموا عليها بالتمزيق والفناء بمعاهدة سيفر «أغسطس سنة ١٩٢٠» وكادوا يوارونها لحدها، ويسكنونها رمسها، وضرب الأنكليز حمايتهم على مصر فى ابتداء تلك الحرب مغتنمين إعلانها، فاعتصم المصريون بالصبر انتظاراً لانتهاء ليلها، وتنفس صبحها ومعرفة المصلى من المجلى فى ميدانها وما كانت فارس فى حالة تفضل حالة مصر، فقد نزل الإنكليز ثغورها وامتلكوا ديارها وسلكوها فى عداد الأقطار الإسلامية التى يحمونها ويسيطرون عليها. وكانت أفغانستان مجردة من حق السيادة الخارجية، وقد تنازلت عنه لهم يمارسونه باسمها.

وكانت جزيرة العرب تغلى غيظاً وحقداً، فلم يكف الإنكليز أنهم خانوا عهدها وقد وعدوها أبان الحرب أن يساعدوها فى إنشاء دولة عربية تضم الحجاز والشام والعراق، بل راحوا يؤيدون اليهود فى إنشاء وطنهم القومى، كما أيدوا الفرنسويين فى احتلال سواحل الشام وثغوره، واقتسموا معهم ذلك القطر، فاختصوا بجنوبه واختص أولئك بشماله، ويحمى هؤلاء الأرمن وينشئون لهم وطناً قومياً، ويحمى الإنكليز اليهود ويمكنون لهم فى أرض فلسطين تمكيناً.

وانشأ الإنكليز فى العراق نظام حكم شاذ نفر منه العراقيون واشمأزوا، وساد الاضطراب تونس، وتتابعت الثورات فى المغرب الأقصى واجتمعت قبائله على قتال الفرنسويين والأسبانيين وماج الشرق من أقصاه إلى أقصاه، وزاده هياجا وحقداً إيصاد الحلفاء أبواب مؤتمرهم الأعلى فى وجه ممثلى أممه، وتصاممهم

عن سماع مطالبها وظهورهم بمظهر المتواطئ على اقتسام بلادها والتهام ممالكها، فنهض المصريون وتلاهم الأفغانيون وثار الفرس وتقلد الترك السلاح واقتفى أثرهم العراقيون والسوريون والمغاربة فنازلوا أوربا واستردوا بحد السيف ما عجزوا عن نيله بشق القلم.

ولقد فصلنا فى هذا الكتاب هذه الأحداث تفصيلاً، وأفضنا فى الكلام عن مقدماتها وأسبابها وما تلاها من تحول، وبسطنا نصيب كل شعب فى هذا الكفاح والنضال ثم أتبعناه بمجموعة ثمينة من المعاهدات والوثائق السياسية التى عقدت أو تبودلت فى خلال هذه الفترة من تاريخ الشرق وعددها ١٣٧ معاهدة ووثيقة.

وفى الكتاب بيانات تاريخية عن حالة ثمانى عشرة دولة وإمارة إسلامية. ثلاث منها فى إفريقية وهى: مصر وتونس والمغرب الأقصى، وأربع عشرة فى أسيا وهى: تركيا والعراق وسورية وشرقى الأردن وبلاد العرب السعودية واليمن ولحج وحضرموت وحيدر أباد «الهند» وأفغانستان وإيران والكويت والبحرين ومسقط. ودولة فى أوربا وهى ألبانيا، وعن نظمها السياسية وتطورها الاجتماعى ووضعها الدولى، وترجمنا كل ملك من ملوكها وأمير من أمرائها ويقترن اسم معظمهم باسم الدولة أو الإمارة الجديدة. فهو فى الغالب مؤسسها ومنشؤها، مع وصف شامل لأخلاقه ومبادئه وأرائه وميوله السياسية والاجتماعية والدينية وطراز ميعشته. وذلك فى أسلوب طريف لم ينسج على منواله حتى الآن فى كتب التاريخ العربية.

وأسهبنا فى الكلام عن قضايا شعوب الشرق السياسية وعن حركاتها الوطنية وعن مطالبها وأمانيها، وأتبعناه بما أجمعت عليه من مواثيق وطنية تسعى لتنفيذها وتحقيقها، فيعرف كل شعب مطلب جاره، فجاء سجلاً وافيا للنهضة الشرقية بعد الحرب العظمى، وسفراً جامعاً لأخبارها وحوادثها.

ولقد استفرغنا الجهد فى إتقانه وفى تجنب المبالغات والتطويل، واكتفينا باللب، وكانت الحقيقة والنزاهة رائدنا فى كل ما دوناه وأذعناه، وإذا كان هناك هنات أو هفوات، والكمال مما اختص الله به ذاته، فسنعمل لتلافيها فى المستقبل، راجين من كل من يقف على هفوة أن يتفضل فينبهنا إليها حتى نتلافاها فى الطبعة الثانية فنكون له من الشاكرين.

ومنه تعالى نستمد العون والتوفيق

القاهرة فى جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ هـ أكتوبر سنة ١٩٣٣م.

أمين محمد سعيد

الدول الإسلامية المستقلة

الجزء الأول

مصر

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

تعد المملكة المصرية فى مقدمة ممالك الإسلام رقياً وعمراناً، وأخذا بأسباب الحضارة والمدنية، وتتمتع بمركز جغرافى ممتاز يجعلها صلة الوصل بين أوربا وآسيا وإفريقية، أو بين الشرق والغرب ففيها تلتقى الحضارة العربية الإسلامية بالحضارة الأوربية المسيحية، وفيها تعقد المؤتمرات العلمية والفنية، ومنها ترسل البعوث العلمية والتهذيبية إلي الممالك الإسلامية والبلاد الشرقية.

وتبلغ مساحتها السطحية ٩٤٩٣٠٠ كيلو متر مربع ويبلغ عدد سكانها بموجب إحصاء سنة ١٩٢٧ ـ ١٤١٨٦٨٠٨ نسمة. منهم ٨٥٤٧٧٨ قبطياً و ٥٩٥٨١ يهودياً و ١٠٧٦٨٧ كاثوليكياً و ٤٧٤٨١ بروتستانتيا و ١٤٤١٦ مسيحياً من الطوائف الأخرى و ١١٢٠٠٠ أجنبى. والباقون مسلون يتعبد معظمهم على مذهب الإمام الشافعى، ويحدها من الجنوب السودان المصرى، ومن الغرب مقاطعة بنغازى، ومن الشرق البحر الأحمر وصحراء سينا والحجاز، ومن الشمال البحر الأبيض. وعاصمتها القاهرة، ودينها الرسمى الإسلام وهى مستقلة من الوجهة الحقوقية النظرية. وأعظم مدنها القاهرة ثم الإسكندرية وطنطا وبورسعيد والمنصورة والمنيا وأسيوط وأسوان. ونظام الحكم فيها دستورى ملكى نيابى ديمقراطى.

يبلغ عدد الجيش المصرى فى زمن السلم ١٨ ألف جندى ليس للحكومة المصرية أن تزيدهم عملا بالفرمانات القديمة، وهم يجندون بموجب نظام إجبارى.

ويتبوأ عرش مصر اليوم جلالة الملك أحمد فؤاد الأول ابن الخديوى إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا ابن الوالى محمد على باشا مؤسس الأسرة المحمدية العلوية ومنشئ مصر الحديثة. وهذا رسمه الكريم:

جلالة الملك أحمد فؤاد الأول



ملك مصر

جلالة الملك أحمد فؤاد الأول

ملك مصر

مولده ونشأته

ولد فى قصر والده الخديوى إسماعيل فى الجيزة «من ضواحى القاهرة» يوم ٢ ذى الحجة سنة ١٢٨٤هـ و ٢٦ مارس سنة ١٨٦٩م.

وقبل أن نتبسط فى الكلام عن نشأته لابد لنا من التنويه بما صحب ولادته من يمن للمرحوم والده. فقد روى المؤرخون أن مرضا اعتراه فى الحنجرة شتاء سنة ١٨٦٧ فلم يأبه له الأطباء فى أول الأمر وظنوه عارضاً يزول، ولكنه لم يلبث أن تفاقم فشغل الخواطر فألحت صاحبة السمو والدته عليه باستقدام طبيبه الخاص ـ وكان خارج القطر ـ فاستقدم على الفور فهاله ماشاهد من اشتداد المرض فانصرف إلى معالجته وصادف حينئذ ولادة الأمير أحمد فؤاد فتهلل وجه والده فرحاً لما بشر به وسر كثيراً فساعد سروره على نجاته وشفائه.

نشأته ـ دخل حين بلغ السابعة المدرسة الخاصة التى أنشأها والده فى رحبة عابدين (القاهرة) لتعليم أنجاله وكانت مشمولة بنظارة يعقوب أرتين باشا فقضى فيها ثلاث سنوات يتعلم مبادئ العلوم واللغات، وفى سنة ١٨٧٨ أمر والده بإرساله إلى جنيف (سويسرا) لتلقى العلم فى معاهدها فصحبه دور بك المفتش فى نظارة المعارف العمومية، وحسن باشا جلال ،وحميد الله باشا المدرسون بالمدارس الأميرية، وبعدما ادخلوه فى معهد توديكم (جنيف) يوم ٢٠ مايو من تلك السنة عاد الأول إلى مصر وبقى الأخيران فى معيته: حسن باشا جلال لتدريسه اللغة العربية، وحميد الله باشا لتدريس اللغتين التركية والفارسية.

وغادر ذلك المعهد يوم أول أغسطس سنة ١٨٧٩ بعد ماقضى فيه سنة مكبا على دروسه. منصرفاً إلى إتمام واجباته، وقصد نابولى لزيارة والده وكان ينزل فى قصر فاوريتا الملكى الشهير بضواحيها.

ومما يحسن ذكره على سبيل الاستطراد انه لمازار جنيف فى صيف ١٩٢٩ أى بعد انقضاء خمسين سنة على زيارته الأولى بحث عن ذلك المعهد وعن أسرة منشئه ونزل فى نفس الحجرة التى كان ينزلها فى عهد الدراسة. وتحدث الأستاذ جورج توديكم نجل مؤسس ذاك المعهد وزميل جلالته على مقاعد الدرس عما يعيه من ذكريات المدرسة فقال : «لما دخل جلالته المدرسة خصصوا له غرفتين إحداهما للنوم والأخرى للاستقبال (صالون) وهى نفس الحجرة التى نزلها فى رحلته الأخيرة. أما حجرة النوم الأصلية فحولت بعد ذلك إلى حمام، يقوم بجوار تلك الحجرة فى الوقت الحاضر. وخصصت حجرة النوم الملاصقة لها للأستاذ المصرى وكان يصحبه لتدريس اللغة العربية.

قال : «وكان يلبس زمن الدراسة ثوباً أزرق جميلاً، ويضع على راسه بطريقة جميلة للغاية طربوشاً أحمر رشيقاً لاينزعه إلا فى ساعات اللعب. وكان شغوفاً بالألعاب الرياضية، ولئن صادف بعض صعوبة فى ابتداء الأمر إلا أنه مالبث أن اكتسب مودة زملائه فأحبوه واكرموه. وكان يوم رحيله يوم حزن وبكاء لبعده». قال وكنا نسميه أحمد بك فواد.

نعود بعد هذا الاستطراد التاريخى إلى إتمام مابدأنا به فنقول إنه بعد ماقضى أياماً فى نابولى إلى جانب والده عاد إلى مصر فقضى فيها ثلاثة أشهر ثم قصد إيطاليا فدخل فى المدرسة الإعدادية الملكية بتورينو، وذلك فى سنة ١٨٨٠ بناء على اقتراح الملك أمبرتو الأول. ولما أتم دروسه فيها نقل إلى مدرستها الحربية سنة ١٨٨٥ وتخرج فيها برتبه ملازم ثان فى المدفعية الإيطالية سنة ١٨٨٨ وانضم إلى الآلاى المدفعى الثالث عشر المعسكر فى ضواحى رومية، ومكث فى الجيش الإيطالى العامل سنتين.

أول وظائفه ـ زار الإستانة سنة ١٨٩٠ وكان والده يقيم فيها فاتصل بالسلطان عبدالحميد فعينه ياورا فخرياً لجلالته وانتدبه ملحقاً عسكرياً بالسفارة العثمانية بفينا فقضى فيها سنتين.

رجوعه إلى مصر ـ وقدم مصر سنة ١٨٩٢ فاسندت إليه رتبة فريق فى الجيش المصرى. وفى يوم ٢٥ يوليو سنة ١٨٩٢ صدر الأمر العالى بتعيينه سر ياور للخديوى وهذا نصه :

« إنه بناء على ما أتصفتم به من صفات المعارف والكمالات وما هو مثبوت عندنا من لياقتكم وحسن درايتكم ووثوقنا بذاتكم العلية قلدنا سعادتكم وظيفة سرياورنا. وصدر أمرنا للسردارية بذلك. وهذا لسعادتكم للمعلومية ومباشرة أمور وظيفتكم هذه حسبما نعهده في سعادتم من الغيرة والحمية وفقنا المولي جميعا لما فيه الخير والصلاح. آمين»

وعمل في خلال تقلده ذلك المنصب علي رفع شأن العسكرية في البلاد وعلي ترقية الحرس المصري فصار يضارع بنظامه وهندامه أعظم حرس أوروبي، ولا يزال الضباط الذين عملوا تحت إمرته في خلال تلك السنوات يذكرونها بمنتهي الفخار والإعجاب.

جهوده العلمية ـ ورأي في سنة ١٨٩٥ أن بلاده في حاجة إلي جهوده العلمية فانصرف إليها. وكان مشروع إنشاء الجامعة المصرية فى مقدمة المشروعات التى عمل على تحقيقها وإخراجها لشدة الحاجة إليها وقد ظل يدأب ويجد حتى تم له إدراك هذه الأمنية العظمى فاحتفل يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ بافتتاحها. وإليك شذرات من الخطبه النفيسة التى ألقاها فى تلك الحفلة :

«لقد جاء اليوم الذى تقضى فيه الضرورة على الشبيبة المصرية بورود مناهل التربية العلمية الحقة فى نفس القاهرة دون أن تتغرب فى ربوع العالم التى نالت بفضله مكانة عالية فى العمران».

«وإننى أبتهل إلى الله تعالى أن يجعل هذه الجامعة نافعة لطلاب العلم عموماً ولشبيبتنا المصرية خصوصاً. إذ إننا لم نقدم على هذا العمل الجسيم ولم نسهر الليالى بسببه إلالترقية هذه الشبيبة التى لايكفينا امتيازها بالذكاء والنشاط والاجتهاد بل نرى أنه يتحتم عليها أيضاً أن تتحلى بفضيلتى الصبر والاستمرار

لأنهما سر النجاح. ولاريب عندنا فى أنها ستكسب هاتين الخلتين الحميدتين لتكون جديرة بتحقيق الآمال التى وضعها فيها مجلس إدارة الجامعة والأمة بأسرها».

وظل يرعى هذا المشروع حتى نما واكتمل وآتى أكله مضاعفاً فصار لمصر جامعة علمية تضارع جامعات أوربا رقياً وتقدماً. وتتألف الجامعة اليوم من أربع كليات : كلية العلوم والطب والآداب والحقوق. وقد ألحقت بوزارة المعارف فى سنة ١٩٢٥ واحتفل يوم ٢٧ فبراير سنة ١٩٣١ بفتح كليات الجامعة فى الجيزة وبفتح مكتبتها وتضم ١٥٠ ألف مجلداً تحوى جانباً كبيراً من أثمن كتب العالم.

منشآت أخرى - وأنشأ إلى جانب الجامعة، الجمعية الملكية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع، وقد احتفل بافتتاحها يوم ٨ أبريل سنة ١٩٠٩ ورعاها بعد ماولى الأريكة فكثر عدد رجالها والمنتسبين إليها. وتعمل على إعداد محاضرات نفيسة فى مختلف الشؤون العلمية ثم تنشرها فى مجلتها الدورية «مصر الحديثة».

وقد تم لها بفضل مساعدته وهباته إنشاء دار فخمة خاصة بها فى شارع الملكة نازلى، وفى هذه الدار عقد مؤتمر الملاحة الدولى الأخير.

وأنشئت الجمعية الملكية الطبية المصرية بفضل تنشيطه فى سنة ١٩٠٨ ومابرحت تنمو وتزداد تقدماً وقد أدت للعلم أجل الخدم.

وأنشأ فى سنة ١٩٠٩ جمعية لتنشيط السياح على زيارة الأقطار المصرية ومشاهدة آثارها العظيمة. لما فى ذلك من توثيق عرى الألفة والود بين الشعب المصرى والأمم الأوربية واجتذاب السياح. فتستفيد البلاد منهم فوائد مادية وأدبية وقد نمت هذه الجمعية بفضله ومازالت مثابرة على تنفيذ الخطة التى رسمها لها.

وراس جمعية الأسعاف المصرية فقد اختاره مجلس إدارتها رئيساً لها يوم ٥ يناير سنة ١٩١٠ فقام بأعباء الرياسة خير قام، ووسع نطاقها فأدت أجل الخدم.

ومثل مصر فى مؤتمر المستشرقين الدولى المعقود فى أثينا فى شهر مايو سنة ١٩١٢ بصفته رئيس الجامعة المصرية ومنح رتبة دكتور من جامعة أثينا.

وكذلك انتخب يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٥ رئيساً للجمعية الملكية الجغرافية وقد أنشأها والده الخديوى إسماعيل سنة ١٨٧٥ فأعاد إليها الحياه والنشاط ونفخ فيها من روحه فنمت وتقدمت وعادت إلى إذاعه نشراتها الدورية، وطبعت كثيراً من الكتب العلمية أهدتها إلى الجمعيات الجغرافية. وفى سنة ١٩٢٥ عقد المؤتمر الجغرافى الدولى فى دارها بمصر بمساعدة جلالته وتعضيده.

ومعهد الأحياء المائية فى الإسكندرية هو نفحة من نفحاته وقد شرع فى إنشائه منذ سنة ١٩١٥ وأعلن افتتاحه رسمياً يوم ٢٨ يناير سنة ١٩١٨ وهو مشمول بالرعاية الملكية.

وفى ٢ مارس سنة ١٩١٦ تولى رياسة جمعية الهلال الأحمر المصرية. فخفف من آلام الأسرى وأسقام الجرحى، ونهض بهذه الجمعية فاستطاعت أن تؤدى مهمتها على الوجه الأكمل.

وفى يوم ٨ يناير ١٩١٧ انتخب عضو شرف فى المجمع العلمى المصرى فكانت باكورة أعماله وضعه جائزة مالية لمن يؤلف أحسن كتاب فى تاريخ والده وما قام به زمن حكمه.

وبلغ عدد الجمعيات والهيئات العلمية والاقتصادية والخيرية التى كان يرأسها ويديرها أو يساهم فيها قبل ارتقائه العرش اثنتى عشرة جمعية وهيئة كان يمدها ويعطف عليها ويشجعها خدمة للعلم، ورغبه فى إنهاض البلاد ورفع مستواها العلمى والاجتماعى والاقتصادى، ثم أغدق عليها من سحائب فضله وإحسانه بعد انتقال الأمر إليه فواصلت أعمالها، وكانت من العناصر النافعة التى ساعدت على نمو النهضة الحديثة واتساع نطاقها.

كيف يقضي يومه ؟

يستيقظ جلالته مبكراً، صيفاً وشتاء، فى الساعة الخامسة صباحاً غالباً، ولكنه لايغادر فراشه مبكراً لئلا يزعج خدمه وبطانته، ويكونون فى ذاك الوقت المبكر مستغرقين فى النوم.

إلى الحمام ـ ويقصد الحمام عندما ينهض ويكون ذلك فى الساعة السابعة فيستحم ويقوم بحركات رياضية بسيطة ثم يتزين، ويفطر ويتألف فطوره عادة من فنجان لبن وقطعة من الجبن وقليل من المربى أو العسل الأبيض وبعض الفواكه الموسمية.

مطالعة الصحف ـ وينتقل بعد الأكل إلى البهو الخاص الملاصق لحجرة النوم فينظر فى شؤون الدولة، ويدرس الملفات والتقارير المرفوعة إليه بدقة وعناية، ثم يطالع الصحف اليومية الصادرة فى القاهرة بين عربية وأفرنجية ويقرأ ما يستوقف نظره من مقالاتها وأخبارها وتعليقاتها، كما يطالع ما يصدر فيها من مجلات وصحف أسبوعية وترفع إليه يوم صدورها. وهو مشترك أيضاً فى كثير من الصحف والمجلات الأوربية بين فرنسوية وإنكليزية وإيطالية يطالعها ويفضل قراءة الفصول العلمية على غيرها، وبذلك يتسنى له متابعة سير الحركة السياسية والاجتماعية والعلمية فى العالم فلا يفوته شئ منها ولايند عنه خبر من أخبارها. وفضلاً عن ذلك فهو مشترك فى كثير من شركات الأخبار، وترفع إليه على الدوام قصاصات من الصحف فى مختلف الشؤون العامة.

عند جلالة الملكة ـ وينتقل فى الساعة التاسعة إلى الجناح الخاص بجلاله الملكة ثم يدخل الجناح الخاص بسمو ولى العهد وشقيقاته فيجمعهم ويلاعبهم ويداعبهم ويتفقد حجر نومهم وأمتعتهم بنفسه، ويسألهم عما تعلموه

واستظهروه، ولا يخاطبهم إلا باللغة العربية ويتعلمونها مع اللغة الإنكليزية. ويكافئ المجد منهم بجوائز خاصة. ويعنى بغرس روح الديمقراطية وحب الخير والإحسان فى نفوسهم.

المقابلات ـ وبعد ما يقوم جلالته بهذا الواجب العائلى كأفضل ما يقوم به والد بار نحو أبنائه يقصد مكتبه الرسمى فى القصر وهو واسع يطل على ساحة عابدين. فيبدأ باستقبال زائريه وتكون الساعة العاشرة فيقدمهم كبير الأمناء ذاكراً اسم كل منهم حين دخوله البهو ويكون جلالته عادة فى وسطه. وكثيراً ما تمتد هذه المقابلات إلي الساعة الواحدة بعد الظهر.

طعامه ـ ويتناول طعام الغداء فى الساعة الواحدة والنصف عادة إما منفرداً وإما مع جلالة الملكة والأنجال. وطعامه من الخضار والفواكه، ولا يكثر من أكل اللحوم ويتبع نظاماً صحياً خاصاً.

ويعود إلى مكتبه بعد الظهر فيقابل كبار موظفى القصر ويدخلون عليه بالرادنجوت وينظر فى مايعرضونه عليه من الشئون والمهام ويصغى إلى أقوالهم ويناقشهم مناقشة الخبير العليم المحيط بكل شئ الواقف على كل شئ.

نزهته ـ ويخرج للنزهة فى خلال فصل الصيف حينما يكون فى قصر المنتزه بالإسكندرية فيتروض فى حدائقه وجنانه وقد يركب أحياناً مركبة صغيرة يجرها جواد واحد فيقودها بنفسه، وقد ترافقه جلالة الملكة فى هذه النزهات البسيطة. ويتفقد خلالها الأشجار والأزهار ويصدر إلى القائمين عليها ما يراه من تعليمات لإصلاحها وتشذيبها. وقد تستمر هذه النزهة ساعة أو ساعتين إذا كان الجو صافياً والهواء عليلاً.

أما فى زمن الشتاء فلايخرج إلى حدائق قصر عابدين إلا نهاراً طلباً للشمس. ويزور الجناح الخاص بجلاله الملكة حين عودته من نزهته اليومية إذا لم تكن معه وقد يدخل جناح الأنجال. ويتعشى فى الساعة الثامنة عشاء خفيفاً بسيطاً يتألف من فاكهة وجبن ولبن.

ماؤه - ويشرب على المائدة من ماء افيان فقط، ولا يتذوق المشروبات الروحية ويمقتها. ومما يروى عنه أنه لما زار المانيا فى صيف سنة ١٩٢٩ أدبت له بلدية برلين مأدبة شائقة وكان فى جملة أصناف الطعام «فراولة» مثلجة بالشمبانيا فامتنع جلالته عن تناولها عند ماشم رائحتها فجئ له بغيرها.

تدخينه - وجلالته غير مغرم بالتدخين أيضاً وقد يدخن سيجاراً بعد طعام الغداء. ومعدل ما يدحنه يومياً لايزيد عن خمس سكاير.

ومما يؤثر عنه بوجه خاص أنه لايتحدث على المائدة بحديث الأعمال اليومية بل يتكلم فى ماسواها من الشئون الأخرى تاركاً البحث فى شئون المكتب إلى المكتب.

حبه للسينما - ويحب جلالته السينما إجمالاً ويشهدها ثلاث مرات فى الأسبوع مع جلالة الملكة ومن يكون معهما من أفراد الأسرة المالكة، وتعرض فى دار السينما بالقصر فى الساعة الحادية عشرة مساء. والأشرطة المعروضة تكون غالباً علمية أو تاريخية أو اجتماعية. وقد يختار له بعض ما يعرض فى دور السينما فى العاصمة أو الإسكندرية. وبين ما يعرض أيضاً أشرطه صحية تضعها مصلحة الصحة العامة أو تستوردها من البلاد الأجنبية.

نومه - وينام جلالته الساعة الحادية عشرة صيفاً وشتاء بعد أن يعمل مدة أربع عشرة ساعة فى الغالب.

ملابسه - ينفر جلالته من الألوان الزاهية فلا يلبسها لاصيفاً ولاشتاء ويميل إلى الألوان القاتمة الدكناء، ومنها معظم بذلاته وأربطة رقبته ويفضل استعمال كولونيا «اتكنس» على غيرها من العطريات. وقد اعتاد استعمالها من صغره.

ويستبدل فى أيام الصيف قميصه الداخلى ويكون من الصوف بقميص

شفاف من القطن. ويرتدى فى مكتبه وفى زياراته الخاصة رادنجوت ملوناً صيفاً وشتاء. أما فى الحفلات العسكرية فيلبس بذله مشير فى الجيش المصرى. ويلبس فى الحفلات الرسمية رادنجوت أسود.

وصابون «برسوب» هو الصابون الوحيد الذى يستعمله فى غسيله وحمامه وقد ألفه منذ صغره. وهو محافظ على عاداته القديمة لم يبدل شيئاً منها. كما أنه لايزال محتفظاً بحاشيته وبخدمه القدماء.

كيف يحادث زائريه؟ - قلنا آنفا إن كبير الأمناء أو من ينوب منابه يعلن أسماء زائرى جلالة الملك حين دخولهم مكتبه وإن جلالته يكون غالباً واقفاً فى وسطه فيستقبل زائره ويصافحه بيده، ثم يشير له بالجلوس وقد اعتاد أن يكون هو البادئ بالحديث.

ومما يؤثر عنه أنه إذا علم بوفود عظيم من العظماء شرقياً كان أو غربياً إلى مصر أمر حاشيته أن يحملوا إليه مجموعة من الكتب الخاصة ببلد القادم أو فى الفن الذى اختص فيه إذا كان فناناً أو فى العلم الذى يجيده إذا كان عالماً فيطالعها بروية ويستوعب ما هو بحاجة إليه، فإذا حل وقت الزيارة ودخل الزائر عليه خلب لبه بطول باعه ووفرة اطلاعه، فلا يخرج من حضرته إلا وهو مندهش من سعة اطلاعه وغزاره علمه. وحديثه كثير الصراحة خال من الكلفة والتصنع مملوء بالطرف والحكايات اللائقة، ويهون بحسن مقابلته الأمر على محدثيه ويخفف ارتباكهم.

مكتبة القصر - وعنى جلالته عناية خاصة بمكتبة قصر عابدين الخاصة. ويقولون إنها أهملت إهمالاً شائناً فى العهود السابقة فاستحضر لها خبيراً فنياً من إيطاليا تولى مهمة إصلاحها وتنسيقها، ووضع لها فهارس يساعده اختصاصى مصرى فصارت تعادل أعظم المكتبات إتقاناً وتنظيماً.

وفى المكتبة أيضاً مؤلفات عديدة فى التاريخ، ولجلالته ميل زائد إلى اقتناء

الكتب التاريخية. ولاسيما ما كان منها متصلاً بتاريخ مصر. ويعمل جلالته لتكون المكتبة مرجعاً يرجع إليه الباحثون فى الشئون المصرية.

ونقول بهذه المناسبة إنه لما ألف الكاتب الفرنسوى المشهور المسيو هانوتو كتابة «تاريخ الأمة الفرنسوية» دعاه جلالة الملك إلى زيارة مصر فزارها فى سنة ١٩٢٩ فاقترح عليه كتابة تاريخ للأمة المصرية مماثل لتاريخه الفرنسوى. ولما تشرف بمقابلته قال له :

« أنا عسكرى بل حارس على الحدود، وقد وقفت نفسى على مستقبل أمتى وأنا عامل على رفعها إلى المستوى اللائق بها.

« لقد عملت أعمالاً مختلفة فى هذا السبيل أثمرت ثمرها المطلوب فجددت شباب الجمعية الجغرافية التى أنشأها والدى وأسست جمعية الاقتصاد السياسى وغيرها من الجمعيات. وسأنشئ مجمعاً للصحراء يجمع كل ما يلذ للسياح الاطلاع عليه من شؤون الصحراء وأحوالها.

« ولما أطعلت على كتابكم «تاريخ الأمة الفرنسوية» وددت أن يكون لنا تاريخ مثله فيعرف شعبى تاريخه. كما أود أن تعرف الشعوب الأخرى تاريخ مصر».

ومما قاله جلالته فى حديثة أيضاً :

« يعود الفضل فى شق سبل الرشاد أمام أمرائنا السالفين وفى مثابرتهم على العمل بجد ونشاط إلى ثقتهم بعظمة بلادهم وبماحبتها إياه العناية الربانية من ثروة طبيعية عظيمة. إن سلطتنا قائمة على الواجبات الملقاه على عاتقنا، ولا أطلب سوى أن يوثق بى بصفتى ممثلاً لروح الشعب المصرى. وقد قبلت أن أعتلى العرش مع تقدمى فى السن فوقفت بقية حياتى على حكم تلك الساعة الحاسمة. فأنا من أنصار المدنية والسلم والتعاون الأدبى العام».

« وأعود فأقول لكم إننى جندى. وكلمتى واحدة، وإذا قلت فعلت وواجبى

مستمد من ضميرى. وقد كانت مصر حتى الآن شريكة المدنية الأوربية فى إفريقية».

ومن عادته وضع قطعة من الورق الأبيض فى المكان الذى يود الرجوع إليه من الكتب أو المجلات التى يستعيرها من المكتبة، ومما يستحق الذكر أن جميع المجلات والصحف التى ترد باسم جلالته تجلد وتحفظ فى المكتبة.

دقته ـ اشتهر جلالته بالميل إلى الاستفادة والدرس فى خلال زياراته للمعاهد والملاجئ ودور الصحة والمختبرات والمعامل التى يقصدها أو يفتتحها، فهو يغتنم هذه الفرص فيناقش رجالها والقائمين بأمرها. وقد يكثر من إلقاء الأسئلة عليهم فيعجزون أمام براعته ودقته وقوة ملاحظته ومضاء ذاكرته.

ويضيق بنا المقاوم لو رحنا نسرد الحوادث العديدة التى حدثت لجلالته من هذا القبيل فنكتفى بإيراد بعضها فما لايدرك كله لايترك كله.

فقد حدث حين زيارته لمصلحة الإحصاء أنه أمطر الموظفين الأخصائيين وابلا من الأسئلة مستفسراً عن الجليل والتافه من شئون الآلات الكثيرة والماكينات العديدة. ولما عجز أحد الموظفين عن إجابته على سؤال وجهه إليه مع أنه قضى سنين فى إدارة تلك الآلة والإشراف عليها، أنقذه جلالته بقوله «تبقى تسأل عن هذه المسألة وتجيبنى عنها».

ولما افتتح مصحة فؤاد بحلوان شرح له الطبيب المختص طريقة استعمال الأشعة حيث دخوله الحجرة الخاصة بها فقال له «أريد أن تجر بها أمامى» فجاءوا بمريض يعالج فى المصحة ووضعوه أمام الآلة بعد مانزعوا ثيابه من الجزء الأعلى وأطفأوا الأنوار وأغلقوا الأبواب وأسدلوا عليها ستائر سوداء ثم أطلقوا الأشعة على جسم المريض وكانت الحجرة فى ظلام قاتم وانبرى الطبيب يشرح لجلالته أعراض المرض كما هى ظاهرة على جسمه فكان ينعم النظر مستقصياً مدققاً.

وابتسم فى خلال تلك الزيارة للدكتور برنان مدير المصحة - وهو سويسرى - حينما ذكر بين يديه «أن إقليم حلوان من أكثر أقاليم العالم ملاءمة لمعالجة التدرن الرئوى، وأن المصحة قائمة فى خير مكان يحسن اختياره لهذا الغرض» وقال له : «لما طلبت شراء هذه الدار لتحويلها إلى مصحة عارضونى معارضة شديدة ولكننى صممت على رايى وألححت فى طلبى وهكذا يجب على الإنسان أن يتذرع بصدق العزيمة فى مثل هذه الظروف».

ونزل بنفسه حين افتتاح الجناح الجديد فى مستشفى الملك التابع للأوقاف - إلى الطابق الأرضى متفقداً حالة المطابخ ونظافتها وبعد أن حيا الطهاه قال لكبيرهم «أخبرنى بالتفصيل عن أنواع الطعام التى تطبخونها للمرضى» فذكرها فسأله عن كمية غذاء كل منهم وعن الأنواع التى تقدم لضيوف كل درجة من درجات المستشفى، ولما وقف على كل ما أراد الوقوف عليه من التفاصيل قال للطهاه «أطلب منكم العناية بعملكم لافى مقابل الأجر الذى يعطى لكم. بل خدمة للإنسانية ولإخوانكم».

وحدق جلالته فى الخارطة الكبيرة المصنوعة من الجبس البارز التى تمثل نهر النيل من منبعه إلى مصبه والموضوعة فى دار الجمعية الجغرافية وقال: «أظن أن فى مقاساتها خطأ. ثم التفت إلى حسين سرى بك - وهو من كبار المهندسين - كمن يسأل عن رايه فقال : «نعم إن فيها غلطات فنية يجب إصلاحها».

ولما رحل إلى ألمانيا فى صيف سنة ١٩٢٩ زار دار مطبعة أولشتاين وهى من أعظم دور الطباعة فى العالم كله. فأفاض مديرها فى الشرح والتفصيل والإيضاح ثم قال: «إننى ألتمس العفو ياصاحب الجلالة إذا كنت أطيل فى الشرح والإيضاح» فقال له جلالته «يجب أن تعتمدوا على رغبتى فى زيادة معلوماتى، وما دامت هذه الرغبة رغبتى ففى استطاعتكم أن تطيلوا الشرح والتفسير كما تشاءون. لأننى إذا خرجت من هذه الزيارة بدون معلومات جديدة فثقوا أن أثرها فى نفسى لن يعمر طويلاً».

وأعرب غن رغبته بدخول طيارة كبيرة من طيارات نقل الركاب حين زيارته مطار تمبهلوف فى برلين ليتفرج على أجزائها من الداخل، وقال لمدير المطار «إن من عادتى ألا أكتفى بالنظر إلى الأشياء نظرة خارجية إجمالية عامة قد لاتجدى نفعاً فى معظم الأحيان».

ولما زار مصانع هال بجوار مدينة أسن سأل أحد المديرين الذين كانوا يرافقونه فى طوافه عن مسألة تختص بالمعروضات فأجابه بجواب لم يقنعه. فأعاد الكره وطرح عليه السؤال نفسه فارتبك ولم يحر جواباً. فقال له «إننى لم أجئ إلى هنا لمجرد النزهة والفرجة حتى أكتفى بالنظر إلى المعروضات. بل جئت خصيصاً لأتعلم وأستفيد لعلى أستطيع أن أخدم بلادى بعد ذلك بالمعلومات التى أكون قد جمعتها واستوعبتها فى أيام زيارتى».

علومه ـ يجيد جلالته العربية والتركية والإيطالية والفرنسوية، ويقرأ الإنكليزية ويحادث فيها كما يقرأ الألمانية ويلم بها، وله شغف كبير بالألعاب الرياضية وهو من أعظم مؤيديها، وإليه يعود الفضل فى إنشاء ملعب الإسكندرية ويعد من أجمل الملاعب فى العالم، ويسع ٢٥ ألف نسمة، وفى تنمية الروح الرياضية فى مصر على اختلافها، وكثيراً ما يشهد الحفلات الرياضية ويوزع الجوائز على الفائزين.

وقد عرفت الجامعات العلمية فى أوروبا ميله إلى العلم وشغفه به وطول باعه فى فنونه فأهدته درجات علمية عديدة حازها عن استحقاق وكفاءة كعالم بارع لاكملك لمصر.

أخلاقه ـ ومن أبرز صفاته التواضع واللين وحب الديمقراطية، ويظهر ذلك جلياً فى جميع صفاته وحركاته. وهو قليل الكلام. يكره المظاهر الكاذبة، ويميل إلى البساطة، وقد عرف بالوفاء وحفظ العهد للذين خدموه وأخلصوا له. كما عرف بالصبر وطول الأناة. ويجد زائر مكتبه لوحة خطية جميلة كتب عليها «الصبر».

وهو متمسك بالدين أشد تمسك. محب للعلماء مقرب لهم، وقد نالوا فى عهده من التكريم والعناية مالم ينالوه فى عهد أسلافه الكرام. كما أنه حريص جداً. على التمسك بالتقاليد الإسلامية والشرقية فلا يحيد عنها.

راتبه وثروته ـ ويبلغ راتبه السنوى ١٥٠ ألف جنيه مصرى، ويعد من كبار الأغنياء ومن أصحاب الثروات العظيمة.

خطبه ورسائله ـ يعد جلالته خطبه بنفسه ويحرص على أن ينشئها من دون أن يدع ذلك إلى الديوان ـ كما هو حال الملوك والأمراء الآخرين. وهو أيضاً خطيب مرنجل يلبس أفكاره جملاً فصيحة عالية تزيدها رونقاً وبهاء.

ويراجع بنفسه البلاغات الرسمية التى يصدرها القصر يومياً عن مقابلاته أو زياراته أو رحلاته إن كان فى رحلة، وهى لاتنشر إلا بعد عرضها عليه وإطلاعه عليها وموافقته على نشرها.

مآدبه ـ تمتاز المآدب الرسمية التى تؤدب فى قصر عابدين بالفخامة والرونق والبهاء والإتقان، فلا تقل عن أفخم المآدب التى تقام فى قصور كبار ملوك أوربا كما شهد بذلك الكثرون.

وتبرز دوائر القصر ليلة المأدبة فى حلة باهرة من الأنوار، ويقف رجال الحرس الملكى على جانبى الأروقة والسلالم التى يمر فيها المدعوون. وبعدما يتم وصول هؤلاء يجتمعون فى القاعة الكبرى وينقسمون إلى جماعات يرأس كلاً منها وزير دولتها المفوض فى مصر. وفى الساعة العاشرة يفتح باب قاعة مجاورة ويبدو جلاله الملك واقفاً فى وسطها وقد ارتدى بذلة رادنجوت وتقلد قلادة محمد على وإلى يساره الأمراء وبعض رجال القصر، ويكون المندوب السامى البريطانى أول داخل على رأس الجالية البريطانية فيحيى جلالته ويقدم الذين معه من أبناء بلاده، ثم يدخل وزراء الدول كل على رأس مواطنيه. وبعد الانتهاء من هذه العملية يضع جلالته ذراعه فى ذراع زوجة المندوب السامى البريطانى إذا كانت

موجودة أو يتأبط ذراع غيرها من زوجات كبار المدعوين على الطريقة الأوربية ويسيران يتبعهما الأمراء والوزراء والمدعوون إلى قاعة التمثيل حيث ترقص بعض رقصات الأوبرا، ويمثل بعض ممثليها رواية ذات فصل واحد، وعند الانتهاء ينتقل المدعوون إلى قاعة المائدة.

وتقضى التقاليد المتبعة على الرجال الرسميين الذين يدعون إلى هذه المأدب بأن ينحنوا انحناء عظيماً عندما يقدمون إلى جلالته. أما السيدات فينحنين إنحاء يسيراً مع إرجاع القدم اليمنى إلى الوراء قليلاً.

وتعرض قائمة الطعام «المينو» التى تعد من المأدب الرسمية على جلالته قبل البت فيها، وكثيراً ما يبدل ويغير فيها فيختار لوناً بدل لون أو يأمر بإضافة لون جديد.

وكبير طهاه المطبخ الملكى مصرى يتقاضى راتباً شهرياً قدره ٣٠٠ جنيهاً يساعده عدد من الطهاة من مصريين وترك، وأقل راتب يتناوله الواحد منهم هو ١٥ جنيهاً فى الشهر. أما راتب المكلف بصنع الحلوى فهو خمسة وعشرون جنيهاً فى الشهر.

وتحفظ آنية القصر الذهبية والفضية للمأدب الرسمية فى مكان خاص بها بإدارة خازن مسئول. وتجرد مرة واحدة كل سنة، ويسلم الخازن لكبير خدم المائدة ما يحتاج إليه من الآنية عند قيام جلالته برحله وتعاد إلى مكانها بعد انتهاء الرحلة.

ويعلو كل طبق من الأطباق الفضية والصينية التى ابتيعت فى عهد جلالته حرف «ف» وفوقه التاج الملكى. ونقش على بعضها كلمة «فؤاد» وتحتها كلمة «الأول»، وكذلك نقش التاج الملكى مع حرف «ف» على الأكواب البلورية التى صنعت خصيصاً فى أوربا للقصر، وهى آية فى البساطة وسلامة الذوق وثمن الكوبة الواحدة جنيه مصرى.

وكذلك طرزوا التاج الملكى وتحته حرف «ف» على كل فوطه من الفوط التى تستعمل على الموائد الملكية.

وفى مستودع الآنية فى القصر مجموعة كبيرة من الفضيات بينها شمعدانات يبلغ ارتفاعها قامة إنسان، وكانت تضاء وتستعمل فى المدافن.

وفناجين القهوة التى تقدم فى البلاط من الصينى فى ظروف دقيقة جميلة من الفضة. وفى البلاط ثلاثة موظفين لتقديم القهوة وخمسة للخدمة على المائدة ويبلغ مرتب الواحد من هؤلاء ١٠٠جنيه فى السنة تقريباً، ولمائدة القصر كبير خدم يتناول ١٥٠جنيهاً فى السنة ومعاون و٢٢ خادماً، ويسافر بعضهم بمعية جلالته فى رحلاته واسفاره، وقد تشرف بعضهم بالسفر بمعيته إلى أوربا حينما زارها فى سنتى ١٩٢٧ ـ ١٩٢٩م.

عنايته بمزارعه ـ ولجلالته عناية كبيرة بمزارعة فيزورها بلا انقطاع وكلما سنحت له الفرص فيشرف بذاته على سير العمل ويقف على الطرق التى نفذت فيها تعليماته الخاصة بمعيشة المزارعين. فيطوف المزرعة قسماً قسماً ومظلته (شمسيته) على رأسه ويقضى ساعات فى هذه الدراسة المحببة إليه.

وترفع إليه بلا انقطاع تقارير مفصلة عن سير الحالة الزراعية فيدرسها بعناية ودقة، وقد صارت المزارع الملكية مضرباً للأمثال فى نظامها ورقيها. وحسبك أن عدد أنواع القطن المزروعة فيها لاتقل عن خمسة وهى : السكلاريدس، والفؤادى، والأشمونى، والمعرض، والنهضة.

ولما افتتح المعرض الزراعى الصناعى فى القاهرة سنة ١٩٣١ عرض فيه أنموذج لعزبة تفتيش «ادفينا» من تفاتيش الخاصة، وتتألف من ٣٢ منزلاً اشتمل كل منها على غرفتين وزريبة للمواشى، وقد توفرت فيها كلها الشروط الصحية. وعرض فيه النموذج للتفتيش نفسه. ويتكون من دورين: الأول أرضى وبه مكاتب موظفى التفتيش، والثانى لاستراحة الزائرين والموظفين، وهنالك أيضاً نموذج لمنزل مفتش «أدفينا» ويتألف من دورين بهما ثمانى غرف وما يلحقها من

حمام ومطبخ ودورة ماء وأماكن لتربية الطيور وحديقة ونماذج لمساكن الفلاحين.

وفى التفتيش مكان خاص لمواشى الألبان يتألف من اسطبلين يسع كل منهما ١٤٤ ماشية للألبان، واسطبل للعجول يسع ١٥٠ منها. ومظلة لها تلجأ إليها فى النهار، واسطبل للولادة يسع ١٦ من الأنعام، ودار للتمريض تسع ١٧ منها وهنالك مستودعان للعلوفات وغرفة لتبريد الألبان ومكتب للطبيب ومظلة لفحص المواشى المريضة وغرفة لخدمة الاسطبل. وقد روعيت فى إنشائه الشروط الصحية اللازمة لاسطبل حيوانات الألبان كتغذيته بالماء العذب وفرش أرضه بالأسفلت وشق مجارير لصرف فضلاته ووضع نوافذ لفتحاته تضبط طريقة التهوية.

ومما يدل على شدة عناية جلالته بشئون الزراعة أن مساحة الأراضى المزروعة فى تفتيش الزعفران التابع للأوقاف الملكية كانت أقل بكثير من الأراضى البور مع اختلاف المناسيب يوم تولت الخاصة الملكية الاشراف عليه. فلم يمض وقت طويل حتى زرعت أراضى التفتيش كلها بعد تقصيبها وإصلاحها وتجهيزها بما تحتاج إليه من محطات رى وصرف وأعمال صناعية وطرق زراعية. يضاف إلى هذا وهذا حديقة الفاكهة التى انشئت بتفتيش انشاص فى الإسماعيلية ومساحتها ١٥٨ فداناً.

ويكرر جلالته على مسامع رجال زراعته حينما يزورهم فى التفاتيش بأن أعمالهم ومزارعهم يجب أن تكون أنموذجاً للأهلين يحتذونه ولاسيما ما يتعلق منها بطريقة إصلاح الأراضى البور وطرق الرى والصرف والشئون الزراعية الأخرى.

جلالته والخلافة الإسلامية ـ بين المؤتمرات التى عقدت بمصر فى عهده مؤتمر الخلافة الإسلامية الذى اجتمع فى شهر مايو سنة ١٩٢٦ برياسة الشيخ محمد أبى الفضل الجيزاوى شيخ الأزهر السابق. فقد لبى دعوة الهيئة الدينية العليا بمصر عدد كبير من ممثلى الأقطار الإسلامية فوفدوا إلى هذه العاصمة.

وبعد ما تباحثوا وتناقشوا قرروا تأجيل البت فى مصير الخلافة إلى مؤتمر آخر يعقد لهذه الغاية، ويشترط أن يكون عقده فى مصر.

وبمناسبة عقد هذا المؤتمر لانرى بدا من تسجيل رواية رويت عن المغفور له سعد باشا زغلول حينما كان رئيساً للوزارة المصرية فى سنة ١٩٢٤ فقد تشرف رحمه الله بمقابلة جلالة الملك على أثر إلغاء الترك للخلافة وطردهم سلائل العثمانيين من الآستانة وذلك قبل أن يقرر اجتماع مؤتمر الخلافة فى مصر فقال لجلالته ما معناه :

«أريد يا مولاى أن أقول لكم بصراحة إنه من الخطأ أن تترك مقام الخلافة يفلت من يد مصر بعد ماقوض الترك أركانه وأرى أن جلالتكم خير من يصلح له بين ملوك المسلمين. فإذا وافقتم على هذا الإقتراح فأنا ـ أى سعد باشا ـ مستعد للعمل فى مصر وفى بلدان الشرق الأدنى كلها للمناداة بجلالتكم خليفة للمسلمين».

فشكر جلالته للفقيد العظيم غيرته وعنايته، وقال إنه لايجهل أن تنفيذ هذه الفكرة يزيد عرش مصر مجداً وعظمة، ولكنه يرى أن هنالك أمراً آخر يجب تقديمه على مجد شخصه وسؤدد عرشه، وذلك هو مستقبل مصر فهو لايرى أن تثار قضية الخلافة قبل حل المشكلة المصرية لأن أثارتها قد يعرقل سير القضية المصرية، ثم قال :

«ولو كانت المسألة شخصية لقبلت الفكرة عن طيبة خاطر. أما وهى لاتتفق ومصلحة مصر السياسية فيجب أن تقدم هذه المصلحة على كل مصلحة أخرى».

هباته ـ أحصى أحد الباحثين ماجاد به جلالته من هبات للأعمال الخيرية والجمعيات العلمية والرياضية فبلغت فى خلال عشر سنوات فقط ١٨٧٨٧٧ جنيهاً موزعة كما يلى :

جنيه	
٤٤٢٦٣	للجمعيات الخيرية
١٠٦٤١	للملاجئ والمستشفيات
٤٥٨٦٩	للفقراء والمنكوبين
٧٠٠٤٦	لتشجيع العلوم والفنون الجميلة
١١٤٣١	لتشجيع الألعاب الرياضية
٥٨٣٣	لجميعات وهيئات دينية مختلفة

وتقدر الأموال التى جاد بها بعد ذلك بثلاثين ألف جنيه.

أنجاله ـ تزوج وهو شاب بأميرة من أبناء عمه ولدت له الأميرة فوقية كبيرة أنجاله. وأقترن يوم ٢٤ مايو سنة ١٩١٩ بالملكة نازلى كريمة المرحوم عبدالرحيم باشا صبرى من الوزراء السابقين فرزق منها بالأمير فاروق ولى العهد يوم ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ والأميرات فائزة وفوزية وفائقة وفتحية.

البعوث إلى البلاد الإسلامية ـ وهو أول من سن سنة إرسال البعوث إلى البلاد الإسلامية لتهذيب أهلها وإرشادهم وتعليمهم. ففى عهده أرسل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى شيخ الأزهر بعثة من الأساتذة الأزهريين إلى بكين (الصين) لتعليم العلوم الدينية واللغة العربية فى مدرسة المعلمين الإسلامية. وهناك بعثات أخرى تعد المعدات لإرسالها.

واتصل بعلم جلالته فى شهر يوليو سنة ١٩٣٣ أن سيادة إمام اليمن الإمام يحيى مريض فأمر بإيفاد طبيبين خاص من مهرة الأطباء المصريين لمعالجته فسافرا إلى صنعاء لهذه الغاية وقاما بها قياماً حميداً.

ويجب أن لاننسى مأثرته الخالدة، وهى طبعة المصحف الفؤادى طبعاً متقناً تكريماً لكلام الله القديم، وتوزيعه على الأقطار والمدن الإسلامية لينتفع به المسلمون.

كيف أرتقي العرش؟

ظلت مصر حتى أوائل القرن الثامن عشر خاضعة لحكم المماليك يسومون أهلها العذاب وفى سنة ١٨٠٥ اختارت المرحوم محمد على باشا والياً لها، وهو الباني الأصل من قولة جاء جندياً فى الحملة التى أرسلها الباب العالى لإخراج الفرنسيين وتأديب المماليك فاكتسب ثقة الناس بشجاعته وإقدامه ودرايته فاختاروه، وكتبوا إلى الإستانة فجاء الأمر بالموافقة مقابل خراج سنوى قدره أربعة آلاف كيس.

وتفرد محمد على باشا بالحكم بعد إبادة المماليك، ونال بعد حروب الأناضول فرماناً يجعل ولاية مصر فى ذريته يتوارثونها الأكبر فالأكبر. وفى ٨ يونيو سنة ١٨٦٧ نال إسماعيل باشا من السلطان رتبة الخديوى ولقب بها، وكان يلقب قبلاً بالعزيز أو الوالى أو الباشا، وبأن تكون ولاية العهد فى الأكبر من أبناء الجالس على الأريكة.

وفى سنة ١٨٨٢ دخلت البلاد المصرية على أثر الثورة العرابية تحت الحماية الإنكليزية المقنعة مع احتفاظها بالأوضاع القديمة، وظل هذا شأنها حتى إعلان الحرب العظمى وانضمام سمو الخديوى عباس باشا إلى السلطان وحلفائه من خصوم الإنكليز، ففى يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ضرب الإنكليز الحماية رسمياً على مصر وخلعوا الخديوى الغائب وولوا عمه المرحوم حسين كامل باشا وأكبر أنجال الخديوى إسماعيل بدلاً منه، وقد اتخذ لنفسه لقب سلطان، وتوفى ليلة ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ فخلفه شقيقه السلطان أحمد فؤاد. وهو التاسع الذى يلى الأريكة من السلالة المحمدية العلوية: فأولهم جده الأكبر محمد على باشا، ثم ابنه ابراهيم باشا، فعباس باشا الأول، فسعيد باشا، فإسماعيل باشا، فتوفيق باشا، فعباس باشا الثانى فالسلطان حسين كامل فالملك فؤاد وهو أول من لقب بملك من هذه الأسرة.

كتاب المندوب

كان هناك اتفاق شفوى بين السلطان حسين كامل والإنكليز يقضى بأن يخلفه على العرش نجله الأمير كمال الدين حسين، فإذا لم يقبل يعرض (العرش) على شقيقه الأكبر الأمير أحمد فؤاد. ولما كان الأمير كمال الدين كتب إلى والده ليلة وفاته معلناً تنازله عن حقوقه فى العرش وعدم استعداده لقبوله. كاشف السير رجلند ونجت المندوب السامى البريطانى يومئذ الأمير أحمد فؤاد راغباً إليه ارتقاء عرش جده الأكبر، فلم يتردد فى القبول رغم حراجة الظروف، وكانت رحى الحرب العظمى دائرة، وكان مستقبل الإنكليز وحلفائهم لايزال مجهولاً، وهذا نص التبليغ الذى تلقاه يومئذ من الحكومة البريطانية :

«يا صاحب العظمة السلطانية ...

«بأمر جناب وزير الخارجية لحكومة صاحب الجلالة البريطانية أتشرف بأن أعرب لعظمتكم عن فائق الأسف الذى شمل حكومة جلالة الملك حينما وصل إلى علمها نعى المغفور له صاحب العظمة السلطان حسين كامل. الذى أكبرت الأمة المصرية جميعها إخلاصه لكل مافيه خيرها إخلاصاً لايعتريه فتور، وقدرته حق قدرة فكانت وفاته لديها كارثة وطنية. وإننى أتشرف بإبلاغ عظمتكم السلطانية عطف حكومة جلالة الملك لما أصاب شخصكم الكريم من دواعى الحداد.

«هذا وفى الوقت نفسه إنى مكلف أن أحيط علم عظمتكم أنه لما كان نظام الإرث فى السلطنة المصرية لم يوضع حتى الآن، وكنتم عظمتكم بعد طبقة ابن الوارث المتعين طبعاً لوراثة العرش فإن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تعرض على عظمتكم تبوء هذا العرض السامى على أن يكون لورثتكم من بعدكم حسب النظام الوراثى الذى سيوضع بالاتفاق بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وبين عظمتكم.

«أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تريد أن تجدد لعظمتكم بهذه المناسبة

التأكيدات التى أعطتها لسلف عظمتكم عند ارتقائه العرش وهى مقتنعة أن فى استطاعتها أن تعتمد فى العمل مع عظمتكم على تلك الصداقة التى كانت شعاراً لحكم السلطان المرحوم، وعادت ثمراتها على البلاد بازدياد الرفاهية والتقدم، ذلك الأمر الذى له من المكانة فى نفس الحكومة البريطانية مالا يقل عن منزلته لدى عظمتكم.

«وإنى أنتهز هذه الفرصة فأقدم لعظمتكم السلطانية أجل احتراماتى».

عن القاهرة فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧م.

رجنلد ونجت

اول وزارة في العهد الجديد

وفى يوم ١٠ اكتوبر صدر أمر سلطانى إلى صاحب الدولة المرحوم حسين رشدى باشا بتأليف الوزارة وهذا نصه :

«عزيزى حسين رشدى باشا ....

«نعلم رعايانا أنه بسبب وفاة سلفنا وأخينا المحبوب المغفور له السلطان حسين الأول الذى اختطفته المنية قبل الأوان، وملأت القلوب حزناً عليه قد تولينا بالاتفاق مع الدولة الحامية عرش السلطنة المصرية على أن يكون هذا العرض من بعدنا لورثتنا طبقاً للنظام الوراثى الذى سيوضع بالاتفاق بيننا وبينها.

«منذ ثلاث سنوات كانت حدود بلادنا يظهر أنها مهددة وكانت ثروتها الزراعية توشك أن تصاب فى مصادرها، ولقد لبى سلفنا رحمه الله نداء الواجب وتفانى فى إخلاصه لمرافق بلاده فلم يتردد فى تحمل أعباء السلطنة على ما كان يحف بها من المصاعب. واعتماداً على ولاء رعاياه وعلى تأييد الدولة الحامية وقف نفسه

مدة هذه السنوات الثلاث على تنفيذ المنهاج الذى أختطه فى المرسوم الصادر منه إلى دولتكم عند ارتقائه عرض السلطنة، وقد صار مرجع أسس تعميم التعليم وبحث موارد ثروة القطر والشروع فى الوسائل التمهيدية التى من شأنها إحلال مصر فى مكانة الكرامة اللائقة بها فى العالم الذى سيجدد على أثر انعقاد الصلح.

«ونحن اليوم ننشد ذلك الولاء نفسه من رعايانا فى ظروف هى أكثر يمناً وتوفيقاً، فقد زالت الأخطار التى كان يظن أنها تتهدد بلادنا. وعادت ثروة القطر إلى ما كانت عليه وبقى علينا أن نخصص أنفسنا بالاشتراك مع نواب الأمة اشتراكاً يزداد على الدوام لإتمام تنفيذ ذلك المنهاج الذى أختطه سلفنا، وأن نحقق فى جميع الفروع الإصلاحات التى من شأنها ضمان التقدم المادى والأدبى فى بلادنا.

«ولما كنا على يقين من خبرتكم ومن صفاتكم السامية فإننا نوجه إلى عهدتكم مهمة تأليف الوزارة، ومن الله نلتمس الإعانة على ما نحن قادمون عليه من العمل».

عن القاهرة فى ٢٣ ذى الحجة سنة ١٣٣٥هـ «١٠ أكتوبر سنة ١٩١٧م».

فؤاد

عهده

يمتاز عهد جلالة الملك فؤاد بظهور هذه النهضة الوطنية العظيمة فى مصر وقد اهتز لها الشرق وأعجب بها الغرب، وكانت فاتحة هذا التحول العظيم فى نظامها السياسى والاجتماعى والصحى، يشمل جميع مرافقها.

ولايتسع المقام للإحاطة بتاريخ النهضة الوطنية المصرية وإيراد تفاصيلها وعواملها. فذلك مما لايدخل فى موضوع هذا الكتاب. وحسبنا أن نقول إجمالاً إن أقطاب مصر ومفكريها أدركوا بعدما عقدت الهدنة بين الحلفاء وألمانيا يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨م أنه آن أوان مطالبة الحكومة البريطانية بإلغاء الحماية التى ضربتها على مصر يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ مغتنمة فرصة اتقاد الحرب العالمية ودخول تركيا فيها إلى جانب أعدائها، وبتحرير الشعب المصرى وإعادة حقوقه المغتصبة إليه براً بالوعود التى قطعها ساسة الحلفاء وأقطابهم زمن الحرب للشعوب التى والتهم. وبوعود الإنكليز المتعددة لمصر.

وفى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ زار وفد مؤلف من المغفور له سعد باشا زغلول والمرحوم على باشا شعراوى وعبدالعزيز باشا فهمى دار الحماية وطلبوا من المندوب السامى البريطانى بأن يأذن بسفر وفد يمثل الشعب المصرى إلى لندن للمطالبة باستقلال مصر ورد حقوقها إليها، ولعرض قضيتها على مؤتمر الصلح فى باريس وعلى الرأى العام المتمدن. وكذلك رفع المرحوم حسين رشدى باشا رئيس مجلس النظار يومئذ ـ وكان متضامناً مع سعد باشا وزملائه ـ كتاباً إلى عظمة السلطان اقترح فيه أن يعهد إليه وإلى زميله عدلى باشا بالسفر إلى لندن ليبسطا للحكومة البريطانية آراء عظمته وآراء حكومته فى مصير مصر السياسى، فوافق السلطان على هذا الاقتراح.

ولما رفض الإنكليز أن يسمحوا للوفدين الوطنى ويمثل الشعب، والرسمى ويمثل الحكومة، بالسفر إلى لندن، واعتقلوا سعد باشا ومحمد محمود باشا

وصدقى باشا وحمد باشا الباسل وأرسلوهم إلى مالطة منفيين استقالت الوزارة احتجاجاً وعمت الاضطرابات وقامت المظاهرات ونهضت الأمة المصرية عن بكرة أبيها تطالب بحقوقها وتدافع عن كرامتها، فصفق العالم اعجاباً بها وطأطأ الرأس أمام جلال نهضتها، وهتف لاتحادها وتضامنها.

وأدرك الإنكليز أن الأمر جد، وأن مصر مصممة على مواصلة الكفاح والنضال حتى تفوز بحقوقها وتنال أمانيها، فجنحوا إلى اللين والمسالمة، وأطلقوا سراح الزعماء المعتلقين فى مالطة، وسمحوا لأعضاء الوفد الآخرين بالسفر إلى باريس حيث وافاهم المعتلقون الأربعة من مالطة فاتحد الفريقان فى العمل لاسترداد حقوق مصر.

وخطا الإنكليز الخطوة الثانية فألفوا لجنة برياسة اللورد ملنر وزير المستعمرات يومئذ ومن كبار أقطابهم المعروفين جاءت مصر لدرس القضية المصرية عن كثب والإحاطة بتفاصيلها، ومد الحكومة البريطانية بآرائها فيما يحسن عمله لحلها، فأسقط فى يدها حينما حاولت الاتصال بالهيئات المصرية وكبار المصريين، فقد اتفقوا على مقاطعتها، وأبلغوها أن لمصر وفداً يمثلها فلترجع إليه وتتفق معه.

ولما أقفلت الأبواب فى وجه اللورد ملنر ولجنته، وأدرك أنه لا أمل يرجى من طول المكث فى مصر لما ظهر من تضامن الأمة وتراص صفوفها عاد إلى لندن، ومن هنالك اتصل بالوفد وهو فى باريس وفاوضه وعرض عليه مشروعه الشهير يوم ١٧ يوليو سنة ١٩٢٠ فرفضه لأنه لم يحز قبولاً من جانب الأمة.

مشروع كرزن

وتألفت بعد ذلك وزارة عدلى باشا الأولى فى شهر ابريل سنة ١٩٢١ ووضعت نصب عينيها الإنكليز لحل القضية المصرية، فتألف وفد رسمى رأسه عدلى باشا بالذات وسافر إلى لندن فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢١ فعرض عليه اللورد كرزن وزير الخارجية البريطانية يومئذ مشروعه الشهير وهو أول مشروع عرضه الإنكليز رسمياً على الحكومة المصرية وهذا نصه :

«١ ـ فى مقابل إبرام المعاهدة الحالية والتصديق عليها تقبل حكومة جلالة الملك بريطانياً العظمى رفع الحماية المعلنة على مصر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ والإعتراف بمصر فى ذلك الحين دولة متمتعة بحقوق السيادة (Sovereign State) تحت إمره ملوكية دستورية. فبمقتضى هذا قد أبرمت، وتستمر باقية بين حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وشعبة من جهة، وبين حكومة مصر والشعب المصرى من الجهة الأخرى. معاهدة دائمة ورابطة سلام ووداد وتحالف.

٢ ـ تتولى الشؤون الخارجية لمصر وزارة الخارجية المصرية تحت إدارة وزير معين لذلك.

٣ ـ يمثل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى فى مصر قوميسير عال يكون له فى جميع الأوقات وبسبب مسؤولياته الخاصة مركز استثنائى، ويكون له حق التقدم على ممثلى الدول الأخرى.

٤ ـ يمثل الحكومة المصرية فى لوندره وفى أية عاصمة أخرى ترى الحكومة المصرية أن المصالح المصرية يمكن أن تستدعى هذا التمثيل فيها معتمدون سياسيون يكون لهم لقب ومرتبة وزير.

٥ ـ بالنظر للتعهدات التى أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها فى مصر وعلى الخصوص فى ما يتعلق بالدول الأجنبية يجب أن توجد أوثق الصلات بين وزارة الخارجية المصرية والقوميسير العالى البريطانى الذى يقدم كل

المساعدة الممكنة للحكومة المصرية فى ما يتعلق بالمعاملات والمفاوضات السياسية.

٦ - لاتدخل الحكومة المصرية فى أى اتفاق سياسى مع دولة أجنبية بدون أن تستطلع رأى حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى بواسطة القوميسير العالى البريطانى.

٧ - تتمتع الحكومة المصرية بحق تعيين ممثلين قنصليين فى الخارج حسب مقتضيات مصالحها.

٨ - لأجل تولى الشؤون السياسية بوجه عام والقيام بالحماية القنصلية للمصالح المصرية فى الأماكن التى لايوجد فيها ممثلون سياسيون أو قناصل مصريون يضع ممثلو جلالة ملك بريطانيا العظمى أنفسهم تحت تصرف الحكومة المصرية، ويقدمون لها كل مساعدة فى قدرتهم.

٩ - تستمر حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى على تولى المفاوضة لإلغاء الامتيازات الحالية مع الدول ذوات الامتيازات، وتقبل مسئولية حماية المصالح المشروعة للأجانب فى مصر، وتتداول حكومة جلالة الملك مع الحكومة المصرية قبل البت فى هذه المفاوضات رسميا.

١٠- تتعهد بريطانيا العظمى بمساعدة مصر فى الدفاع عن مصالحها الحيوية وعن سلامة أراضيها.

لأجل القيام بهذه التعهدات ولحماية المواصلات الإمبراطورية البريطانية الحماية اللازمة يكون للقوات البريطانية حرية المرور فى مصر، ولها أن تستقر فى أى مكان فى مصر ولأى مدة يحددان من وقت لآخر. ويكون لها أيضا فى كل وقت مالها الآن من التسهيلات لإحراز واستعمال الثكنات وميادين التمرين والمطارات والترسانات الحربية والمين الحربية.

١١ـ بالنظر للمسؤوليات الخاصة التى تتحملها بريطانيا العظمى، وبالنظر للحالة القائمة فى الجيش المصرى والمصالح العمومية تتعهد الحكومة المصرية بألا تعين ضباطاً أو موظفين أجانب فى أى مصلحة منها قبل موافقة القوميسير العالى البريطانى.

١٢ـ تعين الحكومة المصرية بعد استشارة حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قوميسيراً مالياً تكل إليه فى الوقت المناسب الحقوق التى يقوم بها الآن أعضاء صندوق الدين، ويكون هذا القوميسير المالى مسئولاً بوجه أخص عن دفع المطلوبات الآتية فى مواعيدها :

(١) المبالغ المخصصة لميزانية المحاكم المختلطة.

(٢) جميع المعاشات والسنويات الأخرى المستحقة للموظفين الأجانب الحالين على المعاش وورثتهم.

(٣) ميزانيتى القوميسيرين المالى والقضائى والموظفين التابعين لهما.

١٣ـ لأجل أن يؤدى القوميسير المالى واجباته كما ينبغى يجب أن يُحاط إحاطه تامة بجميع الأمور الداخلة فى دائرة وزارة المالية، ويكون له فى كل وقت التمتع بحق الدخول على رئيس مجلس الوزارة ووزير المالية.

١٤ـ ليس للحكومة المصرية عقد قرض خارجى أو تخصيص إيرادات مصلحة عمومية بدون موافقة القوميسير المالى.

١٥ـ تعين الحكومة المصرية بالاتفاق مع حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قوميسيراً قضائياً يُكلف بسبب التعهدات التى تحملتها بريطانيا العظمى القيام بمراقبة تنفيذ القانون فى جميع المسائل التى تمس الأجانب.

١٦ـ لأجل أن يؤدى القوميسير القضائى واجباته كما ينبغى يجب أن يحاط إحاطه تامة بجميع الأمور التى تمس الأجانب وتكون من اختصاص وزارتى

الحقانية والداخلية، ويكون له فى كل وقت التمتع بحق الدخول على وزيرى الحقانية والداخلية.

١٧- حيث أن رُقى السودان السلمى هو من الضروريات لأمن مصر ولدوام مورد المياه لها تتعهد مصر بأن تستمر فى أن تقدم لحكومة السودان نفس المساعدات الحربية التى كانت تقوم بها فى الماضى.. أو أن تقدم بدلا من ذلك لحكومة السودان إعانة مالية تحدد قيمتها بالاتفاق بين الحكومتين.

تكون كل القوات المصرية فى السودان تحت أمر الحاكم العام.

وغير ذلك تتعهد بريطانيا العظمى بأن تضمن لمصر نصيبها العادل من مياه النيل. ولهذا الغرض قد تقرر أن لاتُقام أعمال رى جديدة على النيل أو روافده جنوبى وادى حلفا بدون موافقة لجنة مؤلفة من ثلاثة أمناء يمثل أحدهم مصر والثانى السودان والثالث أوغندا.

١٨- المبالغ التى تعهد خديوى مصر فى أوقات مختلفة بدفعها للبيوت المالية التى أصدرت القروض التركية المضمونة بالجزية المصرية تستمر الحكومة المصرية على تخصيصها كما كان فى الماضى لدفع الفوائد والاستهلاك لقرضى سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ إلى أن يتم استهلاك هذين القرضين.

تستمر الحكومة المصرية أيضاً فى دفع المبالغ التى كان جارياً دفعها لسداد فوائد قرض سنة ١٨٥٥ المضمون.

عندما يتم استهلاك قروض سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ وسنة ١٨٥٥ تنتهى مسئولية الحكومة المصرية فيما يتعلق بأى تعهد ناشىء عن الجزية التى كانت تدفعها مصر لتركيا سابقاً.

١٩- للحكومة المصرية الحق فى أن تستغنى عن خدمة الموظفين البريطانيين فى أى وقت كان بعد نفاذ هذه المعاهدة بشرط أن يُمنح هؤلاء الموظفون تعويضا

ماليا - كما سيأتى بيانه - وذلك زيادة على المعاش أو المكافأة التى يستحقونها بمقتضى أحكام استخدامهم.

ويكون للموظفين البريطانيين الحق بنفس هذه الشروط فى الاستعفاء من الخدمة في أى وقت بعد نفاذ هذه المعاهدة.

تسرى جميع هذه الأحكام على الموظفين الذين لهم الحق فى المعاش والذين ليس لهم الحق فى المعاش، وأيضاً على موظفى البلديات ومجالس المديريات والهيئات المحلية الأخرى.

٢٠- الموظفون المرفوتون أو المحالون على المعاش طبقاً لنص المادة السابقة تُعطى لهم زيادة على التعويض إعانة إياب لبلادهم تكون كافية لسد نفقات ترحيل الموظف نفسه وعائلته ومتاعه المنزلى إلى لوندره.

٢١- تدفع التعويضات والمعاشات بالجنيه المصرى باعتبار سعر ثابت قدره ٩٧ قرش ونصف للجنيه الإنكليزى.

٢٢- يوضع جدول عن التعويضات:

أ) للموظفين الدائمين

ب) للموظفين المؤقتين

بمعرفة رئيس جمعية خبراء حسابات التأمين.

٢٣- تتعهد مصر بأن النصوص الوارد ذكرها فيما بعد تعتبر قوانين أساسية، وألا يتضارب معها أو يؤثر عليها أى قانون أو لائحة أو عمل رسمى، وألا ينقض مفعولها قانون أو لائحة أو عمل رسمى.

٢٤- تتعهد مصر بأن تضمن لجميع سكان مصر الحماية التامة الكاملة لأرواحهم وحريتهم من غير تمييز بسبب مولدهم أو تبعيتهم الدولية أو لغتهم أو جنسهم أو دينهم، ويكون لجمع سكان مصر الحق فى أن يقوموا بحرية تامة

علانية أو غير علانية بشعائر أية ملة أو عقيدة مادامت هذه الشعائر لا تنافى النظام العام، أو الآداب العمومية.

٢٥- جميع الحائزين للرعوية المصرية يكونون متساوين أمام القانون، ويكون لكل منهم التمتع بما يتمتع به الآخرون من الحقوق المدنية والسياسية من غير تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين.

اختلاف الأديان والعقائد والمذاهب لايؤثر على أى شخص حائز للرعوية المصرية فى المسائل الخاصة بالتمتع بالحقوق المدنية والسياسية مثل الدخول فى الخدمات العمومية والتوظف والحصول على ألقاب الشرف أو مزاولة المهن أو الصناعات.

لايسوغ فرض أى قيد على أى شخص متمتع بالرعوية المصرية فى حرية استعماله لأية لغة فى معاملاته الخصوصية أو التجارية أو فى الدين أو فى الصحف أو فى المطبوعات من أى نوع كانت أو فى الاجتماعات العمومية.

٢٦- الأشخاص الحائزون للرعوية المصرية التابعون للأقليات القومية أو الدينية أو اللغوية يكون لهم الحق فى القانون وفى الواقع فى نفس المعاملة والضمانات التى يتمتع بها غيرهم من الحائزين للرعوية المصرية وعلى الخصوص يكون لهم حق مساو لحقوق الآخرين فى أن ينشئوا ويديروا أو يراقبوا على نفقتهم معاهد خيرية أو دينية أو اجتماعية ومدارس أو غيرها من دور التربية، ويكون لهم الحق فى أن يستعملوا فيها لغتهم الخاصة وأن يقوموا بشعائر دينهم بحرية فيها» أهـ

تبليغ إنكليزي جديد

وقد كان نصيب هذا المشروع الرفض من جانب الوفد الرسمى فقطع المفاوضات وعاد إلى القاهرة، ولم يكد يستقر به المقام حتى استقال رئيسه عدلى باشا من رئاسة الوزارة فازداد الموقف حراجة. فأرسل اللورد اللنبى المندوب السامى تبليغا إلى عظمة السلطان فؤاد يوم ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢١ هذا نصه:

«ياصاحب العظمة

إنهُ بموجب التعليمات التى وصلتنى من حكومة جلالة الملك لى الشرف أن أرفع إلى مقام عظمتكم البيان الآتى المتضمن أراء حكومة جلالته فيما يتعلق بالمفاوضات التى جرت حديثاً مع الوفد المرسل من قِبَل عظمتكم تحت رئاسة صاحب الدولة عدلى باشا.. إن حكومة جلالته قدمت إلى عدلى باشا مشروع اتفاق لعقد معاهدة بين الإمبراطورية البريطانية ومصر كانت حكومة جلالته على استعداد لأن توصى جلالة الملك ومجلس النواب بقبوله، ولكنها علمت بمزيد الأسف أن ذلك المشروع لم يحز قبولاً لديه.. ومما زاد أسفها أنها تعتبر اقتراحاتها هذه سخية فى جوهرها واسعة النطاق فى نتائجها، وأنها لايمكنها أن تُبقى محلاً لأى أمل فى إعادة النظر فى المبدأ الذى بُنيت عليه تلك الاقتراحات.. لذلك كان من المستحسن أن تحيط حكومة جلالته علم عظمتكم إحاطة وافيه بالاعتبارات الرئيسية التى استرشدت بها وبالروح التى صدرت عنها تلك الاقتراحات.

إن هناك حقيقة جلية سادت العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر مدة أربعين سنة، ويجب أن تبقى هذه الحقيقة سائدة هذه العلاقات على الدوام وهى التوفيق التام بين مصالح بريطانيا العظمى فى مصر، وبين مصالح مصر نفسها.

إن مصر واقعة على خط المواصلات الرئيسى بين بريطانيا العظمى وممتلكات جلالة الملك فى الشرق، وجميع الأراضى المصرية هى فى الواقع ضرورة لهذه المواصلات لأن مصير مصر لايمكن فصلهُ عن سلامة منطقة قنال السويس.. لذلك فإن حفظ مصر سالمة من تسلط أية دولة عظيمة أخرى عليها هو فى الدرجة الأولى من الأهمية للهند واستراليا ونيوزيلاندا ولجميع مستعمرات ولايات جلالته فى الشرق، ويؤثر فى سعادة وسلامة نحو ثلاثمائة وخمسين مليونا مِن رعايا جلالته..

ثم إن نجاح مصر يهم هذه البلاد ليس لأن كلا من بريطانيا العظمى ومصر هى أفضل عميلة للأخرى فقط. بل لأن كل خطر جسيم على مصلحة مصر التجارية أو المالية يدعو إلى مداخلة الدول الأخرى فيها ويهدد استقلالها.

تلك كانت البواعث الرئيسية للعلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر وهى لاتزال الآن على ماكانت عليه من القوة فى الماضى.

قد اعترف الجميع بما أصاب هذا الائتلاف من النجاح بوجه عام أثناء العهد السابق للحرب العظمى.. ولما بدأت بريطانيا العظمى تهتم بمصر اهتماما فعلياً كان المصريون فريسة للاختلال المالى والفوضى الإدارية، وكانوا تحت رحمة أى قادم، ولم يكن فى طاقتهم مقاومة ضروب الوسائل القتالة للاستغلال الأجنبى. تلك الوسائل التى تستأصل من نفوس الأمة كرامتها وتمحو قواها الحيوية.. فإذا كانت الأمة المصرية الآن نشيطة ذات كرامة فإنها مدينة بهذه النهضة على الخصوص لمعونة بريطانيا العظمى ومشورتها..

إن المصريين سلموا من المداخلة الأجنبية، وأُعينوا على إنشاء نظام إدارى وافٍ وقد تدرب عدد كبير منهم على إدارة الأمور والحكم، واطرد نمو مقدرتهم ونجحت ماليتهم نجاحاً فوق المنتظر. وقد قامت سعادة جميع الطبقات على أسس ثابتة.. وفى هذا التقدم السريع لم يكن هناك ظل للاستغلال..

إن بريطانيا العظمى لم تطلب لنفسها ربحاً مالياً أو امتيازاً تجارياً، والأمة المصرية قد جنت كل ثمار مشورة بريطانيا العظمى ومساعدتها لها.

إن شبوب نار الحرب بين الدول الأوروبية العظمى سنة ١٩١٤ زاد بالضرورة عرى الائتلاف توثيقاً بين الإمبراطورية البريطانية ومصر.. ولما انضمت الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا فى الحرب لم يكن أثر ذلك مقصورا على تهديد المواصلات البريطانية وحدها، بل كان مهدداً لها ولاستقلال مصر على السواء تهديداً عاجلاً.. فكان إعلان الحماية على مصر اعترافاً بهذه الحقيقة. وهى أنه لايمكن دفع الخطر عن الإمبراطورية البريطانية ومصر معاً إلا بعمل مشترك تحت قيادة واحدة.. وكان اتساع نطاق الحرب بدخول تركيا فيها السبب فى قتل وتشويه آلاف من رعايا جلالة الملك.. من الهند واستراليا ونيوزيلاندا ومن رجال بريطانيا العظمى أيضاً، وقبورهم فى غاليبولى وفلسطين والعراق شاهدة على الجهد العظيم الذى كابدته شعوب الامبراطورية البريطانية بسبب دخول تركيا.. قد اجتازت مصر هذه المحنة دون أن يمسها ضرر بفضل جهود من بعثت بهم تلك الشعوب من الجنود.. فكانت خسائر مصر طفيفة ولم يزد دينها، وثروتها الآن أعظم مما كانت قبل الحرب فى حين أن الكساد الاقتصادى قد اشتدت وطأته على أكثر البلدان الأخرى. فليس من الحكمة أن الشعب المصرى يتغاضى عن هذه الحقائق أو ينسى أنه هو مدين بذلك كله.. ولولا القوة التى أبدتها الإمبراطورية البريطانية فى الحرب لأصبحت مصر ميدان حرب بين القوات المتحاربة ولوطئت هذه القوات حقوق مصر بأقدامها وأفنت ثروتها، ولولا نصر الحلفاء لم تكن فى مصر.. أمة تطالب بحقوق السيادة الوطنية بدلاً من حماية أجنبية.. فالحرية التى تتمتع بها مصر الآن وماتتطلع إليه من حرية أوسع إنما هى مدينة بهما للسياسة البريطانية والقوة البريطانية.

إن حكومة جلالة الملك مقتنعة بأن الاتفاق التام فى المصالح بين بريطانيا ومصر الذى جعل ائتلافهما نافعاً لكلتيهما فى الماضى هو دعامة العلاقة التى

يجب على كلتيهما استمرار المحافظة عليها.. وعلى الإمبراطورية البريطانية الآن كما كان فى الماضى أن تحمل على عاتقها فى آخر الأمر مسئولية الدفاع عن أراضى عظمتكم ضد أى تهديد خارجى.. وكذلك عليها تقديم المعونة التى قد تطلبها فى أى وقت حكومة عظمتكم لحفظ سلطتكم فى البلاد.. ثم إن حكومة جلالة الملك تطلب فوق ذلك أن يكون لها دون غيرها الحق فى تقديم ماقد تحتاج حكومة عظمتكم من المشورة فى إدارة البلاد وتدبير ماليتها وترقية نظامها القضائى ومواصلة علاقاتها مع الحكومات الأجنبية.. على أن حكومة جلالته لاترمى من وراء هذه المطالب إلى منع مصر من تمتعها بكامل حقوقها فى حكومة ذاتية وطنية بل هى ترمى بذلك إلى التمسك بها قبل الدول الأجنبية الأخرى، وهذه المطالب قوامها تلك الحقيقة وهى أن استقلال مصر واستتباب النظام فيها وسعادتها ركن أساسى لسلامة الإمبراطورية البريطانية.

وحكومة جلالة الملك تأسف على أن مندوبى عظمتكم لم يتقدموا أثناء المفاوضات تقدماً يذكر فى سبيل الاعتراف بما للإمبراطورية البريطانية دون سواها من الأسباب الصحيحة للتمسك بهذه الحقوق والمسئوليات.

إن شروط المعاهدة التى تعتبرها حكومة جلالة الملك ضرورية لحفظ هذه الحقوق وكفالة هذه المسئوليات قد أُدرجت فى مواد المشروع الذى سيرفعه إلى عظمتكم صاحب الدولة عدلى باشا.. وأهم هذه الشروط هو مايتعلق بالجنود البريطانية.. فإن حكومة جلالة الملك قد عنيت أتم عناية ببحث الأدلة التى قدمها الوفد المصرى فى هذا الشأن، ولكنها لم تستطع أن تقبلها.. لأن حالة العالم الحاضرة ومجرى الأحوال فى مصر منذ عقد الهدنة لايسمحان بأى تعديل كان فى توزيع القوات البريطانية فى الوقت الحاضر.. ومن الواجب إعادة القول بأن مصر هى جزء من المواصلات الإمبراطورية البريطانية. ولم يكد يمضى جيل على مصر منذ أنقذت من الفوضى. وهناك علامات على أنه لايبعد على المتطرفين فى الحركة الوطنية أن يزجوا بمصر ثانية فى الهوة التى لم يطل العهد

على إنقاذها منها.. وقد زاد اهتمام حكومة جلالة الملك بهذا الشأن لما رأته من عدم رغبة وفد عظمتكم فى الاعتراف بأن الإمبراطورية البريطانية يجب أن.يكون عندها ضمان قوى ضد أى تهديد مثل هذا لصالحها، وإلى أن يحين الوقت الذى يكون فيه سلوك مصر مدعاة إلى الثقة بالضمانات التى تعطيها يكون من الواجب على الإمبراطورية البريطانية نفسها أن تستبقى ماتراه كافيا من الضمانات.

وأول هذه الضمانات ورأسها هو جنود بريطانية فى مصر، وحكومة جلالة الملك لايمكنها أن تتخلى عن هذا الضمان ولاأن يُنقص منه.

على أنها تعيد القول وتؤكده بأن مطالبها فى هذا الصدد لايُقصد بها استمرار حماية لافعلا ولاحكما، بل بالعكس. إن أمنيتها القلبية الخالصة هى أن تتمتع مصر بحقوق وطنية، ويكون لها بين الأمم مقام دولة متمتعة بحق السيادة. على أن تكون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالإمبراطورية البريطانية بمعاهدة تكفل للفريقين مصالحهما وأغراضهما المشتركة.. ولهذه الغاية التى جعلتها حكومة جلالته نصب عينها اقترحت رفع الحماية فوراً والاعتراف بمصر (دولة متمتعة بحقوق السيادة تحت إمرة ملوكية دستورية)، والاستعاضة عن العلاقة القائمة الآن بين الإمبراطورية البريطانية ومصر (بمعاهدة دائمة ورابطة سلامة ووداد وتحالف) وكانت حكومة جلالته تأمل أن مصر بإعادة وزارة الخارجية ترسل ممثليها فى الحال إلى الممالك الأجنبية كما أنها كانت على استعداد لتعضيد مصر فى انضمامها إلى جمعية الأمم إذا طلبت ذلك، وبذلك كان يتحقق لمصر فى الحال ما للدول المتمتعة بحقوق السيادة من السلطة والميزات.

ولكن رفض حكومة عظمتكم الحاضرة لهذه الاقتراحات أوجد حالة جديدة، وهذه الحالة لاتؤثر فى مبدأ السياسة البريطانية، ولكنها بالضرورة تقلل من التدابير التى يمكن تنفيذها الآن.. ولذلك فإن حكومة جلالة الملك ترغب فى أن تبدى بوضوح حالة موقفها الآن..

ففيما يتعلق بالحاضر لايمكن لحكومة جلالته تنفيذ اقتراحاتها بدون رضاء الأمة المصرية واشتراكها، ولكن حكومة جلالته تحافظ على الرغبة التى كانت لديها على الدوام هى العمل على إنماء مواهب المصريين بزيادة عدد الموظفين منهم فى كل فرع. ولاسيما فى الفروع الإدارية العالية التى كثر فيها عدد الموظفين الأوروبيين.. وحكومة جلالته مستعدة لأن تواصل بمشاورة حكومة عظمتكم المفاوضات مع الدول الأجنبية لأجل إلغاء الامتيازات لكى يكون الموقف الدولى جلياً عندما يحين وقت إصدار التشريع المصرى الذى سيحل محل تلك الامتيازات.. وكذلك ترجو حكومة جلالته أن السلطة التى يباشرها الآن القائد العام تحت القانون العسكرى تباشرها الحكومة المصرية وحدها بمقتضى القوانين المدنية المصرية وهى تسر برفع الأحكام العسكرية حالما يصدر (قانون التضمينات) (Act of Indemnity) ويُعمل به فى كل المحاكم المدنية والجنائية فى مصر.. وهو قانون لابد منه لحماية الحكومة المصرية وحماية السلطة البريطانية فى مصر.

وأما من جهة المستقبل فإن حكومة جلالة الملك ترغب فى أن توضح بعبارة جلية السياسة التى تنوى اتباعها.. فقد علمت أن المشروع الذى قدمه إلى وفد عظمتكم قد رفض بحجة أن الضمانات التى تضمنها المشروع لصيانة المصالح البريطانية والأجنبية تقضى على التمتع بالحكومة الذاتية تمتعا صحيحا، وهى تأسف غاية الأسف على أن استبقاء الجنود البريطانية فى مصر واشتراك الموظفين البريطانيين مع وزارتى الحقانية والمالية يُساء فهم المراد منهما إلى هذا الحد.

إذا كان الشعب المصرى يستسلم إلى أمانيه الوطنية مهما كانت هذه الأمانى صحيحة ومشروعة فى ذاتها دون أن يكترث اكتراثاً كافياً للحقائق التى تستحكم فى الحياة الدولية. فإن تقدمه فى سبيل تحقيق مطمحه الأسمى لايصيبه التأخر فقط. بل يتعرض للخطر تعرضاً تاماً. إذ ليس من فائدة ترجى من وراء التصغير

من شأن ما على الأمة من الواجبات وتعظيم مالها من الحقوق.. وإن الزعماء المتطرفين الذين يدعون إلى هذا لايعملون على نهوض مصر بل يهددون رقيها.. وهم بما كان لهم من الأثر فى مجرى الحوادث قد تحدوا مرة بعد مرة الدول الأجنبية فى مصالحها وأثاروا مخاوفها.. وكذلك عملوا فى الأسابيع الأخيرة على التأثير على مصير المفاوضات بنداءات مهيجة استثاروا بها جهل العامة وشهواتهم.. وإن حكومة جلالة الملك لاتعتبر أنها تخدم مصلحة مصر بتساهلها إزاء تهييج من هذا القبيل.. ولن يمكن مصر أن تسير فى سبيل الرقى إلا متى أظهر قادتها المسئولون من الحزم والعزيمة ما يكفل قمع مثل هذا التهييج. لأن العالم يتألم الآن فى جهات عديدة من الاندفاع فى نوع من الوطنية المتعصبة المضطربة.. وحكومة جلالة الملك تقاوم هذا النوع من الوطنية بكل شدة. سواء فى مصر أو فى غيرها.. وأن أولئك الذين يستسلمون لتلك النزعات إنما يعملون على جعل القيود الأجنبية التى يطلبون الخلاص منها أشد لزوماً، وبذلك يطيلون أجلها.

وإذ الأمر كذلك فإن حكومة جلالة الملك مراعاة لمصلحة مصر ومصلحتها أيضا الخاصة ستستمر بلا تردد على مواصلة غرضها كمرشدة لمصر وأمينة على مصالحها. ولايكفيها أن تعلم أن فى استطاعتها العودة إلى مصر إذا تبين أن مصر بعد أن تركت لنفسها بغير معونة قد عادت إلى عهد التبذير والاضطراب الذى لازمها فى القرن الماضى.. فرغبة حكومة جلالة الملك أن تستكمل العمل الذى بدىء به فى عهد اللورد كرومر لا أن تبدأه من جديد.. وهى لاتنوى أن تُبقى مصر تحت وصايتها. بل بالعكس ترغب فى تقوية عناصر التعمير فى الوطنية المصرية وتوسيع مجال العمل أمامها، وتقريب الوقت الذى يمكن فيه تحقيق المطمح الوطنى تحقيقا تاماً. ولكنها ترى من الواجب أن تصر على الاحتفاظ بالحقوق والسلطة الفعالة لأجل صيانة مصالح مصر ومصالحها الخاصة على

السـواء، وذلك إلى أن يظهر الشعب المصرى أنه قادر على صيانة بلاده من الاضطراب الداخلى ومايترتب عليه حتماً من تداخل الدول الأجنبية.

وسبيل التقدم الوحيد للشعب المصرى يقوم على تآزره مع الإمبراطورية البريطانية لا على تنافرها..

وحكومة جلالة الملك لرغبتها فى هذا التآزر مستعدة فيما يتعلق بها إلى البحث فى أية طريقة قد تعرض عليها لأجل تنفيذ اقتراحاتها فى جوهرها وذلك فى أى وقت تريده حكومة عظمتكم. على أنها مع هذا لايسعها تعديل المبدأ الذى بنيت عليه تلك الاقتراحات ولا إضعاف الضمانات الجوهرية التى تشتمل عليها..

وهذه الاقتراحات من مقتضاها أن يكون مستقبل مصر فى أيدى الشعب المصرى نفسه.. فكلما زاد اعتراف شعبكم بوحدة المصالح البريطانية ومصالحه كلما قلت الحاجة إلى هذه الضمانات.. وقادة مصر المسئولون هم الذين عليهم فى هذا العهد الثانى من اشتراكهم مع بريطانيا العظمى أن يُثبتوا بقبولهم النظام الوطنى المعروض عليهم الآن وبالتزام جانب الحكمة فى العمل به أن المصالح الحيوية للإمبراطورية البريطانية فى بلادهم يمكن أن توكل لعنايتهم بالتدريج».

اللنبى (فيلد مارشال)

تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢

ثم شفع اللورد اللنبى هذا التبليغ بتبليغ جديد إلى حضرة صاحب الجلالة الملك يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ هذا نصه:

١- أتشرف ياصاحب العظمة بأن أعرض لمقام عظمتكم أن الناس قد ذهبوا فى تأويل بعض عبارات المذكرة التفسيرية التى قدمتها لعظمتكم فى ٣ ديسمبر مذاهب تخالف أفكار الحكومة البريطانية وسياستها وهو ماآسف له أشد الأسف.

٢- ولقد يخال للمرء مما نُشر عن هذه المذكرة من التعليقات المتعددة أن كثيرا من المصريين ألقى فى روعهم أن بريطانيا العظمى توشك أن ترجع فى نواياها القائمة على التسامح والعطف على الأمانى المصرية، وأنها تنوى الانتفاع بمركزها الخاص بمصر لاستبقاء نظام سياسى إدارى لايتفق والحريات التى وعدت بها.

٣- غير أنه ليس شىء أبعد عن خاطر الحكومة البريطانية من هذه الفكرة. بل إن الأساس الذى بنيت عليه المذكرة التفسيرية هو أن الغاية من الضمانات التى تطلبها بريطانيا العظمى ليست إبقاء الحماية حقيقة أو حكما، وقد نصت المذكرة على أن بريطانيا العظمى صادقة الرغبة فى أن ترى مصر متمتعة بما تتمتع به البلاد المستقلة من ميزات أهلية ومن مركز دولى.

٤- وإذا كان المصريون قد رأوا فى هذه الضمانات أنها تجاوزت الحد الذى يلتئم مع حالة البلاد الحرة فقد غاب عنهم أن انجلترا إنما ألجأها إلى ذلك حرصها على سلامة نفسها تلقاء حالة تتطلب منها أشد الحذر. خصوصاً فيما يتعلق بتوزيع القوات العسكرية، على أن الأحوال التى يمر بها العالم الآن لن تدوم ولايلبث كذلك أن يزول الاضطراب السائد فى مصر منذ الهدنة، والأمل وطيد فى أن الأحوال العالمية صائرة إلى التحسن.. هذا من جانب، ومن جانب آخر - فكما

قيل فى المذكرة ـ سيجىء وقت تكون فيه حالة مصر مدعاة إلى الثقة بما تقدمه هى من الضمانات المصرية لصيانة المصالح الأجنبية.

٥- أما أن تكون انجلترا راغبة فى التدخل فى إدارة مصر الداخلية فذلك ماقالت فيه الحكومة البريطانية- ولاتزال تقول- إن أصدق رغباتها وأخلصها هو أن تترك للمصريين إدارة شئونهم.. ولم يكن يخرج مشروع الاتفاق الذى عرضته بريطانيا العظمى عن هذا المعنى، وإذا كان قد ورد فيه ذكر موظفين بريطانيين لوزارتى المالية والحقانية فإن الحكومة البريطانية لم ترم بذلك إلى استخدامهما للتدخل فى شئون مصر، وكل ماقصدته هو أن تستبقى إدارة اتصال تستدعيها حماية المصالح الأجنبية.

٦- هذا هو كل مرمى الضمانات البريطانية، ولم تصدر هذه الضمانات قط عن رغبة فى الحيلولة بين مصر وبين التمتع بحقوقها الكاملة فى حكومة أهلية.

٧- فإذا كانت هذه هى نوايا انجلترا فلا يمكن لأحد أن ينكر ان انجلترا يعز عليها أن ترى المصريين يؤخرون بعملهم حلول الأجل الذى يبلغون فيه مطمحاً ترغب فيه انجلترا كما تتوق إليه مصر، أو أن ينكر أنها تكره أن ترى نفسها مضطرة إلى التدخل لرد الأمن إلى نصابه كلما أدركه اختلال يثير مخاوف الأجانب ويجعل مصالح الدول فى خطر.. وإنه ليكون مما يؤسف له أن يرى المصريون فى التدابير الاستثنائية التى اتخذت أخيرا أى مساس بمطمحهم الأسمى أو أية دلالة على تغيير القاعدة الأساسية التى سبق بيانها فإن الحكومة البريطانية لم يعد غرضها أن تضع حداً لتهييج ضار قد يكون لتوجيهه إلى أهواء العامة نتائج تذهب بثمرة الجهود القومية المصرية ولذلك كان الذى روعى بوجه خاص فيما اتخذ من التدابير مصلحة القضية المصرية. التى تستفيد من أن البحث فيها يجرى فى جو قائم على الهدوء والمناقشة والإخلاص.

٨- والآن وقد بدت تعود السكينة إلى ماكانت عليه بفضل الحكمة التى هى

قوام الخلق المصرى، والتى تتغلب فى الساعات الحاسمة. فإننى لسعيد أن أنهى إلى عظمتكم أن حكومة جلالة الملك تنوى أن تشير على البرلمان بإقرار التصريح الملحق بهذا، وإننى لعلى يقين بأن هذا التصريح يوجد حالة تسود فيها الثقة المتبادلة ويضع الأساس لحل المسألة المصرية حلاً نهائياً مرضياً.

٩- وليس ثمة مايمنع منذ الآن من إعادة منصب وزير الخارجية والعمل لتحقيق التمثيل السياسى والقنصلى لمصر.

١٠- أما إنشاء برلمان يتمتع بحق الإشراف والرقابة على السياسة والإدارة فى حكومة مسئولة على الطريقة الدستورية فالأمر فيه يرجع إلى عظمتكم وإلى الشعب المصرى.

وإذا أبطأ لأى سبب من الأسباب إنفاذ قانون التضمينات (إقرار الإجراءات التى اتخذت باسم السلطة العسكرية) السارى على جميع ساكنى مصر، والذى أشير إليه فى التصريح الملحق بهذا فإننى أود أن أحيط عظمتكم علماً بأننى- إلى أن يتم إلغاء الإعلان الصادر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤- سأكون على استعداد لإيقاف تطبيق الأحكام العرفية فى جميع الأمور المتعلقة بحرية المصريين فى التمتع بحقوقهم السياسية.

١١- فالكلمة الآن لمصر، وإنه ليرجى أنها- وقد عرفت مبلغ حسن استعداد الحكومة البريطانية ونواياها- تسترشد فى أمرها بالعقل والروية لابعامل هؤلاء.

ولى مزيد الشرف الخ.

اللنبى (فيلد مارشال)

تصريح لمصر

بما أن حكومة جلالة الملك عملاً بنواياها التى جاهرت بها ترغب فى الحال فى الاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة.

وبما أن للعلاقات بين حكومة جلالة الملك وبين مصر اهمية جوهرية للإمبراطورية البريطانية.

فبموجب هذا تعلن المبادئ الآتية :

١ - انتهت الحماية البريطانية على مصر. وتكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة.

٢ - حالما تُصدر حكومة عظمة السلطان قانون تضمنيات (اقرار الإجراءات التى اتخذت باسم السلطة العسكرية) نافذ الفعل على جميع ساكنى مصر تلغى الأحكام العرفية التى أعلنت فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤.

٣ - إلى أن يحين الوقت الذى يتسنى فيه إبرام اتفاقات بين حكومة جلالة الملك وبين الحكومة المصرية فيما يتعلق بالأمور الآتى بيانها، وذلك بمفاوضات ودية غير مقيدة بين الفريقين تحتفظ حكومة جلالة الملك بصورة مطلقة بتولى هذه الأمور وهى :

(أ) تأمين مواصلات الأمبراطورية البريطانية فى مصر.

(ب) الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تدخل أجنبى بالذات أو بالوساطة.

(ج) حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات.

(د) السودان.

وحتى تبرم هذه الاتفاقات تبقى الحالة فيما يتعلق بهذه الأمور على ما هى عليه الآن.

مشروع اتفاق ثروت ـ تشمبرلن

وفى شهر يوليو سنة ١٩٢٧ سافر المرحوم ثروت باشا إلى لندن وفاوض السير أوتسن تشمبرلن وزير الخارجية البريطانية لحل القضية المصرية فاتفقا مبدئياً على وضع المشروع الآتى نصه :

إن حضره صاحب الجلالة ملك مصر.

وحضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وأيرلندا والأراضى البريطانية فيما وراء البحار وامبراطور الهند.

رغبة فى توثيق عرى الصداقة وحرصاً على حسن العلاقات ودوامها بين البلدين وبما أنه يقتضى تحقيقاً لهذه الرغبة، أن تعين العلاقات بين البلدين تعييناً دقيقاً وذلك بأن تحل المسائل المعلقة وتحدد، وهى المسائل التى رأت حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية وجوب الاحتفاظ بها فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢.

ورغبة فى قطع السبل دون إمكان التدخل فى إدارة مصر الداخلية ونظراً إلى أن خير وسيلة لبلوغ هذه الغاية هى عقد معاهدة صداقة وتحالف تسهل فى مصلحة تلك الحكومتين المتعاقدتين تعاونهما الفعلى فى القيام بواجبهما المشترك، واجب الدفاع عن مصر وتحقيق أستقلالها.

قررا عقد معاهدة لهذا الغرض وعينا المفاوضين عنهما وهما... وبعد أن تبادلا أوراق التفويض الكامل وتبينت صحة هذه الأوراق قد اتفقا على ما يأتى :

المادة الأولى ـ تعقد بين الحكومتين المتعاقدتين محالفة تؤكد قيام الصداقة والاتفاق الودى وحسن العلاقات بينهما.

المادة الثانية ـ يتعهد حضرة صاحب الجلالة ملك مصر بأن لايتخذ فى البلاد

الأجنبية موقفاً يتنافى مع المحالفة، أو موقفاً يجوز أن يفضى إلى إثارة صعوبات لحضرة صاحب الجلالة البريطانية كما يتعهد بأن لايسلك فى البلاد الأجنبية مسلك المعارضة للسياسة التى يتبعها حضرة صاحب الجلالة البريطانية وأن لايعقد مع الدول الأجنبية أى اتفاق يكون مضراً بالمصالح البريطانية.

المادة الثالثة ـ إذا استهدف حضرة صاحب الجلالة ملك مصر لأية غارة أو اعتداء أيا كان نوعه أو أصبح فى حالة للدفاع عن أراضيه أو لحماية مصالح بلاده يقوم فى الحال حضرة صاحب الجلالة البريطانية لإنجاده بصفة محارب، وذلك مع عدم الإخلال بما نص عليه من الأحكام فى ميثاق جمعية الأمم.

المادة الرابعة ـ إذا حدثت ظروف من شأنها أن تجعل خطراً ما بين حضرة صاحب الجلالة ملك مصر وإحدى الدول الأجنبية فى حسن العلاقات، أو أن تهدد حياة الأجانب وأموالهم فى مصر يتشاور جلالته فى الحال مع حضره صاحب الجلالة البريطانية لاتخاذ أنجع الوسائل لحل الإشكال.

المادة الخامسة ـ لأجل ضمان التعاون بين الجيشين المنصوص عليه فى المادة الثالثة تتعهد الحكومة المصرية أن يكون تعليم الجيش المصرى وتدريبه حسب الأساليب المتبعة فى الجيش الإنكليزى، وإذا رأت الحكومة المصرية ضرورة لاستخدام ضباط أو مدربين من الأجانب فتختارهم من الرعايا البريطانيين.

المادة السادسة ـ إذا تهدد حضرة صاحب الجلالة البريطانية وقوع حرب أو إذا وجد فى حالة حرب، ولو لم يكن يترتب على هذه الحرب أى مساس بحقوق مصر ومصالحها يبذل حضرة صاحب الجلالة ملك مصر لحضرة صاحب الجلالة البريطانية فى الأراضى المصرية كل ما فى وسعه من التسهيلات والمساعدة. بما فى ذلك استخدام موانيها ومطاراتها وجميع طرق المواصلات فيها.

المادة السابعة ـ تحقيقاً وتسهيلاً لقيام حضرة صاحب الجلالة البريطانية بحماية مواصلات الإمبراطورية البريطانية وريثما يحين الوقت لعقد اتفاق يعهد

بموجبه لحضرة صاحب الجلالة ملك مصر بمهمة تحقيق هذه الحماية، يرخص حضرة صاحب الجلالة ملك مصر لحضرة صاحب الجلالة البريطانية بأن يبقى فى الأراضى المصرية من القوات المسلحة ما ترى حكومة حضرة صاحب الجلالة ضرورة وجوده لهذا الغرض. ولايكون لوجود هذه القوات مطلقاً صفه الاحتلال ولا يخل بوجه من الوجوه بحقوق السيادة المصرية.

وبعد انقضاء مدة عشر سنوات من تاريخ العمل بهذه المعاهدة تعيد الحكومتان المتعاقدتان النظر فى مسألة المكان الذى تستقر فيه تلك القوات مسترشدين فى ذلك بما قد تكونان أحرزتا من الخبرة فى تنفيذ أحكام هذه المعاهدة. وفى حالة عدم الاتفاق تعرض المسألة على جمعية الأمم. وإذا لم يكن قرار جمعية الأمم موافقاً الحكومة المصرية جاز بناء على طلبها وبالشروط نفسها إعادة النظر فى المسألة فى آخر كل خمس سنوات. ابتداء من صدور القرار المذكور.

المادة الثامنة ـ نظراً لما بين البلدين من روابط الصداقة ولما تنشئه هذه المعاهدة من التحالف تمنح الحكومة المصرية بوجه عام للرعايا البريطانيين الأفضلية على غيرهم فى حالة استخدام أجانب بصفة موظفين.

ولايعين من رعايا الدول الأخرى إلا إذا لم يوجد من الرعايا البريطانيين من يكونون حائزين للمؤهلات والشروط المطلوبة.

المادة التاسعة ـ يبذل حضرة صاحب الجلالة البريطانية كل ماله من نفوذ لدى الدول ذوات الامتيازات فى مصر للحصول على تعديل نظام الامتيازات الجارى العمل به، وجعله أكثر ملاءمة لروح العصر والحالة الحاضرة فى مصر.

المادة العاشرة ـ يبذل حضرة صاحب الجلالة البريطانية وسلطته لقبول مصر فى جمعية الأمم ويعضد الطلب الذى تقدمه مصر لهذا الغرض وتصرح مصر من جانبها بأنها مستعدة لقبول الشروط المطلوبة للاندماج فى تلك الجمعية.

المادة الحادية عشرة ـ بالنظر إلى العلاقات الخاصة التى تنشئها المحالفة بين الحكومتين المتعاقدتين يمثل حضرة صاحب الجلالة البريطانية سفير فى بلاط حضرة صاحب الجلالة ملك مصر. يعتمد بحسب الأصول المرعية ويخوله حضرة صاحب الجلالة ملك مصر حق التقدم على أى ممثل أجنبى آخر.

المادة الثانية عشرة ـ لاتخل أحكام هذه المعاهدة بأى وجه من الوجوه بالحقوق والتعهدات التى تنجم أويجوز أن تنجم لكل من الطرفين المتعاقدين عن ميثاق جمعية الأمم.

المادة الثالثة عشرة ـ الترتيبات التى يقتضيها تنفيذ بعض نصوص هذه المعاهدة واردة فى الملحق المرفق بها. ويكون للملحق ما للمعاهدة من حيث النفاذ وتكون مدته مدتها.

المادة الرابعة عشرة ـ إنه وإن تكن كلتا الحكومتين المتعاقدتين على يقين من أنه مع الإيضاحات السابق الإشارة إليها عن طبيعة العلاقات بين البلدين لايحتمل وقوع أى سوء تفاهم بينهم إلا أنهما رغبة فى الحرص على حسن علاقاتهما قد اتفقتا على أن كل خلاف ينشأ عن تطبيق أو تفسير أى حكم من تلك الأحكام لم يتيسر حله بمفاوضات مباشرة يكون الفصل فيه طبقاً لأحكام ميثاق جمعية الأمم.

تعتمد هذه المعادة ويكون تبادل الاعتماد فى أقرب وقت.

بناء على ذلك وقع المفوضون هذه المعاهدة ووسموها بختم الفريقين

فى   من   نسختين بتاريخ.

ملحق ـ ١

أ ـ مالم يتفق مقدماً بين الحكومتين المتعاقدتين على العكس يحتفظ فى الجيش المصرى مدة العشر السنوات المشار إليها فى المادة السابعة من المعاهدة

بالموظفين البريطانيين فى الدرجات الموجودة الآن فى وظائفهم الحالية، وبالشروط المنصوص عليها فى العقود المعمول بها.

ب ـ لاتدرب الحكومة المصرية رجال الجيش المصرى فى الخارج إلا فى بريطانيا العظمى، وتتعهد حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية من جانبها بقبول كل بعثة توفدها الحكومة المصرية لهذا الغرض إلى بريطانيا العظمى.

ج ـ تكون أسلحة الجيش المصرى من نفس الطراز المستعمل فى الجيش البريطانى، وتبذل حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية وسلطتها إذا طلبتها الحكومة المصرية لتسهيل توريد تلك الأسلحة من بريطانيا العظمى.

د ـ تحتفظ القوات البريطانية فى مصر بما تتمتع به الآن من مزايا وامتيازات وتضع الحكومة المصرية مجاناً تحت تصرف تلك القوات الأراضى والمبانى التى تشغلها الآن. وذلك إلى أن يعين المكان الذى تستقر فيه تلك القوات عملاً بالفقرة الثانية من المادة السابعة من المعاهدة. وعلى أثر هذا التغيير تعود الأراضى والمبانى التى تجلو عنها القوات إلى حوزة الحكومة المصرية. على أن تضع الحكومة المصرية مجاناً تحت تصرف تلك القوات ما يعادلها من الأراضى والمبانى فى الجهات التى تنقل إليها.

هـ ـ تحظر الحكومة المصرية الطيران فوق شقة من الأرض عرضها عشرون كيلو متراً عن كل من جانبى قناة السويس مالم تقرر الحكومتان المتعاقدتان بالاتفاق بينهما ما يخالف ذلك، على أن هذا الحظر لايسرى على قوات كل من الحكومتين المتعاقدتين، ولاعلى ما هو قائم الآن من خدمات الطيران المنظمة بناء على الترتيبات المعمول بها.

ـ ٢ ـ

أ ـ تعين الحكومة المصرية بالاتفاق مع حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية مستشاراً مالياً تخوله فى الوقت الملائم السلطات التى يتولاها الآن

أعضاء صندوق الدين. ويحاط علماً بكل مشروع تشريعى مما يقتضى الآن مصادقة الدول ذوات الامتيازات ليكون نافذاً على الأجانب، ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية فى غير ذلك من الشؤون التى ترى استشارته فيها.

ب - بالنظر إلى تعديل النظام القضائى المنصوص عليه فى المادة التاسعة من المعاهدة تعين الحكومة المصرية بالاتفاق أيضاً مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية مستشاراً قضائياً يحاط علماً بكل ما يمس أداء القضاء فيما يتعلق بالأجانب. ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية فى غير ذلك من الشؤون التى ترى استشارته فيها.

ج - إلى أن يجرى العمل بإصلاح نظام الامتيازات المنصوص عليه فى المادة التاسعة من هذه المعاهدة على أثر ما يعقد من الاتفاقات بين مصر والدول ذات الشأن لاتغير الحكومة المصرية فى عدد أو اختصاص الموظفين البريطانيين الذين يشتغلون الآن بإدارة الأمن العام والبوليس إلا بعد الاتفاق على ذلك مع حكومة حضرة صاحب الجلالة الملك.

مشروع النحاس- هندرسن

وقد كان نصيب هذا المشروع الرفض من جانب جميع الهيئات السياسية لكونه لايحقق رغائب البلاد. على أن الحكومة الإنكليزية عادت فى شهر يوليو سنة١٩٢٩ فدعت الحكومة المصرية إلى الدخول فى مفاوضات جديدة لحل المشكلة المصرية. فتولاها محمد محمود باشا، وتسلم المشروع البريطانى المعروف باسم هندرسن، واضطر للاستقالة قبل البت فيه فخلفته وزارة برياسة مصطفى النحاس باشا، وقد سافر إلى لندن على رأس وفد فى شهر إبريل سنة

١٩٣٠ ففاوض المستر هندرسن، واتفقا على وضع المشروع الآتى. ثم انقطعت المفاوضات ليلة ٩ مايو بسبب النص الخاص بالسودان.

إن حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وإرلندا والأملاك البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند.

وحضرة صاحب الجلالة ملك مصر

رغبة منهما فى تعزيز الصداقة وعلاقات حسن التفاهم بينهما، والتعاون على القيام بالتزاماتهما الدولية لحفظ سلام العالم.

واعتقاداً منهما بأن هذه الأغراض إنما يمكن تحقيقها على الوجه الأفضل بعقد معاهدة صداقة وتحالف تنص لمصلحتهما المشتركة على التعاون الفعال لحفظ السلام، وضمان الدفاع عن أراضيهما وتنظم علاقاتهما المتبادلة فى المستقبل.

قد أتفقا على عقد معاهدة لهذه الغاية، وأنابا عنهما المفوضين الآتيين :

حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وأرلندا والأملاك البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند - عن بريطانيا وشمال إرلندا.

وحضرة صاحب الجلالة ملك مصر.

اللذين بعد أن تبادلا وثائق تفويضهما التام التى وجدت صالحة ومستوفاة الشكل قد اتفقات على ما يأتى :

المادة الأولى - انتهى احتلال مصر عسكرياً بجيوش صاحب الجلالة البريطانية.

المادة الثانية - بما أن مصر تنوى أن تطلب الدخول فى عضوية جمعية الأمم فإن صاحب الجلالة البريطانية يعترف بحقها كدولة مستقلة ذات سيادة بأن تصبح عضواً بالعصبة عند قيامها بأحكام ميثاق العصبة.

المادة الثالثة ـ يعترف صاحب الجلالة البريطانية بأن الحكومة المصرية هى وحدها المسئولة عن أرواح الأجانب وأموالهم فى مصر، وهى التى تتولى تنفيذ واجباتها فى هذا الصدد.

المادة الرابعة ـ يعترف صاحب الجلالة البريطانية بأن نظام الامتيازات القائم فى مصر الآن لا يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة.

ومن الآن يتعهد صاحب الجلالة البريطانية ببذل كل ما له من النفوذ لدى الدول ذوات الامتيازات بقصد مساعدة مصر فى الحصول ـ بالشروط التى تؤمن المصالح المشروعة للأجانب ـ على نقل اختصاص المحاكم القنصلية الحالية إلى المحاكم المختلطة، وتطبيق التشريع المصرى على الأجانب.

المادة الخامسة ـ تعقد محالفة بين الفريقين المتعاقدين لتعزيز الصداقة والتفاهم الودى وحسن العلاقات بينهما.

المادة السادسة ـ يتعهد كل من الفريقين المتعاقدين أن لايتخذ فى البلاد الأجنبية موقفاً لايتفق مع هذه المحالفة. وأن لايعقد معاهدات سياسية تتعارض مع نصوص هذه المعاهدة.

المادة السابعة ـ إذا افضى خلاف قائم بين أحد الطرفين المتعاقدين ودولة أخرى إلى حالة فيها خطر قطع العلاقات مع تلك الدولة فيتشاور الطرفان لتسوية ذلك الخلاف بالوسائل السلمية طبقاً لأحكام ميثاق عصبة الأمم أو لأية التزامات دولية أخرى تكون منطبقة على الحالة القائمة.

المادة الثامنة ـ إذا اشتبك أحد الطرفين المتعاقدين فى حرب ـ رغم أحكام المادة السابعة المتقدم ذكرها ـ فإن الفريق الآخر يقوم فى الحال بإنجاده بصفته حليفاً وذلك مع مراعاة أحكام المادة الثانية عشرة التى ستذكر فيما بعد. وتكون مساعدة صاحب الجلالة ملك مصر فى حالة الحرب أو خطر الحرب الداهم منحصرة فى أن يقدم إلى صاحب الجلالة البريطانية داخل حدود الأراضى

المصرية جميع التسهيلات والمساعدات التى فى وسعه، ومن ضمنها استخدام موانئه ومطاراته وطرق مواصلاته. على أن يكون ذلك مطابقاً لنظام الإدارة والتشريع المصرى، وبناء على ذلك فالحكومة المصرية هى التى تتخذ جميع الوسائل الإدارية والتشريعية اللازمة لجعل هذه التسهيلات والمساعدات فعالة.

المادة التاسعة ـ بما أن قنال السويس، الذى هو جزء لايتجزأ من مصر، هو فى الواقع طريق المواصلات العالمية. كما هو أيضاً طريق أساسى للمواصلات بين الأجزاء المختلفة للإمبراطورية البريطانية، فإلى أن يحين الوقت الذى يتفق فيه الطرفان المتعاقدان على أن الجيش المصرى أصبح فى حالة يستطيع معها أن يكفل حرية الملاحة فى القنال وسلامة الدولة يرخص جلالة مصر لصاحب الجلالة البريطانية أن يضع بجوار الإسماعيلية فى المنطقة المحددة فى المذكرة المرفقة من القوات مالايزيد على العدد المحدد فى المذكرة المذكورة، وذلك للتعاون مع القوات المصرية فى الدفاع عن قنال السويس، ولهذا الغرض نفسه ينقل مستودع قوة الطيران الملكية من أبى قير إلى بور فؤاد. ولايكون لوجود تلك القوات صفة الاحتلال مطلقاً، ولايخل بأى وجه من الوجوه بحقوق السيادة المصرية.

ومن المتفق عليه أنه عند نهاية مدة العشرين سنة المحددة فى المادة الرابعة عشرة ـ إذا كان قد قام خلاف بين الفريقين المتعاقدين ـ على ما إذا كان وجود القوة البريطانية لم تبق به ضرورة لأن القوات المصرية أصبحت تستطيع بمفردها المحافظة على حرية الملاحة وسلامتها التامة. فإن ذلك الخلاف يجوز عرضه على عصبة الأمم لتسويته بمعرفتها.

المادة العاشرة ـ يقوم بتمثيل صاحب الجلالة البريطانية لدى بلاط جلالة ملك مصر وبتمثيل جلالة مصر لدى بلاط سانت جيمس سفراء معتمدون بالطرق المرعية.

المادة ١١ ـ خاصة بالسودان لم يتفق عليها.

المادة ١٢ - هى نفس المادة ١٤ من المقترحات مع تغيير كلمة مقترحات بكلمة معاهدة.

المادة ١٣ - هى نفس المادة ١٥ مع تغيير كلمة مقترحات بكلمة معاهدة.

المادة ١٤ - فى أى وقت بعد انقضاء عشرين سنة من العمل بهذه المعاهدة يتفاوض الطرفان المتعاقدان بناء على طلب أحدهما لإعادة النظر بالاتفاق بينهما فى نصوص المعاهدة بحسب مايرى ملائماً فى الظروف التى تكون قائمة إذ ذاك. فإذا لم يتفقا يعرض الخلاف على عصبة الأمم لتسويته.

ومع ذلك ففى أى وقت بعد انقضاء مدة عشر سنوات على العمل بهذه المعاهدة يمكن الدخول فى مفاوضات باتفاق الفريقين المتعاقدين لإعادة النظر فى المعاهدة كما ذكر آنفا.

المادة ١٥ - تلغى المعاهدة الحالية جميع الاتفاقات والوثائق الأخرى التى يتنافى بقاؤها مع نصوص هذه المعاهدة. ولكل من الطرفين المتعاقدين أن يطلب فى بحر ستة أشهر ابتداء من تاريخ تنفيذ المعاهدة الحالية قائمة ببيان تلك الاتفاقات والوثائق.

المادة ١٦ - يصدق على المعاهدة الحالية، ويتبادل التصديق عليها فى القاهرة فى أقرب وقت ممكن ويبدأ تنفيذها يوم تبادل التصديق عليها، ويسجل فى عصبة الأمم بالطرق المتبعة.

جلالة الملك والحركة الوطنية

ولانرى بدأ من التنويه بالموقف المشرب بالعطف الذى وقفه جلالته إزاء الحركة الوطنية. وقد وصف ذلك الدكتور مورتن هاول وزير أمريكا المفوض فى مصر سابقاً فى كتاب فقال :

وقد احتفظ جلالة الملك طول مدة الحركة الوطنية بفكره النير. فاستطاع بذلك أن يسدى إلى شعبه فى كل مناسبة النصائح التى كان يميلها عليه إخلاصه لبلاده، وحبه لأمته، ولم يكد ولاة الأمور الإنكليز يقبضون على سعد زغلول وصحبه وينفونهم إلى مالطه حتى توسط جلالته لدى اللورد اللنبى فى شأنهم ونجح فى إقناع السلطات البريطانية فى إخلاء سبيلهم.

«ولقد عثرت فى خطاب أرسله اللورد اللنبى إلى جلالة الملك على العبارة الآتية وهى : «لم أتوان فى إبلاغ حكومتى الرأى الذى أعربتم لى عنه جلالتكم عدة مرات وهو ضرورة أقدام الحكومة البريطانية على اتخاذ موقف حاسم فى شأن مقترحات اللورد ملنر بما يطابق أمانى مصر والمصريين، تلك الأمانى التى يعرف الناس مبلغ عطفكم عليها معرفة جيدة».

ولما تكلم الدكتور هاويل عن لجنة ملنر ومهمتها ومقاطعة الشعب المصرى لها قال «إن جلالته كان على رأس المصريين الذين قاطعوها، واستشهد على ذلك بعبارة وردت فى تقرير اللورد ملنر إلى حكومته وهى «وفى الواقع أننا ونحن فى مصر شعرنا بأن جميع المصريين بما فيهم السلطان والوزراء متفقون على المقاطعة».

ثم قال الدكتور «وكنت كلما فكرت فى الحكمة وقوة الشكيمة اللتين يعالج بهما جلالته المشكلات السياسية الكبرى التى ازداد عددها منذ إلغاء الحماية البريطانية وإعلان استقلال مصر. أذكر الرئيس روزفلت الذى كان مثله لايكل ولايمل». اهـ

نظام الحكم في مصر

كيف أنشئ النظام الدستورى؟

ظلت مصر حتى العهد الأخير محرومة من حكم برلمانى نيابى يشرك الأمة فى إدارة شؤونها. فلما نهضت نهضتها الأخيرة التى أدهشت العالم اتجهت الأنظار إلى إنشاء حكم نيابى ووضع دستور ينظمه ويصونه. فألفت لجنة خاصة لهذه الغاية، وفى يوم ١٩ أبريل سنة ١٩٢٣ نشر النظام الدستورى الجديد للمملكة المصرية. فكان أول ثمرة من ثمار جهادها الوطنى. وإليك صورة الكتاب الذى رفعه رئيس الوزراء يومئذ إلى جلالة الملك.

مولاى صاحب الجلالة :

إن ما فطرتم عليه من حب الخير لبلادكم وإسعاد أمتكم جعل نهوض شعبكم الذى تعهدتموه على الدوام بالتشجيع والتأييد من أكبر أمانيكم. فنال بذلك فى عهدكم السعيد حظاً وافراً من التقدم والارتقاء. وقد أردتم ـ حفظكم الله ـ أن تتوجوا أعمالكم الجليلة بأثر عظيم يسجله لكم التاريخ ويبقى ذكره خالداً على ممر العصور والأجيال. فأصدرتم لحكومتكم أمراً كريماً فى أول مارس سنة ١٩٢٣ بإعداد مشروع لوضع نظام دستورى يحقق التعاون بين الأمة والحكومة فى إدارة شؤون البلاد. فصدعت بالأمر، وتعهدت بوضع مشروع مطابق لمبادئ القانون العام الحديث، ومقرر لمبدأ المسئولية الوزارية، ورأت أن تستعين فى القيام بهذه المهمة الخطيرة بآراء هيئة يكون أعضاؤها من ذوى الخبرة والصفة النيابية، فشكلت لجنة منهم عهدت إليها فى وضع مشروع للدستور تتحقق به المبادئ المذكورة على الوجه المتقدم. وقد قامت تلك اللجنة بما عهد إليها بعزيمة صادقة وهمة كبرى تستحق عليها الشكر والثناء، ورفعت مشروعها إلى الحكومة.

ثم قال :

«وإنى وزملائى لنغبط بأن قدر إتمام هذا العمل الجليل على أيدينا. فأتشرف

برفع المشروع لعتبات مولاى حتى إذا صادف قبولاً حسناً تفضل بتتويجه بأمره الكريم :

«وإنا نبتهل إلى الله جلت قدرته أن يحفظكم ذخراً للبلاد، وأن يجعل الحريات فى ظلكم مصونة، والحقوق فى جواركم مقدسه، وأن يجعل عهد هذا الدستور عهداً سعيداً حافلاً بالخير والبركات، وأن يوفق الأمة فى حياتها الدستورية المجيدة إلى سلوك سبيل الحكمة والرشاد».

فرد جلالة الملك بإصدار الأمر الملكى الآتى :

عزيزى :

أطلعنا على مشروع الدستور الذى عنيتم بتحضيره ورفعتموه إلينا، وإنا لشاكرون لكم ولزملائكم ما بذلتم من الهمة فى وضعه وما توخيتم فيه من مصلحة الأمة وفائدتها، وبما أنه وقع لدينا موقع القبول فقد اقتضت إرادتنا إصدار أمرنا به راجين أن يكون فاتحة خير لتقدم الأمة وارتقائها وعنواناً دائماً لمجدها وعظمتها.

والله المعين على ما فيه الخير والسداد.

ويقع الدستور فى ١٦٩ مادة. وقد جاء فى مادته الأولى ما نصه : مصر دولة ذات سيادة، وهى حر ة مستقلة لايتجزأ ملكها ولاينزل عن شئ منه، وحكومتها ملكية وراثية وشكلها نيابى.

وجاء فى المادة ٢٣ : أن جميع السلطات مصدرها الأمة واستعمالها يكون على الوجه المبين فى هذا الدستور. وجاء فى المادة ٢٤ : أن السلطة التشريعية يتولاها الملك بالاشتراك مع مجلس الشيوخ والنواب. ولايصدر قانون إلا إذا أقره البرلمان وصدق عليه الملك. وجاء فى المادة ٢٣ : عرش المملكة المصرية وراثى فى أسرة محمد على، وتكون وراثه العرش وفق النظام المقرر بالأمر الملكى الكريم الصادر فى ١٥ شعبان سنة ١٣٤٠هـ.

على أن هذا الدستور عدل بأمر ملكى رقم ٧٠ لسنة ١٩٣٠ بدستور أضيق اختصاصات من ذاك نشر يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٠ وهو الدستور النافذ الآن.

علاقات مصر مع الدول الإسلامية والغربية

تم فى عهد جلالته تنظيم العلاقات السياسية بين مصر وإيران وأفغانستان والعراق بموجب معاهدات رسمية. ولاتزال المفاوضات مستمرة لتنظيمها مع تركيا والبلاد العربية السعودية.

وإليك صورة المعاهدة المعقودة بين مصر وإيران :

حضرة ساحب الجلالة الأمبراطورية شاه الفرس.

وحضرة صاحب الجلالة ملك مصر.

نظراً لما لدى جلالتهما من خالص الرغبة فى زيادة توثيق عرى الصداقة الكائنة بين دولتيهما قد اتفقا على عقد معاهدة تثبت فيها قواعد علاقتهما الودية وذلك إلى أن تعقد اتفاقات قنصلية وجمركية وتجارية.

وعينا مندوبيهما المفوضين لهذا الغرض :

من لدن حضرة صاحب الجلالة الإمبراطورية شاه الفرس حضرة صاحب السعادة فتح الله خان بكرفان القائم بإدارة وزارة خارجيته.

ومن لدن حضرة صاحب الجلالة ملك مصر صاحب السعادة حسن نشأت باشا مندوبه فوق العادة ووزيره المفوض بطهران. اللذين بعد أن تبادلا وثائق تفويضهما وتبينا صحتها ومطابقتها للأصول المرعية اتفقا على الأحكام الآتية :

المادة الأولى ـ يكون بين الإمبراطورية الفارسية والمملكة المصرية وبين رعاياهما سلام دائم وصداقة خالصة.

المادة الثانية ـ يتمتع الممثلون السياسيون لكل من الطرفين المتعاقدين وجميع أفراد بعثاتهم المعتبرين من هيئة التمثيل السياسى فى بلاد الطرف الآخر بنفس

الامتيازات والتعظيمات والحصانات التى يتمتع بها ممثلو الدول الأخرى ووكلاؤها السياسيون، وذلك على أساس التبادل.

المادة الثالثة : يجوز لكل من الطرفين المتعاقدين أن يعين لدى الدولة الأخرى قناصل من طائفة الموظفين يقيمون فى العاصمة أو فى المدن المهمة التى يسمح عادة للوكلاء الأجانب بالإقامة فيها.

ويجوز كذلك لكل من الطرفين المتعاقدين أن يعين بعد الحصول مقدماً على موافقة الدولة الأخرى قناصل ووكلاء قناصل ووكلاء قنصليين شرفيين من غير طائفة الموظفين يقيمون فى المدن السابق ذكرها. إنما لايجوز بحال انتخابهم من بين رعايا الدولة التى يقيمون بها. ويتمتع أفراد الطائفتين بعد حصولهم على الأجازة اللازمة لقيامهم بأعمالهم بالامتيازات الشرفية والحصانات المتفق عليها لكل منهما فى القانون الدولى العام، وذلك على أساس التبادل.

المادة الرابعة ـ يكون لرعايا كل من الطرفين المتعاقدين الحرية التامة فى دخول بلاد الطرف الآخر والإقامة فيها. فلهم فيها حرية الذهاب والإياب والطواف والإقامة طبق اللوائح المعمول بها فى البلاد، ويتمتعون مثلهم مثل الوطنيين بالحماية المستمرة التامة، وبالأمن بالنسبة لأشخاصهم وأملاكهم وحقوقهم ومصالحهم طبقاً لقواعد القانون الدولى العام.

ولاتمنع هذه المادة من حق الإبعاد المستعجل فى الحالات الفردية وفاقاً لما يجرى العمل عليه فى القانون الدولى العام ولقواعد القانون المذكور.

المادة الخامسة ـ يجوز لرعايا الطرفين المتعاقدين أن يباشروا فى بلاد الطرف الآخر كافة أنواع الصناعة والتجارة وكل حرفة أو مهنة مهما كانت إلا ماخصت منها بقوانين البلاد للوطنيين دون الأجانب، وماتحتكره الدولة أو تعطى امتيازاً باحتكاره.

ويكون لهم حق امتلاك وحيازة المنقولات والعقارات والتصرف فيها مع مراعاة

القوانين واللوائح المعمول بها فى البلاد التى يقيمون فيها، وتكون حالهم فى ذلك كله كحال أكثر الدول امتيازاً لديها، ولايجوز أسوة بالوطنيين نزع أملاكهم ولاحرمانهم من الانتفاع بها ولو مؤقتاً إلا لسبب يعتبر قانوناً من المنافع العامة وفى مقابل تعويض.

المادة السادسة ـ رعايا كل طرف من الطرفين المتعاقدين فى بلاد الطرف الآخر أسوة بالوطنيين فى الخضوع للتشريع المحلى من قوانين ومراسيم وقرارات ولوائح فى المسائل الجنائية والمدنية والتجارية والإدارية والمالية وغيرها كما يخضعون لجهات الاختصاص المخصصة للوطنيين.

وتطبق الجهات المختصة قانوناً فى مسائل الأحوال الشخصية من جهات الاختصاص السابقة الذكر التشريع الأهلى الخاص بالمتقاضين طبقاً لقواعد القانون الدولى، وذلك فى حالة التجاء أحد خصوم الدعوى إليها.

ولاتخل الأحكام السابقة بالاختصاصات المعترف بها عموماً للقناصل بمقتضى العادات الدولية فى مسائل الأحوال المدنية بحقهم فى الاختصاص العرفى.

المادة السابعة ـ يعفى رعايا كل من الطرفين المتعاقدين فى بلاد الطرف الآخر من جميع الالتزامات الشخصية أو السخرة أو المعونة ذات الصبغة العسكرية وكذلك يعفون من كل إعانة أهلية أو قرض جبرى أو ضريبة استثنائية فرضت لحاجات حربية.

المادة الثامنة ـ يوافق الطرفان المتعاقدان على أن يعقد بينهما فى أقرب فرصة اتفاقات قنصلية وجمركية وتجارية مبنية على المساواة التامة فى الحقوق بين الدولتين.

المادة التاسعة ـ يعمل بهذه المعاهدة لمدة خمس سنوات. فإذا لم يبطلها أحد الطرفين المتعاقدين فى ظرف ستة شهور سابقة على انتهاء السنوات الخمس

الأولى جاز إبطالها بعد مضى السنوات الخمس فى أى وقت بإخطار يسبق تاريخ الإبطال بستة شهور.

المادة العاشرة ـ يصدق على هذه المعاهدة ويتبادل التصديق فى طهران بأسرع ما يمكن.

المادة الحادية عشرة ـ يعمل بهذه المعاهدة ابتداء من تاريخ تبادل التصديق عليها.

المادة الثانية عشرة ـ وضعت هذه المعاهدة فى صورتين باللغات العربية والفارسية والفرنسوية وفى حالة حدوث خلاف يعتمد النص الفرنسوى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٨.

معاهدة الصداقة بين مصر وأفغانستان

وفى يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٢٨ عقدت فى القاهرة معاهدة صداقة بين مصر وأفغانستان وهذا نصها :

نظراً لما بين مصر وأفغانستان من الصلات التاريخية والروابط الطبيعية ورغبة فى وثيق عرى المودة وإنماء علاقات الصداقة بين البلدين بعقد معاهدة مودة وصداقة بينهما، قد عين جلالتهما مندوبيهما المفوضين الآتيين :

من لدن حضرة صاحب الجلالة ملك مصر حضرة صاحب المعالى واصف بطرس غالى باشا وزير الخارجية.

ومن لدن صاحب الجلالة ملك أفغانستان والآشان جلالة مآب سردار على أحمد خان تاج أفغان والى ولاية كابول اللذين بعد أن تبادلا وثائق تفويضهما وتبينا صحتها ومطابقتها للأصول المرعية اتفقا على ما يأتى :

مـادة ١ ـ يكون بين المملكتين المصـرية والأفـغـانيـة وبين رعـاياهـمـا سـلام لاينقض وصداقة خالصة دائمة.

مادة ٢ ـ يوافق الطرفان على تأسيس العلاقات السياسية بين الدولتين وفقاً لمبادئ القانون الدولي ويوافقان على أن يلقى ممثلو وموظفو كل منهما السياسيون في بلد الآخر المعاملة المقررة بمقتضى المبادئ العامة للقانون الدولي العام، وذلك على أساس التبادل.

مـادة ٣ ـ يوافق الطرفان على عقد معاهدات اقتصادية وتجارية بينهما في الوقت المناسب.

مـادة ٤ ـ وضعت هذه المعاقدة باللغتين العربية والفارسية وكلاهما أصل معتمد ويصدق عليهما ويتبادل التصديق في كابل بأسرع مايمكن ويعمل بهما بعد تبادل التصاديق.

وتأييداً لما تقدم وقع المندوبان المفوضان هذه المعاهدة ووضعا عليها ختميهما.

معاهدة مصر والعراق

وفي يوم الأربعاء ٢٢ إبريل سنة ١٩٣١ وقع في دار وزارة الخارجية المصرية على معاهدة صداقة وود وتبادل المجرمين العاديين بين مصر والعراق، وقد وقعها عن الأولى عبدالفتاح باشا يحيى وزير الخارجية. كما وقعها عن الثانية نوري باشا السعيد رئيس الوزارة العراقية.

علاقات مصر واليمن

في شهر فبراير سنة ١٩٢٩ وصل القاهرة مندوب من قبل سيادة الإمام يحيى يحمل كتاباً خاصاً إلى جلالة الملك فؤاد كتب بلجهة ودية، وأعرب فيه

سيادة الإمام عن رغبته فى توطيد الصلات الودية والأخوية القائمة بين البلدين وتعزيزها فأرسل جلالة الملك كتاباً خاصاً لسيادته حمله الأستاذ حسن حسنى الموظف فى وزارة الخارجية المصرية رداً على كتابه، وقد كتب باللهجة نفسها.

ولما جاءت الأخبار فى شهر يوليو سنة ١٩٣٣ بمرض سيادة الإمام يحيى تفضل جلالة الملك فأمر بإرسال طبيبين من أطباء الحكومة المصرية إلى صنعاء لمعالجة سيادته. فسافرا وأديا هذه المهمة على الوجه الأكمل ثم عادا سالمين يحملان كتاب شكر إلى جلالته من الإمام.

الإصلاح بين نجد والحجاز

فى أثناء الحرب الحجازية النجدية أمر جلالة الملك فؤاد بإرسال وفد إلى مكة للتوفيق وإصلاح ذات البين. وقد تألف هذا الوفد من فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى رئيس المحكمة الشرعية العليا يومئذ، وشيخ الأزهر بعد ذلك وعبدالوهاب بك طلعت من موظفى الديوان العالى، وسافر إلى جدة يوم ١٠ سبتمبر سنة ٩٢٥ ثم عاد إلى مصر يوم ٦ أكتوبر فقابل جلالته وبسط على مسامعه نتائج مهمة.

علاقات مصر مع الدول الأجنبية

وعلاقات مصر مع جميع الدول الأجنبية على أفضل مايرام من الود والصفاء وقد زار جلالة الملك فؤاد أوربا مرتين. الأولى فى سنة ١٩٢٧ والثانية فى مصر ١٩٢٩ فلقى من ملوكها وأمرائها وشعوبها ورؤوساء حكوماتها وعلمائها وأدبائها ورجالهم مزيد العناية والرعاية. وقد رد له زيارته جلالة ملك البلچيك ثم جلالة ملك إيطاليا، وقد زار مصر أخيراً فى شهر فبراير سنة ١٩٣٣.

العراق

العراق

معلومات جغرافية وتاريخية موجزه عنها

العراق هو أحد الأقطار العربية التى انفصلت عن تركيا فى ختام الحرب العظمى، وأنشأت دولة عربية مدنية اعترف العالم باستقلالها.

ويمتاز العراق فى التاريخ الإسلامى بقيام الدولة العباسية، أعظم دول الإسلام شأناً فى ربوعه. فكانت عاصمتها بغداد محط رحال العلماء ومهبط الحكماء والشعراء. كما يمتاز فى التاريخ الحديث بوجود منابع النفط فى شماله وبخصب أراضيه وجودة إقليمه، ويعد من أعظم الأقطار الزراعية فى العالم، ويرجى أن يكون له شأن كبير.

ومساحه العراق السطحية ١٤٢٢٥٠ميلاً مربعاً، وطول حدوده البرية ٢٠٠٠ميل وطول حدوده البحرية ٥٠ميلا. وعاصمته بغداد. ومن مدنه الكبرى الموصل والبصره وكربلاء والنجف وكركوك والسليمانية والحلة.

وعدد نفوسه بموجب إحصاء سنة ١٩٢٠ ـ ٢٨٤٩٢٨٢ نسمة. ولاريب أنهم زادوا زيادة كبيرة فى خلال هذه المدة منهم ٨٧٨٤٤ يهودياً و٧٨٧٩٢ مسيحياً والباقون عرب مسلمون.

ويحد العراق من الشمال الترك، ومن الشرق الفرس، ومن الغرب الشام وشرقى الأردن، ومن الجنوب نجد.

ويبلغ عدد جيشه فى الوقت الحاضر عشرة آلاف جندى، ولم تقرر الخدمة الإلزامية حتى الآن.

ونظام الحكم فى العراق ملكى دستورى نيابى، وملكه اليوم هو جلالة الملك فيصل الأول ابن الحسين الهاشمى. وهذا رسمه :

جلالة الملك فيصل الأول



ملك العراق

جلالة الملك فيصل الأول

ملك العراق

مولده ونشأته

هو فيصل بن الحسين الهاشمى القريشى. ولد فى مكة يوم ٢٠ مايو سنة ١٨٨٣ (١٣٠٢هـ) وأبوه الشريف حسين باشا بن على بن محمد عون، أمير مكة ثم ملك الحجاز بعد ذلك. وأمه الشريفة عابدية كريمة الشريف عبدالله باشا بن محمد عون.

وهو ثالث أنجال والديه، وأولهم الملك على ملك الحجاز السابق، وآخرهم الأمير زيد، ويتصل نسبه من جهة والده ووالدته بالنبى محمد العربى العدنانى ﷺ.

نشأته : من القواعد التى اتبعها كبار الأشراف إبان حكمهم فى الحجاز أن يأتوا لأبنائهم وذراريهم بمعلمين يقرئونهم القرآن، ويعلمونهم الكتابة والحساب والتاريخ والجغرافيا، ويؤدبونهم فى داخل قصورهم فلا يدخلون المدارس ولاينتظمون فى صفوفها. ولعل منشأ ذلك قلة الموجود من هذه المدارس فى مكة وعدم استيفاء هذا القليل للشروط الصحية، وعقم الأساليب التى تتبع فى التعليم وفسادها، ولايزال عدد المدارس قليلاً فى أم القرى حتى فى هذا العهد التى انتشرت فيه العلوم وراج سوقها، وأقبلت الشعوب على إنشاء المعاهد والصروح العلمية الفخمة. ولاتزال نظم التعليم هنالك متقهقرة، منحطة.

وما كان أبناء الإشراف يجدون صعوبة فى تعلم اللغة التركية، وكانت منتشرة فى داخل قصورهم، فهى لغة مربياتهم وسراريهم وجواريهم، وكانوا يجيدونها كتابة وتكلما إلى جانب لغتهم العربية ويدرسون آدابها.

وكانوا يتعلمون أيضاً الفروسية وركوب الخيل من الصغر إلى جانب العلوم

الأخرى، ويتمرنون على إطلاق النار وضرب السيف فيشبون فرساناً يحسنون الكر والفر والرماية.

إلى رحاب : ولما بلغ فيصل السادسة من عمره أرسله والده إلى قرية رحاب، وهى بلده محمد بن عون جد هذا الفرع من الأشراف، وقد اشتهر بانضمامه إلى المرحوم محمد على باشا حينما جاء الحجاز لمحاربة النجديين سنة ١٨١٢ فحفظ له الباشا هذه اليد وأقطعه خمسة آلاف فدان فى مصر، ولايزال ألفان منها وقفاً على سلالته يستغلونها. وتقلب بعد ذلك عدد من أمراء هذا البيت على إمارة مكة آخرهم الشريف حسين باشا والد الملك فيصل وقد ختمت شرافه مكة به.

وقضى فيصل ست سنوات فى رحاب بين أبناء عمومته وأخواله يركب الخيل والإبل، ويكرويفر، وينام فى العراء وتحت الخيام، ويطوف البادية مشرقاً ومغرباً، ويضرب بالسيف ويطلق الرصاص، والغاية من ذلك تدريبه وإعداده ليكون رجلاً، وطبعه بطابع البداوة وتخليقه بأخلاق أبنائها.

وأرسل إلى مكة وهو فى الثانية عشرة وقد بلغ أشده، فجئ له بمؤدبين ومعلمين، ولم يطل به المقام بل غادر الحجاز إلى الآستانة مع أسرته عملاً بأمر السلطان عبدالحميد فنزلوا فى قصر الدلى فؤاد باشا فى أستينية وقد خصصه السلطان لهم، وعين والده عضواً فى مجلس شورى الدولة سنة ١٨٩٦.

وعاش فى تلك العاصمة نحو عشر سنوات، وفيها تزوج بابنه عمه ثم غادرها إلى مكة سنة ١٩٠٨ حينما عين والده شريفاً لمكة. وقد تركت إقامته الطويلة فى ذلك المحيط الواسع أثراً لا يمحى فى نفسه وأكسبه الاتصال برجال الدولة وترددهم على قصر والده واجتماعه بالعظماء والأدباء من مشاهير الترك خبرة واسعة.

فيصل فى الحجاز : عاد فيصل إلى الحجاز وقد اكتملت رجولته وظهرت مواهبه، فأدناه والده منه وولاه قيادة السرايا التى كان يزجيها لإخضاع القبائل

وتأديبها، وانتخب سنة ١٩٠٩ نائباً عن لواء جدة فى مجلس النواب العثمانى، فكان يذهب سنوياً إلى الآستانة فيشترك فى أعمال البرلمان ويعود بعد انقضاء دورته فينضم إلى والده ويساعده فى إدارة منصبه الخطير، وكثيراً ما كان يمر بالقاهرة فى ذهابه وإيابه فيجتمع إلى رجالها وعظمائها ومفكريها.

ولما ثار السيد محمد على الإدريسى على الدولة العثمانية فى تهامة سنة ١٩١١ مغتنماً فرصة اشتباكها فى الحرب مع الطليان، وهم الذين ساعدوه ومدوه بالأسلحة اضطرب موقف الدولة فى اليمن فاستنجدت بالشريف حسين باشا أمير مكة طالبة مساعدته فى التنكيل بالإدريسى فلم يتردد فى تلبية الطلب وجند حملة بقيادة نجليه عبدالله وفيصل سارت من مكة حتى أبها (عاصمة عسير) فطردت أنصار الإدريسى وكانوا يحاصرونها وخضدت شوكته وأعادت تلك البلاد إلى الدولة. ويقول الذين شهدوا تلك الحملة أن فيصلا أبلى فيها بلاء حسناً، وإنه كان يسير فى مقدمه الجيش ويشترك فى المعامع فأحبته القبائل لشجاعته والعرب يحبون الشجاع ويعجبون به.

زيارته لسورية : وللمرة الأولى زار سورية سنة ١٩١٣ فقد خاف ولاة الأمور الترك أن يهاجم البدو المحمل الشامى فى عودته من الحجاز إلى الشام فرافقه على رأس قوة من الجند لحمايته فلم يحدث له حادث، وأقام مدة فى دمشق فتعرف إلى رجالها ومفكريها ودعاة الجامعة العربية من أبنائها مما سهل له العمل بعد ذلك.

وجاءها ثانية فى سنة ١٩١٥ فى طريقة إلى الآستانة، وقد اختار السفر بهذه الطريق دون البحر. لأن الحلفاء ضربوا الحصار على موانى تركيا من ابتداء الحرب العظمى سنة ١٩١٤ ومنعوا دخول البواخر إليها وخروجها منها لما أظهرته من ميل إلى الألمان، وقد دخلت الحرب إلى جانبهم بعد ذلك. وبعد ماختمت الدورة البرلمانية عاد ثانية إلى دمشق، وأقام ضيفاً عند آل البكرى الكرام. وقيل إن الترك

أرادوا من إقامته فى دمشق أن يكون إلى جانب أحمد جمال باشا القائد العام فى سورية يومئذ فيساعده فى حملته على مصر، وقيل إنهم أرادوا أن يكون رهينة لديهم فيأمنوا انتقاض والده. وأقبل رجال الشام ومفكروها وأعيانها عليه يدعونه إلى إقناع والده بإعلان الثورة على الاتحاديين وخلع طاعتهم وأنشاء دولة عربية لما ظهر من سوء نية هؤلاء وتعمدهم إذلال العرب بإعدام مفكريهم وأدبائهم والصفوة المختارة من رجالهم وبنفى كبار عائلاتهم إلى أقاصى الأناضول وإقطاعها الأراضى والدور مقابل نزع ممتلكاتها فى سورية، وقد صودرت لحساب الحكومة رغم ما أظهره العرب من إخلاص للدولة فى سنة الحرب الأولى وما بذلوه من تضحيات عظيمة تأييداً لها، فقد رسخ فى أذهانهم أن أقل حركة يتحركونها ضدها تغرى أعداءها بها وتعجل فى انهيارها، ولامصلحة لهم فى ذلك. وهم لايستعدوا الاستعداد الكافى ولم يتهيأوا لمثل هذا الحادث الخطير.

وتردد فيصل فى قبول القيام بهذه المهمة، ونصح رجال الجمعيات والأحزاب والمفكرين الذين حادثوه بالتأنى والتروى خوف وقوع الكارثة وخوف تمكين الأجانب من احتلال البلاد. كما سعى من جهة أخرى عند جمال باشا لإقناعه بالعدول عن سياسة الشدة والإرهاب واتباع خطة اللين والمسالمة والقصد فى شنق المفكرين والعقلاء وفى نفى الأسر. فلم يزده ذلك إلا اندفاعاً فى خطته. وكان الاتحاديون يعتقدون أن فرصة الحرب من الفرص التى قد لايجود الدهر بمثلها فعليهم أن يغتنموها للقضاء على دعاة القومية العربية، وللفتك بزعماء العرب وكبارهم فيخلوا لهم الجو بعد الحرب ويحكمون كما يشاءون من دون أن يخشوا إنتقاضاً أو مقاومة ويطبقون مايرونه صالحاً من الأنظمة، وقد كانوا يرمون إلى تتريك العرب وإدماجهم فى الجامعة الطورانية وحملهم على نسيان لغتهم وتقاليدهم.

وغادر فيصل دمشق فى النصف الأول من شهر مايو سنة ١٩١٦ قاصداً مكة بطريق المدينة للاجتماع بوالده وإطلاعه على رأى السوريين ووصف حالتهم

وإبلاغه ما يلاقونه من عنت وإرهاق، وما كان بغافل عما يجرى بل كانت المكاتبات مستمرة بينهما، وكان الترك يرجون أن يعود بسرعة على راس جيش من عرب الحجاز يشترك فى الحملة الثانية، وكانوا يعدونها للزحف على قناة السويس، ومعنى ذلك أنه كان يرمى إلى غرضين متناقضين من رحلته: غرض رسمى ظاهر وهو العودة يجند للاشتراك فى الحملة التركية، وغرض خفى مضمر وهو وصف حالة سورية لوالده وإبلاغه دعوة السوريين الموجه إليه لإعلان الثورة وإنقاذهم.

واجتمع فى المدينة المنورة بشقيقيه على وعبدالله، وقضى الثلاثة أياماً يبحثون الحالة ثم سافروا إلى مكة، وأعلنت الثورة العربية بعد سفرهم (٩ شعبان سنة ١٣٣٥هـ و ١٠يونيو سنة ١٩١٦) وغايتها إنقاذ الحجاز من المجاعة، وكانت تهدد سكانه بالفناء والانقراض بعدما ضرب الحلفاء الحصار على موانئه من أول الحرب ومنعوا دخول الحجاج، والحجاز واد غير ذى زرع يعول سكانه فى معايشهم وكسب قوتهم على مايربحونه من وفود الحجاج سنوياً. فإذا ما انقطعوا وقعوا فى ضيق وكرب، ولدفع الأذى والحيف عن السوريين وإنقاذ البقية الباقية من مفكريهم ورجالهم، ولإنشاء دولة عربية تكون ملجأ للعرب وملاذاً إذا دارت الدائرة على حكومة الآستانة وأنشب الحلفاء أظافرهم فيها. ولقد أدركت الغايتان الأولى والثانية. فجاءت وفود الحجاج إلى مكة ودارت حركة الأخذ والعطاء وانقشعت تلك الغمامة السوداء عن سماء الحجاز. كما أبدل الترك سياستهم فى سورية فاستدعوا جمال باشا إلى الآستانة وأطلقوا سرح المسجونين وأعادوا المنفيين والمبعدين.

ولم تدرك الغاية الثالثة كاملة وهى تحرير العرب وإنشاء دولة عربية كبيرة تضم شملهم وتحيى مفاخرهم وتحل محل دولة الترك فى الشرق وإنما أدرك بعضها، فنشأت دولة الحجاز وقامت دولة العراق ودولة اليمن ولايزال العرب يواصلون الكفاح والنضال فى كل مكان لإنشاء الإمبراطورية العربية الكبرى.

قيادة الجيش الشمالى - وجهز الحسين بعد إعلان الثورة واستسلام حاميات مكة والطائف وجده، وحامية المدينة هى التى قاومت ولم تستلم إلا بعد الهدنة - جيشاسيره إلى شمال الحجاز لمنازلة الترك، وعهد بقيادته إلى نجله فيصل فاشتبك فى أول الأمر بمعارك مع الترك فى سواحل الحجاز الشمالية وكادوا يتغلبون على جيشه فى معركة دار بجوار ينبع لولا ثباته واستبساله فى النزال.

ووسع بعد الاستيلاء على ينبع وتلك الأنحاء نطاق أعماله العسكرية متجهاً نحو الشمال فاجتاز الوجه ثم نزل العقبة وتقدم متئداً نحو معان فحاصرها وقاتل الترك قتالاً شديداً فى صحراء الشام وساقهم أمامه مجتازاً حوران حتى أبواب دمشق فدخلها منصوراً وسلمت إلى رجاله يوم ٣٠ سبتمبر ١٩١٨ فاستقبله أهلها استقبال المحرر المنقذ وأقاموا الزينات ابتهاجاً بوصوله، فانصرف إلى إنشاء دولته الجديدة فى ربوع الشام. وفى يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٨ غادر دمشق بطريق بيروت إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح وبسط قضية العرب على مسامع أقطاب الحلفاء فاستقبل استقبالاً ودياً فى عاصمة السين وبالغ الفرنسيس فى الحلفاوة به. وفى أواخر شهر ديسمبر من تلك السنة، دخل مؤتمر الصلح فى فرسايل وعرض مطالب العرب وهى :

الاعتراف لسورية بالاستقلال التام على أن تستعين بمستشارين أجانب تستخدمهم، وعلى أن تكون متصلة بحكومة الحجاز فى شؤونها الخارجية والاعتراف ببلاد العرب كلها وحدة إدارية جغرافية مستقلة برئاسة جلالة الحسين بن على. وتحقيق العهود المقطوعة للعرب بالحرية والاستقلال.

وعاد إلى سورية فبلغ بيروت يوم ٣٠ أبريل سنة ١٩١٩ فاستقبل استقبالاً شائقاً، وخطب خطباً كثيرة فى دمشق وبيروت ألهب بها الشعور الوطنى منادياً أن الاستقلال يؤخذ ولايعطى، وأن حرية الأمة بيدها.

ملكية سورية - وفى يوم ٨ مارس سنة ١٩٢٠ نادى به المؤتمر السورى ملكاً على سورية. وهذه خلاصة القرار الصادر بهذا الشأن :

«إن المؤتمر السورى الممثل لسورية بأقطارها الثلاث يعلن استقلال البلاد بحدودها الطبيعية استقلالاً لاشائبه فيه. على أن تراعى أمانة اللبنانيين الوطنية فى كيفية إدارة مقاطعتهم (لبنان) ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب بشرط أن يكون بمعزل عن كل تدخل أجنبى، ورفض الهجرة الصهيونية. وقد اختار سمو الأمير فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً على سورية بلقب صاحب الجلالة الملك فيصل الأول، وأعلن إنتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية فى المناطق الثلاث على أن تقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسئولة إزاء هذا المجلس فى كل ما يتعلق باستقلال البلاد الشامية إلى أن تتمكن الحكومة من جمع مجلسها النيابى على أن تدار هذه البلاد على طريق اللامركزية، وناط بالحكومات السورية التى تتألف استناداً على هذا الأساس تنفيذ قراره».

ونص فى هذا القرار أيضاً على إنشاء علاقات اقتصادية وسياسية وعسكرية مع الأقطار العربية المجاورة تمهيداً للوحدة العربية الكبرى. واتخذ السوريون هذا اليوم عيداً وطنياً يحتفلون بحلوله كل سنة فى دمشق والقاهرة والقدس.

إنذار فرنسوى - ولم يرق لولاة الأمور الفرنسويين فى بيروت هذا العمل وخافوا أن تفسد عليهم الدولة الجديدة خططهم فى سورية. فأرادوا أن يتخلصوا منها قبل أن تشب عن الطوق ويشتد ساعدها، وكانت تعمل لإنشاء جيش وطنى قوى وتعد المعدات للدفاع - فأرسل الجنرال غورو القائد العام للجيش الفرنسوى فى الشرق إنذاراً نهائياً إلى الملك فيصل يوم ١٤ يوليو سنة ١٩٢٠ هذه خلاصته :

١ - الغاء الخدمة العسكرية الإجبارية فى حكومة دمشق وتسريح الجيش الوطنى.

٢ ـ قبول انتداب فرنسا لسورية والاعتراف به عملاً بقرار مؤتمر سان ريمو.

٣ ـ قبول التعامل بالنقد السورى.

٤ ـ وضع سكة الحديد بين رياق ـ حلب تحت تصرف الجيش الفرنسوى للنقليات العسكرية إلى حدود تركيا ـ وكانت فى حرب مع الفرنسويين ـ واحتلال مدينة حلب.

٥ ـ معاقبة المجرمين من أعداء فرنسا

ودعى المؤتمر السورى للإجتماع وإبداء رأيه فى هذا الإنذار فأصدر باسم الشعب السورى القرار الآتى :

إن المؤتمر السورى الممثل للأمة السورية فى مناطقها الثلاث يعتبر قراره التاريخى بمواده الثلاث التى هى :

أولاً ـ الاستقلال التام والوحدة ورفض الهجرة الصهيونية.

ثانياً ـ ملكية جلالة الملك فيصل بن الحسين على الأساس النيابى الدستورى.

ثالثاً ـ بقاء المؤتمر منعقداً يراقب أعمال الحكومة المسئولة أمامه إلى أن يجتمع مجلس النواب بموجب القانون الأساسى، قراراً واحداً لايقبل التجزئه، وأن نقض شئ منه يعتبره المؤتمر نقضاً للقرار بحذافيره، وأن المؤتمر السورى لايعترف باسم الأمة السورية بأية معاهدة واتفاقية اوبرتوكول يتعلق بمصير البلاد مالم يصادق المؤتمر نفسه عليها.

ورأت الحكومة الوطنية فى دمشق ـ رغم صدور هذا القرار وحباً فى السلام ـ أن تتساهل فأبلغت القائد الفرنسوى العام فى بيروت (الجنرال غورو) قبولها بعض شروطه وطلبت فتح باب المفاوضة فى الشروط الأخرى ووقف زحف الجيش الفرنسوى فأبى عليها ذلك. فواصل الجيش الفرنسوى زحفه فدخل دمشق ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٠ بعد معركة دامية دارت فى ميسلون غربى دمشق ـ

وتبعد عنها ٢٨ كيلومتراً ـ بينه وبين المتطوعين السوريين وبقية الجيش السورى، وقد سرح قبل ذلك بيومين رغبة فى الاتفاق ـ واستشهد فى هذه المعركة المرحوم يوسف بك العظمة وزير حربية سورية. وزحفت فى الوقت نفسه جيوش الفرنسويين على حلب وحمص وحماه فاحتلتها وأخضعت سورية كلها لسلطانها. وكان أول ما عمله الفرنسويون بعد ذلك إلغاء الحكم الوطنى وتجزئه البلاد السورية إلى خمس دول هى : دولة دمشق ودولة لبنان ودولة حلب ودولة العلويين ودولة جبل الدروز.

سفره ـ وقصد الملك الكسوة(١) بعد معركة ميسيلون مع بعض خاصته وعاد بعضهم إلى دمشق فى الغداة فقابلوا ولاة الأمور الفرنسويين ثم عاد الملك فى المساء إلى قصره فأبلغ وجوب مغادرة سورية. فغادر دمشق صباح ٢٧ يوليو بقطار خاص إلى درعا (عاصمة لواء حوران) وكان لخروجه أسوأ وقع فى النفوس ولم يطل المقام بل قصد حيفا ومنها إلى بورسعيد ثم ركب البحر إلى إيطاليا فأقام فيها حتى دعى إلى زيارة لندرة فزارها وقابل رجالها وأقطابها وتم الاتفاق فى خلال تلك الزيارة على ترشيحه لعرش العراق مقابل شروط نذكرها فيما يلى :

ثم غادر لندن فجاء القاهرة ومنها سافر إلى الحجاز فدخل مكة لأول مرة بعد خروجه منها فى سنة ١٩١٦ على رأس الجيش الشمالى. وبعد ما أقام أياماً ركب باخرة خاصة أقلعت به إلى البصرة فبلغها يوم ٢٠ يونيو سنة ١٩٢١ فاستقبل استقبالاً رسمياً، ثم قصد بغداد فاحتفل به سكانها، وفى يوم ٢٣ أغسطس سنة ٩٢١ نودى به ملكاً للدولة العراقية الجديدة.

---

(١) واقعة فى ضاحية دمشق إلى الجنوب على طريق حوران والحجاز.

كيف يقضي يومه؟

يستيقظ جلالته من النوم عادة فى الساعة الخامسة صباحاً فيستحم ويتزين ويتناول فطوره ويتألف من شاى وزبد وجبن، ثم يغادر قصره الواقع على شاطئ دجله الغربى إلى البلاط الملكى فيصله فى الساعة السابعة قبل جميع الموظفين فيبدأ على الفور بدرس ملفات الأوراق والتقارير الرسمية التى ترفع إليه وينظر فيها بدقة وعناية. ثم يقرأ الصحف ويطلع على جميع ماتكتبه العربية منها، وخصوصاً صحف مصر، عن العراق وبلاد العرب، فلايكاد يفوته شئ منها، كما ترفع إليه قصاصات من الصحف الأوربية.

وجلالته ولوع بالألعاب الرياضية، وهو يلعب التنس كل يوم بعد الظهر ويقود فى أحيان كثيرة سيارته الخاصة ويسوقها بمعدل مائة كيلومتر فى الساعة. وهو الوحيد بين ملوك الشرق الذين يعولون على الطيارة فى أسفارهم وتنقلاتهم منذ الحرب العظمى.

ويكره المظاهر الرسمية، ولايميل إلى التقيد بها مفضلاً البساطة فى كل شئ. على أنهم أدخلوا أخيراً إلى بلاطه نظام البروتوكول المتبع فى قصور ملوك أوربا فصار نافذاً واجب الاتباع.

ويبدأ من الساعة العاشرة فى استقبال زائريه ويدخلهم رئيس التشريفات عليه ويكون واقفاً فيأمرهم بالجلوس إلى جانب مكتبه، وهو الذى يبدأ الحديث ويختمه، وذلك بأن ينظر فى ساعته فيدرك الجليس أن الحديث انتهى فيستأذن ويخرج. وقد خصص يومين لاستقبال الزوار على اختلاف الطبقات. أما فى غير هذين اليومين فلابد من الاستئذان وتحديد الموعد. ويدخل عليه الوزراء ورجال الدولة كل يوم وفى أى وقت كان فيطلعونه على شؤون البلاد، ولايتم شئ دون موافقته ورأيه.

ويتغدى فى الساعة الواحدة والنصف فى قصر الحارثية «وهو قصر أنشأه حديثاً فى داخل مزرعة تسمى بهذا الاسم» قرب بغداد لتكون نموذجاً للزراعة الحديثة، ويقصدها بلا انقطاع ويمضى فيها أوقات العطلة (١). وطعامه بسيط وهو يسير على نظام صحى منذ سنة ١٩٢٢ فقد أجريت له فى تلك السنة عملية الزائدة الدودية أمسك بعدها عن تناول المغلظات. ويدخن قليلاً.

ويغادر قصر الحارثية فى الساعة السابعة مساء إلى قصر أخيه الملك على فيتعشى عنده عشاء خفيفاً، وفى الساعة التاسعة والنصف يصل إلى قصره الخاص فإذا كان متعبا نام حالاً، وإذا كان مرتاحاً لعب بالنرد (الطولة) وأحياناً ينظر فى ملفات الأوراق المعروضة عليه فيعلق على كل منها بما يبدوله. ويأخذ بعضها لديه ريثما يحقق عن شبهات لاحت له. وفى الصباح يستدعى الموظف المختص فيسأله ويناقشه ثم يتخذ قراراً حاسماً.

ويحيط جلالته بالصغيرة والكبيرة من شؤون الدولة والبلاد فلايفوته شئ منها. ولايتم مشروع ولايوضع قانون إلا إذا وافق عليه مقدماً وأشار بوضعه.

ملابسه : اعتاذ مذكان شاباً فى الحجاز والآستانة على لبس الجبة السوداء ووضع (الألفية) «هى لباس الرأس فى الحجاز» وفوقها العمامة. ولايزال هذا لباس الأشراف الحجازيين الرسمى، وقد يبدلون الجبة بالعباءة والألفية بالعقال المقصب والكوفية وهذا لباس الأسفار والغزوات.

وقد بدأ جلالته منذ دخوله سورية سنة ١٩١٨ بلبس الملابس الأفرنجية يضع فوقها العباءة ويعتمر بالكوفية والعقال. ثم استحدثوا يومئذ غطاء للرأس سموه الفيصلية، ثم استبدلوه أخيراً بالسدارة العراقية وهى لباس جلالته وعنه أخذه الناس، وقد شاع لبسها فى العراق بلا عناء كما شاع فى الشام وشرقى الأردن.

---

(١) قرانا أخيرا أن جلالته امر بإنشاء مدرسة ابتدائية فى المزرعة الملكية بخانقين على حساب جلالته لتعليم أبناء القرويين العلوم.

ويلبس فى التشريفات الرسمية حلة مشير (مارشال) فى الجيش العراقى وقد وضعت هذه الحلة بمناسبة زيارته للملك الإنكليز فى شهر يونيو سنة ١٩٣٣ ويفضل اللون الأبيض فى الصيف ويختار الألوان القاتمة فى الشتاء مع مراعاة البساطة التامة.

أوصافه : هو طويل القامة منتصبها حنطى اللون، أشهل العينين براقهما، جذاب الملامح، طويل الوجه، ذو لحية صغيرة وخطها الشيب.

أخلاقه : يغلب عليه التواضع وتزينه المهابة والوقار، وقد امتاز بالرزانة منذ صغره والابتعاد عن السفاسف، والنفور من الذل والترفع عن الصغائر، وهو جم النشاط، واسع الصدر، يفضل اللين على الشدة ويحرص على إستمالة خصومة ويأبى أخذهم بالقسوة، ويميل إلى الصبر والروية فى جميع أموره. ميال إلى الديمقراطية ومغرق فيها.

وهو كثير البر بأهله وذويه ولايزال يعامل شقيقة الملك على ضيفه اليوم فى العراق نفس المعاملة التى كان يعامله بها حينما كانا فى الحجاز فلايتقدم عليه. ولمازار المرحوم والده فى قبرص سنة ١٩٢٧ جلس متأدباً بين يديه كما كان يجلس وهو فتى. وبمثل هذا يعامل أيضاً شيوخ أسرته وكبارهم فهو يرعاهم ويبرهم، وقد خصص للمحتاجين منهم الرواتب الكافية.

ولجلالته جاذبية مغناطيسية شديدة وهو يخلب لب محدثة بلينه وتواضعه وإقباله عليه وقد شبهه بعض كتاب الفرنجة بالسيد المسيح.

علومه : لم يدخل مدارس عالية بل درس على المنوال الذى بسطناه آنفاً. على أنه شعر بعد فتح الشام وسفره إلى أوربا بشده الحاجة إلى إتقان لغة أجنبية فانكب على دراسة اللغة الفرنسوية فضرب فيها بسهم وافر، وهو يحادث فيها بطلاقة ومن دون حاجة إلى ترجمان، وكذلك انصرف إلى دراسة اللغة الإنكليزية فى بغداد فتقدم تقدماً يذكر، ولجلالته ميل خاص إلى دراسة التاريخ. وخصوصاً

تاريخ العرب، وقد ظهر هذا الميل عليه منذ نشأته الأولى فكان يقتنى كتب التاريخ ويطالعها بدقة وعناية. كما أولع من صغره بمطالعة الصحف عربية وتركية فكان يجمعها ويقرأ منها كل ما يصل إلى يده سواء فى أم القرى أم فى الآستانة.

خطبه : هو خطيب من الطراز الأول يعرف كيف يؤثر فى الجماهير ويستفزها، ولما دخل دمشق فاتحا فى سنة ١٩١٨ أقيمت له حفلات عديدة فكان يرتجل فى كل حفلة من هذه الحفلات خطبة فياضة الشعور تضرم الحماسة فى الصدور. وتعد خطبه فى سورية بالعشرات وتناول شتى الأغراض ومختلفها، ونحن نورد فقرات من بعضها :

جاء فى خطبة له فى بيروت يوم عاد من أوربا للمرة الأولى فى سنة ١٩١٩ «الاستقلال يؤخذ ولايعطى. حرية الأمة بيدها. لنسع متحدين فنحيا حياة عزيزة. الاستقلال التام فى الاتحاد التام. نحن عرب قبل أن نكون مسلمين. كان محمد عربياً قبل أن يكون نبياً».

وقال من خطبة له فى دمشق يوم ٢٢ يناير سنة ١٩٢٠ فى دار النادى العربى: «أنا والله لاتخيفنى قوة الحكومة ولاقوة الجمعيات، وإنما أخاف التاريخ والمستقبل، وأن يقال إن فلاناً عمل عملاً لايليق بآبائه وأجداده، أنا عامل بما هدانى الله إليه لاستقلال بلادى وإرجاع مجدنا الغابر».

«لنا سنة ونصف ونحن نقول، كفانا خطباً، كفانا قولاً، نحن فى أيام العمل لافى أيام القول».

وخطب يوم ٦ مارس سنة ١٩٢٠ أعضاء المؤتمر السورى حين افتتاحه فقال: «لانطلب من أوربا أن تمنحنا ماليس لنا به حق بل نطلب منها أن تصدق على حقنا الصريح الذى اعترفت لنا به كأمة حية تريد حياة حرة واستقلالاً تاماً».

وخطب جمهوراً كبيراً زاروا قصره يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٢٠ فقال : «إن كلمة الانتداب لاحد لها ولامعنى تحدد به، وقد رفضت الأمة الانتداب رفضاً باتاً

ولايقبله أحد يريد الحياه وقبوله عار لايمحى. ومن أخترتموه ملكاً أو رئيساً لايقبل ما رفضتموه» :

وخطبه عديدة كثيرة فى العراق، وهو يرسل الكلام إرسالاً غير متأنق ولامتكلف.

أراؤه ـ لجلالته أراء اجتماعية قيمة فى المرأة والمنزل والتربية تدل على طول باعه فى هذه الشؤون، فقد خطب وفد المعلمين مرة فقال: «لو لم أكن ملكاً لما كانت إلا معلماً» وقال مرة أخرى حينما سئل عن رأيه فى تعليم المرأة «لاتنشد المرأة السعادة إذا عملت خارج البيت بل تنشد المعيشة».

ومن رأيه أنه كلما ازدادت المرأة ثقافة وعلماً ازدادت قدرة على إسعاد الرجل.

قال : «وليس فى العراق الآن محاميات أو صاحبات مهن أخرى فنحن لانريد المرأة لذلك، وإنما نريدها لواجبات أعظم من الحقوق والاقتصاد. نريدها للعمل فى الميدان النسوى وفى التعليم وتدبير المنزل والتمريض وشؤون الصحة وبقية الأمور البيتية الضرورية».

وقال مرة أخرى : «ونحن نعنى فى العراق بشؤون التعليم والصحة فى القرى عنايتنا بهما فى المدن فلاتكون المدن نظيفة ومتقدمة والقرى قذرة مهملة».

وقال : عن المحسوبية إنها داء الشرق العضال وإنه ينوى أن يحاربها بإنشاء مدرسة للموظفين تدرب الشبان على الأعمال الحكومية فلا يعين فى المستقبل موظف إلا إذا كان من خريجى هذه المدرسة، فلايستطيع صاحب نفوذ أن يوزع محاسيبه على دور الحكومة كيفما يشاء.

ميله إلى العلم : له ميل عظيم إلى العلم وولع زائد بنشره لاعتقاده أن نجاح العرب لايتم إلا بالعلم، ولذلك لم يكد يستقر به المقام فى دمشق حتى أنشأ مدرسة للحقوق وأخرى للطب وثالثة للحربية ورابعة للزراعة فى سلمية

(سورية) وكانت المعدات تعد لإنشاء مدرسة عالية للهندسة حينما غادرها، كما أنشأ مدرسة عالية لتدريس العلوم الدينية واللغة العربية (مدرسة الشميصاتية) وذلك كله فى خلال سنة ونصف بقطع النظر عن مساعدة الأندية العديدة والصحف، وقد سار فى العراق على نفس هذه الخطة كما سيأتى.

راتبه : يبلغ راتبه السنوى ٥٢ ألف دينار أرصد جزءاً كبيراً منه لنشر العلم فى بلاده ومساعدة دوره والمشتغلين فيه. وكذلك فقد خصص راتباً مناسباً لشقيقه الملك على وشقيقاته وأبناء وبنات أعمامه من ساكنى العراق ومصر. ولايخفى أنهم أضطروا إلى الجلاء عن بلادهم أبان الاحتلال السعودى فجاءوا بغداد ونزلوا فيها على الرحب والسعة، وهو يعاملهم كما كان يعاملهم فى الحجاز ويواسيهم ويعطف عليهم ويقول إنه لن ينساهم.

وقد أدى استملاكه أراضى الحارثية وجعلها حقل تجارب، ومزرعة خانقين إلى نفاد راتبه فاستدان، ويقولون أنه مديون بمبلغ كبير يرجو وفاءه فى المستقبل حينما تتحسن حالة زراعته.

ومن أظهر مزاياه الجود والكرم، وحسبك أنه أنفق جميع ما دخل عليه من أموال إبان الثورة العربية حين قيادته الجيش الشمالى وحين رياسته دولة سورية وتقدر بملايين من الجنيهات ولم يدخر منها شيئاً. ولما غادر دمشق فى شهر يوليو سنة ١٩٢٠ مضطراً لم يكن يملك من المال ما يكفيه للسفر إلى أوربا فارسل إلى والده فحول له ١٥٠٠جنيه تسلمها فى بورسعيد وهو مسافر إلى إيطاليا.

رحلاته : هو كثير الحركة محب للأسفار والانتقال لايكاد يعود من سفر حتى يستعد لآخر. وقد زار أوربا فى خلال هذه السنوات بضع مرات : فزارها للمرة الأولى فى سنة ١٩١٨ ثم فى سنة ١٩١٩ و ١٩٢٠ و ١٩٢٥ و ١٩٢٧ و ١٩٢٩ و ١٩٣١ و ١٩٣٣ وزار أنقرة وحل ضيفاً على الغازى مصطفى كمال باشا

فى سنة ١٩٣١ وزار طهران وحل ضيفاً على الشاه رضا خان بهلوى فى سنة ١٩٣٢ ورحلاته إلى شرقى الأردن وفلسطين ومصر عديدة. وتراه فى العراق ينتقل بلا انقطاع من بلد إلى بلد باحثاً منقباً ودارساً متطلعاً.

ويغتنم فرصه هذه الرحلات والزيارات إلى أوربا فيجتمع إلى أقطابها وعظمائها ومفكريها عاملاً على حل المشاكل الخاصة ببلاده وساعياً للأخذ بالأصلح والأنفع من العادات الأوربية لتطبيقها ودراسة النظم الاجتماعية. وهو معجب بما فى المدينة من محاسن ومزايا، ويرى أنه لانجاح للعرب إلا إذا أقتبسوا النافع والمفيد منها وعملوا على الاقتداء بالأوربيين فى نهضتهم.

وقد نمت المعارف فى عهده نمواً محسوساً وتقدمت تقدماً يذكر: فانشئت المدارس والكليات وأرسلت البعثات العلمية الكثيرة إلى بيروت ودمشق ومصر وأوربا، ولايقل عدد الشبان العراقيين الذين يطلبون العلم فى الغربة اليوم عن ٣٠٠طالب، ويزداد عددهم سنوياً.

وفى بغداد اليوم كلية للطب وأخرى للحقوق وثالثة للعلوم العسكرية. ويعمل جلالته على نشر التعليم الأولى.

زواجة وأنجاله ـ اقترن وهو فى الآستانة بابنه عمه الشريفة حزيمة كريمة عمه الشريف ناصر باشا، وكانت فى مكة فارسلت إلى فروق وهنالك بنى بها. وقد ولدت له الأمير غازى وهو بكره وولى عهده والذكر الوحيد من ذريته، وثلاث بنات: عزه، ورحمة، ورفيعة.

ولم يقترن جلالته بغيرها.

ثمن رأس فيصل ـ وقبل أن نختم هذا الفصل لابد لنا من الإشارة إلى البلاغ الذى نشرته قيادة الجيش التركى فى سورية إبان الحرب العظمى، فقد وضعت مكافأة قدرها أربعة آلاف ليره عثمانية ذهباً لكل من يأتيها برأسه مع ضمان راتب كاف لأسرته.

تمهيد

ظل العراق حتى إعلان الحرب العظمى جزءاً متمماً للسلطنة العثمانية تحكمه حكماً مباشراً، وترسل إليه الولاة والحكام فيعيثون فساداً فى أرضه ودياره، ويمضون فى ظلم أبنائه وإرهاقهم وفى ابتزاز الأموال وسلبها.

وهبت على العراق كما هبت على الأقطار العربية بعد إعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ نفحة أيقظت سكانه وبعثت فيهم روحاً جديدة فنهضوا يعملون على نشر ما انطرى من مفاخرهم وإحياء قوميتهم ومجدهم.

وأعلنت الحرب العظمى فى سنة ١٩١٤ وخاض الترك غمرتها مع الخائضين وانضموا إلى جانب ألمانيا وحلفائها مجازفين بمستقبل بلادهم وإمبراطوريتهم فاغتنم الإنكليز الفرصة ـ وللإنكليز مطامع قديمة فى العراق نشأت من مجاورته للهند، ولما فيه من كنوز ثمينة مدفونه فى تربته ووفره زيته وجودة أرضه وخطوره مركزه الجغرافى، ووقوعه فى نقطة متوسطة بين وسط آسيا وغربها ـ وسير الإنكليز الجيوش على العراق غداة دخول تركيا الحرب فى جانب الألمان فاحتلوا البصرة بدون مقاومة تذكر وأنزلوا فيها جنودهم بحماية أسطولهم، وصدمهم الترك والعرب العراقيون صدمة شديدة حينما تقدموا وقاتلوهم قتال الأبطال فزلزلوا زلزالاً شديداً، وحوصرت جيوشهم فى كوت الإمارة ولم يوفقوا إلى إنقاذها ـ على ما بذلوه من جهود ـ فاضطرت إلى الاستسلام مع قائدها فأرسله الترك إلى الآستانة حيث ظل أسيراً إلى ما بعد الحرب.

وأدرك الإنكليز أنه لاسبيل لهم إلى الفوز إلا باستمالة العرب وفصلهم عن الترك فأذاعوا فى طول البلاد وعرضها أنهم ماجاءوا فاتحين ولامستعمرين بل جاءوا منقذين ومحررين، وأنهم إنما يحاربون باسم حليفهم وصديقهم شريف مكة، فأقبل الناس عليهم وانقادوا إليهم. وننشر هنا نص بلاغ أذاعه الجنرال مود

القائد العام للجيش الإنكليزى على أثر دخوله بغداد يوم ٩ مارس سنة١٩١٧ قال:

إلى سكان ولاية بغداد

هذا بلاغى إليكم : باسم مليكى والشعوب التى يحكمها :

إن الغرض من حركاتنا العسكرية أن نظهر على العدو فنجليه عن هذه الأرض، ومن أجل ذلك فوض إلىّ أمر مراقبة الجيوش البريطانية التى تحارب فى هذه المناطق مراقبة مطلقة عليا، ولايحسبن أحدكم أن جيوشنا تدخل مدنكم وبقاعكم دخلة الفاتح أو العدو، ولكن دخلة المحرر.

لقد أصبحت مدينتكم بغداد من يوم (هولاكو) هدفاً لمظالم الأغيار فتساقطت قصوركم خرائب، وتصوحت رياضكم، ورزح أباؤكم كما رزحتم أنتم تحت نير العبودية، واستيق أبناؤكم إلى مواطن القتال فى حروب لاعلاقة لكم بها، وابتز أموالكم قوم غاشمون ليبذروها فى بلاد غير بلادكم.

لقد بدأ الترك يتحدثون بالإصلاح منذ أيام (مدحت) ولكن هذه البلاد الخراب القفاز شاهد على بطلان تلك الوعود، فأمنية مولاى الملك وشعو به جميعاً وأمنية حلفائنا العظام أيضاً أن ترجع بلادكم سيرتها الأولى يوم كانت مثلاً شروداً بخصبها وإذ كان أجدادكم يلقون على العالم كله دروساً فى الآداب والعلوم والفنون ويوم كانت بغداد (مدينتكم هذه) إحدى عجائب الزمان.،

أن بين شعوبكم وبين ممالك مولاى الملك صلات من المنافع مستحكمة، ولقد كانت متبادلة خلال مائتى سنة بين تجار بغداد وتجار بريطانيا العظمى، وكان الأمر على خير مايكون من الصداقة ـ ذلك على حين كان الألمان والأتراك يبتزون خيراتكم ولم يقف بهم الأمر عند هذا الحد بل جعلوا بغداد منذ عشرين سنة محتشداً يجمعون فيه جنودهم ليوقعوا بإنكلترا وحلفائها فى العجم وبلاد العرب، وهذا ما حمل إنكلترا على أن لاتعتزل مايجرى فى بلادكم من الحوادث فى يومنا هذا وفى المستقبل لأنها ترى فرضاً عليها أن تدافع عن مصالح شعبها

وأحلافها وأن لاتترك للترك والألمان فى بغداد مجالاً يجددون فيه فى مستقبل الأيام ما كان منهم أيام الحرب.

يا أهالى بغداد: إن الحكومة البريطانية جاعلة نصب عينيها أن تسعدكم فى تجارتكم وأن تؤمنكم فى سربكم بحيث لاتنالكم مظلمة ولاترقى إليكم همة الفتح، ولامطمع لهذه الحكومة فى أن تنزلكم على حكم أجنبى بل غرضها أن تحقق متمنيات فلاسفتكم وكتبتكم فيسرتجع البغداديون سابق تراثهم ويتمتعون بباسق ثرائهم ويكون لكم من الأنظمة ما يوافق روح شرائعكم ومنية عنصركم الكريم. إلى أن قال :

(إن غاية إنكلترا وحلفائها أن لاتذهب دماء هؤلاء العرب وجهادهم باطلاً. بل إن الحلفاء كافة يتمنون للعنصر العربى أن يستعيد ما كان من المجد والشهرة بين أمم الأرض. وهو ولاريب منضم من أجل هذه الغاية إلى دول التحالف.

ولايذهبن عن بالكم يا أهل بغداد ما كان من مظالم الغرباء فيكم خلال ستة وعشرين بطناً فضيتموها بالإرهاق والتحريش بين بيوتاتكم حتى إذا انشق بعضكم على بعض وذهبت ريحكم نال الترك منكم ما يريدون ـ تلك سياسة سافلة تمقتها إنكلترا وحلفاؤها كل المقت لأنه لايمكن أن يكون سلام ولا فلاح حيث تكون الشحناء وتصول الحكومة الغاشمة، وإنى موكل بأن أدعوكم بواسطة زعمائكم وكبرائكم ومن ينوب عنكم إلى مشاركة معتمدى بريطانيا السياسيين الذين يرافقون الجيش فى إدارة أموركم المدنية بحيث تتحدثون وإخوانكم فى الشمال والشرق والجنوب والغرب فتحققون تلك الأمانى التى تحوك فى صدر عنصركم) انتهى.

واستأنف الإنكليز الزحف نحو الشمال قاصدين الموصل بعدما وطدوا أقدامهم فى بغداد فبلغوا شرقاط عند عقد الهدنة وهى تبعد نحو ١٣٥ كيلو متراً عن الحدباء.

ولما كانت معاهدة الهدنة التى عقدها الأميرال كالتورب الإنكليزى مع الترك فى موندروس يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ تخول الحلفاء حق احتلال أى بلد من بلدان الإمبراطورية العثمانية دخل الجيش الإنكليزى الموصل سلماً وحط فيها الرحال بلا صعوبة وعناء.

الثورة العراقية

ونسى الإنكليز عهودهم للعرب حينما استتب لهم الأمر ودانت لهم البلاد فأنشأوا نظام حكم شاذ يقضى بإلحاق العراق بحكومة الهند يستمد منها النفوذ والسلطان. ومعنى ذلك أن يكون مستعمرة لمستعمرة. فكبر ذلك على العراقيين الذين قاتلوا فى جانب الإنكليز وأيدوهم وناصروهم رجاء الحصول على استقلالهم التام لا لتكون بلادهم مستعمرة للهند.

ونشطت الجمعيات الوطنية فى العراق للعمل، وأخذ الضباط العراقيون الذين كانوا فى دمشق وهم ممن اشترك فى الثورة العربية وقاتل الترك فى سبيل استقلال بلاد العرب يعدون المعدات سراً لإضرام نار ثورة تحمل الإنكليز على تغيير سياستهم وتبديل خططهم وتبعثهم على إنصاف العراق والتسليم بحقوقه.

وبدأت الثورة العراقية يوم ٣٠ يونيو (حزيران) سنة ١٩٢٠ أى قبل معركة ميسيلون بخمسة وعشرين يوماً. فأطلقت الرصاصة الأولى فى الرميثة على الفرات، وما لبثت أن اتسع نطاقها فعمت جميع أجزاء البلاد ودارت معارك شديدة بين الثوار والجيش الإنكليزى أبلى فيها هؤلاء بلاء حسناً، وشعر الإنكليز بقوة العراقيين وصدق أيمانهم فقامت صحف لندن وفى مقدمتها جريدة التيمس تطالب الحكومة بالجلاء عن العراق وإنصاف العراقيين، وتقول: إنه ليس من

الحزم الإيغال فى العداء وأنه وقد كان العراق مقبرة للإمبراطوريات فى القديم فلا نريد أن يكون مقبرة للإمبراطورية البريطانية فى الحديث.

وبعد كفاح ونضال امتد نحو خمسة أشهر تم للبريطانيين إخماد الثورة وإنقاذ حامياتهم المحصورة بما استقدموه من نجدات عظيمة قطعت الماء عن بعض المدن فاضطرت إلى الاستسلام عطشاً. ويقول كاتب إنكليزى إن العرب خسروا فى تلك الحوادث ٨٤٥٠ قتيلاً وجريحاً وأن خسائر الإنكليز أقل من ذلك.

وأدرك ولاة الأمور البريطانيون أنه ليس من سداد الرأى التمسك بالنظام القديم، وان الأفضل هو التفاهم مع العرب والتسليم بمطالبهم. وجاء المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية يومئذ إلى الشرق فنزل القاهرة فى شهر مارس سنة ١٩٢١ وفيها استقبل وفداً من رجال العراق مع كبار الموظفين الإنكليز هنالك، وبعد البحث والدرس تم الاتفاق على إنشاء حكومة عربية وطنية برئاسة جلالة الملك فيصل.

ولما عاد المستر تشرشل إلى لندن وجه دعوة إلى جلالة الملك فيصل وكان فى إيطاليا فوافاه. فاجتمعا فعرض الوزير على الملك عرش العراق فاشترط لقبوله الشرطين الآتيين :

١ ـ أن تعترف الحكومة الإنكليزية باستقلال العراق وأن تساعد العراقيين على إنشاء حكومة وطنية مستقلة ذات سيادة.

٢ ـ أن يلغى الانتداب عن العراق. وكان مفروضاً عليه بقرار مؤتمر الحلفاء فى سان ريمو.

فقبل المستر تشرشل هذين الشرطين باسم الحكومة البريطانية وتعهد بتنفيذهما. وعلى أثر ذلك غادر الملك لندن فمر بمصر ومكة ومنها قصد البصرة فبلغها فى أواخر شهر يونيو.

وفى يوم ١١ يوليو سنة ١٩٢١ قرر مجلس الشورى العراقى تقديم عرش العراق إلى جلالته فقبله ثم جرى استفتاء الأمة فنال ٩٦ فى المائة من مجموع أصواتها فنودى به يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢١ ملكاً على العراق.

أول وزارة عراقية

وفى اليوم التالى تألفت أول وزارة عراقية برياسة المرحوم السيد عبدالرحمن الجيلانى نقيب أشراف بغداد. فبدأت بمفاوضة المندوب السامى لعقد معاهدة تحدد العلاقات بين إنكلترا والعراق.

وأصر الإنكليز فى خلال المفاوضات على وجوب اعتراف العراق بالانتداب خلافاً لما تعهد به المستر تشرشل للملك.

أول معاهدة بين بريطانيا والعراق

وفى يوم ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ وقع على أول معاهدة ومدتها عشرون سنة وهى :

جلالة ملك بريطانيا من الجهة الواحدة

وجلالة ملك العراق من جهة أخرى

بما أن جلالة ملك بريطانيا قد اعترف بفيصل بن الحسين ملكاً دستورياً على العراق. وبما أن جلالة ملك العراق يرى من مصلحة العراق ومما يؤول إلى تأمين سرعة تقدمه أن يعقد مع جلالة ملك بريطانيا معاهدة على أسس التحالف. وبما

أن جلالة ملك بريطانيا قد اقتنع بأن العلاقات بينه وبين جلالة ملك العراق يمكن تحديدها بأحسن وجه وهو عقد معاهدة تحالفيه كهذه تفضيلاً لها على أية وسيلة أخرى. فبناء على ذلك قد عين المتعاقدان الساميان وكيلين لهما مفوضين لأجل القيام بهذا الغرض وهما: من قبل جلالة ملك المملكة المتحدة البريطانية العظمى وايرلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند السربرسى زكريا كوكس المعتمد السامى والقنصل الجنرال لجلالة ملك بريطانيا فى العراق، ومن قبل جلالة ملك العراق صاحب السماحة والفخامة السر السيد عبدالرحمن أفندى رئيس الوزراء ونقيب أشراف بغداد اللذان بعد أن أطلع كل منهما على أوراق اعتماد الآخر ووجداها طبقاً للأصول الصحيحة المرعية قد أتفقا على ما يأتى :

المادة الأولى - بناء على طلب جلالة ملك العراق يتعهد جلالة ملك بريطانيا بأن يقوم - فى أثناء مدة المعاهدة مع التزام نصوصها - بما يقتضى لدولة العراق من المشورة والمساعدة بدون أن يمس ذلك بسياستها الوطنية.

المادة الثانية - يتعهد جلالة ملك العراق بأن لايعين مدة هذه المعاهدة موظفاً أجنبياً ما من تابعية غير عراقة فى الوظائف التى تقتضى إرادة ملكية بدون موافقة جلالة ملك بريطانيا، وستعقد أتفاقية منفردة لضبط عدد الموظفين البريطانيين وشروط استخدامهم على هذا الوجه فى الحكومة العراقية.

المادة الثالثة - يوافق جلالة ملك العراق على أن ينظم قانوناً أساسياً ليعرض على المجلس التأسيسى العراقى، ويكفل تنفيذ هذا القانون الذى يجب أن لايحتوى على ما يخالف نصوص هذه المعاهدة، وأن يؤخذ بعين الاعتبار حقوق ورغائب ومصالح جميع السكان القاطنين فى العراق، ويكفل للجميع حرية الوجدان التامة وحرية ممارسة جميع اشكال العبادة بشرط أن لاتكون مخله بالآداب والنظام العموميين، وكذلك يكفل أن لايكون أدنى تمييز بين سكان العراق لسبب قومية أو دين أو لغة، ويؤمن لجميع الطوائف عدم نكران أو مساس حقها بالاحتفاظ بمدارسها لتعلم أعضاءها بلغاتها الخاصة. على أن يكون ذلك

موافقاً لمقتضيات التعليم العامة التى تفرضها حكومة العراق، ويجب أن يعين هذا القانون الأساسى الأصول الدستورية، تشريعية كانت أو تنفيذية التى ستتبع فى اتخاذ القرارات فى جميع الشؤون المهمة بما فيها الشؤون المرتبطة بمسائل الخطط المالية والنقدية والعسكرية.

المادة الرابعة - يوافق جلالة ملك العراق (وذلك من غير مساس بالمادة ١٧ و ١٨ من هذه المعاهدة) على أن يستدل بما يقدمه جلالة ملك بريطانيا من المشورة بواسطة المعتمد السامى فى جميع الشؤون المهمة التى تمس بتعهدات ومصالح جلالة ملك بريطانيا الدولية والمالية، وذلك طول مدة هذه المعاهدة، ويستشير جلالة ملك العراق المعتمد السامى الاستشارات التامة فى ما يؤدى إلى سياسة مالية ونقدية وسياسية، ويؤمن ثبات وحسن انتظام مالية حكومة العراق مادامت تلك الحكومة مدينة لحكومة جلالة ملك بريطانيا.

المادة الخامسة - لجلالة ملك العراق حق التمثيل السياسى فى لندن وغيرها من العواصم والأماكن الأخرى مما يتم عليه الاتفاق بين الفريقين الساميين المتعاقدين. وفى الأماكن التى لاممثل فيها لجلالة ملك العراق يوافق جلالة ملك العراق على أن يعهد إلى جلالة ملك بريطانيا بحماية الرعايا العراقيين فيها.

المادة السادسة - يتعهد جلالة ملك بريطانيا بأن يسعى بإدخال العراق فى عضوية جمعية الأمم فى أقرب ما يمكن.

المادة السابعة - يتعهد جلالة ملك بريطانيا بأن يقدم من الإمداد والمساعدة لقوات جلالة ملك العراق المسلحة ما يتفق عليه من وقت إلى آخر الفريقان المتعاقدان الساميان، ويعقد بينهما اتفاق منفرد لتعيين مقدار هذا الإمداد وهذه المساعدة وشروطها، ويبلغ هذا الاتفاق إلى مجلس جمعية الأمم.

المادة الثامنة - لايتنازل عن أراض مافى العراق ولاتؤجر إلى أية دولة أجنبية وأن توضع تحت سلطتها بأية طريقة كانت. إلا أن هذا لايمنع جلالة ملك العراق

من أن يتخذ مايلزم من التدابير لإقامة الممثلين السياسيين الأجنبيين ولأجل القيام بمقتضى المادة السابعة.

المادة التاسعة - يتعهد جلالة ملك العراق بقبول الخطة الملائمة التى يشير بها جلالة ملك بريطانيا، ويكفل تنفيذها فى أمور العدلية لتأمين مصالح الأجانب بسبب عدم تطبيق الامتيازات والبيانات التى كان يتمتع بها هؤلاء بموجب الامتيازات الأجنبية، ويجب أن توضع نصوص هذه الخطة باتفاقية منفردة وتبلغ إلى مجلس جمعية الأمم.

المادة العاشرة - يوافق الفريقان الساميان المتعاقدان على عقد اتفاقات منفردة لتأمين تنفيذ المعاهدات والاتفاقات أو التعهدات التى قد تعهد جلالة ملك بريطانيا بأن تكون نافذة فى مايتعلق بالعراق، وجلالة ملك العراق يتعهد بأن يهيئ المواد التشريعية اللازمة لتنفيذها، وتبلغ هذه الاتفاقات إلى مجلس جمعية الأمم.

المادة الحادية عشرة - يجب أن لاتكون ميزة ما فى العراق للرعايا البريطانيين أو لغيرهم من رعايا الدول الأجنبية الأخرى على رعايا أية دولة هى عضو فى جمعية الأمم أو رعايا أية دولة مما قد وافق جلالة ملك بريطانيا بموجب معاهدة على أن يضمن لها عين الحقوق التى تتمتع بها فيما لو كانت من ضمن أعضاء المذكرة (وتشمل كلمة رعايا الدولة الشركات المؤلفة بموجب قوانين تلك الدولة) فى الأمور المتعلقة بالضرائب والتجارة والملاحة أو ممارسة الصنائع والمهن أو معاملة السفن التجارية الهوائية الملكية، وكذلك يجب أن لا تكون ميزة مافى العراق لدولة ما من الدول المذكورة على الأخرى فيما يتعلق بمعاملة البضائع الصادرة منها والواردة إليها، ويجب أن تطلق حرية مرور البضائع وسط أراضى العراق بشروط عادلة.

المادة الثانية عشرة - لاتتخذ وسيلة مافى العراق لمنع أعمال التبشير أو المداخلة فيها أو التمييز بتبشير على غيره لسبب الاعتقاد الدينى أو الجنسية. على أن لاتخل الأعمال بالنظام العام وحسن إدارة الحكومة.

المادة الثالثة عشرة - يتعهد جلالة ملك العراق بأن يساعد بقدر ماتسمح له الأحوال الاجتماعية والدينية وغيرها على تنفيذ كل خطة عامة تتخذها جمعية الأمم لمنع الأمراض ومقاومتها ويدخل فى ذلك أمراض النبات والحيوان.

المادة الرابعة عشرة - يتعهد جلالة ملك العراق بأن يسن فى خلال ١٢ شهراً من تاريخ العمل بهذه المعاهدة نظاماً للآثار القديمة ويكفل تنفيذه، ويكون هذا النظام مؤسساً على محتويات المادة (٤٢١) من الفصل الثالث عشر من معاهدة الصلح مع تركيا. فيقوم مقام النظام العثمانى السابق للآثار القديمة، ويضمن المساواة بين رعايا جميع الدول من أعضاء جميع الأمم فى مسائل تحرى الآثار القديمة.

المادة الخامسة عشرة - يعقد اتفاق منفرد لتسوية العلاقات المالية بين الفريقين المتعاقدين الساميين ينص فيه من جهة على تسليم حكومة جلالة ملك بريطانيا إلى حكومة العراق مايتفق عليه من المرافق العمومية، وعلى تقديم حكومة جلالة ملك بريطانيا مساعدة مالية حسب ما تقتضيه الحاجة فى العراق من وقت لآخر. وينص فيه من جهة أخرى على تصفية حكومة العراق تدريجاً جميع الديون المتكبدة فى هذا السبيل، ويبلغ هذا الاتفاق إلى مجلس جمعية الأمم.

المادة السادسة عشرة - يتعهد جلالة ملك بريطانيا على قدر ما تسمح له التعهدات الدولية بأن لايضع عقبة فى سبيل ارتباط دولة العراق لمقاصد جمركية أو غيرها مع من يرغب فى ذلك من الدول العربية المجاورة.

المادة السابعة عشرة - فى حالة وقوع خلاف ما بين الفريقين المتعاقدين الساميين فى مايتعلق بتغيير نصوص هذه المعاهدة يعرض الأمر على محكمة العدل الدولى الدائمة المنصوص عليها فى المادة ١٤ من عهد جمعية الأمم، وإذا وجد فى حالة كهذه أن هنالك تناقضاً فى المعاهدة بين النص الإنكليزى والنص العربى يعتبر النص الانكليزى النص المعمول به.

المادة الثامنة عشرة ـ تصبح هذه المعاهدة نافذة العمل حالماً تصدق من قبل الفريقين الساميين المتعاقدين بعد قبولها من المجلس التأسيسى وتظل معمولاً بها لمدة عشرين سنة، وعند انتهاء هذه المدة تفض الحالة. فإذا ارتأى الفريقان الساميان المتعاقدان أنه لم يبق من حاجة إليها يصير إنهاؤها ويبلغ قرارهما إلى مجلس جمعية الأمم، ولامانع للفريقين الساميين المتعاقدين من إعادة النظر من وقت إلى آخر فى شروط هذه المعاهدة وشروط الاتفاقات المنفردة الناشئة عن المواد ٧ و ١٠ و ١٥ بغية إدخال مايريان مناسبته من التعديلات حسبما تقتضيه الظروف الراهنة، آنئذ، وكل تعديل يتفق عليه الفريقان الساميان المتعاقدان يجب أن يبلغ إلى مجلس جميع الأمم ـ انتهى.

واثند أثار توقيع المعاهدة على هذا المنوال ضجة عنيفة مادت لها البلاد العراقية من أقصاها إلى أقصاها. فعقدت الاجتماعات وكثرت الاحتجاجات فلم تر الوزارة التى وقعتها بداً من الاستقالة فاستقالت، فخلفتها وزارة انصرفت إلى إجراء انتخابات لجمعية تأسيسية تقر المعاهدة ليتسنى إبرامها وتنفيذها وتضع دستور البلاد وقانون الانتخابات ليتم إنشاء الدولة الجديدة، فلاقت صعوبة وعناء إذ قاطع الشعب الانتخابات بتأثير المجتهدين الذين أصدروا الفتاوى بتكفير كل مسلم يشترك فيها، وبعدم جواز دفنه فى مقابر المسلمين.

وكانت حالة الحكومة العراقية فى تلك الأيام لاتدعو إلى الغبطة ولاتبعث على التفاؤل والارتياح. فالزعماء الوطنيون فى الداخل يرون فى المعاهدة الجديدة غبناً، والشعب ناقم على الإنكليز وعلى كل من يواليهم لعدم برهم بالعهود التى قطعوها للعراق باستقلاله، والترك واقفون على الحدود الشمالية وقد أسكرهم انتصارهم فى الأناضول على اليونانيين وهم ينادون بأن الموصل تركية وأنه لابد لهم من إعادتهم إلى ملكهم مهما كلفهم ذلك، أضف إلى هذا سوء الحال الاقتصادية واضطرابها: وقد نجما عن تأثير الحرب العظمى والثورة الوطنية. وكل عامل من هذه العوامل كفيل بالقاء الذعر وإضعاف القوى الأدبية. بيد أنهم

استطاعوا تذليل هذه العقبات الواحدة بعد الأخرى تدريجاً بقوة الإرادة ومضاء العزيمة.

فقد تم لهم بادئ ذى بدئ تعديل المعاهدة. فبعدما كانت مدتها ٢٠ عشرين سنة طبقاً لما جاء فى المادة ١٨ خفضت بموجب بروتوكول ٣٠ ابريل سنة ٩٢٣ إلى أربع سنوات وهذا نصه :

تعديل المعاهدة

«قد تم التفاهم بين الفريقين الساميين المتعاقدين على أنه مع وجود نصوص المادة ١٨ يجب أن تنتهى المعاهدة الحالية عند دخول العراق عضواً فى جمعية الأمم. وعلى كل حال يجب أن لايتأخر انتهاؤها عن أربع سنوات من تاريخ عقد الصلح مع تركيا. وليس فى هذا الاتفاق مايمنع عقد اتفاق آخر ينظم مايكون بعد ذلك من العلاقات بين الفريقين الساميين المتعاقدين. ويجب الدخول فى المفاوضات بينهما لأجل ذلك الغرض قبل انتهاء المعاهدة المذكورة».

منشور الملك

وعلى أثر ذلك أذاع جلالة الملك بياناً بتوقيعه افتتحه بقوله :

«بعناية الله جل وعلا وبروحانية نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

«تمكنت حكومتنا أن تخطو خطوة كبيرة أخرى فى سبيل تحقيق أمانى العراق، وذلك بعقدها الملحق الجديد للمعاهدة العراقية - الإنكليزية يوم ٣ أيار (مايو) سنة ١٩٢٣ وكان من جملة الأسباب الرئيسية المبنى عليها الملحق هى الخطوة السريعة التى خطتها حكومتنا فى سبيل التقدم والاستقلال الخ».

وكذلك حلت مشكلة الانتخابات فقد تم للحكومة إجراؤها فاجتمعت

الجمعية التأسيسية وأقرت المعاهدة يوم ١١ يونيو سنة ١٩٢٤ وأبرمت على أثر ذلك.

وكذلك حلت مشكلة الموصل بما يحقق آمال العراق فأصدرت جمعية الأمم ـ وكان الفريقان قد حكماها ـ قرارها يوم ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥ بوجوب بقاء الموصل عراقية، وأقر الترك هذا الحكم بمعاهدة وقعوها فى أنقره يوم ٥ يونيو سنة ١٩٢٦ مقابل حصولهم على عشر إيرادات حكومة العراق من النفط.

معاهدة ثانية

ولما كانت جمعية الأمم قد اشترطت فى قرارها ذاك وجوب بقاء العراق تحت الانتداب البريطانى مقابل الموصل فقد عقدت الحكومة العراقية معاهدة جديدة مع الحكومة البريطانية لتنظيم علاقاتهما السياسية يوم ١٣ يناير سنة ١٩٢٦ هذا نصها :

«حيث كان جلالة ملك المملكة المتحدة بريطانيا العظمى وأرلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند فريقاً أول وجلالة ملك العراق فريقاً ثانياً يرغبان فى أن تكون الوثائق المبينة فى قرار مجلس جمعية الأمم المؤرخ فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥ مرعية الإجراء وفيها تعين الحدود بين تركيا والعراق بموجب المادة الثالثة من معاهدة الصلح الموقعة فى لوزان فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٢٣ والقاضية بأن تكون العلاقات بين الفريقين المتعاقدين المعينة فى وثيقة التحالف وتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية وقد وافق عليها مجلس جمعية الأمم فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٢٤ محافظاً عليها مادام العراق ـ وفقاً للمادة الأولى من عهد جمعية الأمم ـ لايقبل عضواً فى جمعية الأمم قبل انقضاء هذه المدة.

وحيث كان المتعاقدان الساميان قد أبدى كل منهما رغبته فى البروتوكول المؤرخ فى ٣ أبريل ١٩٢٣ فى عقد اتفاق تنظم بموجبه علاقاتهما فى المستقبل فقد

قررا بأن يضما بصورة قانونية إجراء الوثائق المذكورة بعقد معاهدة جديدة وقد عينا لهذا الغاية وكيلين مفوضين. فإن جلالة ملك المملكة المتحدة بريطانيا العظمى وإرلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند عين برنارد بورديلون مفوضاً سامياً بالوكالة عن جلالته فى العراق، وعين جلالة ملك العراق عبدالمحسن بك السعدون رئيس وزراء الحكومة العراقية ووزير خارجيتها مندوباً من لدنه.

وبعد ماتبادلا التفويض التام الذى يحمله كل منهما من مليكه وتحقق صحته وقانونيته اتفقا على النص الآتى بيانه :

المادة الأولى ـ ألغى نص المادة الثانية عشرة من المعاهدة المعقودة بين المتعاقدين الساميين والموقعة فى بغداد فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ (موافق ١٩ صفر سنة ١٣٤٠هـ) والبروتوكول المؤرخ ٣٠ أبريل سنة ١٩٢٣ (١٤ رمضان سنة ١٣٤١) من حيث اعتبار هذا النص قانونياً من جهة مدة المعاهدة المذكورة وستظل هذه المعاهدة مرعية الإجراء مدة ٢٥سنة من ١٦ديسمبر سنة ١٩٢٥ مالم ينتظم العراق فى سلك جمعية الأمم قبل انقضاء المدة المذكورة.

إن جميع الاتفاقات المعقودة بين الفريقين المتعاقدين الساميين بشكل مؤيد للمعاهدة المؤرخة فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ تظل مرعية الإجراء أيضاً فى خلال المدة المعينة فى هذه المعاهدة باعتبار مدة قانونيتها متعلقة بمدة قانونية. هذه المعاهدة من دون أن يغير شئ من نصها.

المادة الثانية ـ يتفق الطرفان الساميان المتعاقدان على إعادة النظر بعد مصادقة وموافقة مجلس جمعية الأمم على هذه المعاهدة فى القضايا التى دار عليها الجدل بينهما فيما يتعلق بمراجعة الاتفاقات المتسلسلة عن المادتين السابعة والخامسة عشرة من معاهدة ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢.

المادة الثالثة ـ أنه من دون أن يمس نص المادة السادسة من معاهدة ١٠ أكتوبر

سنة ١٩٢٢ المتعلق بقبول العراق فى جمعية الأمم، أو نص المادة الثانية عشرة من المعاهدة المذكورة وفحواها أنه يجوز فى أى وقت كان أن يعاد النظر فى مجلس جمعية الأمم فى نص هذه المعاهدة أو نص الاتفاقيات المؤيدة لها. يتعهد جلالة ملك بريطانيا أن يعيد النظر فى القضيتين الآتيتين حينما تصبح معاهدة ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ قديمة بالنسبة إلى بروتوكول ٣٠ أبريل سنة ١٩٢٣ وفيما بعد إلى مدد متوالية تعد أربع سنين فأربع سنين ريثما تنقضى مدة الخمس والعشرين سنة المذكورة فى المعاهدة الحالية، أو ريثما ينتظم العراق فى سلك جمعية الأمم. وهاتان هما القضيتان المذكورتان.

١ ـ إذا كان ممكناً أن يوصى بقبول العراق فى جمعية الأمم.

٢ ـ إذا لم يكن ذلك ينظر فى إمكان تعديل الاتفاقات المذكورة فى المادة الثامنة عشرة من معاهدة ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ وذلك مراعاة لتقدم مملكة العراق أو لعلة أخرى من العلل.

إن هذه المعاهدة نظمت باللغتين الإنكليزية والعربية، ويعول على النص الإنكليزى عند وقوع خلاف. يصادق عليها ويتم تبادل المصادقة بأسرع مايمكن. وإشعاراً بذلك وقع المفاوضان المذكوران آنفا المعاهدة وختماها بختميهما.

١٣ يناير سنة ١٩٢٦ و ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤

ب . هـ . بورديلون **عبدالمحسن السعدون**

معاهدة ثالثة

وفى يوم ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٧ وقع فى لندن على معاهدة ثالثة بين العراق وإنكلترا نسخت أحكامها أحكام المعاهدات السابقة وهذا نصها :

بين صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وأيرلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند طرف أول.

وصاحب الجلالة ملك العراق طرف ثان.

لما كانت رغبة الطرفين توطيد الصداقة بينهما والمحافظة على علاقات حسن التفاهم بين بلديهما، ولما لاحظاه من أن نصوص معاهدتى التحالف اللتين عقدتا فى بغداد بتاريخ ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ و ١٣ يناير سنة ١٩٢٦ لم تتفق مع ما حصل فى العراق من التطور والتقدم، وأنهما فى حاجة إلى إعادة النظر فيهما.

ونظراً إلى أن إعادة النظر فى نصوص المعاهدتين الآنفتى الذكر يمكن تحقيقه على وجه أكمل بعقد معاهدة تحالف وصداقة جديدة فقد تم الاتفاق بين الطرفين على عقد معاهدة جديدة أساسها المساواة، وعينا لهذا الغرض الديت أونورابل وليم جورج أرثر أورمسبى جور المساعد البرلمانى فى وزارة المستعمرات مفوضاً عن بريطانيا العظمى، وجعفر باشا العسكرى رئيس وزراء العراق ووزير خارجيته مفوضاً عن مملكة العراق.

وبعد أن أبلغ المفوضان كل منهما الآخر صيغة التفويض الممنوح لكل منهما وتحققا أن التفويضين قانونيان وقع الاتفاق بينهما على ما يأتى :

المادة الأولى - يعترف صاحب الجلالة البريطانية بمملكة العراق كدولة مستقلة ذات سيادة.

المادة الثانية - يبقى السلم والصداقة مرفوعى اللواء بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك العراق، ويتعهد الطرفان المتعاقدان أن يحتفظا بالعلاقات الودية، وأن يبذل كل منهما جهده ليحول فى بلاده دون كل عمل غير مشروع من شأنه أن يؤثر فى السلم والأمن فى بلاد الطرف الآخر.

المادة الثالثة - يتعهد صاحب الجلالة ملك العراق أن يضمن تنفيذ جميع التعهدات الدولية التى تعهد صاحب الجلالة البريطانية بتنفيذها فيما يتعلق بمملكة العراق. وكذلك يتعهد جلالة ملك العراق بأن لايدخل فى الدستور العراقى

أى تعديل من شأنه غمط الحقوق والمصالح الأجنبية، أو إيجاد تمييز بين العراقيين أمام القانون أياً كانت جنسيتهم أو دينهم أو لغتهم.

المادة الرابعة ـ يجب أن تجرى مفاوضات تامة وصريحة بين الطرفين المتعاقدين فى جميع المسائل السياسية الخارجية التى من شأنها أن يكون لها تأثير فى مصالحهما المشتركة.

المادة الخامسة ـ يوافق جلالة ملك العراق على وضع المندوب السامى البريطانى فى مركز يستطيع معه أن يسدى لجلالته النصح فيما يختص بازدياد الرخاء فى العراق وفى المشروعات واقتراحات الحكومة العراقية، كما أن المندوب السامى يبلغ جلالة ملك العراق جميع المسائل التى يرى صاحب الجلالة البريطانية أنها قد يكون لها تأثير ضار بمصلحة العراق أو مخالفة للتعهدات المضمونة بهذه المعاهدة.

المادة السادسة ـ يتعهد جلالة ملك العراق أن ينضم ـ عندما تسمح الحالة فى العراق بذلك ـ إلى جميع الاتفاقات الدولية الموجودة، أو التى قد تعقد فى المستقبل بموافقة جمعية الأمم فيما يتعلق بمسائل النخاسة وتجارة المخدرات وتجارة السلاح والذخيرة والرقيق الأبيض والاتجار بالأولاد والمساواة فى التجارة وحرية المرور والملاحة والبريد والتلغراف السلكى واللاسلكى والطيران والتدابير لحماية التأليف والصناعات. ويتعهد جلالته فضلاً عن ذلك بتنفيذ نصوص الوثائق الآتية فيما يختص بعلاقتها بالدولة العراقية وهى :

عصبة الأمم ومعاهدة لوزان والاتفاق الفرنسى ـ الإنكليزى الخاص بالحدود واتفاق سان ريمو الخاص بالبترول.

المادة السابعة ـ يتعهد جلالة ملك العراق بقدر ما تسمح به الأحوال الاجتماعية والدينية وغيرها أن يشترك فى تنفيذ جميع التدابير العامة التى تتخذها جمعية الأمم لمنع ومكافحة الأمراض بما فى ذلك الأمراض النباتية والحيوانية.

المادة الثامنة ـ يؤيد صاحب الجلالة البريطانية ترشيح العراق لدخول جمعية الأمم فى سنة ١٩٣٢ بشرط أن يستمر الرقى الحالى فى العراق، وأن تبقى الأحوال مستقرة فى هذه الفترة.

المادة التاسعة ـ يجب أن لايكون فى العراق أى تفضيل على الأشخاص التابعين لأى دولة من الدول الداخلة فى جمعية الأمم، أو أى دولة يكون جلالة ملك العراق قد وافق بمعاهدة أن يضمن لها جميع الحقوق التى كانت تتمتع بها هذه الدولة لو كانت عضواً فى جمعية الأمم. ويدخل تحت ذلك الشركات المؤلفة طبقاً لقانون هذه الدول. كما يشمل المسائل المتعلقة بالتجارة والملاحة والضرائب والاشتغال بالحرف والصناعات ومعاملة المراكب والطيارات. وكذلك يجب أن لايكون فى العراق أى تفضيل بين البضائع الصادرة أو الواردة من أو إلى أى دولة من الدول الآنفة الذكر.

المادة العاشرة ـ يتعهد صاحب الجلالة البريطانية طبقاً لرغبة جلالة ملك العراق أن يواصل حماية العراقيين فى البلاد الأجنبية التى لايكون لجلالة ملك العراق ممثل فيها.

المادة الحادية عشرة ـ لايوجد فى هذه المعاهدة مايمس صحة العقود المحررة والموجودة بين الحكومة العراقية والموظفين البريطانيين. ويجب على كل حال أن تعتبر هذه العقود كما لو كان الاتفاق الخاص بالموظفين البريطانيين المعقود فى ٢٥ مارس سنة ١٩٢٤ لايزال باقياً.

المادة الثانية عشرة ـ يعقد اتفاق على حدة بين الطرفين المتعاقدين لتسوية العلاقات المالية بينهما. وهذا الاتفاق الجديد يحل محل الاتفاق المالى الذى عقد فى ٢٥ مارس سنة ١٩٢٤ والذى ينتهى العمل به عند ذلك.

المادة الثالثة عشرة ـ يعقد اتفاق على حدة بين الطرفين المتعاقدين لتسوية المسائل الحربية بينهما. وهذا الاتفاق يحل محل الاتفاق الحربى المعقود فى ٢٥ مارس سنة ١٩٢٤.

المادة الرابعة عشرة - يتعهد جلالة ملك العراق بتنفيذ الاتفاق القضائى المعقود فى ٢٥ مارس سنة ١٩٢٤.

المادة الخامسة عشرة - كل اختلاف يطرأ بين الطرفين المتعاقدين على تفسير مواد المعاهدة الحالية يعرض على محكمة العدل الدولية طبقاً للمادة الرابعة عشرة من صك جمعية الأمم. فإذا وجد فى هذه الحالة تناقض بين النسخة الإنكليزية والنسخة العربية من المعاهدة فإنه يعمل حينئذ بنص النسخة الإنكليزية.

المادة السادسة عشرة - تصبح المعاهدة الحالية نافذة المفعول حالما يوقع عليها وبعد تبادل التواقيع طبقاً للتقاليد الدستورية المعمول بها فى المملكتين يعاد درسها من جديد بقصد تنقيحها إذا اقتضت الأحوال ذلك عند مايدخل العراق جمعية الأمم طبقاً للمادة الثانية من المعاهدة الحالية. وتحل محل معاهدتى التحالف اللتين أمضيتا فى بغداد فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ و ١٣ يناير سنة ١٩٢٦ واللتين تصحبان ملغاتين حال تنفيذ هذه المعاهدة. وبناء عليه أمضى المفاوضان المعاهدة ووقعا عليها بختميهما.

حرر فى لندن نسختان من هذه المعاهدة باللغتين العربية والإنكليزية فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٧.

جعفر العسكرى **ارمسبى جور**

المعاهدة الرابعة والأخيرة

وفى يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٠ وقع فى بغداد على معاهدة رابعة بين الحكومتين وهذا نصها :

صاحب الجلالة ملك العراق

وصاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند.

لما كانا راغبين فى توثيق أواصر الصداقة والاحتفاظ بصلات حسن التفاهم وأدامتها ما بين بلاديهما.

ولما كان صاحب الجلالة البريطانية قد تعهد فى معاهدة التحالف الموقع عليها فى بغداد فى اليوم الثالث عشر من شهر يناير سنة ست وعشرين وتسعمائة بعد الألف الميلادية الموافق ليوم الثامن والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وثلاثمائة بعد الألف الهجرية بأن ينظر نظراً فعلياً فى فترات متتالية مدة كل منها أربع سنوات فى هل فى استطاعته الإلحاح على إدخال العراق فى جمعية الأمم.

ولما كانت حكومة جلالته فى بريطانيا العظمى وأيرلندة الشمالية قد أعلمت الحكومة العراقية بلا قيد ولاشرط فى اليوم الرابع عشر من شهر سبتمبر سنة تسع وعشرين وتسعمائة بعد الألف أنها مستعدة لتعضيد ترشيح العراق لدخول عصبة الأمم سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة بعد الألف، وأعلنت لمجلس العصبة فى اليوم الرابع عشر من شهر ديسمبر سنة تسع وعشرين وتسعمائة بعد الألف أن هذه هى نيتها.

ولما كانت المسؤوليات الانتدابية التى قبلها صاحب الجلالة البريطانية فيما يتعلق بالعراق ستنتهى من تلقاء نفسها عند إدخال العراق عصبة الأمم، ولما كان صاحب الجلالة ملك العراق وصاحب الجلالة البريطانية يريان أن الصلات التى ستقوم بينهما بصفة كونهما ملكين مستقبلين ينبغى تحديدها بعقد معاهدة تحالف وصداقة.

فقد اتفقا على عقد معاهدة جديدة لبلوغ هذه الغاية على قواعد الحرية والمساواة التامتين والاستقلال التام، تصبح نافذة عند دخول العراق عصبة الأمم وقد عينا عنهما مندوبين مفوضين وهما :

عن جلالة ملك العراق :

نورى باشا السعيد

عن جلالة ملك بريطانيا العظمى وأيرلندة والممتلكات البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند :

اللفتننت كرنكل السرفرنسيس هنرى همفريز.

المعتمد السامى لصاحب الجلالة البريطانية فى العراق.

اللذان بعد أن تبادلا وثائق تفويضهما فوجدها صحيحة قد أتفقا على ما يلى.

المادة الأولى ـ يسود سلم وصداقة دائمان بين صاحب الجلالة ملك العراق وبين صاحب الجلالة البريطانية، ويؤسس بين الفريقين الساميين المتعاقدين تحالف وثيق توطيداً لصداقتهما وتفاهمهما الودى وصلاتهما الحسنة. وتجرى بينهما مشاورة تامة وصريحة فى جميع شؤون السياسة الخارجية مما قد يكون له مساس بمصالحهما المشتركة.

ويتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن لايقف فى البلاد الأجنبية موقفاً لايتفق وهذا التحالف أو قد يخلق مصاعب للفريق الآخر.

المادة الثانية ـ يمثل كلا من الفريقين المتعاقدين لدى بلاط الفريق السامى المتعاقد الآخر ممثل سياسى (ديبلوماتيكى) يعتمد وفقاً للأصول المرعية.

المادة الثالثة ـ إذا أدى أى نزاع بين العراق وبين دولة ثالثة إلى حالة يترتب عليها خطر قطع العلاقات بتلك الدولة يوحد حينئذ الفريقان الساميان المتعاقدان مساعيهما لتسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية وفقاً لأحكام ميثاق عصبة الأمم ووفقاً لأى تعهدات دولية أخرى يمكن تطبيقها على تلك الحالة.

المادة الرابعة ـ إذا اشتبك أحد الفريقين الساميين المتعاقدين فى حرب رغم أحكام المادة الثالثة أعلاه يبادر حينئذ الفريق السامى المتعاقد الآخر فوراً إلى معونته بصفة كونه حليفاً، وذلك دائماً وفق أحكام المادة التاسعة أدناه.

وفى حالة خطر حرب محدق يبادر الفريقان الساميان المتعاقدان فوراً إلى تحديد المساعى فى اتخاذ تدابير الدفاع المقتضية.

أن معونة صاحب الجلالة ملك العراق فى حالة حرب أو خطر حرب محدق تنحصر فى أن يقدم إلى صاحب الجلالة البريطانية فى الأراضى العراقية جميع ما فى وسعه أن يقدمه من التسهيلات والمساعدات ومن ذلك استخدام السكك الحديدية والأنهر والموانى والمطارات ووسائل المواصلات.

المادة الخامسة - من المفهوم بين الفريقين الساميين المتعاقدين أن مسئولية حفظ الأمن الداخلى فى العراق وأيضاً - بشرط مراعاة أحكام المادة الرابعة أعلاه - مسؤولية الدفاع عن العراق ازاء الاعتداء الخارجى تنحصران فى صاحب الجلالة ملك العراق.

مع ذلك يعترف جلالة ملك العراق بأن حفظ وحماية مواصلات صاحب الجلالة البريطانية الأساسية بصورة دائمة فى جميع الأحوال هما من صالح الفريقين الساميين المتعاقدين المشترك.

فمن أجل ذلك وتسهيلاً للقيام بتعهدات صاحب الجلالة البريطانية وفقاً للمادة الرابعة أعلاه يتعهد جلالة ملك العراق بأن يمنح صاحب الجلالة البريطانية طيلة مدة التحالف موقعين لقاعدتين جويتين ينتقيهما صاحب الجلالة البريطانية فى البصرة أو فى جوارها وموقعاً واحداً لقاعدة جوية ينتقيه صاحب الجلالة البريطانية فى غرب نهر الفرات.

وكذلك يأذن جلالة ملك العراق لصاحب الجلالة البريطانية فى أن يقيم قوات فى الأراضى العراقية فى الأماكن الآنفة الذكر وفقاً لأحكام ملحق هذه المعاهدة على أن يكون مفهوماً أن وجود هذه القوات لن يعتبر بوجه من الوجوه احتلالاً ولايمس على الإطلاق حقوق سيادة العراق.

المادة السادسة - يعتبر ملحق هذه المعاهدة جزءاً لايتجزأ منها.

المادة السابعة ـ تحل هذه المعاهدة محل معاهدتى التحالف الموقع عليهما فى بغداد فى اليوم العاشر من شهر أكتوبر لسنة اثنتين وعشرين وتسعمائة بعد الألف الميلادية الموافق لليوم التاسع عشر من شهر صفر لسنة إحدى وأربعين وثلاثمائة بعد الألف الهجرية، وفى اليوم الثالث عشر من شهر يناير لسنة ست وعشرين وتسعمائة بعد الألف الميلادية الموافق لليوم الثامن والعشرين من شهر جمادى الآخرة لسنة أربع وأربعين وثلاثمائة بعد الألف الهجرية مع الاتفاقات الفرعية الملحقة بهما التى تمسى ملغاة عند دخول هذه المعاهدة فى حيز التنفيذ.

وتوضع هذه المعاهدة فى نسختين بكل من اللغتين العربية والإنكليزية ويعتبر النص الأخير النص المعول عليه.

المادة الثامنة ـ يعترف الفريقان الساميان المتعاقدان بأنه عند الشروع فى تنفيذ هذه المعاهدة تنتهى من تلقاء نفسها وبصورة نهائية جميع المسؤوليات المترتبة على صاحب الجلالة البريطانية فيما يتعلق بالعراق وفقاً للمعاهدات والاتفاقات المشار إليها فى المادة السابعة من هذه المعاهدة وذلك فيما يختص بجلالته البريطانية، وبأنه إذا بقى شئ من هذه المسؤوليات فيترتب على صاحب الجلالة ملك العراق وحده.

ومن المعترف به أيضاً أن كل ما يبقى من المسؤوليات المترتبة على صاحب الجلالة البريطانية فيما يتعلق بالعراق وفقاً لأى وثيقة دولية أخرى ينبغى أن يترتب كذلك على جلالة ملك العراق وحده وعلى الفريقين الساميين المتعاقدين أن يبادرا فوراً إلى اتخاذ الوسائل المقتضية لتأمين نقل هذه المسؤوليات الى صاحب الجلالة ملك العراق.

المادة التاسعة ـ ليس فى هذه المعاهدة ما يرمى بوجه من الوجوه إلى الإخلال أو يخل بالحقوق والتعهدات المترتبة أو التى قد تترتب لأحد الفريقين الساميين المتعاقدين أو عليه وفقاً لميثاق عصبة الأمم أو معاهدة تحريم الحرب الموقع عليها

فى باريس فى اليوم السابع والعشرين من شهر أغسطس لسنة ثمان وعشرين وتسعمائة بعد الألف الميلادية.

المادة العاشرة - إذا نشأ خلاف ما يتعلق بتطبيق هذه المعاهدة أو بتفسيرها فلم يوفق الفريقان الساميان المتعاقدان إلى الفصل فيه بالمفاوضة رأساً بينهما يعالج الخلاف حينئذ وفقاً لأحكام ميثاق عصبة الأمم.

المادة الحادية عشرة - تبرم هذه المعاهدة ويتم تبادل الإبرام بأسرع ما يمكن ثم يجرئ تنفيذها عند قبول العراق عضواً فى عصبة الأمم. وتظل هذه المعاهدة نافذة مدة خمس وعشرين سنة ابتداء من تاريخ تنفيذها. وفى أى وقت كان بعد عشرين سنة من تاريخ الشروع فى تنفيذ هذه المعاهدة على الفريين الساميين المتعاقدين أن يقوما بناء على طلب أحدهما بعقد معاهدة جديدة ينص فيها على الاستمرار على حفظ وحماية مواصلات صاحب الجلالة البريطانية الأساسية فى جميع الأحوال. وعند الخلاف فى هذا الشأن يعرض ذلك الخلاف على مجلس عصبة الأمم.

وإقراراً لما تقدم قد وقع كل من المندوبين المفوضين على هذه المعاهدة وختمها بختمه.

كتبت فى بغداد فى نسختين فى اليوم الثلاثين من شهر يونيو لسنة ثلاثين وتسعمائة بعد الألف الميلادية الموافق لليوم الثانى من شهر صفر لسنة تسع وأربعين وثلاثمائة بعد الألف الهجرية.

نورى السعيد　　　ف . هـ همفريز

ملحق - ١

يبين صاحب الجلالة البريطانية من حين إلى أخر مقدار القوات التى يقيمها جلالته فى العراق وفقاً لأحكام المادة الخامسة من هذه المعاهدة وذلك بعد مشاورة صاحب الجلالة ملك العراق فى الأمر.

ويقيم صاحب الجلالة البريطانية قوات في الهنيدي لمدة خمس سنوات بعد الشروع في تنفيذ هذه المعاهدة، وذلك لكي يتمكن صاحب الجلالة ملك العراق من تنظيم القوات المقتضية للحلول محل تلك القوات، وعند انقضاء تلك المدة تكون قوات صاحب الجلالة البريطانية قد انسحبت من الهنيدي. ولصاحب الجلالة البريطانية أيضاً أن يقيم قوات في الموصل لمدة حدها الأعظم خمس سنوات تبتدئ من تاريخ الشروع في تنفيذ هذه المعاهدة، وبعد ذلك لصاحب الجلالة البريطانية أن يضع قواته في الأماكن المذكورة في المادة الخامسة من هذه المعاهدة. ويؤجر صاحب الجلالة ملك العراق مدة هذا التحالف صاحب الجلالة البريطانية المواقع المقتضية لإسكان قوات صاحب الجلالة البريطانية في تلك الأماكن.

- ٢ -

بشرط مراعاة أي تعديلات قد يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على إحداثها في المستقبل تظل الحصانات والامتيازات في شؤون القضاء والعائدات الأميرية (وفي ذلك الإعفاء من الضرائب) التي تتمتع بها القوات البريطانية في العراق شاملة القوات المشار إليها في الفقرة الأولى أعلاه، وتشمل أيضاً قوات صاحب الجلالة البريطانية من جميع الصنوف. وهي القوات التي يحتمل وجودها في العراق عملاً بأحكام هذه المعاهدة وملحقها أو وفقاً لإتفاق يتم عقده بين الفريقين الساميين المتعاقدين وأيضاً يوصل العمل بأحكام أي تشريع محلي له مساس بقوات صاحب الجلالة البريطانية المسلحة. وتتخذ الحكومة العراقية التدابير المقتضية للتثبت من كون الشروط المتبادلة لاتجعل موقف القوات البريطانية فيما يتعلق بالحصانات والامتيازات أقل ملاءمة بوجه من الوجه من الموقف الذي تتمتع به هذه القوات في تاريخ الشروع في تنفيذ هذه المعاهدة.

- ٣ -

يوافق جلالة ملك العراق على القيام بجميع التسهيلاك المكنة لتنقل القوات المذكورة فى الفقرة الأولى من هذا الملحق وتدريبها وإعانتها وعلى منحها عين تسهيلات استعمال التلغراف اللاسلكى التى تتمتع بها عند الشروع فى تنفيذ هذه المعاهدة.

- ٤ -

يتعهد صاحب الجلالة ملك العراق بأن يقدم بناء على طلب صاحب الجلالة البريطانية وعلى نفقة صاحب الجلالة البريطانية ووفقاً للشروط التى يتفق عليها الفريقان الساميان المتعاقدان حرساً خاصاً من قوات صاحب الجلالة ملك العراق لحماية القواعد الجوية مما قد تشغله قوات جلالته البريطانية وفقاً لأحكام هذه المعاهدة، وأن يؤمن سن القوانين التشريعية التى قد يقتضيها تنفيذ الشروط الآنفة الذكر.

- ٥ -

يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بأن يقوم عند كل طلب يطلبه صاحب الجلالة ملك العراق بجميع التسهيلات المكنة فى الأمور التالية وذلك على نفقة جلالة ملك العراق وهى :

١ - تعليم الضباط العراقيين الفنون البحرية والعسكرية والجوية فى المملكة المتحدة.

٢ - تقديم الأسلحة والعتاد والتجهيزات والسفن والطيارات من أحدث طراز متيسر إلى قوات جلالة ملك العراق.

٣ - تقديم ضباط بريطانيين بحريين وعسكريين وجويين للخدمة بصفة استشارية فى قوات جلالة ملك العراق.

- ٦ -

لما كان من المرغوب فيه توحيد التدريب والأساليب فى الجيشين العراقى والبريطانى يتعهد جلالة ملك العراق بأنه إذا رأى ضرورة الالتجاء إلى مدربين عسكريين أجانب فإنهم يختارون من الرعايا البريطانيين.

ويتعهد أيضاً بأن أى أشخاص من قواته من الذين قد يوفدون إلى الخارج للتدريب العسكرى يرسلون إلى مدارس وكليات ودور تدريب عسكرية فى بلاد جلالته البريطانية بشرط أن لايمنع ذلك صاحب الجلالة ملك العراق من إرسال الأشخاص الذين لايمكن قبولهم فى المعاهد ودور التدريب المذكورة إلى أى قطر آخر كان.

ويتعهد أيضاً بأن التجهيزات الأساسية لقوات جلالته وأسلحتها لاتختلف فى نوعها عن أسلحة قوات صاحب الجلالة البريطانية وتجهيزاتها.

- ٧ -

يوافق جلالة ملك العراق على أن يقوم عند طلب صاحب الجلالة البريطانية بجميع التسهيلات لمرور قوات صاحب الجلالة البريطانية من جميع الصنوف العسكرية عبر العراق ولنقل وخزن جميع المؤن والتجهيزات التى قد تحتاج إليها هذه القوات فى أثناء مرورها فى العراق. وتتناول هذه التسهيلات استخدام طرق العراق وسككه الحديدية وطرقه المائية وموانئه ومطاراته. ويؤذن لسفن صاحب الجلالة البريطانية إذناً عاماً فى زيارة شط العرب بشرط إعلام جلالة ملك العراق قبل القيام بتلك الزيارات للموانئ العراقية.

ف . هـ . هـ ن . س

العراق في جمعية الأمم

وعملاً بما جاء فى مقدمة المعاهدة الأخيرة رشحت إنكلترا العراق لدخول جمعة الأمم اعترافاً ببلوغه درجة من الرقى تخوله حكم نفسه بنفسه، وفى يوم ٣ أكتوبر سنة ١٩٣٢ أصدر مجلس جمعية الأمم قراراً بالغاء الانتداب على العراق والاعتراف به دولة مستقلة. وإليك نص البلاغ الرسمى الذى أذاعته سكرتارية جمعية الأمم بهذه المناسبة :

قبل العراق فى جامعة الأمم بإجماع الاثنتين والخمسين دولة التى مثلت فى اجتماعها الذى عقدته فى ٣ أكتوبر الماضى فصار عضواً جديداً فى أسرة الأمم.

لقد خرجت مملكة العراق العربية من الحرب العالمية أرضا من النوع الموصوف بانتداب أى أمة بلغت من الرقى حالة يمكن «الاعتراف وقتياً بوجودها كأمة مستقلة بشرط أن تستمد المشورة الإدارية والمساعدة من دولة منتدبة إلى الوقت الذى تستطيع فيه الوقوف وحدها».

وقد قدمت المملكة المتحدة (أى بريطانيا) هذه المشورة وهذه المساعدة فكان قبول العراق فى الجامعة المرحلة الأخيرة لعمل اختتم به نظام الانتداب، واعتراف العالم بأن مملكة العراق تستطيع الوقوف وحدها.

وقال بضعة من المندوبين فى خطبهم إن «الوقوف وحدها» تعبير نسبى فى العالم الحديث الذى تجد الأمم كلها فيه شديدة العلاقة بعضها ببعض ومقيدة بقيود من الحاجات والتعهدات هى كالشبكة فى مداها.

ومن الذين خطبوا المسيو يفتتش اليوغوسلافى مقرر اللجنة التى أشارت بقبول العراق فى الجامعة فقابل التأثير العظيم الذى للمعاهدات الدولية فى الحياة الدولية الآن بمثله فى الزمان الذى كانت بلاده تبذل جهودها لتحرر (من النير العثمانى).

وأعقبه المسيوبوليتس اليونانى رئيس الاجتماع فأفاض فى الكلام عن تقاليد الحضارة العربية السامية ومالها من الفضل على العالمين، وقال إن الجامعة رحبت فى العام الماضى بالمكسيك فتركيا. والآن ترحب بالعراق العضو السادس والخمسين فيها، وقد دل مثل العراق على أن نظام الانتداب ليس ثوباً من الرياء يستر الضم تحته كما ظن وكما قيل. بل إن فى وسع الجامعة أن تدخل على الحالة الدولية الحاضرة التغييرات التى توجبها حياة الأمم.

وأطرى الرئيس وبعض الأعضاء إنكلترا على نجاحها فى إنجاز مهمة الانتداب وما أبدت فيه من روح الأيثار والبعد عن المصلحة النفسية.

وشكر نورى باشا السعيد الحاضرين فى الاجتماع بالنيابة عن حكومته وأعرب عن شكر بلاده لإنكلترا وعن رجائه فى أن يقبل قريباً فى عضوية الجامعة إخوة العراق الذين لم يتقرر مصيرهم بعد.

وختمت الجلسة بشكر السرجون سيمون بالنيابة عن الحكومة البريطانية لرئيس الاجتماع ورئيس وزارة العراق على المدح الذى كالاه لبلاده ورحب أحسن ترحيب بدخول العراق جامعة الأمم وقال عنه إنه أحدث الحكومات ولكنه أقدم البلدان التى كانت مبعث الدين ومصدر المدنية لنصف العالم.

نداء الملك فيصل

وعلى أثر ذلك أذاع جلالة الملك فيصل نداء على شعبه هذا نصه :

«أشكر الله وأهنئ نفسى وشعبى على هذا اليوم الذى فزنا فيه بعد جدال سياسى دام إحدى عشرة سنة بإحدى الأمانى الكبرى التى كنا نصبوا إليها وهى الغاء الانتداب واعتراف الأمم بنا وبأننا أمة حرة ذات سيادة تامة، وأرى نفسى

سعيداً بأن أصرح بأن هذا الفوز لم يكن ثمرة جهد شخص أو أشخاص. بل هو محصول سعى الأمة بأجمعها. حيث كانت فى أثناء هذا الجهد مثالاً للصبر والحكمة وطول الأناة، ولم أر منها طول مدة هذا الكفاح سوى المعاضدة والتباعد عن وضع حجر عثرة فى السبيل الذى سرت عليه للوصول إلى هذا اليوم السعيد. هذا اليوم الذى أخذنا فيه مقعدنا بين الأمم.

فلقد كان أفراد الشعب على اختلاف أحزابهم وعقائدهم يشدون أزرى بجميع مالديهم من قوة، وكنت أرى من يتقلد زمام الأمر يكد فى الكفاح تحت ضغط المسؤولين بكل إخلاص وأمانة.

وأما من يقف موقف المعارض فقد كان لايبتغى من وراء موقفه إلا التشجيع والعمل لخير البلاد.

وأما الشعب فقد كان منتبهاً يلقى وراء المسئول والمعارض نظرات التنقيد على من يحيد منهم عن الطريق السوى، ففطنة الشعب وإخلاص رجاله وتضافرهم فيما فيه نجاح البلاد. كل ذلك مما جعلنا ولله الحمد نصل إلى ما وصلنا إليه الآن من تبوئنا مقعداً فى جمعية الأمم يخفق علمنا هذا المحبوب مع أعلامها جنبا لجنب.

أعزائى: لقد قطعنا هذه المرحلة الشاقة المحفوفة بالمخاطر، وها نحن الآن على أبواب عهد جديد تتولى فيها بلادى المسؤولية التامة عن تدبير شؤونها وإدارة مقدراتها.

فإذا كان فى مقدور البعض أن يتخذ من الوضع عذراً فى الماضى عندما يتأخر عن القيام بالواجب، فقد أصبحنا اليوم أحراراً طليقين. وقد أصبح مجال العمل فسيحاً أمام الجميع. فمن تقاعد فلا عذر له بعد اليوم.

وليعلم جميع أفراد الشعب بأن مستقبل الأجيال القادمة وكرامتها منوطان بما نقوم به فى السنوات القادمة من الأعمال. وليعلموا أيضاً بأن الأمم التى دخلنا فى

مصافها سوف ترقب أعمالنا. فإما أن تحكم علينا بأننا غير صالحين لنكون أقراناً لها، أو أن يتحقق حسن ظنها بأننا أحفاد أولئك الأمجاد الذين أقاموا مدنية استنار العالم بضوئها المنير إلى هذا اليوم.

فالى التسابق فى مضمار الترقى والتقدم أدعو جميع أبناء شعبى. وليس ذلك على ما هو مشتهر عنهم من النباهة والذكاء بعسير.

بنى وطنى: علينا أن نضاعف الجهود فى كافة أعمالنا. وأن نتذكر دائماً أن أمامنا وجائب خطيرة لم تنل بعد قسطها الوافر من العناية، فيجب أن تتوجه مساعى الجميع إلى ما يحقق القيام بتلك الوجائب، وفى مقدمتها إعداد قوة تحمى ذمارنا وتجعل أمتنا موفورة الكرامة محترمة الجانب. ثم القيام بمشاريع عظيمة للرى وإنشاء ما تحتاجه البلاد من خطوط حديدية وطرق مواصلات أخرى. ونشر المعارف بين عموم أفراد الأمة، وتوسيع المؤسسات الصحية فى جميع أنحاء القطر، إذ لا استقلال بدون قوة وعلم وصحة وثروة. وسيكون كل ذلك بحوله تعالى وبتكاتف أفراد الأمة واتحادهم ونبذهم كل حزازة أو أنانية شخصية وبتوجيه وجهة كل منهم نحو غاية مشتركة ومقدسة وهى خدمة الوطن.

فعلى كل فرد من أفراد الشعب أن يسعى جهده لتحقيق تلك الغاية السامية. ومن تخلف عن تلبية هذا النداء فلا وطنية صحيحة له.

أعزائى: ستروننى كما كنت سائراً بعون الله وتوفيقه بدون وجل أو تردد مستهدفاً تلك الغاية وطالباً من كل فرد من أبناء شعبى القيام بما يترتب عليه للوصول إليها. وإنى لعلى ثقة تامة بأنهم سيعاضدوننى بكل إخلاص وستتضاعف هممهم وجهودهم فى سبيل رقينا أن شاء الله إلى أبعد مدى من العمران والحضارة والله ولى التوفيق.

وقبل أن أختم كلمتى هذه أرى من واجب الاعتراف بالجميل أن أعلن للملأ

أبتهاجى وأمتنانى العظيمين للمعاونات الثمينة التى نلتاها من جانب صاحب الجلالة الإمبراطورية الملك جورج وحكومته وشعبه العظيم، وممن وجد فى هذه المملكة فى الحاضر والماضى من رجاله، تلك المعاونات التى أؤمل أن تدوم فى المستقبل بإخلاص متقابل. كما أننى أعلن شكرى للأمم المجاورة لنا ولحكوماتها على ما أظهرت نحونا من نوايا حميدة وولاء قويم. وأؤمل أكيداً بأننا سنبقى واياهم جيراناً أصدقاء. وبالنهاية أشكر رجال جميع الدول الممثلة فى عصبة الأمم والتى رحبت بنا وأدخلتنا فى حظيرتها، وأؤكد للعالم بأنه لاهدف لنا إلا السلم والخدمة البشرية. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وهكذا قطع العراق خلال ثلاث عشرة سنة مراحل شاقة. فانتقل من الاستعمار إلى الانتداب فالاستقلال، وتم له إنشاء دولة دستورية مدنية فى وسط الزعازع والعواصف اعترفت أوربا بها، كماصان وحدته القومية بالاحتفاظ بالموصل وبالقضاء على النزعات الأجنبية، وهو يعمل على إصلاح شؤونه وترقية موارده وتحسين شؤونه الاقتصادية.

نظام الحكم في العراق

دستور سنة ١٩٢٤

نظام الحكم فى العراق دستورى ملكى نيابى نظمه دستور نوفمبر سنة ١٩٢٤. وقد جاء فى المادة الأولى منه: يسمى هذا القانون «القانون الأساسى» وتسرى أحكامة على جميع القطر العراقى. وجاء فى الثانية: العراق دولة ذات سيادة مستقلة حرة. ملكها لايتجزأ ولايتنازل عن شئ منه. وحكومتها ملكية. وجاء فى المادة الرابعة: عرش المملكة العراقية الدستورية وديعة الشعب للملك فيصل بن الحسين ثم لورثته من بعده وولاية العهد لأكبر أبناء الملك سناً على خط عمودى.

وجاء فى المادة السادسة والعشرين : أن السلطة التشريعية منوطة بمجلس الأمة، وهو يتألف من الملك ومجلس الأعيان ومجلس النواب، ولمجلس الأمة حق وضع القوانين وتعديلها وإلغائها مع مراعاة أحكام هذا القانون.

علاقاته الدولية والسياسية ومعاهداته

نظمت الحكومة العراقية الجديدة علاقاتها السياسية مع معظم دول الشرق والغرب على أفضل منوال وتبادلت معها القناصل والمعتمدين والسفراء. ونبدأ هنا بنشر المعاهدات التى عقدتها مع الدول :

صلاته مع تركيا ـ اعترف الترك رسمياً بالحكومة العراقية فى معاهدة أنقرة يوم ٥ يونيو سنة ١٩٢٦ ولما زار جلالة الملك فيصل أنقره فى شهر يوليو سنة ١٩٣١ وضعت القواعد لعقد سلسلة معاهدات بين هاتين الحكومتين هى :

أ ـ معاهدة تسليم المجرمين.

ب ـ اتفاق أقامة.

ج ـ معاهدة تجارة.

وقد وقع على هذه المعاهدات فى أنقره يوم ١٠ يناير سنة ١٩٣٢ ومثل العراق فى عقدها نورى باشا السعيد رئيس حكومته، ومثل تركيا مصطفى شرف بك وزير الاقتصاد فى الحكومة التركية.

علاقاته مع الحكومة السعودية ـ ظلت صلات حكومتى بغداد ومكة بين جزر ومد حتى زار الحجاز نورى باشا السعيد رئيس الحكومة العراقية فى شهر ابريل سنة ١٩٣١ فنظم علاقات الحكومتين وعقد سلسة من المعاهدات هذا بيانها :

أ ـ معاهدة صداقة وحسن جوار.

ب ـ بروتوكول تحكيم.

ج ـ معاهدة تبادل المجرمين.

وننشر هنا نص بروتوكول التحكيم لأهميته :

بسم الله الرحمن الرحيم

بناء على الرغبة التى أظهرها الفريقان الساميان المتعاقدان فى المادة الخامسة عشرة من معاهدة الصداقة وحسن الجوار المعقودة فى ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٤٩ (الموافق ٧ نيسان سنة ١٩٣١) بين المملكة العراقية وبين المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها بشأن حل الاختلافات الناشئة عن أحكام المعاهدات والاتفاقيات المبرمة بينهما، والتى لايمكن حلها بالطرق السياسية.

نحن الموقعين أدناه المفوضين من قبل صاحب الجلالة ملك العراق وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها قد اجتمعنا فى اليوم الواقع فى ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٤٩هـ (الموافق ٧ نيسان سنة ١٩٣١) بعد أن فوضنا وفقاً للأصول للتوقيع على بروتوكول التحكيم الملحق بمعاهدة الصداقة وحسن الجوار الآنفة الذكر وقعنا على ما يأتى :

المادة الأولى ـ يجرى التحكيم بواسطة محكمين لايتجاوز عددهم الستة ينتخبون بالتساوى من قبل الفريقين الساميين المتعاقدين برياسة شخص يتفق الفريقان المذكوران على انتخابه من وقت لآخر.

المادة الثانية ـ إذا رغب أحد الفريقين الساميين المتعاقدين فى أن يحيل للتحكيم أية قضية من القضايا التى يجب إحالتها وفق أحكام هذا البروتوكول عليه أن يعلن رغبته حينئذ إلى الفريق الآخر مع بيان أسماء محكميه، وعلى

الفريق الثانى أن يبين للأول أسماء محكميه أيضاً. على أن يتم الاجتماع خلال ستة أشهر من تاريخ إعلان رغبة الفريق الأول فى إجراء التحكيم.

المادة الثالثة ـ يجرى تعيين رئيس هيئة التحكيم بالاتفاق بين الفريقين فى خلال المدة المذكورة فى المادة الثانية من هذا البروتوكول.

المادة الرابعة ـ على كل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يرسل إلى الفريق الآخر وإلى رئيس هيئة التحكيم مذكرة يوضح فيها قضيته والحجج التى تستند إليها، وللفريق المرسلة إليه المذكرة أن يجيب عليها بشرط أن يكون ذلك خلال الستة الأشهر المنصوص عليها فى المادة الثانية أعلاه.

المادة الخامسة ـ يجتمع المحكمون فى المحل الذى يتم الاتفاق عليه بين الحكومتين، وعلى هيئة التحكيم أن تصدر قرارها خلال ثلاثة أشهر.

المادة السادسة ـ يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يقدما إلى هيئة التحكيم جميع التسهيلات والمساعدات التى تطلبها للقيام بمهمتها.

المادة السابعة ـ لكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين شخصاً أو أكثر لبسط نقطة نظره أمام هيئة التحكيم فى المسألة المختلف عليها.

المادة الثامنة ـ يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان تعهداً قطعياً بقبول وتنفيذ القرار الذى يصدره المحكمون فى المسألة المرفوعة إليهم. وللمحكمين إذا اقتضى الأمر أن يصدروا قرارهم بالأكثرية.

المادة التاسعة ـ تدفع كل من الحكومتين رواتب ونفقات المحكمين المعينين من قبلها، ونصف رواتب ونفقات الرئيس وكتبة الأسرار وغيره ممن يحتاج المحكمون إلى مساعدتهم.

المادة العاشرة ـ يصبح هذا البروتوكول نافذ المفعول اعتباراً من تاريخ تبادل النسخة المبرمة من قبل الطرفين.

كتب فى مكة المكرمة فى ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٤٩ هجرية الموافق ٧ نيسان سنة ١٩٣١ ميلادية.

رئيس وزراء الحكومة العراقية

نورى باشا السعيد

النائب العام لجلالة ملك الحجاز ونجد

وملحقاتها ووزير الخارجية

فيصل عبدالعزيز

علاقاته مع اليمن - وفى شهر ذى الحجة سنة ١٣٤٩ زار صنعاء طه بك الهاشمى مندوباً عن حكومة العراق لتنظيم العلاقات السياسية بين الحكومتين فعقد المعاهدة الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

رغبة فى تأسيس علاقات صداقة ووداد بين مملكتى اليمن والعراق العربيتين وتمهيداً لتنفيذ سعى وأمنية زعماء الأمة الإسلامية لتوحيد كلمة الأمة العربية قرر كل من صاحبى الجلالة ملك العراق فيصل الأول ابن الملك حسين، وملك اليمن الإمام يحيى بن حميد الدين إجراء معاهدة. وعينا مفوضين عنهما لعقدها هما :

عن صاحب الجلالة ملك العراق

صاحب السعادة طه الهاشمى

وعن صاحب الجلالة ملك اليمن

صاحب الفضيلة القاضى عبدالله العمرى

اللذان بعد أن اطلعا على وثائق تفويضهما اتفقا على ما يأتى :

المادة الأولى ـ يعترف صاحب الجلالة ملك اليمن بالمملكة العراقية ويعترف صاحب الجلالة ملك العراق بالمملكة اليمنية.

المادة الثانية ـ حررت هذه المعاهدة بنسختين باللغة العربية وتصير نافذة من تاريخ تبادلها بعد إبرامها من قبل الملكين المتعاقدين، ويجرى التبادل فى المحل الذى يتفق عليه الفريقان.

حررت فى صنعاء فى ٢٣ ذى الحجة الحرام سنة ١٣٤٩هـ تسع وأربعين بعد الثلثمائة والألف هجرية.

طه الهاشمى **عبدالله العمرى**

علاقاته مع الأفغان ـ وفى يوم ٢٠ ديسمبر سنة ٩٣٢ وقع فى طهران على معاهدة الصداقة الآتية بين العراق وأفغانستان وهى :

لما كان كل من صاحب الجلالة ملك العراق وصاحب الجلالة ملك أفغانستان راغبين فى تأسيس أواصر الصداقة وحسن التفاهم بين بلديهما فقد عينا لهذا الغرض مندوبين عنهما وهما :ـ

عن جلالة ملك العراق :ـ

توفيق بك السويدى الوزير المفوض والمندوب فوق العادة للعراق فى إيران (طهران).

وعن جلالة ملك أفغانستان :ـ

السردارشير أحمد خان سفير أفغانستان فى إيران (طهران) اللذان بعد أن أبلغ كل منهما الآخر أوراق تفويضه فوجدت صحيحة وطبق الأصول قد اتفقا على ما يأتى :

المادة الأولى - يعترف كل من الفريقين المتعاقدين الساميين باستقلال الفريق الآخر، ويصرح بعزمه على إقامة سلم دائم وصداقه أبدية بين المملكتين.

المادة الثانية - يتفق الفريقان المتعاقدان الساميان على تأسيس علاقاتهما الدبلوماسية والقنصلية على أساس القانون الدولى العام. ويتفقان على أن يتمتع الممثلون الديبلوماسيون والقنصليون لكل منهما فى أراضى الآخر بالمعاملة المقررة بمبادئ وتعامل القانون الدولى العام.

المادة الثالثة - تبرم هذه المعاهدة ويجرى تبادل وثائق الإبرام بأسرع ما يمكن فى طهران. وتصديقاً لذلك أمضى المفوضان هذه المعاهدة وأثبتا ختميهما عليها.

كتبت بالفرنسوية عن نسختين فى طهران فى ٢٠ كانون الأول سنة ١٩٣٢

شير أحمد   توفيق السويدى

علاقاته مع إيران - ظلت علاقات إيران مع جارها العراق سنوات عديدة بغير تنظيم، وقد أبت الحكومة الفارسية فى أول الأمر أن تعترف بحكومة بغداد إلا إذا منحت الرعايا الإيرانيين فى العراق امتيازات كامتيازات الأجانب - مع أنها ألغيت بالنسبة لهؤلاء.

ولئن لم تنظم العلاقات حتى الآن بين هاتين الحكومتين تنظيماً نهائياً فهى فى حال ودية، وقد زار جلالة الملك فيصل ايران فى شهر إبريل سنة ١٩٣٢ وحل ضيفاً كريماً على جلالة الشاه رضا بهلوى فحفى به الفرس حفاوة زائدة، وإليك نص الخطب التى تبادلها الملكان فى المأدبة الرسمية التى أدبت لملك العراق :

خطبة رضا شاه

ياصاحب الجلالة :

إننى لمسرور جداً بتوفيقى إلى مشاهدة الأخ العزيز، وبذلك قد تحققت نياتى السابقة. والآن أرحب بكمال السرور بوصول جلالتكم إلى إيران.

لا حاجة إلى التنويه بروابط بلادينا العديدة والمنافع المشتركة السائدة بيننا خاصة بعد ما أخذت تزداد يوماً فيوماً، وكانت دعامة هذا البنيان الرصين الذى شيدت عليه روابط الود والصداقة بين إيران والعراق.

إن تشريف جلالتكم إيران وفوزى بملاقاة جلالتكم يعبر عن روح الصداقة الصميمة الكامنة بيننا والعلائق الودية بين بلادينا، وسيكون لتشريف جلالتكم عامل مؤثر فى توثيق الروابط الودية بين المملكتين. لذلك إننى أشرب نخب صحة جلالتكم، ونجاح الأخ المحترم، وسعادة الشعب العراقى، وتقدم العراق المستمر.

خطاب الملك فيصل

يا صاحب الجلالة :

أعد نفسى سعيداً جداً لتمتعى بمشاهدة الأخ العزيز. الذى كان شوقى لرؤياه من أعظم الأمانى لدى، واشكر جلالتكم شكراً عظيماً على الحفاوة التى لقيتها من لدن جلالتكم وعلى ما ورد فى خطابكم من عبارات الترحيب.

إن أعظم ما أشعر به من اغتباط وسرور هو أن أسمع من جلاتكم ما يؤيد تلك

الروابط العديدة والأخوة القديمة والمنافع المشتركة السائدة بين بلدينا، والتى هى الأساس القويم لرسوخ بنيان الود والصداقة الذى شيد بمؤازرة جلالتكم.

إن تشرفى بزيارة جلالتكم وبلادكم الجميلة يرمى أيضاً إلى إظهار الصداقة الصميمة الكامنة فى قلبينا. وإلى إعلان النيات الثابتة لتأييد الأخوة والصلات الحسنة التى كانت ولم تزل تربط شعبينا وبلادينا معاً منذ العصور.

وعليه فإننى أشرب نخب صحة جلالتكم، وأتمنى لأخى العظيم وحكومته وشعبه النبيل السعادة والتقدم المطرد والتوفيق فى جميع الأعمال.

وبين هاتين الحكومتين اتفاق تجارى واتفاق مؤقت لصيانة مناطق الحدود من الأشقياء والعصابات. وقد وقع عليه فى شهر ديسمبر سنة ١٩٣٢ وتدور المفاوضات لعقد سلسلة من المعاهدات والاتفاقات بينهما هذا بيانها :

١ ـ معاهدة حياد وعدم اعتداء.

٢ ـ معاهدة تسليم المجرمين.

٣ ـ معاهدة صداقة.

٤ ـ معاهدة إقامة.

٥ ـ معاهدة تجارة.

٦ ـ معاهدة تنقل سكان الحدود.

٧ ـ معاهدة حل اختلافات الحدود.

٨ ـ معاهدة التعاون القضائى.

٩ ـ معاهدة الجنسية.

وقد أتموا وضع مشروعاتها، وقد يوقع عليها فى زمن عبر بعيد.

أما علاقاته مع إنكلترا فهى منظمة بموجب معاهدة ٣٠ يونيو سنة ١٩٣٠ وقد نشرنا نصها. ولم يعترف العراقيون بالوضع القائم فى سورية، وإن كانوا عقدوا سلسلة معاهدات مؤقتة مع الفرنسويين لمعالجة أحوال طارئة.

بلاد العرب السعودية

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

أكبر بلاد العرب مساحة، وأوسعها رقعة، وأقلها سكاناً، تقع فى قلب الجزيرة وتمتد من الخليج الفارسى حتى البحر الأحمر، ومن حدود الشام حتى مشارف اليمن. ولايوجد إحصاء رسمى لعدد نفوسها، فيقول بعضهم إنهم يبلغون خمسة ملايين. ويقول آخرون إنهم أقل من ذلك، ويبالغ آخرون فيجعلونهم ثمانية. وكذلك فليس بمستطاع معرفة حقيقة مساحتها السطحية وتقدر بستمائة ألف ميل مربع.

وتتألف من عدة مقاطعات وإمارات. وأشهر مدنها مكة والمدينة المنورة وجده والطائف وينبع فى الحجاز، وابها ومحايل وصبيا وجيزان وأبى عريش فى عسير. والرياض وحايل والتقطيف وجبل وعنيزة وبريدة فى نجد. وهى مجموعة حكومات وامارات عديدة اندمج بعضها فى بعض خلال السنوات الأخيرة وأطلقوا عليها يوم ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ اسم «المملكة العربية السعودية».

وسكانها عرب مسلمون يتدين النجديون منهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ويتدين أهل الحجاز وعسير على مذهب الإمام الشافعى. وهنالك عدد قليل لايذكر من الأجانب يقيمون فى جده ولايزيدون عن ٦٠ نسمة. وفى نجد بعض الشيعة ينزلون مقاطعة الأحساء.

وتحكم هذه البلاد بموجب الشريعة الإسلامية وتطبق فى محاكمها. فتقطع يد السارق ويرجم الزانى ويقتل القاتل وتجبى الزكاة، ويقيم الإمام الحدود الشرعية. وهنالك هيئات رسمية اسمها «جماعة الأمر بالمعروف» مهمتها الطواف فى الأسواق عند حلول أوقات الصلاة تدعو المؤمنين إلى أدائها فى أوقاتهات.

والزراعة هى المورد الأساسى لبعض مقاطعات هذه المملكة ويشتغل بعضها بالتجارة، وأن كان الحجاز لايخلو من بعض مظاهر المدنية الحديثة. وليس لها جيش نظامى بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة، وهم يدعون عند الحاجة جميع أبنائها إلى حمل السلاح فيلبون. ولاتزال البداوة غالبة على بعض سكانها.

ويحدها البحر الأحمر غرباً والخليج الفارسى شرقاً، واليمن جنوباً والعراق والكويت وشرق الأردن شمالاً.

ومنشئ هذه الدولة هو الملك عبدالعزيز آل السعود. وعاصمتها الجديدة مكة، وعاصمتها القديمة الرياض فى نجد. وهذا رسم جلالته :

جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود



ملك المملكة العربية السعودية

جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

مولده ونشأته

ولد فى الرياض فى قصر والده المرحوم عبدالرحمن الفيصل السعود أمير الرياض يوم ٢٠ ذى الحجة سنة ١٢٩٧ (ديسمبر سنة ١٨٨٠) ونشأ إلى جانب أبيه وإخوته فتعلم مبادئ القراءة والكتابة وتلاوة القرآن. وتمرن على ركوب الخيل وضرب السيف والرماية وألعاب الفروسية. وشب كما يشب أمثاله من أبناء الأمراء فى ذلك الجيل. فقد كانوا يكتفون بتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة البسيطة ويهملون ما عدا ذلك.

وكانت إمارة الرياض إبان نشأته فى حروب مستمرة مع آل الرشيد فى حايل وقد انتهت بانتصار هؤلاء فغادر والده الرياض ومعه أسرته وحاشيته وبينهم عبدالعزيز، وكان فى الحادية عشرة فقصد الكويت ونزل ضيفاً على شيخها مبارك الصباح، وذلك سنة ١٨٢٩.

ونشبت خلال تديرهم الكويت حروب ومعارك بين مضيفهم الشيخ مبارك وبين عبدالعزيز الرشيد أمير حايل. فانضم عبدالرحمن وأولاده إلى مضيفهم من عدوهم، وقاد الفتى عبدالعزيز جيشاً وهو لم يبلغ الخامسة عشرة فانهزم كما انهزم الشيخ مبارك نفسه فى معركة الصريف سنة ١٩٠٠ ودارت الدائرة على جيشه، وكان فيه الإمام عبدالرحمن وأولاده.

ونفخت هذه الحروب والمعامع يخوضها الفتى عبدالعزيز - ولم يطر عارضاه - روحاً من الجرأة والإقدام فى صدره وصهرته صهراً فغامر مغامرة جديدة تنطوى على كثير من الجرأة والشجاعة، وإلى فوزه فيها يعود الفضل فى إحياء إمارة آل السعود فى نجد ثم إلى افتتاح هذه الأقطار وإنشاء هذه الملك الضخم.

وبيـان ذلك انه اختـار على أثر مـعركة الصـريف نخبه من رجـال نجد الأشـداء الذين لحـقـوا بهم فى هـجـرتهم، وأبـوا الإقـامـة فى ظل آل الرشـيـد وكـلهم فـارس مـجـرب ألف الأخطار، فقـصـد بهم جـبرين على حـدود الربع الخالى وقـرر اتخاذها لأعماله بعد ماسدت فى وجهه جميع الأبواب.

وفى يوم ٥ رمضـان سنة ١٣١٩ سار من جـبـرين على رأس جيشـه الصـغير قاصداً الـرياض (عاصمة إمـارتهم) مصمماً على الموت أو يفوز بافتتـاحها فبلـغها يوم ٤ شوال أى بعد مسيرة شـهر فنزل بجيشه الصـغير على بعد ١٠ كيلو مترات منها فى مكان لاترمـقه الأنظار. وبعد مـا استـراح قليلاً ترك ٢٠ فـارساً ممن مـعه وأمرهـم بأن يلزمـوا مكانهم كاحتياطى له يستعين بهم عند الحاجة.

ولما بلـغ البلدة أمر ٣٠ بالتوقف انتظاراً لتعليماته وولى عليـهم شقـيقه الأمـير محـمداً ثم تقدم لاخـتـراق السـور الخـارجى مع ١٠ فقط وكـان بابه مغلقـاً والدخول إلى المدينة ليس بالسهل.

وعـمد إلى الحـيلة فى تنفـيـذ خطته ـ والحـرب خـدعه ـ وكـان يعـرف أن فلاحـاً يتجـر بالبقر يسكن قـرب السـور فقـصـد بيته وطرق البـاب فصـاحت زوجـة الفلاح من الداخل، من الطارق ؟

ـ أحـد رجـال الأمـيـر عـجـلان ـ حاكـم الرياض من قـبل أبن رشـيـد ـ أريد من رجلك أن يشترى لنا بقراً صباح الغد،

ـ خسئت يا شبه الرجال ما جئت تبغى البقر يا فاجر بل جئت تبغى الفساد.

ـ لا والله. ليس هـذا مأربى. بل أبغى صـاحب البيت فإذا لم يخرج الآن فـالأمير يقتله فى صباح الغد.

وخـافـت المرأة التـهـديد، فـفـتـحـت البـاب وكـان زوجـهـا فى الداخل، ويعـرفـه عبدالعزيز شـخصـياً، ويعرف زوجته وأولاده ومنهم من كان فى خـدمة آل سعود.

فلما رأواه صاحوا عمنا عبدالعزيز (ويكنى الخادم فى بلاد العرب عن مخدومه بلقب عمه) فقال لهم لابأس عليكم إذا سكتم. ثم أدخلهم غرفة وأقفل عليهم الباب ووضع المفتاح فى جيبه ومضى فى تنفيذ خطته.

وتسلق جدار بيت مجاور عند الحصن فألقى اثنين نائمين فى فراش واحد فلفهما وحملهما إلى غرفة صغيرة وأقفل عليهما. ولما وثق من النجاح وعرف أن كل شئ يسير طبق المرام انطلق فجاء بالثلاثين الواقفين قرب السور فاجتمعوا فى البيت الثانى من دون أن يشعر بهم أحد.

ثم قصد بيتاً هنالك للأمير عجلان أقام فيه إحدى نسائه وكان يتردد عليها فدخله ومعه عشرة من رجاله فطافوا غرفه، وكان فى إحداها شخصان نائمان توهم أنهما الأمير وزوجة فدخل الغرفة وجاء بسراج عرف على نوره بعد إيقاظهما انهما أمرأة الأمير وزوجة أخيه.

وعرفته المرأة فقالت له :

- أنت عبدالعزيز

- نعم

- ومن تبغى

- زوجك

- والله أحب أن تقتل كل من فى البلد من شمر إلا زوجى. ولكنى أخشى عليك منهم. أخشى أن يقتلوك يا عبدالعزيز.

- ما سألناك عن هذا. إنما نريد أن نعلم متى خرج عجلان من الحصن الداخلى.

- بعد طلوع الشمس بساعة.

ـ هذا كل ما نبغيه ولا بأس عليكن إذا سكتن.

ثم جمع النساء والخدم وكل من فى القصر ووضعهن فى غرفة وأقفل بابها. وبعد أن أتم ذلك وكان الوقت نحو الساعة الثالثة بعد نصف الليل جلس مع رجاله فأكلوا وشربوا القهوة انتظاراً لطلوع الشمس، وهو فى خلال ذلك يفكر فى تنفيذ الجزء الباقى من خطته.

وفتح باب الحصن الداخلى فى الصباح وخرج العبيد بالخيل فأسرع عبدالعزيز يعدو حتى دخل الباب ومعه خمسة عشر من رجاله وصادف خروج الأمير عجلان فى تلك الدقيقة فلما رأى عبدالعزيز ورجاله ارتد إلى الداخل يريد الفرار، وكان الباب الكبير قد أقفل ولم تبق سوى (الخوخة الصغيرة) وفيما كان يهم بدخولها رماه عبدالعزيز برصاصة فجرحته ولم تقتله ثم أسرع فأدركه وكان نصفه داخل الباب فجذبه إلى الخارج فتماسكا وتصارعا وكل منهما يحاول الفتك بخصمه.

وأفاق رجال الحصن على الجلبة فرموا برصاصهم عبدالعزيز ومن معه فقتلوا اثنين وجرحوا أربعة فلم يثن ذلك المهاجمين بل استمروا فى هجومهم وكان عبدالله بن أجلوى أول داخل فعدا وراء عجلان، وكان قد أفلت من يد عبدالعزيز فرماه برصاصة فخر صريعاً، وبذلك دان لهم الحصن واستسلم رجاله بعد ما أمنوهم. ثم أرسل المنادى ينادى فى الأسواق بدخول المدينة فى طاعته. فأقبل الناس يهنئون أميرهم القديم، ويعلنون أغتباطهم بفوزه ورجوعه إليهم. ومنذ ذلك اليوم أصبح سيد نجد وحاكمها.

ولقى ابن السعود الأهوال فى ابتداء الأمر. فقد حاربه ابن الرشيد حروباً كثيرة بعد استيلائه على الرياض محاولاً إخراجه منها فلم يفلح. ولما وثق عبدالعزيز من قوته، وأشتد ساعده بدأ بمهاجمة مقاطعات نجد فاحتلها الواحدة بعد الأخرى تدريجاً، وكانت مقاطعة الأحساء ـ وهى ساحل نجد على الخليج

الفارسى ـ آخر ما أحتله، فقد استولى عليها الترك فى أواخر القرن الماضى مغتنمين فرصة الاضطرابات الداخلية فى نجد ووقوع الحرب بين أمرائها. ورأى الترك بعد دخول الإحساء فى طاعته أنه ليس من مصلحتهم الاشتباك معه فى حرب جديدة فصالحوه وعينوه والياً عليها ومنحوه رتبة باشا سنة ١٩١٣ وبذلك اعترفوا عملياً بدخولها فى سلطته، وأن لم يعترفوا رسمياً.

على أن نجم ابن السعود لم يشرق ويتألق إلا بعد الحرب العظمى، وقد انتهت بجلاء الترك عن بلاد العرب وتفرد الإنكليز بالنفوذ فيها، وهم أصدقاء بيت سعود القدماء، فقد اغتنم الفرصة السانحة وهاجم حايل (مقر إمارة آل الرشيد) فتغلب عليها لزوال القوة التى كانت تسندها ـ أى قوة الترك ـ وبعد حصار طويل استسلمت إليه فى سنة ١٩٢٠ فألحقها ببلاده، وعين أميراً لها يديرها بأسمه.

وسير الملك الحسين فى سنة ١٩٢٠ حملة كبيرة على شرقى الحجاز عقد لواءها لنجلة الثانى الأمير عبدالله. مهمتها الظاهرة إخضاع قبائل طربة والخرمة التى شقت عصا الطاعة بقيادة خالد بن لؤى (أمير طربة) وانضمت إلى الوهابيين، ومهمتها المضمرة الزحف على الرياض وضرب ابن السعود ضربة قاضية وضم بلاده إلى الحجاز. وقد وضع النجديون وأنصارهم السيف فى رقاب رجالهم فأفنوها، ولم تقم للحكومة الهاشمية بعدها قائمة فى الحجاز. وسيأتى وصف مطول لهذه الحملة عند الكلام على سيرة الأمير عبدالله. ولولا تدخل الإنكليز وحملهم ابن السعود على الرجوع إلى بلاده مقابل وعد له بحل المشاكل القائمة بينه وبين حكومة الحجاز على منوال يرضيه لتم له دخول مكة على أهون سبيل.

وسير الحسين فى السنة التالية سنة ١٩٢١ الرسل والدعاة إلى عسير يدعون سكانها إلى الانتقاض على أميرهم الإدريسى، فلقيت دعوته آذاناً صاغية ورفع

أمراء آل عايض راية العصيان. فخاف السيد ابن إدريس العاقبة، وأدرك أنه لاقبل له بقمع هذه الفتنة وقطع دابرها. فضرب اخماساً لأسداس فرأى أن النجاه هى فى الالتجاء إلى صاحب نجد، عدو الحسين الألد، فكاتبه وعقد معه معاهدة سير على أثرها القوات إلى عسير فقمعت الفتنة واستولت على البلاد الثائرة (أبها ومحايل وبنى شهر) وألحقتها بنجد وضربت العائضيين وقبيلهم ضربة شديدة ونكلت بهم تنكيلاً.

وفى يوم أول صفر سنة ١٣٤٣ هاجم بعض رجاله المخافر الحجازية الواقعة على حدود نجد ففر الجند الهاشمى من أمامهم فبلغوا الطائف واستولوا عليها يوم ١٢ سبتمبر سنة ١٩٢٤ (٦صفر سنة ١٣٤٣) بعد مذبحة سيأتى وصفها بإيجاز وواصلوا تقدمهم. فدخلوا مكة بلا حرب يوم ١٨ أكتوبر فى تلك السنة. وعلى أثر ذلك جاء ابن السعود إلى الحجاز وتولى بنفسه مواصلة الحرب حول جدة فسلمت إليه فى يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٥ بموجب شروط سيرد ذكرها. وبذلك دخل الحجاز كله فى طاعته، وفى يوم ١٢ يناير سنة ١٩٢٦ بايعه الحجازيون المجتمعون فى مكة ملكاً عليهم. فاتخذ لنفسه لقبا هو (ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها) ثم أبدل بلقب «ملك البلاد العربية السعودية» على ما مر بك آنفا.

كيف يقضي يومه؟

يختلف الملك عبدالعزيز فى عاداته وأطواره عن معظم الملوك والأمراء الذين نتلو سيرهم، ونقرأ فى الصحف أخبارهم. فعاداته مخالفة لعاداتهم. وتقاليده لاتتفق وتقاليدهم، والظاهر أن للوسط الذى نشأ فيه دخلا فى تكييف عاداته، خصوصاً وهو لم يغادر بلاد العرب فى حياته كلها، ولم يزر الأقطار التى اعتدنا أن نسميها متمدنة ولم يختلط بسكانها، ولم يقرأ كتب الأوربيين ولا مؤلفاتهم، ولم يطلع على أخلاقهم وعاداتهم، فقد قضى صباه شريداً طريداً، ولما بلغ أشده تقلد السيف ولم يضعه من يده حتى الآن فهو لايزال فى كفاح ونضال مستمرين. ومما يؤثر عنه قوله : إنه لايوجد فى داخل جزيرة العرب شبر أرض لم يقاتل عليه.

والبلاد التى زارها أو رحل إليها هى الكويت والبصرة والحجاز، ولم يركب البحر فى أسفاره إلا داخل الخليج الفارسى، ولم يعرف سكة الحديد إلا حينما رآها فى المدينة، على أنه أقبل منذ اختراع السيارة على اقتنائها لما أدركه من فوائدها، ولديه عدد غير قليل منها. وهو يعتمد عليها فى أسفاره وتنقلاته، بدلاً من الذلول والخيل. كما أقبل على أستعمال التليفون السلكى واللاسلكى والبرق اللاسلكى فى بلاده، فعنده مرا كز كثيرة فى جميع الأنحاء، ويعول عليها فى تخاطبه مع عماله وأمرائه فى ممالكه الواسعة.

***

يستيقظ ابن السعود مبكراً بين الساعة ٣ ـ ٤ صباحاً فيتوضأ ويصلى الصبح ثم يبدأ بتلاوة القرآن. سواء كان فى الرياض أو مكة فيقرأ جانباً كبيراً منه. ويظل فى اعتكافه وتهجده حتى قرب شروق الشمس ثم ينام عند الساعة الخامسة ويستيقظ نحو الساعة الثامنة فيلبس ثيابة ويشرب القهوة ويجرع كمية من لبن

الإبل. ثم يخرج إلى الديوان فينظر فى الشؤون المعروضة عليه. ويوافيه عامل اللاسلكى كل صباح بتقارير عماله وأمرائه. وكل حاكم مدينة عندهم يسمى أميراً وجميعهم يتصلون اتصالاً مباشراً بالملك فيوافيه كل منهم بتقرير مفصل عن الحالة فى منطقته فلايكاد يفوته شئ مما يقع.

ثم يأخذ فى استقبال زائريه وقاصديه، وعماله ورجاله، فيجلس معهم متربعاً على سجادة مفروشة على الأرض ويحادثهم ويناقشهم ويشرب القهوة مع كل زائر، ويظل على ذلك حتى الساعة ١١ قبل الظهر، ويكون الطهاة قد انتهوا من أعداد الطعام وتهيئته، فيجلس إلى مائدة مدت على الأرض وحوله ضيوفه ويأكل بيده إذا كانوا من أهل نجد والحجاز، أما إذا كان هنالك رسميون، فيأكل بالملعقة، ويجلس إلى موائد نظمت على الطراز الحديث. ولديه غرفه فخمة للطعام فى القصر العالى بمكة أعدت إعداداً مناسباً. وكذلك فقد أعد القصر الأخضر فى جده على نمط حديث. وبعد الفراغ من الأكل تدار القهوة العربية، ثم يصلى الظهر ويدخل الجناح الخاص بالنساء فينام ثم ينهض عند الساعة الثالثة فيستحم ويبدل ثيابة ويتطيب وينتقل إلى الديوان فيصلى العصر جماعة ثم يجلس لاستقبال الزائرين والنظر فى الشؤون المعروضة عليه والفصل فى الخصومات حتى أذان المغرب فيصلى جماعة مع الموجودين. ثم يبدأ أحد العلماء بإلقاء درس فى الفقه بحضور الملك وأنجاله وأمرائه وغيرهم من الذين يودون الاستفادة ويستمر فى إلقائه حتى دخول وقت العشاء فيصلون ثم يلقى عالم أخر درساً فى التفسير والحديث يستغرق ساعة وفى ختامة يتفرق الناس للنوم فيقصد جلالته مخدعه فينام ويستيقظ عند الفجر فيصلى ويتلو القرآن على المنوال الذى بسطناه أنفا.

هذا هو برنامجه اليومى فى الأوقات العادية حينما يكون مستقراً فى نجد أو فى الحجاز. أما فى الأسفار أو فى أيام الحروب والغزوات فيختلف برنامجه عن ذلك، فقد تمر به ليال لاينام فى خلالها إلا غراراً على ظهور الإبل أو الخيل

مواصلاً سرى الليل بسير النهار لايأكل إلا قليلاً، ولايشرب إلا نادراً إذا وجد ماء. ومما يروى عنه أنه أضطر فى بعض غزواته إلى شق بطون النياق لاستخراج مافيها من ماء وشربه لندرة الماء، وكثيراً ماقضى الأيام والليالى طاوياً لعدم وجود ما يأكله.

وطعامه اليومى المعتاد هو الأرز واللحم المسلوق واللبن الرائب ولبن الأبل والخبز، ويأكل الفواكه إذا وجدت. وهى قليلة فى نجد والحجاز قلة الخضار، وترسل من السويس إلى مكة فيأكلها إبان إقامته فيها. والأرز واللحم هما عنصرا الغذاء فى نجد والحجاز.

لباسه ـ يضع ابن السعود الكوفيه والعقال على راسه ويلبس قميصاً أبيض طويلاً فوق جسمه وتحته سراويل واسعة ويضع فوقه ثوباً وفوق «الثوب» عباءة، ويكون الثوب من الجوخ فى الشتاء ومن القماش الأبيض فى الصيف، وألبسته غالباً تنسج وتخاط فى دمشق وترسل إليه. وليس فيها ما يفضله أو يميزه على أحد عماله أو رجاله الآخرين. ولا يلبس (جوارب) قط. مكتف بالخف يلبسه فى رجله على طريقه أهل الحجاز ونجد، وقد ينزعه عند ركوبه الخيل. وشعاره البساطة التامة فى كل شئ.

ويحب المباسطة على المائدة خلال تناول الطعام، ويمازح جلساءه ورجال خاصته ويحادثهم أحاديث طلبة لا أثر فيها للكلفة ويعاملهم معاملة الصديق للصديق والند للند، وهم يحبونه حباً جماً ويتفانون فى سبيله. على أنه لايتأخر عند الحاجة عن تأديب بعض من يذنب منهم بيده. وهو مشهور بالإفاضة فى الحديث. فإذا بدأ بموضوع لايتركه قبل أن يلم به من جميع نواحيه ولايدع زيادة لمستزيد. فإذا قاطعه جليسه أو محدثه مستدركاً على شئ أو مبدياً رأياً لاح له، أو فكرة مرت بخاطره قال له «أسمع أنا أعلمك» أى أخبرك أو «اسمع، اسمع الله يهديك» أو «ماتسمع الله يسلمك» ويردد هذه الجمل كثيراً فى محادثاته اليومية.

ومن مزاياه الحميدة اعترافه بأنه لم يتعلم العلوم ولم يرزق حظ الإحاطة بها، وهو يكرر ذلك فى معظم المناسبات ويقول «حنا» أى نحن ما تعلمنا فيجب على الذين تعلموا أن يساعدونا ويرشدونا.

خطبه ـ خطبه كثيرة متداولة وهو يخطب فى كل مناسبة تقريباً ومن عادته أنه يخطب وهو جالس ويشير بسبابته اليمنى ويستعين بها أو (بقضيب) صغير يحمله فى يده ـ على أداء ما فى فكرة . وهو يرسل الكلام إرسالاً من دون أن يتقيد بأساليب البلغاء أو بقواعد اللغة بل يخطب بلهجة أهل نجد، وتغلب على خطبة المسحة الدينية، وكثيراً ما يستشهد بأحاديث نبوية وآيات قرآنية فى خلالها.

أخلاقه ـ تغلب عليه الوداعة والمرونة مع شدة وقسوة عند الحاجة، فهو يعرف كيف يضع السيف كما يعرف كيف يضع الندى، وهو متسامح مع خصومة وأعدائه واسع الصدر، كريم اليد، فإذا جاءوا تائبين أو نادمين عفا عنهم ورحب بهم وأجزل لهم العطايا وأنزلهم أحسن المنازل. ويكون انتقامه شديداً ممن ينتقض عليه أو يحاربه بعد أن يكون دخل فى طاعته.

وقد تم له بفضل سياسة الحزم والعزم والشدة التى يسير عليها فى إدارة بلاده وأقطاره الواسعة إقرار الأمن على منوال غير معروف فى أعظم البلاد رقياً وحضارة، فأطمأن الناس على أرواحهم وأموالهم فى غدوهم ورواحهم حتى ندر وقوع الحوادث العادية. والفضل فى ذلك إلى يقظته الزائدة وأخذه بالشدة المجرمين وقاطعى الطريق والعابثين بالأمن العام فلا يرحمهم ولايشفق عليهم ولاتنفع عنده فيهم شفاعة.

راتبه ـ ليس لجلالته راتب معين يتناوله من بيت المال. بل هو يأخذ ما هو فى حاجة إليه لإنفاقه على ضيوفه وزواره. ولا توجد فى الحكومة العربية السعودية ميزانية مرتبة مبوبة كما هو الحال فى الممالك الأخرى بل كل شئ

رهن إرادة الملك. وتقصده وفود العربان حينما يكون فى نجد فيصابحه كل يوم عدد منها فينزلون فى دار الضيافة، ولكل أمير من أمراء ابن السعود فى نجد والحجاز دار للضيافة ينزلها المسافرون، وبعد أن يقضى القادمون أيام الضيافة وهى ثلاثة فى الغالب يرفع وكيل بيت المال إلى الملك كشفا بأسمائهم ليأمر لهم بأعطياتهم فيكتب إلى جانب اسم كلِ واحد منهم المبلغ الذى يعطى له مراعياً حالته ومقامه. فهذا يأخذ ١٠ ريالات، وهذا ٥٠ وهذا ٣٠٠مثلاً، وهذا ٧٥ وهذا يأمر له بعشر نياق، وذاك بخمسة أكياس من الأرز. ومن تقاليدهم أن يمنحوا كل زائر كسوة ـ عدا العطاء ـ والكسوة عبارة عن عباءة وثوب. والعبى عندهم درجات مثل الأثواب. فقد تكون من الحرير وقد تكون من الوبر أو من القماش العادى ويسمونها «بشت» فما يعطى للأمير أو لشيخ القبيلة لايعطى للزائر العادى أو لغيره. ويمنح كبار الضيوف وعظماؤهم السيوف المذهبة أو الخناجر المطعمة أو الساعات الثمينة، كل برتبتة ودرجته، ولايغادر قصره زائر من دون هدية.

وقد يغتنم البدو فرصة خروجه من مكان إلى آخر فيلحقون به فيدنوا أحدهم منه ويهمس فى أذنه من الوراء أنه فى حاجة إلى مال ليتزوج فيقول لمن يكون وراءه من رجاله أعطوه ١٠ ريالات مثلاً ـ وهى كافية للزواج ـ ثم يأتى غيره ويقول له «يا طويل العمر» وهى كلمة دعاء فى نجد، أنا فى حاجة إلى «بشت» فيأمر له به أو يقصده من يطلب ناقة فيأخذها.

وبابه مفتوح للضيف والمظلوم، وكيسه مفتوح للبذل والعطاء كما أن سيفه مسلول للبطش والتأديب. وقد ساد قومه بهذه المزايا الثلاث : العدل والكرم والشجاعة ونال مالم ينله غيره من آل سعود.

زوجاته ـ لايوجد أحصاء حقيقى لعدد النساء اللواتى تزوجهن حتى الآن. بيد أن بعض العارفين يقول أن عددهم يزيد عن المائة فقل أن توجد قبيلة أو مدينة فى نجد لم يتزوج بنتا من بناتها تقرباً إليها واستمالة لها.

وهو متمسك بما قرره الدين من جهة العدد ـ رغم تعدد زوجاته وكثرتهن. ومعنى ذلك أن عدد الزوجات الشرعيات لايتجاوز الأربع بوجه من الوجوه، فإذا أراد الزواج طلق واحدة من الموجودات ثم عقد على التى وقع اختياره عليها وبنى بها.

ومطلقاته يقسمن إلى قسمين : فاللواتى يحبلن أو يلدن يبقين داخل قصر الرياض ويقمن منفردات ـ كل واحدة فى مكان يخصص لها ريثما تضع حملها، فإذا كان حيا عنيت به وقامت على تربيته ولها ماللزوجات الباقيات من المأكل والملبس. وأما اللواتى لم يلدن فيرجعن إلى أهلهن مع جهازهن والبستهن وما يكون الملك قد أجراه لهن مدة وجودهن فى قصرة. وبينهن من يلزمن بيوتهن ولايقبلن الزواج بغيره. وبينهن من يتزوجن بعد انقضاء العدة الشرعية ولايجدن فى ذلك أقل بأس.

وتعدد الزوجات شائع فى نجد، وقل أن تجد رجلاً لم يتزوج مرات كما قل أن تجد امرأة لم تتزوج أكثر من رجل. ولايجدن فى ذلك ـ نساء ورجالاً ـ غضاضة.

وفى القصر الملكى عدا النساء الشرعيات طائفة من الجوارى السود اللواتى يدخلن فى آية «وما ملكت أيمانكم» يفترشهن الملك وكذلك، فهنالك طائفة غير قليلة من السرارى ويسمونهن (كجريات)[(١)] وقد حملن إلى نجد فى زمن الحرب العظمى فاشتراهن الملك وتسراهن وهو يستمتع بهن، وبينهن واحدة ولدت له أولاداً وهى تقيم فى القصر محترمة مكرمة، تعنى بملابسه الخاصة وتسهر على ترتيبها ونظافتها. والملك مشهور بميله إلى النساء وعطفه عليهن وهن سلوته الوحيدة.

أولاده ـ لايقل عدد أولاده ذكوراً وإناثاً عن أربعين ونحن نكتفى بإيراد ما نعرفه من أسماء الذكور ـ أما الإناث فلا يعرف أسماءهن إلا القليلون :

---

(١) نسبة الى بلاد الكورج او جورجيا فى القوقاس وقد اشتهرت هذه البلاد بجمال نسائها.

سعود، وفيصل، ومحمد، وخالد، وناصر، وسعد، ومنصور، وفهد، وبندر، ومساعد، وعبدالمحسن، ومشعل، وعبدالله، وسلطان، وعبدالرحمن، ومتعب، وطلال، وتركى، ونواف. ولئن كانوا الأمير سعود أكبر أنجاله فى الوقت الحاضر فاسم بكره تركى وقد توفى سنة ١٩١٩ بالوافدة الأسبانيولية ولايزال يكنى حتى الآن به فيقولون أبو تركى لا أبو السعود.

وقد اعتاد أن يأتى معه بجانب من نسائه حين قدومه إلى الحجاز سنوياً ويبقى الجانب الأكبر فى نجد ويأخذهن معه فى رجوعه إليها.

أوصافه ـ طويل القامة، ضخم الجثة. واسع الفم إذا تكلم وهو غاضب ظننت أنه الجمل يهدر، ذو وجه مدور لوحته الشمس أسمر البشرة طويل القامة ندر أن يوجد بين رجال نجد من يدانيه فى الطول فكأنه المفرد العلم إذا وقف بينهم. له لحية صغيرة. أصيب برمد فى عينيه ولذلك يضع نظارة يستعين بها فى القراءة. وأحياناً يدنى الورقة أو الكتاب من عينيه ليتبينه جيداً، ويوقع بيديه على أوراق الحكومة ويعرضها عليه رئيس ديوانه الخاص. وخطه يقرأ بصعوبة زائدة.، وفى جسمة كثير من الجروح التى أصيب بها فى المعارك وإحدى أصابعه مشلولة.

ولابن السعود عناية عظيمة بالصحف العربية وخصوصاً الصحافة المصرية ويقرأ ما تكتبه عن بلاده بإمعان، وهو مشترك فى معظم الصحف العربية مصرية وسورية وعراقية وتقرأ فى ديوانه وترفع إليه قصاصات منها عن الحالة فى بلاد العرب.

وكذلك فهو مشترك فى جريدتى التيمس والنيريست الإنكليزية ويتولى قلم الترجمة فى ديوانة ترجمة المقالات الخاصة ببلاد العرب ويرفعها إلى جلالته. وهناك مترجمون أيضاً لترجمة مايكتب فى الصحف الهندية عن الحجاز.

عادته فى رحلاته ـ ومن عادته فى رحلاته أن يقف اثنان من رجاله وبيد كل واحد منهما بندقية على درجة سيارته هذا من اليمين وذاك من الشمال خوف

وقوع حادث مفاجئ. وتكون إلى جانبه فى السيارة بندقية خاصة به. ويضع سائق سيارته الخاص وهو هندى مضى على وجوده عنده سنوات عديدة بندقية فى جانبه.

ويسير وراءه حيثما سار شاب أسود اللون تسلح بالبندقية والمسدس والجنبية والخنجر، فيرافقه فى زياراته وفى ذهابه إلى الولائم الخاصة وإلى المسجد وإلى كل مكان ولايتركه إلا بعد دخوله غرفته الخاصة فى القصر، وهذه العادة متوارثة انتقلت إليه من أمراء آل السعود السابقين، ومنشؤها أن إيرانياً باغت سعود الكبير وهو يصلى فى النجف سنة ١٢١٨ فاغمد خنجره فى ظهره فقتله وهو ساجد. فأعد خلفه أحد رجاله وسلحه وأمره بأن يتبعه أينما سار ويقف وراءه فى صلاته ولا يصلى هذا التابع حينما تقام الصلاة بل ينتظر ختامها ليصلى فلا يباغت الأمير فى صلاته.

عنايته بنشر العلم ـ ومما يستحق الذكر من أخباره عنايته الزائدة بنشر العلم، فقد طبع آلافاً من كتب الفقه والحديث وخصوصاً ما كان منها مطابقاً لمذهب السلف، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل ووزعها مجاناً فى أنحاء مملكته خدمة للعلم ونشراً له.

وفى عهده أنشئ أول مستوصف فى الرياض وعين له طبيب خاص يعنى بصحة السكان ويداوى مرضاهم ويوزع عليهم الأدوية مجاناً، وفى عهده أيضاً أرسلت أول بعثة من شبان نجد والحجاز إلى مصر وأوربا لتتلقى العلوم والصناعات وذلك فى سنة ١٩٢٧ وعددها ١٦ شاباً ثم حال الضيق الاقتصادى دون متابعة إرسال البعوث. وفى عهده أيضاً اجيز ركوب السيارات فى الحجاز وكان استعمالها ممنوعاً فى العهد السابق، وأدخلت الآلات الزراعية الحديثة لاستعمالها فى نجد والحجاز، وانتشرت ماكينات اللاسلكى وغيرها من أدوات الحضارة الحديثة إلخ.

استخباراته - ويجب علينا أن نسجل عناية ابن السعود بتسقط أخبار البلاد المجاورة له. فلديه مصلحة استخبارات منظمة تنقل إليه جميع ما يحدث بالضبط والتفصيل فلا يكاد يفوته شئ مما يقع تقريباً ويوافيه عماله برقياً بأخبار الحوادث الهامة عند وقوعها. كما يوافونه بتقارير سرية هامة. ومما عرفه كاتب هذه السطور بنفسه أنه دخل على جلالته - وكان في مكة في شهر مايو من شهور سنة ١٩٣٠ فبادره بقوله : اليوم انقطعت المفاوضات بين النحاس باشا والمستر هندرسن وغادر الوفد المصرى لندره من دون وصول إلى اتفاق، ودخل عليه بعد ذلك فقال له : لقد أعلن المسيو بونسو الدساتير فى سورية. وهكذا كان يقف من جلالته على أخبار البلاد العربية بالتفصيل يومياً وهى مما لا يعرفه أحد فى الحجاز.

الفتن فى عهد - اشتعلت ثلاث فتن خطيرة فى العهد الأخير داخل بلاده : فتنة الدويش فى نجد سنة ١٩٢٩ ، وفتنة ابن رفاده فى الوجه (الحجاز) سنة ١٩٣١ ، وفتنة الأدارسة فى عسير سنة ١٩٣٢ ، ولقد لقى نصباً فى إخمادها ولكنه قضى عليها ونكل بدعاتها وموقديها.

عهده

نشأت إمارة آل سعود فى نجد خلال القرن الثامن عشر. ومؤسسها هو محمد بن سعود، وقد اشتهر بتأييده لحركة محمد بن عبدالوهاب الداعية الدينى فى نجد، وكانت الدرعية عاصمة هذه الإمارة فى ابتداء أمرها ثم انتقلت إلى الرياض. وخلفه نجله عبدالعزيز بن محمد، فسعود ابن عبدالعزيز ويلقبونه بالكبير، وهو الذى غزا الحجاز واليمن والشام واحتل المدن والعواصم واغتاله أحد الشيعة وهو يصلى كما مر بك. فخلفه ولده عبدالله وقد أعدم شنقاً فى الآستانة، فخلفه مشارى وقد قتل أيضاً، فخلفه تركى عبدالله، ففيصل بن تركى، ثم عبدالله بن فيصل، ثم عبدالرحمن الفيصل، ثم عبدالعزيز الحالى وهو العاشر من آل السعود.

ولم تكن إمارة الرياض تشمل يوم درج على أديم هذا الوجود سوى جزء صغير من أجزاء نجد لم يلبث أن سقط فى قبضة آل الرشيد منافسى آل السعود وخصومهم فغادره أميره عبدالرحمن الفيصل لاجئا إلى الكويت بأولاده وحاشيته والمترجم له فى جملتهم، وكان فى العاشرة من سنة فنزل ضيفاً على شيخها.

ولم يخلد عبدالعزيز إلى الدعة والسكينة منذ ما أصبح قادراً على تقلد الحسام وامتطاء الجواد. بل واصل الحرب والقتال مدة ثلاثين سنة كاملة تم له فى خلالها إنشاء هذا الملك الضخم وقد قاتل على كل شبر أرض منه كان يقول عن نفسه.

ولم يشرق نجمه ويتلألأ كوكب مجده إلا بعد الانتصارين العظيمين اللذين أدركهما فى وقت يكاد يكون واحداً، فقد قضى فى طربه، على جيش الملك حسين فأصبح بذلك يمتلك أكبر قوة عسكرية فى شمال الجزيرة، كما أن فوزه الحاسم

يوم حايل وتقويضه إمارة آل الرشيد جعله سيد نجد غير مدافع وصاحب الكلمة العليا فيها، فانصرف إلى تعزيز نفوذه فى خارجها فاحتل جانباً من عسير بلا عناء، وحالف الأدارسة فى تهامة كما وسع حدوده من جهة الشرق وأقام ينتظر الفرص ليضرب ضربته الكبرى وليبسط نفوذه على الجزيرة كلها ويدخلها فى طاعته وهو الحلم الجميل الذى يحلم به ويطمع أن يوفق إلى تحقيقه.

على أنه لابد لنا من الاعتراف بأنه كان للصدف والحظ - وابن السعود محظوظ كما يقول عن نفسه - نصيب فى مافاله من نصر وتمكين فى الحجاز، وحسبك أنه لما بشر باحتلال أنصاره للطائف لم يصدق الخبر بل أعاد الكرة مستفهماً ومتثبتا فأيدوه له. فظل على تردده حتى جاءه من مصدر ثالث ورابع فأزمع الرحيل على الفور إلى مكة ليتولى بنفسه قيادة الجيش الذى يدخلها، ولكنه لم يصل إلا بعد فوات الوقت وبعد انقضاء أسابيع على دخول البلد الحرام.

وزيادة فى البيان نقتطف هنا جملاً من تقرير شبه رسمى أذاعته حكومة مكة بعد احتلال الطائف قالت :

«لقد صدرت الأوامر من الرياض لفريق من جند الإخوان بمهاجمة حدود الحجاز على أثر اعتداء حكومة الحسين على الحدود النجدية ووقوفها ذلك الموقف فى مؤتمرالكويت[1] وكانت تلك القوة شرذمة قليلة من سكان البادية لايتجاوز عددها الألف من المقاتلين. ومنتهى ما كان يظن أنها تفعله هو طرد قوى الشريف من القرى المجاورة للطائف ثم ترجع عنها أو تثبت أمامها.

ولم يكن يقدر لها مالقيته من النصر والظفر، ولذلك لم تتزود بشئ كثير من

---

(١) اجتمع مؤتمر الكويت مرتين: الأولى يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ التسوية الخلافات بين نجد والعراق من جهة، وبين نجد وشرقى الاردن من جهة أخرى. فعقد ثلاث عشرة جلسة وفى يوم ٢٢ يناير سنة ١٩٢٤ تقرر تأجيله إلى أواخر شهر فبراير، وفى يوم ٢٥ مارس اجتمع ثانية فعقد ثلاث جلسات ثم انفض يوم ٩ إبريل من دون أن يصل إلى نتيجته بسبب تشدد كل فريق من الفريقين.

الزاد بل كان ما حملته منه لايكفيها إلى أكثر من شهر. كما أن حملته من العتاد الحربى لايكفى لإطالة الحرب أكثر من بضعة أيام. وما كان يدور فى خلد قوادها أنهم يدنون من حدود الطائف ولذلك لم يتخذوا شيئاً من التدابير الاحتياطية استعداداً لدخولها.

وكان أول ما فعلته هذه القوة أنها اشتبكت مع قوة للحسين فى الأخيضر فهزمتها ثم تقدمت بلا مقاومة تقريباً حتى بلغت أبواب الطائف، وكان البدو الحجازيون ينضمون إليها فى تقدمها طلباً للكسب والغنم.

ولما صارت على أبواب الطائف وجدت قوات الحسين تغادرها على جناح السرعة فدخلتها ودخلها البدو الحجازيون، ولم تمض ساعة حتى امتلأت بهم واختلط الحابل بالنابل والعدو بالصديق وأنكر الابن أباه والأخ أخاه».

ورد هذا البيان بعد ذلك على ما اتهم به جيش الأخوان فى الطائف من النهب والسلب والقتل فقال: إن الذى قام بأعظم أدوار السلب والنهب لم يكن من الجند المرسل، بل كان أكثره من بدو الحجاز الذين كانوا يحاربون مع الشريف وقد ضربوه من خلفه حينما دارت عليه الدائرة وأبدى البيان زائد الأسف على ما وقع. ووعد بالتعويض على المنكوبين ومعاقبة المذنبين وتنصل من كل ماحدث.

وبعد ماتم لجيش الإخوان احتلال الطائف يوم ٦ صفر سنة ١٣٤٣هـ واصل زحفه إلى مكة فأصدر الحسين أمره بتعبئة قواته استعداداً للنضال. كما أصدر ابن السعود أوامر من الرياض إلى قواده بأن يلزموا مواقفهم فى الطائف فى انتظار قدومه، لأنه كان يود أن يكون تسليم مكة على يده. والظاهر أن هؤلاء رأوا أن الفرصة سانحة للتقدم فساروا وكانت قوات الحجازيين تنضم إليهم فى مسيرهم تخلصاً من حكم الشريف وجوره. ولم ينتصف شهر ربيع الأول حتى وصل الأخوان مكة فدخلوها من دون حادث يذكر.

واغتنم الحجازيون الفرصة فدعوا الحسين إلى التنازل عن العرش فتنازل

لولى عـهده الملك على يوم ٦ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ وظنوا أنهم بهـذه الطريقـة يحملون ابن السـعود على التراجع عن الحجاز وعقد الصلح مع الملك الجديد ـ وكان قد انتقل إلى جده ـ فلم يغن عنهم ذلك شيئاً. إذ كان أول ما فعله هذا عند وصوله إلى مكة فى شهر جمادى الأولى من تلك السنة إعلانه أنه سيتابع الحرب حتى إخراج الهاشميين من الحجاز ثم يحكم المسلمين فى مصيره «لأنه لاغاية له فيه ولامطمع» ورفض قبول وساطة المتوسطين الذين جاءوا وهم طالب بك النقيب من البصرة، والمستر فيلبى من لندن، وأمين أفندى الريحانى من لبنان وتصل كل واحد من هؤلاء به صلة ود وصداقة.

وزحف ابن السـعود على جدة فى أوائل شهر يناير سنة ١٩٢٤ (جمادى الثانية) فضرب الحصار عليها وأرسل كتاباً إلى كل واحد من قناصل الدول فيها قال فيه:

«بما أننا وصلنا مكة ومرادنا الزحف إلى جدة لتأمين المواصلات بين أقاليم البلاد وبما أن لكم رعايا فى جدة فإنى أعرض على سعادتكم ثلاثة أمور وأخيركم بانتقاء أحدها: فإما أن ترسلوا رعاياكم إلى مكة، وإما إلى بلادهم وإما أن تخرجوهم خارج جدة ليكونوا بعيدين عن منطقة القتال فنرسل حينئذ من يحميهم» فرد عليه القناصل بأنهم لايقبلون كتابه وأنهم يعدونه مسئولاً عن كل ما يقع.

ولما تم له بعد ذلك الاستيلاء على جدة ودخولها قال له أحد الذين قابلوه إنه لابد له من الحصول على اعتراف الدول به ملكاً على الحجاز فأجابه بهذا الجواب البليغ «حنا (نحن) فى جدة وما على من لايقبل إلا أن يأتى ويخرجنا منها».

حصار جدة ـ واستمر ابن السعود نحو ١١ شهراً على أسوار جدة استنفد الملك على جهده خلالها فى الدفاع والمقاومة. ولما رأى أنه لم يبق فى استطاعته مواصله الدفاع وسط قنصل إنكلترا فى جدة المستر جوردون لعقد صلح بينه وبين خصمه فأرسل هذا على الفور الكتاب الآتى إلى ابن السعود :

«بعد الاحترام: مراعاة للإنسانية ولأجل تسهيل عودة السلام والرفاهية إلى الحجاز أكون مسروراً إذا تفضلتم عظمتكم بالموافقة على مقابلتى بالرغامة غداً يوم الخميس ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥ قبل الظهر أو بعد ذلك بأسرع ما يمكن» فأرسل إليه الرد بالموافقة وفى الوقت المعين اجتمعا وتم الاتفاق على شروط التسليم وسلمت بموجبها المدينة وهذه هى :

اتفاقية التسليم

(١) بالنظر لتنازل الملك علٰى ومبارحته للحجاز وتسليم بلدة جدة يضمن السلطان عبدالعزيز لكل الموظفين الملكيين والحربيين والأشراف وأهالى جدة عموماً والعرب والسكان والقبائل وعوائلهم سلامتهم الشخصية وسلامة أموالهم.

(٢) يتعهد الملك على أن يسلم فى الحال جميع أسرى الحرب الموجودين بجدة إن وجد.

(٣) يتعهد السلطان عبدالعزيز بأن يمنح العفو العام لكل المذكورين أعلاه.

(٤) يجب على جميع الضباط والعساكر أن يسلموا فى الحال إلى السلطان عبدالعزيز بجميع أسلحتهم من بنادق ورشاشات ومدافع وطيارات وخلافه وجميع المهمات الحربية.

(٥) يتعهد الملك على وجميع الضباط والعساكر بأن لايخربوا أو يتصرفوا فى أى شئ من الأسلحة والمهمات الحربية جميعها.

(٦) يتعهد السلطان عبدالعزيز بأن يرحل كافة الضباط والعساكر الذين يرغبون فى العودة إلى أوطانهم ويتعهد بإعطائهم المصاريف اللازمة لسفرهم.

(٧) يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يوزع بنسبة معتدلة على كافة الضباط والعساكر الموجودين بجدة مبلغ خمسة آلاف جنيه.

(٨) يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يبقى جميع موظفى الحكومة الملكيين فى مراكزهم الذين يجد فيهم الكفاءة فى تأدية واجباتهم بأمانة.

(٩) يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح الملك عليا الحق فى أن يأخذ معه الأمتعة الشخصية التى فى حوزته بما فى ذلك أتوموبيله وسجاجيده وخيوله.

(١٠) يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح عائلة آل الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية فى الحجاز بشرط أن هذه الممتلكات تكون فعلاً من الموروثة ولاتشتمل على الأملاك الثابتة المحولة من الأوقاف بمعرفة الحسين إلى شخصه ولا على المبانى التى يكون الحسين قد بناها فى أثناء ملكه لما كان ملكاً على الحجاز.

(١١) يتعهد الملك على أن يبارح الحجاز قبل يوم الثلاثاء المقبل مساء.

(١٢) جميع البواخر التى فى ملك الحجاز وهى (الطويل ورشدى والرقمتين ورضوى) تصير ملكاً للسلطان عبدالعزيز ولكن السلطان يصرح إن لزم الأمر للباخرة رقمتين أن تستعمل لنقل الأمتعة الشخصية التابعة للملك على المتنازل ثم ترجع.

(١٣) يتعهد الملك على ورجاله وسكان جدة بأن لايبيعوا أو يخربوا أو يتصرفوا فى أى شئ من أملاك الحكومة مثل اللنشات والسنابيك وخلافه.

(١٤) يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح جميع السكان والضباط والعساكر الموجودين بينبع الحقوق والامتيازات المذكورة بعاليه إلا فيما يختص بتوزيع النقوذ.

(١٥) يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح العفو للأشخاص المذكورة

أسـمـاؤهـم أدناه أيضـاً ضـمـن الـعـفـو العام وهـم عـبدالـوهـاب ومـحـسـن وبكرى أبناء يـحـيى قـزاز وعـبدالـحـى بن عـابد قـزاز وأحـمـد وصـالح أبناء عـبدالـرحـمن قـزاز وإسـمـاعيل بن يـحـيى قزاز والـشـيخ مـحـمـد على صـالح بتـاوى واخـوانه إبراهيم وعبدالرحمن بتـاوى أبناء مـحمـد على صالح بتـاوى وأبناؤهـم وأبناء عمـهم حسن وزين بتـاوى أبناء مـحـمـد نور والشـيخ عباس ولد يوسـف خشـيرم والشـيخ يس بسيونى والسيد أحمد السقاف وعوائل وأموال جميع المذكورين بن آنفا.

(١٦) إن كـان الملك على أو رجـاله فى حـال من الأحـوال يخـالف أو يقـصـر فى تنفيذ أى مادة من المواد المذكورة بعـاليه فإن السلطان عبدالعزيز لايعـتبر نفسه فى تلك الحالة مسئولاً عن تأدية ما عليه من هذه الاتفاقية.

(١٧) يتعـهد الطرفـان السلطان عبدالعزيز والملك عـلى أن يكفا عن أى حـركة عدائية أثناء سير هذه المفاوضة ، أ هـ.

مبـايـعـة ابن الـسـعـود ـ وبعـد مـاتم لـه الاسـتـيلاء على جـدة عـاد إلى مكة فـاستـقبل وفداً من أهل الحـجاز فطلبوا منه أن يـترك لـهم حق تقـرير مـصـيرهـم فأجابهم إلى طلبهم وأصدر البيان الآتى :

«أمـا بعـد فـقـد بلغ القـاصى والـدانى مـا كـان من أمـر الحـسـين وأمـرنا إلى أن اضـطررنا لامـتشـاق الحسـام دفـاعاً عن أرواحنا وأوطاننـا ودفاعـاً عن حرمـات الله ومـحـارمه. ولقد بذلت النفس والنفيس فى سبيل هذه الديار المقدسـة إلى أن يسـر الله الكريم بفضله فتحـها واستتباب الأمـن فيها. ولقـد كانت عزيمتى منذ باشرت العـمـل فى هذه الديـار أن أنزل على حكم العـالم الإسـلامى ـ وأهل الحـجـاز ركن منه ـ فى مسـتقبل هذه الديار المقدسة، ولقـد أذعت الدعوة للمـسلمين عامة غير مـرة أدعوهـم لـعقد مؤتمر إسلامـى يقرر فى مصير الحـجاز ما يرى فيه المصلحة ثم عـززت ذلك بدعـوة عـامـة وخـاصـة فـأرسلت كـتـابـاً للحـكومـات والشـعـوب الإسـلامـيـة فى ١٠ ربيع الآخـر سنة ١٣٤٤هـ وقـد نشـر ذلك الكتـاب فى سـائر

صحف العالم(١) ومضى عليه مايزيد عن الشهرين لم أتلق على دعوتى جواباً من

---

(١) نشرته جريدة أم القرى بشكل بلاغ رسمى يوم الجمعة ١٩ ربيع الآخر سنة ١٣٤٤ فى عددها ٤٥ قالت :

لقد صرح عظمة السلطان أيده الله غير مرة بغاياته ومقاصدة من قدومه للحجاز وأعلن لاول يوم وصلت فيه جنوده إلى حدود الحجاز انه لايريد غير تطهير هذا البيت وجعل الحكم بيد أهله واتحاد العالم الاسلامى على النظر فى مصالح المسلمين فى هذه الديار ولم نجد عظمة السلطان حاد عن هذا القول قيد أنملة منذ كانت جنوده على اطراف الحدود الحجازية إلى ان اصبحت معظم البلدان الحجازية فى قبضة يده بل على العكس وجدناه كلما تمكن سلطانه فى هذه الديار ودان له اهلها بالسمع والطاعة ازداد تقدماً فى توضيح تلك الغاية وبيانها للناس وجعل شكل معين مقبول لها حتى تدخل تلك الامانى فى طور عملى يجنى ثمرته اهل الحجاز خاصة والعالم الاسلامى عامة، وكان ايده الله كلما سنحت له فرصة القول يصرح تصريحات واضحة فى بيان غايته هذه ومن تتبع الاجزاء التى صدرت من جريدة أم القرى إلى اليوم يرى فيها من تصريحات عظمة السلطان فى هذا الشأن ما فيه بلغة لكل باحث مفكر مخلص، ولكن الايام الماضية والظروف السابقة لم تكن لتسمح بدعوة المؤتمر الاسلامى للنظر فى شئون هذه الديار دعوة رسمية خاصة لانه لم يكن فى المسلمين هذا التنبه والميل للعمل الحقيقى بجد فى هذا السبيل ولكن بعد ان طال امد هذه الحرب وصار الناس يتطلعون للنتائج بشئ من الخوف والحذر ظهر النشاط الحقيقى فيهم للعمل، ولما شعر عظمة السلطان بذلك وان الوفود والرسائل ترد من جميع الجهات للبحث فى هذا الشأن رأى ان الوقت قد حان لتحقيق امنية طالما تمناها المسلمون المخلصون لهذه الديار من القديم فكتب لجلالة ملك مصر ولسمو أمير الافغان ولحكومة ايران ولحكومة العراق ولجمعية الخلافة ولجماعة اهل الحديث وجمعية العلماء فى الهند وللمجلس الاسلامى الاعلى فى فلسطين وللشيخ بدر الدين المحدث فى دمشق ولبعض ملوك المغرب وأمرائه وإلى جميع من يعنيهم أمر هذه الديار المقدسة من علماء المسلمين وأمرائهم وزعمائهم، الكتاب الآتى :

(بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل السعود إلى....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فانى أرجو لكم دوام الصحة والعافية وإنى لسعيد أن أمد يدى ليدكم ولكل يد عاملة لخير الاسلام والمسلمين، وإنى مملوء ثقة أنه بتعاوننا على الخير سيكونالمستقبل السعيد لجميع الشعوب الاسلامية.

إنى لست من المحبين للحرب وشرورها وليس لدى شئ أحب إلى من السلم والسكون والصفاء والهناء والتفرغ للاصلاح ولكن جيراننا الاشراف اجبرونى على امتشاق الحسام وخوض غمرات الحرب خمس عشرة سنة لا فى سبيل شئ سوى الطمع على ما بايدينا، فقد صدونا على سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعله الناس للناس سواء العاكف فيه والباد، وانى والذى نفسى بيده لم أرد التسلط على الحجاز ولا تملكه وانما الحجاز وديعة فى يدى إلى الوقت الذى يختار الحجازيون لبلادهم والياً منهم يكون خاضعاً للعالم

أحد ماعدا جمعية الخلافة فى الهند. فإنها بارك الله فيها عملت وتعمل كل ما فى وسعها لراحة الحجاز وهنائه.

ولما انتهى الأمر فى الحجاز إلى هذه النتيجة التى نحمد الله عليها جاءنى أهله جماعات ووحدانا يطلبون منى أن أمنحهم حريتهم التى وعدتهم بها فى تقرير مصيرهم. فلم يسعنى أمام طلباتهم المتكررة إلا أن أمنحهم هذه الحرية ليقرروا فى شأن بلادهم مايشتهون بعد ماظهر من العالم الإسلامى هذا الصد والإعراض عن مثل هذه القضية الهامة ـ أهـ

= الاسلامى تحت اشراف الامم الاسلامية والشعوب التى ابدت غير تذكر فى هذا السبيل كأهل الهند وامثالهم.

ان الخطة التى عاهدنا عليها العالم الاسلامى والتى لم نزل نحارب من اجلها مجملة فيما يلى :

(١) ان الحجاز للحجازين من جهة الحكم وللعالم الاسلامى من جهة الحقوق التى لهم فى هذه البلاد.

(٢) سنجرى الاستفتاء التام باختيار حاكم الحجاز تحت اشراف مندوبى العالم الاسلامى ويحدد الوقت اللازم فى ذلك لما بعد، وسنسلم الوديعة التى فى أيدينا لهذا الحاكم على الاسس الآتية:

(١) يجب ان يكون السلطان الاول والمرجع للناس كافة فى الشريعة الاسلامية المطهرة.

(٢) حكومة الحجاز يجب ان تكون مستقلة فى داخليتها ولكن لايصح لها أن تعلن الحرب على احد ويجب ان يوضع لها النظام الذى يمكنها من ذلك.

(٣) لاتعقد حكومة الحجاز اتفاقيات سياسية مع أى دولة كانت.

(٤) لاتعقد حكومة الحجاز اتفاقات اقتصادية مع أى دولة غير اسلامية.

(٥) تحديد الحدود الحجازية ووضع النظم المالية والقضائية والادارية للحجاز موكول للمندوبين المختارين من الامم الاسلامية وسيحدد عددهم باعتبار المركز الذى تشغله كل دولة للعالم الاسلامى والعربى وسيضم لهؤلاء مندوبون من جمعية الخلافة وجماعة اهل الحديث وجمعية العلماء فى الهند ومندوبون من قبل الجمعيات والهيئات الاسلامية التى تمثل المسلمين فى الديار التى ليس فيها حكومة اسلامية هذا ما نويناه لهذه البلاد وما سنسير عليه فى المستقبل ان شاء الله تعالى، ولى الامل العظيم فى ان تسرعوا فى ارسال مندوبيكم واخبارنا عن الوقت المناسب لعقد هذا المؤتمر. هذا ما لزم بيانه....).

كتاب البيعة ـ وهذا نص كتاب البيعة الذى رفعه الحجازيون إلى ابن السعود وجوابه عليه :

(بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لانبى بعده. نبايعك يا عظمة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل السعود على أن تكون ملكاً على الحجاز على كتاب الله وسنه رسوله ﷺ وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح والأئمة الأربعة رحمهم الله. وأن يكون الحجاز للحجازيين، وأن أهله هم الذين يقومون بإدارة شؤونه. وأن تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز وأن يكون الحجاز جميعه تحت رعاية الله ثم رعايتكم».

وقد أجابهم بما نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم : من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى إخواننا الحجازيين الموقعين أسماءهم. سلام عليكم.

وبعد فقد أجبناكم إلى ما طلبتم ونسأله سبحانه وتعالى المعونة والتوفيق للجميع فى ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤هـ».

وجرت حفلة البيعة فى الكعبة الشريفة يوم الجمعة ٢٥ منه وخطب الخطباء ثم ألقى الملك خطبه ضافية دعا فيها إلى الاعتصام بكتاب الله وإلى التوحيد الخالص، ثم قال : إنى أحمد الله الذى جمع الشمل وأمن الأوطان، وإن لكم على عهد الله وميثاقة أننى أنصح لكم كما أنصح لنفسى وأولادى وعائلتى أحبكم فى الله وأعاديكم فى الله.

وهكذا انتهى أمر الحجاز ودخل فى حظيرة المملكة العربية.

الحماية على عسير ـ اضطربت الحال فى عسير بعد دخول الحجاز فى طاعة ابن السعود فوقع نزاع بين السيد على الإدريسى الأمير وعمه السيد

الحسن - سهل لقوات الإمام يحيى العمل فاكتسحت معظم بلاد هذه الإمارة فخاف الأدارسة انقراضها فكاتبوا ابن السعود وأرسلوا إليه وفداً عقد معه معاهدة يوم ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦ دخلت بموجبها هذه الإمارة فى حمايته وهذا نصها :

الحمد لله وحده.

بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، وبين الإمام السيد الحسن بن على الإدريسى.

رغبة فى توحيد الكلمة وحفظا لكيان البلاد العربية وتقوية للروابط بين أمراء جزيرة العرب قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود وصاحب السيادة أمام عسير السيد الحسن بن على الإدريسى على عقد الاتفاقية الآتية :

المادة الأولى : يعترف سيادة الإمام السيد الحسن بن على الإدريسى بأن الحدود القديمة الموضحة فى اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩هـ المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن الإدريسى والتى كانت خاضعة للادارسة فى ذلك التاريخ تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه الاتفاقية.

المادة الثانية : لايجوز لإمام عسير أن يدخل فى مفاوضات سياسية مع أى حكومة، وكذلك لايجوز أن يمنح أى امتياز اقتصادى إلا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الثالثة : لايجوز لإمام عسير إشهار الحرب أو إبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الرابعة : لايجوز لإمام عسير التنازل عن جزء من أراضى عسير المبينة فى المادة الأولى.

المادة الخامسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية أمام عسير الحالى على الأراضى المبينة فى المادة الأولى مدة حياته ومن بعده لمن يتفق عليه الأدارسة وأهل العقد والحل التابعين لإمامته.

المادة السادسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد عسير الداخلية والنظر فى شؤون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق أمام عسير على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هى فى الحكومتين.

المادة السابعة : يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعد داخلى أو خارجى يقع على أراضى عسير. المبينة فى المادة الأولى وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعى المصلحة.

المادة الثامنة : يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها.

المادة التاسعة : تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين.

المادة العاشرة : دونت هذه الاتفاقية باللغة العربية من صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقدتين.

المادة الحادية عشرة : تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة.

وقعت هذه المعاهدة بتاريخ ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦.

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود

الختم الملكى

تم ذلك بحضور راقم هذه	أمام عسير
الأحرف خادم الإسلام	الحسن بن على الإدريسى
أحمد الشريف السنوسى	الختم
الختم	الرسمى

على أن الحالة تحولت فى عسير بعد ذلك. فقد ثار الادارسة على ابن السعود فى شتاء سنة ١٩٣٢ (شهر رجب سنة ١٣٥١) بزعامة السيد الحسن فسير هذا القوى من الحجاز ونجد فاحدقت بالثائرين وأطفأت الفتنة وأعادت الأمن إلى نصابه.

واغتنم ابن السعود الفرصة فأعلن انتهاء حكم الأدارسة وإنشاء إدارة جديدة فى هذه المقاطعة وهى تدار مباشرة اليوم، وخصص للسيد الحسن راتباً شهرياً قدره ٢٠٠٠ريال يتناولها من خزينة ابن السعود بشرط أن لايقيم فى عسير كما خصص ٥٠٠ريال راتباً شهرياً للسيد عبدالوهاب نجل السيد محمد على الإدريسى.

نظام الحكم في المملكة العربية السعودية

ظلت نجد حتى دخول الحجاز فى حوزة الملك ابن السعود تحكم حكماً دينياً مستمداً من الشريعة الإسلامية، فالأمير هو الإمام المكلف بإقامة أحكام الدين وتنفيذ أوامره ونواهيه وحماية الذمار والجهاد لإعلاء كلمة الله.

على أن أتساع رقعة هذه الإمارة واتصال رجالها بالعالم المتمدن بعد دخولهم الحجاز أدى إلى إدخال بعض تعديل على نظام الحكم وبعبارة أصح إلى ـ تنظيمة ـ وذلك بسن كثير من القوانين التى ظهرت الحاجة إليها فى العهد الجديد. فقد

أنشأوا فى الحجاز فقد «إدارة» عليها مسحة مدنية وضعوا لها دستوراً سموه «نظام التشكيلات الأساسية» يشبه من وجوه دساتير الحكومات الأخرى. كما سنوا قانوناً للجنسية وآخر لمجلس الشورى وللكرنتينا وللطبابة وللقضاء وهكذا. فعندهم اليوم مجموعة غير قليلة من الأنظمة والقوانين الجديدة وهى مما دعت الحاجة إلى وضعه.

والملك هو مصدر كل سلطة فى الدولة والحكم النيابى بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة فى البلاد الأوربية غير معروف عندهم أيضاً. والشريعة الإسلامية هى المرجع الذى يرجعون إليه.

وتقسم البلاد العربية السعودية اليوم بحسب الأوضاع الإدارية الجديدة إلى منطقتين مستقلتين أستقلالاً إدارياً: فهنالك منطقة نجد وعاصمتها الرياض ويتولى إدارتها الأمير سعود النجل الأكبر للملك. وليس هنالك وزاروات ولامديريات ولا مكاتب ولادواوين كما هو الحال فى الحجاز، فالنظام الإدارى عندهم غاية فى الاختصار والإيجاز، يتألف من ديوان الأمير وهو ينظر فى جميع الشؤون. وقاض للقضاة وأمين لبيت المال ترد عليه أموال الزكاة من العمال فى الأقاليم وينفقها بأمر الأمير مباشرة.

والمنطقة الثانية هى منطقة الحجاز. ويقوم على إدارتها الأمير فيصل النجل الثانى للملك، وقد أحدثوا فيها مجلس وزراء يشمل اختصاصه المملكة كلها ويتولى الأمير فيصل رياسته وكذلك أنشأوا أربع وزارات يتولى الأمير ثلاثة منها علاوة على الرياسةونيابة الملك وهى وزارة الداخلية والخارجية والحربية. أما الوزارة الرابعة وهى المالية فيتولاها نجدى.

ويشرف الملك على أعمال نائبيه فى المنطقتين، ولايبرمان أمراً من الأمور إلا بموافقته واطلاعه. ولايتم شئ فى داخل دولته إلا بعد استئذانه والحصول على أجازته مقدماً.

ولايعترف اهل نجد باللقب الجديد الذى أضيف إلى ابن السعود فهم يلقبونه حتى الآن بلقب «الشيوخ» وهذه الكلمة تطلق على آل السعود كلهم، ويكنى بها عن الأمير أو الملك فيقولون جاء الشيوخ إذا جاء. أو ذهب الشيوخ إذا ذهب. وهنالك من يناديه بالإمام وندر بينهم من يناديه بالملك أو بلقب صاحب الجلالة. ويستثنى من ذلك الموظفون وأهل الحجاز وممثلو الدول.

وزيادة فى البيان ننشر خلاصة **قانون التعليمات الأساسية** (الدستور) وقد وضعته الجمعية العمومية للحجاز ونشرته حكومة مكة رسمياً يوم ٣٠ أغسطس سنة ١٩٢٦ فقد جاء فى المادة الأولى منه «المملكة الحجازية مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً لايقبل التجزئة ولا الانفصال بوجه من الوجوه» وجاء فى المادة الثانية «أن الدولة العربية الحجازية دولة ملكية شورية إسلامية مستقلة فى داخليتها وخارجيتها» وقالت الثالثة والرابعة: إن مكة هى عاصمة الدولة، وأن اللغة العربية هى لغتها الرسمية. وقالت الخامسة: إن إدارة المملكة الحجازية تكون بيد جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل وجلالته مقيد بأحكام الشرع. وقضت المادة السادسة بأن تكون الأحكام دواماً فى المملكة الحجازية منطبقة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح. وقال السابعة: يعين من قبل صاحب الجلالة الملك نائب عام وبقدر اللزوم مديرون.

نظام ولاية العهد ـ لم يكن نظام ولاية العهد معروفاً فى الإمارة النجدية من قبل. بل كان أهل الحل والعقد من الأمراء والعلماء وشيوخ القبائل يجتمعون فى الرياض يوم وفاة الإمام فيختارون إماماً توفرت فيه الشروط المنصوص عليها فى كتب الشريعة الإسلامية.

ورأى بعض أقطاب هذه الحكومة أن الأفضل لمصلحة حكومتهم أخذ البيعة بولاية العهد للأمير سعود أكبر أنجال جلالة الملك ونائبه فى الرياض دفعاً للقيل والقال. وقد لاقت هذه الفكرة قبولاً وارتياحاً فأقرها مجلس الشورى لحكومة

مكة ورفعها إلى جلالة الملك فأقرها، وهكذا تمت البيعة للأمير سعود يوم ١٦ المحرم ١٣٥٢ الموافق ١١ مايو سنة ١٩٣٣ وهذا نصها :

(لما كان حضرة صاحب السمو الملكى الأمير سعود النجل الأكبر لحضرة صاحب الجلالة قد تحلى بكافة الأوصاف الشرعية الواجب توفرها فيمن يخلف ولى الأمر أمد الله فى عمره. وقد اشتهرت عدالته وصفاته الممتازة بين الجميع فإننا عملاً بالمأثور من المبايعات نبايعه ولياً لعهد المملكة العربية السعودية، نبايعه على السمع والطاعة على كتاب الله وسنه رسوله، ونسأل الله له الهداية والتوفيق ونضرع إليه تعالى أن يمد فى عمره وعمر والده الملك العادل الموفق خلد الله ملكه. وقد أخذنا هذه البيعة على أنفسنا لسموه وعلقناها بأعناقنا ونشهد الله على ذلك والله خير الشاهدين).

وقد وقع عليها رئيس مجلس الوكلاء ومجلس الشورى وقاضى القضاة وأعضاء مجلس الوكلاء ومجلس الشورى.

وبعد إتمام البيعة أرسل الملك إلى ولى عهده البرقية الآتية :

الرياض : الابن سعود .

«لقد أحطت علماً بما ذكرت، أما من قبل ولاية العهد فأرجو من الله أن يوفقك للخير. تفهم أننا نحن الناس جميعاً ما نعز أحداً ولانذل أحداً، وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى، ومن التجأ إليه نجا، ومن اعتز بغيره (عياذاً بالله) وقع وهلك، موقفك اليوم غير موقفك بالأمس، ينبغى أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور:

أولاً : نية صالحة وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون ديدنك إعلاء كلمة التوحيد ونصر دين الله، وينبغى أن تتخذ لنفسك أوقاتاً خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه فى أوقات فراغك، تعبد إلى الله فى الرخاء تجده فى الشدة، وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن يكون ذلك كله على

برهان وبصيرة فى الأمر، وصدق فى العزيمة، ولايصلح مع الله سبحانه وتعالى إلا الصدق، وإلا العمل الخفى الذى بين المرء وربه.

ثانياً : عليك أن تجد وتجتهد فى النظر فى شؤون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سراً وعلانية، والعدل فى المحب والمبغض، وتحكيم هذه الشريعة فى الدقيق والجليل، والقيام بخدمتها باطناً وظاهراً، وينبغى أن لاتأخذك فى الله لومة لائم.

ثالثاً : عليك أن تنظر فى أمر المسلمين عامة، وفى أمر أسرتك خاصة. أجعل كبيرهم والداً، ومتوسطهم أخاً، وصغيرهم ولداً. وهن نفسك لرضاهم، وأمح زلتهم، وأقل عثرتهم، وانصح لهم، واقض لوازمهم بقدر إمكانك، فإذا فهمت وصيتى هذه ولازمت الصدق والإخلاص فى العمل فأبشر بالخير.

أوصيك بعلماء المسلمين خيراً، احرص على توقيرهم ومجالستهم وأخذ نصيحتهم، واحرص على تعلم العلم، لأن الناس ليسوا بشئ إلا بالله ثم بالعلم، ومعرفة هذه العقيدة، احفظ الله يحفظك.

هذه مقدمة نصيحتى إليك، والباقى يصلك إن شاء الله فى غيرهذا.

سيبايعك الناس فى الحجاز يوم الإثنين وسيقبل البيعة عنك أخوك فيصل، وسيصل إليك هو وأفراد الأسرة لتبليغك بيعة أهل الحجاز، وليبايعوك عن أنفسهم.

وأرجو من الله أن يوفقك للخير

«عبدالعزيز»

فأجابه بالبرقية الآتية

جلالة مولاى الملك المعظم أيده الله.

جواباً على برقية مولاى عدد ٢٧٥ المؤرخة ١٨ منه: فإن جميع ماذكره مولاى

لخادمه هو عين الصواب، وأنه لاقوام لديننا ودنيانا إلا بالله ثم به. من اتبعه نجّى نفسه. ونجا من ولاه الله عليه. وإنى إن شاء الله سأجتهد، وأعتمد ما ذكره مولاى من النصائح الدينية والدنيوية، وأرجو إن كان الله يعلم منى ذلك أن يوفقنى لرضاه ثم لرضاء جلالتكم، وأن يوفقنى لمافيه صلاح الإسلام والمسلمين وولايتهم، وإن كان يعلم منى ضد ذلك، فأسأله تعالى أن يكفى المسلمين شرى وأن يرد كيدى وكيد كل كائد على المسلمين إلى نحره. وسأبذل الاجتهاد إن شاء الله فى سبيل كلمة التوحيد، وتقويم الشريعة المحمدية، والنصح للإسلام والمسلمين ظاهراً وباطناً، والنصح لولايتهم، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة ذلك على كائن من كان، أرجو أن الله يعيننا على ذلك، ويمنحنا التوفيق والسداد.

أن النية التى ينطوى عليها خادمكم إن شاء الله هى :

(أولاً) إعلاء شأن كلمة التوحيد، وتأييد الشريعة الإسلامية، والنصح لولاية المسلمين، وإنزال الناس منازلهم، خصوصاً أسرتنا، كبيرهم وصغيرهم كما تفضل به مولاى، كبيرهم أب، وأوسطهم أخ، وصغيرهم ولد. والعدل بين الرعية وأنى أعاهدك بالله على ذلك، وإنى ما ألبس ثوب عافية دونها، وسأكون إن شاء الله مقيلاً لعثرتهم، حليماً على جاهلهم. وهذا إن شاء الله هو العمدة فى الدين والدنيا.

(ثانياً) سأتخذ الصدق إن شاء الله، والإخلاص، والجد فى العمل، وسأوقر علماء المسلمين وأجالسهم وآخذ نصائحهم وسأخصهم على تعلم العلم والتعليم هذه العقيدة والتوفيق بيد الله.

(ثالثاً) إن ما ذكره مولاى عن موقفى أمس، وموقفى اليوم وأن الأمر لايصلح إلا بالعمل الصالح، والخالص لوجه الله، وعبادة الله وحده، والتضرع إليه فى الخلوات، والالتجاء إليه وحده. فهذا الذى فيه النجاه، وهذا الذى يرجى به التوفيق إن شاء الله، لأنه كما ذكر مولاى من التجأ إليه نجاه، ومن اعتز بغيره وقع وهلك.

نرجو أن يمن الله علينا بالهداية وأن يأخذ بناصيتنا، ويستعملنا فيما يرضيه، وبما يكون فيه صلاح للدين ولولاية المسلمين. وإنى لأعلم بأن الله لم يظهركم إلا بسبب كلمة التوحيد والعقيدة الصالحة التى بين الإنسان وربه. أرجو أن يوفقنا الله لذلك، وإن شاء الله إن صلاحك سيصلحنا، وأن نيتك الطيبة إن شاء الله تعمنا، والأمور التى أوصيتنى بها أضعها نصب عينى، وسأبذل جهدى إن شاء الله بما يعود منه المصلحة لديننا ودنيانا والتوفيق بيدالله. وأرجو من مولاى الدعاء لخادمه بالبيت الشريف، وأرجو من الله أن يديم لنا ولكافة المسلمين بقاءكم ولايرينا فيكم ما نكره. والله يا طويل العمر إنى يوم قرأت برقيتكم ما قدرت على إتمامها لتردد عبرتى، وضيق صدرى. الله أسأل أن يطيل عمركم ويجزيكم عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء. أوصيت فأبلغت، وستظل وصيتك فى قلبى راسخة إن شاء الله ما حييت. أرجو أن يمدالله لنا فى حياتك. ذكر مولاى أن البيعة تكون يوم الإثنين فى الحجاز وأن الأخ فيصل والعائلة سيقدمون إلينا بالبيعة، حياهم الله.. والذى يراه مولاى هو المبارك إن شاء الله، وإنى أنتظر ماسيتفضل به على مولاى بعد هذا وأرجو من الله لايخلينا منك وأن يمتعنا وجميع المسلمين بحياتك.

الابن سعود

علاقاتها السياسية مع الدول الغربية والشرقية

غنى عن البيان أن الحكومة البريطانية هى أول حكومة غربية تقدمت إلى ابن السعود خاطبة وده وساعية لإنشاء صلات سياسية بينها وبينه فأرسلت إليه الرسل والمندوبين، وقد فازت فى مارمت إليه فعقدت بينها وبينه يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ أول معاهدة ويسمونها معاهدة العقير وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كانت الحكومة البريطانية من جهة وعبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل السعود حاكم نجد والحسا والقطيف وجبيل والمدن والمراسى التابعة لها. بالأصالة عن نفسه وورثته وخلفائه وعشائره من جهة أخرى راغبين فى توطيد الصلات الودية التى مر عليها وقت طويل ما بين الفريقين، وتعزيزها لأجل توثيق مصالحهما فقد عينت الحكومة البريطانية الليفتننت كولونل السير برسى كوكس . كه . سى. آس. أى. كه. س. أى. أى ـ المعتمد البريطانى فى خليج فارس مفوضاً من قبلها ليعقد معاهدة مع عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود.

وقد اتفق الليفتننت كولونل السير برسى كوكس وعبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود (المشار إليه فى ما يلى بابن سعود) وأبرما المواد الآتية :

أولاً ـ تعترف الحكومة البريطانية وتقر بأن نجداً والحسا والقطيف وجبيلاً وتوابعها والتى يبحث فيها وتعين أقطارها فيما بعد ومراسيها على خليج فارس هى بلاد ابن سعود وآبائه من قبل. وبهذا تعترف بأبن سعود المذكور حاكماً عليها مستقلاً، ورئيساً مطلقاً على قبائلها وبأبنائه وخلفائه بالإرث من بعده على أن يكون ترشيخ خلفه من قبله ومن قبل الحاكم بعده، وأن لايكون هذا الحاكم المرشح مناوئاً للحكومة البريطانية بوجه من الوجوه. خاصة فى ما يتعلق بشروط هذه المعاهدة.

ثانياً : إذا حدث اعتداء من قبل إحدى الدول الأجنبية على أراضى الأقطار التابعة لابن سعود وخلفائه بدون مراجعة الحكومة البريطانية وبدون اعطائها الفرصة للمخابرة مع ابن سعود وتسوية المسألة فالحكومة البريطانية تعين ابن السعود بعد إستشارة ابن السعود إلى ذلك القدر وعلى تلك الصورة اللذين تعتبرهما الحكومة البريطانية فعالتين لحماية بلدانة ومصالحه.

ثالثاً ـ يتفق ابن سعود ويعد بأن يتحاشى الدخول فى مراسلة أو وفاق أو معاهدة مع أية أمة أجنبية أو دولة وعلاوة على ذلك بأن يبلغ حالاً إلى معتمدى السياسة من قبل الحكومة البريطانية كل محاولة من قبل أية دولة أخرى فى أن تتدخل فى الأقطار المذكورة سابقاً.

رابعاً ـ يتعهد ابن سعود بأن لايسلم ولايبيع ولايرهن ولايؤجر الأقطار المذكورة ولاقسماً منها ولايتنازل عنها بطريقة ما ولايمنح امتيازاً ضمن هذه الأقطار لدولة أجنبية أو لرعايا دول أجنبية بدون رضى الحكومة البريطانية. وبأن يتبع مشورتها دائماً بدون استثناء على شرط أن لايكون ذلك مجحفاً بمصالحه الخاصة.

خامساً ـ يتعهد ابن السعود بحرية المرور فى أقطاره على السبل المؤدية إلى المواطن المباركة وأن يحمى الحجاج فى مسيرهم إلى المواطن المباركة ورجوعهم منها.

سادساً ـ يتعهد ابن سعود كما تعهد آباؤه من قبل بأن يتحاشى الاعتداء على أقطار الكويت والبحرين ومشايخ قطر وسواحل عمان التى هى تحت حماية الحكومة البريطانية، ولها صلات عهدية مع الحكومة المذكورة، وأن لايتدخل فى شؤونها. وتخوم الأقطار الخاصة بهؤلاء ستعين فى مابعد.

سابعاً ـ تتفق الحكومة البريطانية وابن سعود على عقد معاهدة أكثر تفصيلاً من هذه على الأمور التى لها مساس بالفريقين. وكتب فى ١٨ صفر ١٣٣٤هـ الموافق ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥.

ـ ٢ ـ

ولما استتب له الأمر فى الحجاز كاتب الحكومة البريطانية طالباً إلغاء المعاهدة القديمة وعقد معاهدة جديدة تتناسب مع حالته فأجابته إلى طلبه وأرسلت مندوباً خاصاً اجتمع بمندوبه. وفى يوم ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ اتفقا على المعاهدة الآتية :

جلالة ملك بريطانية وأيرلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند من جهة، وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة أخرى. رغبة فى توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها وتأمين مصالحهما وتقويتها قد عزما على عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم. لذلك أوفد صاحب الجلالة البريطانية حضرة السر جلبرت مكنجهام كليتن مندوباً مفوضاً عنه، وأنتدب صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها صاحب السمو الملكى الأمير فيصل ابن عبدالعزيز نجله ونائبه فى الحجاز مندوباً مفوضاً عنه.

بناء على ماتقدم، وبعد الاطلاع على مستندات اعتمادهما والتثبت من صحتها قد أتفق سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز وحضرة السر جلبرت كليتن على المواد الآتية :

المادة الأولى - يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لممالك حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها.

المادة الثانية - يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ويتعهد كل من الفريقين المتعاقدين أن يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر، وبأن يسعى بكل مالديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلام والسكينة فى بلاد الفريق الآخر.

المادة الثالثة - يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسهيل أداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين والأشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية. أسوة بسائر الحجاج. ويعلن جلالة الملك أنهم يكونون أمنين على أموالهم وأنفسهم فى أثناء إقامتهم فى الحجاز.

المادة الرابعة - يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى فى البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين أنفا، والذين

ليس لهم فى بلاد جلالته أوصياء شرعيون إلى المعتمد البريطانى فى جدة أو من يندبه لذلك الغرض لإيصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين بشرط أن لايكون تسليم تلك المخلفات إلى الممثل البريطانى إلا بعد أن تتم المعاملات بشأنها أمام المحاكم المختصة، وتستوفى عليها الرسوم المقررة فى القوانين الحجازية النجدية.

المادة الخامسة ـ يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية الحجازية والنجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عندما يوجدون فى بلاد صاحب الجلالة البريطانية أو البلاد المشمولة بحماية جلالته، وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية ولجميع الأشخاص المتمتعين بحماية جلالته عندما يوجدون فى بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها. على أن تراعى قواعد القانون الدولى المرعى بين الحكومات المستقلة.

المادة السادسة ـ يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة على علاقات حسن الجوار مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل والعمانى الذين لهم معاهدة خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية.

المادة السابعة ـ يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بأن يتعاون بكل مالديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية فى القضاء على الاتجار بالرقيق.

المادة الثامنة ـ على الفريقين المتعاقدين إبرام هذه المعاهدة وتبادل قرارات الإبرام بأقرب وقت، وتصير نافذة اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الإبرام. ويعمل بها مدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ. وإن لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع بستة أشهر أنه يريد إبطال المعاهدة تبقى نافذة. ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضى ستة أشهر من اليوم الذى يعلن فيه أحد الفريقين الفريق الآخر إبطالها.

المادة التاسعة ـ تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ يوم كان جلالته حاكماً لنجد وما كان محلقاً بها إذ ذاك ملغاه ابتداء من تاريخ إبرام المعاهدة.

المادة العاشرة ـ دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والإنكليزية وللنصين قيمة واحدة. أما إذا وقع اختلاف فى تفسير قسم منها فيرجع إلى النص الإنكليزى.

المادة الحادية عشرة ـ تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة. وقعت هذه المعاهدة فى جده يوم الجمعة ٢٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥هـ. الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧.

ملاحق المعاهدة

- ١ -

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

يا صاحب الجلالة

إشارة إلى الاقتراح الذى تفضلتم به بوضع مادة فى المعاهدة تشترط على حكومة صاحب الجلالة البريطانية عدم الممانعة فى شراء وتوريد جميع الأسلحة والأدوات الحربية والذخيرة والآلات وغير ذلك من اللوازم الحربية التى قد تحتاج إليها حكومة الحجاز ونجد لاستعمالها لنفسها لى الشرف أن أخبر جلالتكم أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية لاترى أن هذه المسألة تحتاج إلى ذكر فى نص المعاهدة. وقد فوضتنى حكومة صاحب الجلالة البريطانية أن أخبر جلالتكم أن تحريم تصدير الأدوات الحربية إلى جزيرة العرب قد رفع، وأنه إذا استحسنتم طلب أسلحة أو ذخيرة أو أدوات حربية من أصحاب المعامل البريطانية لاستعمال حكومة جلالتكم وبمقتضى شروط الاتجار بالأسلحة سنة ١٩٢٥ فحكومة صاحب الجلالة البريطانية لاتعارض فى تصديرها، ولاتضع أى عرقله فى سبيل توريدها إلى بلاد جلالتكم، وسأجتهد إجابة لرغبة جلالتكم أن أقدم نسخة من الاتفاقية المذكورة بأقرب وقت. وأرجو من جلالتكم أن تتفضوا بقبول الاحترام

عن جده فى ١٩ مايو سنة ٩٢٧

جلبرت كليتن

***

جواباً على كتاب فخامتكم المؤرخ ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ و ١٩ مايو سنة

٩٢٧ رقم ٣ بشأن الأسلحة فإني أشكركم على ذلك البيان الذي يفيد أن جزيرة العرب غير ممنوعة من استيراد الأسلحة وتفضلوا.

الختم الملكي

- ٢ -

إلى .....

يا صاحب الجلالة :

لي الشرف أن أذكر جلالتكم أنه في أثناء المفاوضات التي دارت بيننا والتي أدت ولله الحمد إلى عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم بين صاحب الجلالة البريطانية وجلالتكم كنا بحثنا في مسألة الحدود بين الحجاز وشرقي الأردن، وكنت شرحت لجلالتكم موقف صاحب الجلالة البريطانية في هذه المسألة كما هو مبين في مسودة الملحق [١] التي قدمتها إلى جلالتكم وأخبرت جلالتكم أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية مصرة على التمسك بذلك الموقف. أما الحدود المشار إليها فتعتبر حكومة صاحب الجلالة البريطانية أنها كما يأتي : «تبتدئ الحدود بين الحجاز وشرقي الأردن من نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٨ شرقي بدائرة العرض ٣٥، ٢٩ شمالي. حيث تنتهي الحدود بين نجد وشرقي الأردن. فتمتد على خط مستقيم إلى نقطة على سكة حديد الحجاز بعدها ميلان إلى الجنوب من محطة المدورة، ثم تمتد من تلك النقطة على خط مستقيم إلى نقطة خليج العقبة بعدها ميلان إلى الجنوب من مدينة العقبة» وفي الختام أرجو...

***

من ....

جواباً على كتاب فخامتكم المؤرخ في ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ المختص

---

(١) لم يقبل هذا المشروع فرفع من المعاهدة ولم يعمل به.

بمسالة الحدود بين الحجاز وشرقى الأردن قد أخذنا علماً بأن الحكومة صاحب الجلالة البريطانية مصرة على موقفها ولكن نرى أن تسوية هذه المسألة بصورة نهائية أمر متعذر فى الظروف الحاضرة ومع ذلك نظراً لرغبتنا الصادقة فى المحافظة على العلاقات الودية المؤسسة على صلات الصداقة المتينة، رأينا أن نعرب لفخامتكم عن أستعدادنا لإبقاء المسألة الحاضرة على ما هى عليه فى منطقة معان والعقبة مع الوعد بأن لانتدخل فى إدارتها إلى أن تحين الظروف المناسبة لتسوية هذه المسألة تسوية نهائية وتفضلوا....

الختم الملكى

- ٣ -

إلى...

يا صاحب الجلالة:

الحاقا بالمحادثات التى دارت بيننا بخصوص مسألة المتاجرة بالرقيق لى الشرف أن اخبر جلالتكم ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية ترى انه من واجبها ان لاتتنازل فى الوقت الحاضر عن حق اعتاق الارقاء ذلك الحق الذى طالما عمل بموجبه حضرات قناصل جلالته والذى يمكنهم من اطلاق سبيل أى رقيق يتقدم إليهم من تلقاء نفسه ويطلب تحريره واعادته إلى مسقط رأسه. ثم أريد أن أؤكد لجلالتكم أن التمسك بهذا الحق من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية ليس المراد منه أى تدخل فى شئون مملكتكم أو أى تجاوز على سلطان جلالتكم وان السبب فى هذا التمسك انما هو اصرار حكومة صاحب الجلالة البريطانية على القيام بواجب تعتبره مفروضاً عليها نحو الانسانية وأضيف إلى قولى هذا ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية ستكون على استعداد للنظر فى الغاء حق العتق حينما يتبين للفريقين ان التعاون المنصوص عليه فى المادة الثامنة من معاهدة جدة قد أدى إلى تدابير عملية كافية لابطال حق الاعتاق. أمل أن جلالتكم

ستقدرون موقف حكم صاحب الجلالة البريطانية فى هذه المسألة وانكم ستستحسنون الموافقة على الخطة التى بسطتها اعلاه.

وأرجو قبول ...

جلبرت كليتن

***

من ....

إلى...

جواباً على كتاب فخامتكم المؤرخ ١٨ ذى القعدة رقم ٢ بخصوص عتق الرقيق فانى واثق بأن المعتمد البريطانى فى جدة سيكون محافظاً على الروح التى توفيناها فى معالجة الموقف الحاضر فلا يدع مجالاً للتشويق فى هذا الموضوع الذى قد يؤثر على الحالة الادارية والاقتصادية..

وتفضلوا..

إلى...

يا صاحب الجلالة :

اشارة إلى المادة الرابعة من معاهدة جدة لى الشرف أن اثبت فى كتابى هذا التصريحات التى القيتها امام جلالتكم اثناء محادثاتنا عندما صرحت بأن الغرض الوحيد من ادخال تلك المادة فى المعاهدة هو أولاً وضع المعاملة المتبعة الآن على اساس رسمى وثانياً ان يقدم لحكومة صاحب الجلالة البريطانية تأكيدات تمكنها من اعلان المعاملة المتبعة الآن لجميع المسلمين فى البلاد البريطانية وعلاوة على ذلك أريد ان أؤكد لجلالتكم ان وجود تلك المادة فى المعاهدة لايؤثر ولا يفسر بأنه قد يؤثر على المعاملة المختصة بمخلفات الاشخاص غير الحجاج التى لاتزال خاضعة لقواعد المقابلة بالمثل التى هى اساس التعامل المعتاد بين البلاد المستقلة وأرجو من جلالتكم قبول...

من ...

جواباً على كتاب سعادتكم المؤرخ فى ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ رقم ٤ بشأن مخلفات رعايانا ومخلفات رعاياكم فى ديارنا فأحب أن أوكد لفخامتكم ان المعاملة ستكون كما ذكرتم حسب التعامل الدولى فتقوم محاكمنا بتسلم المخلفات وبعد اجراء المعاملات القانونية واستيفاء الرسوم عليها تسلم إلى المعتمد البريطانى وذلك مقابلة بالمثل لتسليم المعتمد البريطانى فى جدة مخلفات المتوفى من رعايانا فى الممالك البريطانية.

وتفضلوا...

الختم الملكى

- ٣ -

وفى يوم ١٥ شعبان سنة ١٣٥٠ وقع على معاهدة صداقة وحسن جوار بين اليمن والمملكة الحجازية النجدية هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

حسب الامر من سيادة الامام الاعظم يحيى بن محمد حميد الدين وجلالة الملك المعظم عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود قد اجتمعنا من طرف الملكين لعقد اتفاقية بين الحكومتين بموجب المواد المبينة أدناه :

المادة الأولى ـ يكون على الدولتين المحافظة على الصداقة وحسن الجوار وتوثيق عرى المحبة وعدم إدخال الضرر ببلاد كل منهما على الآخر.

المادة الثانية ـ يكون على كل من الدولتين تسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين المحدثين بعد هذه الاتفاقية. كل حكومة عند طلب حكومته له.

المادة الثالثة ـ يكون على كل من الدولتين معاملة رعايا الدولة الأخرى فى بلادها فى جميع الحقوق طبق الأحكام الشرعية.

المادة الرابعة ـ يكون على كل من الدولتين الضبط والتسليم لرعايا الدولة الأخرى فى كل الحقوق الشرعية. فما أشكل ولم ينهه الأمراء ولا العمال فمرجعه إلى الملك والأمام.

المادة الخامسة ـ على كل من الدولتين عدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيراً أو صغيراً مستخدماً أو غير مستخدم وإرجاعه إلى دولته حالاً.

المادة السادسة ـ إذا حدث حدث من أحد رعايا الحكومتين فى بلاد الآخر فعلى المحدث أن يحاكم فى المحاكم التى وقع فيها الحادث.

المادة السابعة ـ منع الأمراء والعمال عن التداخل بالرعايا بما يحدث القلق ويوقع سوء التفاهم بين الدولتين.

المادة الثامنة ـ إن كل من يسكن من رعايا الطرفن فى بلاد الآخر بعد هذه الاتفاقية وتطلبه حكومته فإنه يساق إلى حكومته حالاً. هذا ما حصل به التراضى بين المندوبين من طرف سيادة الإمام ومندوبى جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود على أن يكون العمل بهذه الثمان المواد بعد موافقة ومصادقة الملكين المعظمين عليها. وتحرر ما ذكر أعلاه من صورتين بيد كل فريق صورة بتاريخ اليوم الخامس عشر من شهر شعبان سنة ١٣٥٠.

القاضى عبدالله بن أحمد العرشى	سحار عبدالله بن على مناع	أبو طالب بن محمد محجب
عبدالله بن محمد بن معمر	فهد بن زعير	عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة
محمد بن دليم أبو لعته	حمد العبدلى	محمد بن على الحازمى

وفى يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣١ (٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠) وقع فى جدة على المعاهدة الآتية بين الملك ابن السعود وبين معتمد فرنسا فى جدة. بالإضافة إلى سورية وهى :

نحن عبدالعزيز عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها.

بما أنه عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية الفرنساوية بالنيابة عن سوريا ولبنان معاهدة صداقة لتقوية علاقات الود، وحسن الجوار بين بلادينا ووقعها مندوب مفوض من قبلنا ومندوب مفوض من قبل فخامته وكلاهما حائزان الصلاحية التامة المتقابلة، وذلك فى جده فى اليوم التاسع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ألف وثلاثمائة وخمسين هجرية الموافق لليوم العاشر من شهر تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ألف وتسعمائة وإحدى وثلاثين ميلادية وهى مدرجة فى ما يلى :

حكومة جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة، وحكومة الجمهورية الفرنساوية نيابة عن سوريا ولبنان من جهة أخرى.

رغبة منهما فى توثيق الصلات الدولية والعلاقات الحسنة بين دول سوريا ولبنان وبين حكومة الحجاز ونجد وملحقاتها قد قررا عقد اتفاقية لهذه الغاية وعين كل منهما مفوضه وهما :

عن حكومة الحجاز ونجد ومحلقاتها حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبدالعزيز وزير الخارجية.

وعن حكومة الجمهورية الفرنساوية نيابة عن سوريا ولبنان المسيو ج.ر. ميغريه القائم بأعمال فرنسا فى الحجاز ونجد وملحقاتها حامل وسام ضابط فى جوقة شرف.

اللذان بعد أن تبادلا أوراق تفويضهما التى ثبت أنها قانونية اتفقا فيما بينهما على المواد الآتية :

المادة الأولى ـ على حكومة الحجاز ونجد وتوابعها وعلى دول سوريا ولبنان أن تكون فى كل حين باحسن العلاقات الودية، فلا تساعد على إجراء أى عمل كان مخالف للقانون من شأنه الإخلال بالسلام أو الأمن العام فى أراضى كل منهما ولاتغض الطرف عنه.

المادة الثانية ـ يتمتع أفراد التبعية الحجازية والنجدية فى سوريا ولبنان وأفراد التبعية السورية واللبنانية فى الحجاز ونجد وتوابعها بالمعاملة والحقوق التى تعامل بها الأمة الأكثر ميزة فيما يتعلق بالإقامة والضرائب ومعاطاة الحرف والمهن الصناعية والتجارية والملاحة.

المادة الثالثة ـ يؤمن حماية مصالح أفراد التبعة السورية واللبنانية فى الحجاز ونجد وتوابعها، وحماية مصالح أفراد تبعة الحجاز ونجد وتوابعها فى سورية ولبنان معتمدو أو قناصل كلا الفريقين المتعاقدين المصادق على اعتمادهم فى بلاد كل منهم. على أن أفراد كلا التبعتين العائدتين للفريقين المتعاقدين يخضعون فى جميع أعمالهم لقوانين البلاد حيث يقيمون.

المادة الرابعة ـ أن الحج للأماكن المقدسة الإسلامية فى الحجاز حر لجميع أفراد التبعة السورية أو اللبنانية المسلمين. وقد صرحت حكومة الحجاز ونجد وتوابعها أن هؤلاء الحجاج يتمتعون أثناء مكوثهم فى الحجاز بالمعاملة والحقوق الممنوحة أو المعترف بها لأفراد الأمة الأكثر ميزة مع تأمين سلامة شخصهم وأموالهم.

المادة الخامسة ـ أن الأموال التى يخلفها أفراد التبعة السورية أو اللبنانية الذين يتوفون فى الحجاز أو نجد، ولايكون لهم فيها ممثلون قانونيون تسلم بعد إتمام المعاملات وتأدية الرسوم المنصوص عنها فى الشريعة المحلية لقاء وصول إلى معتمد فرنسا فى جدة، أو الى وكيل يعينه هذا الأخير لنقلها لورثة المتوفى.

وبالتبادل يجرى ذلك مع النجديين والحجازيين.

المادة السادسة - للعشائر التابعة للفريقين الحق بالرحيل لأجل المرعى إلى بلاد كل من الفريقين على أن عليها قبل الترحل إعلام سلطات الفريق الآخر بواسطة سلطات حكومتها نفسها.

المادة السابعة - أن زعماء العشائر الذين يتصرفون بقيادة رسمية ولهم أعلام لايجوز أن يرفعوا هذه الأعلام فى أراضى الفريق الآخر.

المادة الثامنة - على كل عشيرة ترحل من أراضيها إلى أراضى غيرها أن تخضع أثناء إقامتها فيها لجميع القوانين والأنظمة المرعية.

المادة التاسعة - أن أية عشيرة كانت مرتبطة بأحد الفريقين المتعاقدين تقترف أثناء إقامتها لأجل المرعى فى أراضيها الفريق الآخر اعتداء على شخص أو أموال أحد الأفراد تبعة الحكومة التى رحلت إليها تجبر على تعويض الأضرار التى سببتها فوراً، وإذا لم يؤد التعويض قبل اجتياز العشيرة الحدود. فالحكومة التابعة هذه العشيرة لها تتعهد باتخاذ التدابير التى ضمن صلاحيتها لاستحصال التعويض المطلوب.

المادة العاشرة - إن كل اعتداء تقترفه العشائر المرتبطة بدول سورية ولبنان فى أراضى الحجاز ونجد والعكس بالعكس تدقق فيه الحكومة التابع لها الفرد المعتدى وتفرض العقوبة.

المادة الحادية عشرة - إذا جازت إحدى العشائر أو أحد أفخاذ عشيرة ما مرتبطة بأحد الفريقين أراضى الفريق بعد عصيانها يجب اتخاذ الوسائل اللازمة لمنع هذه العشيرة أو فخذ العشيرة من استئناف الاعتداءات فى بلاد مسقطها.

المادة الثانية عشرة - محظور على كلا الفريقين المتعاقدين المخابرة مع زعماء أو شيوخ العشائر المرتبطة بالفريق الآخر بشؤون رسمية أو سياسية.

المادة الثالثة عشرة ـ إن كل منازعه تحدث بين العشائر بأمور تتعلق بالمرعى تحسم وفقاً لقانون البلاد. حيث تحصل المنازعة.

المادة الرابعة عشرة ـ يتعهد كلا الفريقين المتعاقدين أن يستأنفا فيما بعد المفاوضات لعقد اتفاق بخصوص المسائل الجمركية والاقتصادية المتعلقة بكلتا الحكومتين.

المادة الخامسة عشرة ـ لايحق لزعماء العشائر أن يتقاضوا بناء على تعامل قديم أى رسم كان عن القوافل التى تنقل بضائع التجار مع تذكرة بمصدر البضائع مشفوعة بالبيانات الكافية عن البضائع المنقولة والحيوانات المستعملة لنقلها.

المادة السادسة عشرة ـ أن الأسلحة التى تصحب القوافل المتجهة إلى سوريا ولبنان تودع فى أول مخفر تلتقى به فى الأراضى الثابتة لقاء وصول ناطق بأوصاف الأسلحة، وعند مغادرة القوافل أراضى الحجاز ونجد وتوابعها تعاد هذه الأسلحة.

المادة السابعة عشرة ـ يصادق كلا الفريقين على أحكام هذه المقاولة مع تبادلهما وثائق المصادقة بأقرب وقت، ثم يصبح معمولاً بها منذ تاريخ التبادل لمدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ.

وإذا لم يبلغ فريق من الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انقضاء أجل السنوات السبع بستة أشهر عن عزمه على فسخ المعاهدة فتظل هذه معمولاً بها ولاتعتبر مفسوخة إلا بعد مضى ستة أشهر على تبليغ أحد الفريقين المتعاقدين الآخر فسخ المعاهدة.

المادة الثامنة عشر ـ صدرت هذه المعاهدة باللغتين العربية والإفرنسية ولكلا النصين مفعول رسمى واحد.

ملاحق المعاهدة

- ١ -

إلى سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز وزير الخارجية فى جده

يا صاحب السمو :

بالإشارة إلى المفاوضات التى سبقت عن المعاهدة التى وقع عليها بين دول سوريا ولبنان وبين حكومة الحجاز ونجد وتوابعها أتشرف باستلفات نظركم إلى أن أحكام المادة الثانية من المعاهدة السابق ذكرها لاتخول أفراد تبعة الحجاز ونجد وتوابعها حق المرافعة لدى المحاكم المختلطة فى سوريا ولبنان.

فأرجو منكم أن تتكرموا فتؤكدوا لى موافقة حكومتكم على هذه النقطة الأخيرة وأرجو منكم التكرم بقبول تأكيد فائق إحترامى.

معتمد فرنسا

الإمضاء ـ ميغره

سعادة مسيو ميغرة معتمد فرنسا ـ جده

يا صاحب السعادة؛ جواباً على كتابكم الباحث عن أحكام المادة الثانية من المعاهدة الموقع عليها والذى تعلموننى فيه بأن أحكام المادة المتقدم ذكرها لاتخول أفراد تبعة الحجاز ونجد وتوابعها حق المرافعة لدى المحاكم المختلطة فى سوريا ولبنان أتشرف بإعلامكم عن موافقة حكومتى على هذه النقطة الأخيرة وتفضلوا.

وزير الخارجية

التوقيع ـ فيصل

- ٢ -

إلى سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز وزير الخارجية المعظم.

يا صاحب السمو - عطفاً على أحكام المادة ١١ من المعاهدة أتشرف بإعلام سموكم أن الشهادة بمصدر البضائع يجب أن تبرز فى سوريا ولبنان تحت شكل قوائم قانونية موشحة مجاناً بتوقيع معتمد فرنسا لدى جلالة ملك الحجاز ونجد وتوابعها ومشهوداً فيها بالضبط بأسعار البضائع ومصدرها، ويجب أن يذكر فى القائمة الشرح الآتى من قبل صانع البضاعة أو بائعها (نشهد بأن هذه القائمة صحيحة. وهى الوحيدة التى أعطيناها عن البضائع المذكورة فيها وقد ذكرت فيها قيمة هذه البضائع بالضبط دون أن يحسم منها أى خصم كان وأن مصدرها نجدى محض).

أما فيما يتعلق بالبضائع المرسلة من المناطق البعيدة عن مكان إقامة المعتمد السياسى الفرنسى فتحرر الشهادة بمصدرها كما هو مذكور أعلاه وتشفع بشهادة حاكم المنطقة التى سافرت منها البضائع ويؤشر عليها مجاناً فى أول مخفر سورى تلتقى به القوافل وأرجو منكم يا صاحب السمو أن ....

معتمد فرنسا

الإمضاء : ميغرة

- ٥ -

وقد عقد سلسلة معاهدات مع الحكومة العراقية تراها منشورة على الصفحة ١٠٥ من هذا الكتاب.

وفى يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٣٢ عقد مع إيطاليا المعاهدة الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده.

نحن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها.

بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة ملك إيطاليا معاهدة صداقة، لتقوية علاقات الود بين بلادينا، ووقعها مندوب مفوض من قبلنا ومندوب مفوض من قبل جلالته، وكلاهما حائزان للصلاحية التامة المتقابلة، وذلك فى جده فى اليوم الثالث من شهر شوال سنة ألف وثلاثمائة وخمسين هجرية الموافق اليوم العاشر من شهر سنة ١٩٣٢ ميلادية وهى مدرجة فيما يلى:

حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة.

وحضرة صاحب الجلالة ملك إيطاليا من جهة أخرى.

رغبة منهما فى تأسيس وتقوية الروابط الودية بين بلاديهما قررا عقد معاهدة صداقة، ولهذا الغرض عين حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل وزير الخارجية.

وعين حضرة صاحب الجلالة ملك ايطاليا سعادة الكومنداتورى جويدوسو للاسو.

مندوبين مفوضين من قبلهما، وبعد أن اطلع المندوبان المذكوران على أوراق اعتمادهما ووجداها مطابقة للأصول اتفقا على ما يأتى :

المادة الأولى - بناء على الاعتراف الذى حصل من قبل حضرة صاحب الجلالة ملك إيطاليا بحضرة صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملكاً على الحجاز ونجد وملحقاتها فقد توثقت عرى صداقة خالصة ومتينة بين حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها وبين حضرة

صاحب الجلالة ملك إيطاليا ويسود بينهما وبين مملكتيهما ورعاياهما سلام دائم.

المادة الثانية - تنفيذاً للمادة السابقة قد اتفق الفريقان المتعاقدان على إنشاء علاقات سياسية وقنصلية بينهما، ولأجل ذلك فإن الممثلين السياسيين والقنصليين لكل من الفريقين المتعاقدين يتمتعون حينما يكونون فى بلاد الفريق الآخر بالمعاملة المقررة فى مبادئ القانون الدولى العام. كما أنهم يتمتعون بالمعاملة الممنوحة الأولى الأمم بالتفضيل على شرط المقابلة بالمثل.

المادة الثالثة - يتعهد الفريقان المتعاقدان بأن يبذلا جهدهما للمحافظة على حسن العلاقات بينهما، وبأن يسعيا لمنع اتخاذ بلاديهما من قبل أى كان قاعدة للأعمال غير المشروعة ضد بلاد الفريق الآخر.

المادة الرابعة - يتمتع التابعون لكل من الفريقين المتعاقدين فى بلاد الآخر نحو أشخاصهم وأملاكهم - على شرط المقابلة بالمثل - بمعاملة أولى الأمم بالتفضيل وتمنح المعاملة ذاتها لشركات كل واحد من الفريقين المتعاقدين فى بلاد الفريق الآخر.

المادة الخامسة - يعترف صاحب الجلالة ملك إيطاليا بالجنسية الحجازية والنجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عندما يوجدون فى بلاد صاحب الجلالة ملك إيطاليا.

وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية الإيطالية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز وملحقاتها، على أن تراعى فى ذلك مبادئ القانون الدولى المرعى بين الدول المستقلة.

المادة السادسة - يتعهد حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتقديم التسهيلات والحماية للرعايا الإيطاليين الذين يدينون بدين الإسلام ممن يقصدون الحجاز لأداء فريضة الحج أسوة بسائر الحجاج، ويتعهد جلالة ملك

الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم أموال المتوفين من الحجاج المذكورين الإيطاليين الذين يتوفون فى الحجاز بعد إجراء المعاملات القضائية المقررة وبعد استيفاء الرسوم المقررة فى القوانين الحجازية والنجدية إلى ممثل الحكومة الإيطالية بجده الذى يتعهد بإرسالها إلى الورثة الشرعيين، وهذا إذا لم يكن للمتوفين أوصياء شرعيون فى الحجاز، وإذا كان لهم أوصياء شرعيون فتسلم مخلفات المتوفين لهم.

المادة السابعة ـ حررت هذه المعاهدة من نسختين باللغتين العربية والإيطالية ولكلا النصين قيمة واحدة، وسيكون إبرام هذه المعاهدة فى أقرب وقت ممكن ويجرى العمل بها اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الإبرام.

فيصل بن عبدالعزيز **جويدوسوللاسو**

جده فى ٣ شوال ١٣٥٠ (الموافق ١٠ فبراير ١٩٣٢)

فبعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة وأمعنا النظر فيها، صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة فى مجموعها ومفردة فى كل مادة وفقرة منها، كما أننا نصدقها ونقبلها ونبرمها ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقاً بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها ونلاحظه بكمال الأمانة والإخلاص، وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالإخلال بها بأى وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك وزيادة فى الإشهاد والصحة فى كل ما ذكر أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين.

حرر فى اليوم الخامس من شهر ذى الحجة سنة ألف وثلاثمائة وخمسين هجرية ـ الموافق لليوم الحادى عشر من شهر إبريل سنة ١٩٣٢ ميلادية.

عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود

وعقد فى الوقت نفسه معاهدة تجارية مع إيطالية تعهداً فيها بتسهيل المبادلات التجارية بين بلاديهما.

- ٧ -

وفى أول شهر مايو سنة ١٩٣٢ عقدت فى جدة معاهدة صداقة وولاء بين أفغانستان والمملكة العربية السعودية.

- ٨ -

ظلت العلاقات السياسية مضطربة بين حكومة ابن السعود وشرقى الأردن حتى شهر مارس سنة ١٩٣٣ ففيه توسط جلالة الملك فيصل والحكومة البريطانية لإصلاح ذات البين. فاعترفت كل حكومة منها بالأخرى، وهذا نص المكاتبات التى دارت بهذا الشأن :

- ١ -

من رئيس وزراء حكومة شرق الأردن إلى المندوب السامى البريطانى لشرق الأردن :

يا صاحب الفخامة :

لى الشرف بأن أرجو فخامتكم إنباء حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة أنه حيث سيدى ومولاى صاحب السمو الأمير عبدالله بن الحسين أمير شرق الأردن وحكومته يرغبان فى تأسيس علاقات ودية متينة بين إمارة شرق الأردن والمملكة العربية السعودية فقد قررا الاعتراف بصاحب الجلالة الملك عبدالعزيز ملكاً على المملكة العربية السعودية التى تشتمل على الحجاز ونجد وملحقاتها.

جرت هذه المخابرة علماً بأن مخابرة مماثلة ستقدم إلى حكومة صاحب الجلالة من قبل الحكومة العربية السعودية، وأن الاعتراف سيكون نافذ المفعول من التاريخ الذى فيه تبلغ حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة فى آن واحد

كلا من الحكومتين المختصتين صورة مصدقة من المخابرة التى تلقتها من الحكومة الأخرى.

لى الشرف أن أكون صديق فخامتكم المخلص.

فى ٢٥ ذى القعدة سنة ١٣٥١هـ.

وفى ٢١ آذار سنة ١٩٣٣م.

رئيس الوزراء

(التوقيع) عبدالله سراج

- ٢ -

من وزارة خارجية المملكة العربية السعودية إلى المندوب فوق العادة والوزير المفوض البريطانى.

يا صاحب الفخامة :

أتشرف بأن أرجو فخامتكم التكرم بإبلاغ حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة، أنه نظرا لرغبة صاحب الجلالة مولاى الملك عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية وحكومة جلالته فى تأسيس علاقات ودية متينة بين المملكة العربية السعودية وإمارة شرق الأردن قد قررا الإعتراف بصاحب السمو الأمير عبدالله أميراً على شرق الأردن.

أحب أن أوضح لفخامتكم أن هذه المكاتبة قد عملت مع العلم بأن مكاتبة مماثلة لها ستقدم لحكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة من قبل حكومة إمارة شرق الأردن، وأن الاعتراف يصبح نافذ المفعول اعتباراً من التاريخ الذى تقوم حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة فيه بإبلاغ كل من الحكومتين المختصتين مباشرة وفى أن واحد صورة مصدقة من المكاتبة التى تلقتها من الحكومة الأخرى، وتفضلوا بقبول فائق التحية والاحترام.

من سمو الأمير عبدالله بن الحسين أمير شرق الأردن إلى جلالة الملك عبدالعزيز السعود.

قد علمت مع السرور بانتهاء المخابرات الرسمية فى سبيل اعتراف متبادل بين جلالتكم وبينى وبين حكومتينا.

وإنى أغتنم هذه الفرصة كى أقدم تحياتى لجلالتكم ولا عرب عن أملى بأن هذه الخطوة ستعد أساساً متيناً للعلاقات الودية والتعاون بين بلادينا.

من جلالة الملك عبدالعزيز إلى سمو الأمير عبدالله.

قد علمت مع السرور بانتهاء المخابرات الرسمية فى سبيل إقرار اعتراف متبادل بين سموكم وبينى وبين حكومتينا.

وإنى أغتنم هذه الفرصة كى أقدم تحياتى لسموكم ولأعرب عن أملى بأن هذه الخطوة ستعد أساساً متيناً للعلاقات الودية والتعاون بين بلادينا.

***

وعلى أثر هذا الاعتراف وصل وفد من شرقى الأردن فى ٥ مايو سنة ١٩٣٣ إلى جده ففاوض رجال حكومتها لعقد معاهدة بين الحكومتين تحدد علاقتهما وهذا نص البلاغ الرسمى الذى أصدرته حكومة مكة يوم ١٤ مايو سنة ١٩٣٣ :

على أثر الاعتراف المتبادل بين جلالة الملك وسمو أمير شرقى الأردن وصل من شرقى الأردن وفد للمفاوضة فى عقد معاهدة صداقة ومعاهدة تسليم مجرمين وبروتوكول تحكيم. وقد دارت المفاوضات بين الوفد ومندوب حكومة جلالته فى جو سادته روح الصداقة والود وتم الاتفاق مبدئياً على عقد معاهدة صداقة وبروتوكول تحكيم، وعلى تأجيل البحث فى عقد معاهدة تسليم المجرمين

لصعوبة التوفيق بين وجهات النظر، وقد تأجلت المفاوضات على أن تعقد دورتها الثانية فى القدس فى وقت قريب.

وفى يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٣٣ وقع فى القدس مندوبو الحكومتين مع مندوب بريطانيا بالنيابة عن شرقى الأردن فى قصر المندوب السامى على معاهدة صداقة وحسن جوار، وتقع فى ١٤ مادة وتنطوى على المبادئ الآتية :

١ ـ التعهد المتبادل بإقرار السلم.

٢ ـ تعهد كل فريق بأن يحول دون اتخاذ بلاده مركزاً أو وسيلة للإضرار بالفريق الآخر.

٣ ـ معاقبة كل من يحاول ذلك واتخاذ تدابير خاصة على الحدود لمنع مثل هذه المحاولة.

٤ ـ تعهد كل فريق بعدم تجنيد رعايا الفريق الآخر فى بلاده.

٥ ـ تخطيط الحدود على الأرض.

وكذلك وقع على بروتوكول تحكيم، وهو يحتوى على ١٢ مادة وينص على حمل جميع المشاكل التى وقعت فى الماضى أو التى يحتمل أن تقع فى المستقبل بطريق التحكيم، وأن تؤلف هيئة التحكيم من حكمين تختار أحدهما الحكومة العربية السعودية، والثانية حكومة شرقى الأردن ويرأسها محايد يختاره الفريقان.

***

وفضلاً عن ذلك فقد اعترفت كل من تركيا وإيران بالحكومة السعودية ـ كما اعترفت بها المانيا وروسيا وهولندا، وبقية الحكومات الأوربية والحكومة المصرية هى التى لم تعترف بها حتى الآن.

اليمن

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

اليمن من الأقطار العربية التى انفصلت عن تركيا بعد الحرب العظمى، ونالت استقلالها بموجب التصريح الذى أصدرته الحكومة التركية فى سنة ١٩٢٣ بتنازلها عن سيادتها على البلاد العربية التابعة لها إلى أهل البلاد أنفسهم.

ويتمتع اليمن بالاستقلال التام المطلق. فلا نفوذ ولاتدخل لحكومة من الحكومات الأوربية فى شؤونه. ونظام الحكم هنالك هو الشريعة الإسلامية ويلقبون حاكمهم بلقب (أمير المؤمنين).

ولايوجد إحصاء رسمى لسكان اليمن، ويقدرهم بعضهم بخمسة ملايين ويقول أخرون إنهم ثلاثة، ويذهب غيرهم إلى أنهم ثمانية أو عشرة. وكذلك لايوجد بيان رسمى عن مساحته السطحية، والمرجح أنها لاتزيد عن خمسين ألف ميل مربع.

وبلاد اليمن تنقسم إلى سهلية وجبلية، ويطلقون على الأولى تهامه أو الساحل (ساحل البحر الأحمر) وترتفع درجة الحرارة ارتفاعاً زائداً فى هذه المناطق فتتراوح بين ٤٠ ـ ٥٠ فى زمن الصيف بميزان سنتغراد، ويتدين الساحليون على مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعى. أما القسم الجبلى فجوه معتدل وتجود به الفاكهة. ويتعبد سكانه على مذهب الإمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب.

ويحده من الشمال بلاد عسير ونجد. ومن الجنوب النواحى التسع المشمولة بالنفوذ الإنكليزى، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الشرق الربع الخالى. وعاصمته صنعاء، ويقيم فيها الإمام ورجال حكومته.

ومدنه المشهورة هى : صنعاء. والحديدة. وذمار. وبريم. وإب. وتعز. وزبيد. وبيت الفقيه. والمناخة. واللحية. والزيدية. ومخا. والتجنيد فى اليمن إجبارى فى زمن الحرب واختيارى فى زمن السلم. ويبلغ عدد الجيش النظامى ١٨ ألف جندى ويقوده ضباط مدربون تخرجوا فى مدرسة صنعاء الحربية. ويستطاع إبلاغ هذا الجيش زمن الحرب إلى مئة ألف جندى.

وإمام اليمن ومنشئ دولته وقائده هو المتوكل على رب العالمين أمير المؤمنين محمد يحيى بن محمد حميد الدين وهذا رسمه :



الملك محمد يحي حميد الدين (ملك اليمن)

الإمام محمد يحيي حميد الدين

ملك اليمن

مولد ونشأته

هو الإمام محمد يحيى بن الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بدر الإسلام بن الحسين بن القاسم بن محمد، ويتصل نسبه بسيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه. وهو السابع والثمانون من الأئمة الزيود الذين تعاقبوا على اليمن.

ولد فى مدينة صنعاء فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٨٦هـ هجرية ونشأ فى حجر والده المرحوم الإمام المنصور بالله.

علومه ـ اعتدنا ونحن ندون تراجم العظماء من رجال العصر الحاضر أن نذكر أسماء المدارس التى تخرجوا منها، والشهادات أو الرتب العلمية التى يحملونها وأسماء المدارس أو الجامعات التى منحتها. أما فى سيرة الإمام. فالأمر غير ذلك فنحن موردون أسماء العلماء الذين درس عليهم ونال إجازاتهم بالتدريس، وهى الطريقة التى كانت متبعة فى العصور الإسلامية القديمة، ولايزال بعض علماء الدين الإسلامى يسير عليها.

فالإمام يحيى درس فنون العلم والأدب وأخذها عن والده الإمام المنصور، وعن القاضى العلامة الحافظ محمد بن عبدالملك الآنسى، والقاضى العلامة النحوى أحمد بن رزق السيانى، والقاضى العلامة الفروعى محمد بن أحمد العراسى، والمولى شيخ الإسلام القاضى على بن على اليمانى، والقاضى اللغوى محمد بن أحمد حميد، والقاضى العلامة عبدالله بن على الحضورى، والمولى العلامة لطف بن محمد شاكر، والقاضى العلامة إمام الفروع عبدالله بن أحمد المجاهد الذمارى،

والمولى العلامة إمام الأصول والحديث ورجاله أحمد بن عبدالله الجنداري الصنعاني.

هؤلاء هم العلماء والشيوخ الذين أخذ عنهم الإمام يحيى علوم الدين واللغة العربية وفنونها في صنعاء وفي جبل الأهنوم، فصار علماً من الأعلام وحجة في المعقول والمنقول والمنثور والمنظوم، فهو من كبار علماء الدين ـ كما هو من الأدباء المعروفين، وله قصائد كثيرة وأشعار مروية.

فمن قصائده المروية التي سارت مسير الراكبان قصيدته الخالدة ومطلعها :

ألف السهاد وحاد عن طيب الكرى ... من لم يزل في الحادثات مفكرا
وتوسد الأحجار وادرع الأسى ... وتفرش الطين الرغام وعسفرا
رجل له في نصر شرعة أحمد ... همم تطير به إلى أعلى الذرا
يدعو إلى نهج الصواب ونص آيا ... ت الكتاب بلا جدال ولا مرا
والسنة الغراء يقفو إثرها ... أكرم بسنة خير من وطئ الثرى
لايرتضي نحل الروافض مذهبا ... وكذاك لم يك مثل جهم مجبرا
حب اللقا لعدوه متشهداً ... متحسراً ماقط أوصد مغفرا
قد خرسته الحرب فهو إلى الوغا ... يعدو على شوها كبرق قد سرى
والطير تعدو بعده والوحش تقـ ... ـفو إثره ثقة بمضمون القرى
لله خاض من المكاره بحرها الـ ... ـلجي وراض من العباب الأشقرا
لا طالباً مالاً ولا ملكاً يخـ ... ـلفه ولا يبغي بذلك مفخراً
لكن هداه إلى القيام قواطع الـ ... ـآي الكرام ونص من ساد الورى
يدعو إلى سنن الشريعة كل ذي ... عقل يحج به على وجه الثرى

يدعوهم باللين دعوة ناصح ويريهم نهج الصواب مبصراً

ومن استمر معاندا منهم ولم تجد المواعظ عاد فيهم منذرا

هذى مواعظنا التى اوصى بها أسلافنا الأخلاف مابرق سرى

وله قصيدة أخرى فى الدفاع عن القات وتعداد مزاياه قال فيها :

وللثغور صبـــاغ زمـــــردى مـــذاب

أحســـن بثغر مليح له المذاب رضـــــاب

ياما أحيلاه ظلمـــــا تشفى به الأحبـــاب

وللنفوس مـــــريح وللنشاط انجـــــذاب

ويشحذ الفكـر حتى يخـاف منه التهـــاب

ويطرد النوم عـــــ ـمن له الجليس كتاب

***

اما الذى قال قسطنطـ ـبين(١) فهو سراب

أليس من جاوزر الحـد أكله والشـــــراب

يكون عرضة حصـــــر ويعتريه اكتئـــاب

والأكل والشرب مـــالا به الكرام تُعـــاب

وإنما العيب إســــراف منه يبدو العجـــاب

هذا الملفق يا قســـــ ـطـنطين منا جواب

يهدى إليك عليــــــه من الحياء نقـــاب

---

(١) هو قسطنطين ينى شاعر سورى. كان فى خدمة الملك حسين فى الحجاز، وقد زار صنعاء سنة ١٩٩٢ مع أمين أفندى الريحانى مؤلف كتاب ملوك العرب.

لأنـــــه ليس كفـــــؤا   للدر وهو تـــــراب
فـــاستر مـلفق يحيـى   فالستر فيه ثـواب

وقال من قصيدة أخرى فى دعوة قومه المسلمين إلى نصرة الشريعة والدين :

فلت سيوفى عند حومات الوغـــــى   وكبت جيادى عند أن جد السرا
وعدمت أرماحى بمشتجر القنـــــا   وجبنت عن غزوى عدوى مبكرا
وخلعت ثوب الحزم خلعة عاجــــز   ولبســـت للتسويف ثوباً منكرا
إن لم أكـــن للظالمين مقارعــــاً   أو لم أكن للكافـــــرين مـصغرا
وعلى فعل المستطـــــاع منادياً   للناس أن الـله ياقـــــوم اشترى
قوموا لخوف عواقب الأمر الــــذى   نهى ولتكن ولتنـــــهون المنـكرا
قوموا معى ننفى الضلال ونثبت الـ   ـإيمان والشرع الشـريف الأنورا
قوموا معى نبنى حصوناً للهــــدى   والعدل والإحسان شامخة الذرى

وله مرثية بليغة فى رثاء ابنة الأمير محمد المتوفى غريقاً نشرناها فى غير هذا المكان، وله قصائد أخرى غير مطبوعة يرويها الناس فى اليمن ويستظهرها طلاب المدارس.

نشأته ـ قضى الإمام أيام صباه فى صنعاء مكباً على العلم والدراسة لايزاول غيرها. وظل هذا شأنه حتى بلغ العشرين من عمره. ففى شوال من سنة ١٣٠٧هـ غادرها مع والده إلى جبل الأهنوم. فانصرف إلى طلب العلم أيضاً مواصلاً الاجتماع إلى حملته وأقطابه، حتى ذاع فضله، وانتشر صيته.

مبايعته بالإمامة ـ وفى شهر ربيع الأول من سنة ١٣٢٢ توفى والده الإمام المنصور من دون أن يختار ولياً لعهده. فاجتمع العلماء والأعيان وأرباب الحل والعقد وأجمعوا على مبايعته بالإمامة لاعتقادهم أنه خير من يستطيع النهوض

بأعبائها ولاستجماعه الشروط الشرعية، وهى أربعة عشر سيأتى بيانها فامتنع فى أول الأمر وتردد. فأصروا عليه وألحوا ولم يقبلوا له عذراً فأجابهم إلى سؤالهم ووافقهم. وهكذا أخذت له البيعة بالإمامة يوم الجمعة ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ وتلقب «المتوكل على الله رب العالمين» وضرب على سكته «عصمتى بالله المتوكل على الله».

وكان أكابر علماء صنعاء وذمار وصعده فى مقدمة المبايعين ثم بايع بعدهم علماء شهارة وغيرهم.

الجهاد ـ وكان أول ما عمله بعد أخذه البيعة المناداة بالجهاد ودعوة القوم إلى الحرب للتنكيل بالترك «الذين سعوا فى الأرض بالفساد وتركوا الشرائع وظلموا العباد» كما جاء فى بيان نشره فلباه الناس وأقبلوا من كل جانب لإجابة دعوته. فقامت الحرب فى كل ناحية من أنحاء اليمن وحملت القبائل على الترك فنكلت بهم، واحتلت حصونهم وصياصيهم واكتسحتها بما فيها (صنعاء) العاصمة فقد حاصرها رجال الإمام حصاراً شديداً استمر ستة أشهر.

وكان الإمام إبان الحصار مع مقره المنصورى فى كوكبان يشرف على حالة القتال، ويصدر الأوامر إلى قواده وجنوده بالخطة التى يسيرون عليها. ولما سدت فى وجوه المحصورين أبواب الرجاء ونفذ كل ما عندهم من الزاد انتدبوا وفداً قابل الإمام وحصل الاتفاق على تسليمه صنعاء، وانتدب أحد رجاله وهو العلامة أحمد بن قاسم حميد الدين فتسلم صنعاء وانتقل المخيم المنصورى بعد هذا الانتصار العظيم إلى قرية «القابل» وهى تبعد عن صنعاء نحو ١٥ كيلو متراً إلى الشمال الغربى، ولم يدخلها خوف الطوارئ والمفاجآت. وحالف الفوز والنجاح جنوده ورجاله فى تلك الغارة فاحتلوا مدن اليمن كلها تقريباً، ولم يبق للترك سوى تعز والحديدة ثغر اليمن الكبير على البحر الأحمر.

وبعد ما استقرت الأمور فى صنعاء دخلها الإمام مع حاشيته ومخيمه

وأنصراف إلى تنظيم الأمور وإقامة أحكام الشرع والدين. ولم يطل به المقام حتى وصلت إلى الحديدة قوات تركية جديدة، وعلى رأسها الوالى الجديد أحمد فيضى باشا فزحف برجاله وتقدم بصعوبة وعناء حتى بلغ مناخه وهناك حط رحاله، وأخذ ينظم صفوفه، ويرتب جيوشه استعداداً للزحف على العاصمة والاستيلاء عليها. وبعد أن تم له ما أراد ووثق من وفره جيوشه ومن ضمان النصر تقدم قاصداً صنعاء فلاقاه رجال الإمام ودارت الحرب حتى بلغ الترك رأس جبل عصر المواجه لصنعاء فرأى الإمام أن الأفضل للمصلحة هو الجلاء عنها لئلا تهدمها المدافع فغادرها منسحباً نحو الشمال وحط رحاله فى صعده واتخذها دار مقام له.

ومما يجدر ذكره هنا أنه لما دخل الإمام صنعاء فاتحاً التجأ إليه مفتيها وكان ضالعا مع الترك شديداً على الزيود مسرفاً فى أذيتهم والنكاية بهم، فأمنه على نفسه وأنقذه من يد العامة والدهماء، وكان يبكى ويقول «أرحمنى يا أمير المؤمنين وخلصنى من الناس ولو بالقتل» فقال له : «لاضير عليك إنك أمن ونحترمك للعلم. أما ما بينك وبين الناس من الحقوق فالشريعة، وأما ما حصل منك لجانبى وجانب والدى فقد سامحتك وعفوت عنك» ثم أمر بإكرامه وأعاده إلى بيته آمنا مطمئناً وأجرى عليه راتباً فاطمأن واستراح، ولما تبين له اتصاله بالترك ومكاتبته لهم أمر بالقبض عليه فاعتقل مع إسماعيل الردمى والشيخ محمد الرازقى من رؤساء قبائل بلاد البستان ورئيس الباطنية، ويسمى الداعى، وأرسل الثلاثة إلى مكان مجهول فانقطعت أخبارهم من ذلك اليوم.

الترك يفاوضون الإمام - ودارت بعد ذلك معارك عديدة بين الترك وقوات الإمام بعد ارتداده إلى الجبال واعتصامه بها، وأخيراً جنحت الحكومة العثمانية إلى السلام فأرسلت وفداً لمفاوضة الإمام وعقد صلح معه فطلب شروطاً ومهد لها بالمقدمة الآتية. قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

«وافقت مستمداً بعون الله على شروط الصلح ما بينى وبين مأمور سلطان الإسلام الذى أدعو الله أن يؤيد ملكه لإطفاء نار الحرب الموقده، وأن تستبدل الفوضى والعداوة بالصداقة لتسلم البلاد من القلاقل وتحقن الدماء وتزول المحن من هذه البقعة، ويستتب الأمن ويربط المؤمنون برابطة الإخاء التى لا انفصام لها ويرتفع الظلم فيما بينهم».

أما شروطه فهى :

١ ـ أن تطبق الأحكام على الشريعة الغراء.

٢ ـ أن يرجع عزل القضاة وحكام الشرع وتعيينهم إلى الأمام.

٣ ـ أن تكون معاقبة الخائنين والمرتشين منوطة بالإمام.

٤ ـ تخصيص رواتب كافية للحكام والمأمورين كى لاتدفعهم القلة إلى الإرتشاء.

٥ ـ إحالة الأوقاف إلى عهدته لإحياء المعارف فى اليمن،

٦ ـ إقامة الحدود الشرعية على مرتكبى الجرائم من المسلمين واليهود كما أمر الله تعالى بها وأجراها رسوله ثم أبطلها الموظفون الترك فى اليمن.

٧ ـ أخذ العشر من المزروعات التى تسقى بماء السماء، ونصف عشر من التى تسقى بماء الآبار بعد أن يقدر ذلك أرباب الخبرة.

٨ ـ تجبى الأموال بواسطة مشايخ البلاد تحت نظارة مأمورى الدولة ولايكون للإمام علاقة بقبض الأموال الأميرية.

٩ ـ يسلم كل فريق إلى الفريق الآخر من يلجأ إليه من الخائنين.

١٠ ـ إعلان عفو عام فى البلاد.

١١ ـ عدم تولية أحد من أهل الكتاب على المسلمين.

١٢ ـ أن تحافظ الدولة على أمن اليمن الخارجى من اعتداء الدول.

ثم ذيل هذه المطالب بما يأتى :

«ان تنفيذ هذه الشروط فى البلاد اليمانية يكون سبباً لسلامة الأفراد وترقى البلاد وإحيائها. فيظهر الأمن بأبهى مظاهره ويحصل منه خير كثير. ولايخفى أن البعض يستفيدون من كثرة سوق العساكر إلى البلاد اليمانية. إذ لايخلو لهم ذلك من الفائدة المادية، ولعلهم لايرضون بهذه الشروط لأن باتباعها يستتب الأمن وينقطع ورود العساكر إلى هذا القطر فيخسرون بذلك ما كانوا يؤملون، لذلك أطلب صدور فرمان سلطانى يتضمن قبول الشروط المار ذكرها كى يطمئن اليمانيون وترتاح قلوبهم ولايعترض الموظفون فى إجراء الأحكام التى تخولها الشروط، وإحالة إدارة بلاد اليمن الشرقية إلى عهدتى».

ورفضت الحكومة العثمانية قبول شروط الإمام وأبت إلا الاستمرار فى القتال فكانت الحرب سجالا بين الفريقين، ورأى الترك فى السنة التالية أن يستأنفوا الكرة فأرسلوا إليه وفداً عدد رجاله عشرة من أكابر علماء مكة فبلغوا صنعاء ومنها أرسلوا إلى الإمام كتاباً يبسطون فيه مهمتهم ويعرضون عليه الصلح ويحببونه إليه فأرسل اليهم يوم ١٨ شعبان سنة ١٣٢٥هـ كتاباً مطولاً بسط فيه حالة اليمن وأسباب قيامه بسطاً وافياً قال فيه :

«كانت بلاد اليمن بيد أسلافنا من الآل الأكرمين من المائة الثالثة للتاريخ، ولم ينفك قائم الحق عنها. إما متولياً لجميعها أو بعضها كما هو معروف فى تواريخ اليمن. وكانت المعارك مستمرة بين أسلافنا ومن ناوأهم لرغبة أهل اليمن فى ولاية ساداتهم وأولاد نبيهم رضى الله عنهم واعتقادهم وجوب توليهم ونصرتهم، ولما يعرفون من أحوالهم، وأن لا إرادة لهم غير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المحزن. وإقامة الشريعة وتعديل المائل وإرشاد الجاهل وتقريب المؤمنين وإبعاد

الظالمين. ثم لما توجه أحمد مختار باشا من الحضرة السلطانية إلى اليمن وكان قائماً فى ذلك الوقت الإمام محسن بن أحمد وكانت بينه وبين الموظفين غلاصم ثم بعده الإمام شرف الدين، ولازال ظلم المأمورين يتضاعف من عام إلى عام وتنوعهم فى المعاصى وارتكاب الشهوات ظاهراً بلا حياء واحتشام، وكلما ظهر شئ أو زاد كثرت البغضاء فى قلوب أهل اليمن للموظفين. فالإيمان يمان والحكمة يمانية حتى قام والدنا رضى الله عنه، وقد ضرب ضلال الموظفين بجرانه، وتطاردت أفراس شهواتهم فى حلبة الفجور وميدانه. فكان بينه وبين الموظفين ما كان حتى مضى لسبيله ولحق بحزب جده الأمين وجيله فانتصبنا لذلك المقام ولم نقم والله لدرهم ولا لدينار.

وبعدما أطال فى وصف سيئات الموظفين ختم كتابه بقوله «النصيحة مقبولة إن شاء الله تعالى. غير أنا نحب أن تطلعوا على مادار بيننا وبين الوالى أحمد فيضى ومن كاتبنا من الموظفين لتعرفوا مسلكنا فى الإنصاف وبعدنا عن الميل والاعتساف، وستعرفون حقيقة الحال. وهانحن نناشدكم الله والإسلام. هل تجدون ناسخاً للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المخوف؟ أم هل تجدون من محرم للدفاع عن الأموال والأعراض والنفوس والبنين والبنات؟ أم أهل من مانع لقتال من أضاع أركان الإسلام؟ أم هل من تثريب على من اقتفى الأثر بآيات قرناء القرآن والحجة على الأمة فى كل عصر وأوان، الذين أوجب الله محبتهم على كل بنى الإنسان؟ أم هل من ناسخ لآيات «ومن لم يحكم بما أنزل الله». إنا نحذركم من دسائس الموظفين فإن لهم طرقاً إلى جلب أمثالكم إلى أتباع مقاصدهم. كما انتخبوا أناساً من أهل اليمن وجعلوهم آلة لهم فى كل مكان حتى بلغ بهم الحال إلى أن أرسلوهم للوفادة للباب العالى للتعبير عنهم بما علموه كما يفعلونه إذا وصل مثل حضراتكم أو مفتش. فهم يمرون عليه فى كل يوم بأماكن الأمراء ويدلون بأقوال لايعبأون ولايبالون بظهور الكذب فيها والافتراء. ثم ابحثوا عن العلة الباعثة فإن من عرف الداء عرف الدواء.

«وإنا نمد إلى الله أكف الابتهال أن يجعل على أيديكم جير كسر اليمن الميمون، وأن يقذف فى قلب سلطان الإسلام الرأفة والرحمة باستدراك حشاشة أهله فهم مؤمنون».

ولم تفد الوسائل التى بذلت للصلح وتقريب القلوب بل أستؤنفت الحروب بين الفريقين حتى كانت سنة ١٣٢٨ هجرية (١٩١٠) فعاد الإمام إلى محاصرة صنعاء برجاله، واحتل معظم بلاد اليمن فجهزت الدولة العثمانية حملة كبيرة عهدت بقيادتها إلى الفريق عزت باشا، وكلفته أن يعقد صلحاً مع الإمام فسار إلى الحديدة ومنها تقدم وهو يحارب القبائل فى طريقة حتى بلغ صنعاء فأنقذها واستقر فيها. ثم أرسل الرسل إلى الإمام يفاوضونه فى عقد الصلح فعادوا وأبلغوه حسن استعداده ورغبته فى حقن الدماء. وتم الاتفاق على أن يجتمع الإمام والقائد التركى فى مكان يسمى «دعان» فسار هذا وضباط جيشه كما جاء الإمام مع قواده وأنصاره.

وسبق الإمام بالوصول إلى دعان مع رجاله فنزل فيها واستقر، وأقام ينتظر القائد وأرسل من لاقاه بالحفاوة والأهازيج. وما استقر عزت باشا فى المنزل الذى أعد له حتى ذهب فزار الإمام فى منزله فقابله بالحفاوة وتم الاتفاق، وبذلك حلت مشكلة اليمن وقد اشغلت الترك نحو ٧٠سنة وكلفتهم الملايين من الجنيهات والألوف من القتلى حتى سميت اليمن مقبرة أبناء الأناضول.

اتفاق دعان

الشروط التى عقدت بين الإمام المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن محمد حميد الدين، وبين القائد عزت باشا على إصلاح أمور بلاد صنعاء وعمران وحجة

وكوكبان وحجور وأنس وبريم ورداع وحراز وتعز التى يقطنها الزيديون الذين هم تحت إدارة الدولة :

١ - ينتخب الإمام حكاماً لمذهب الزيدية وتبلغ الولاية (ولاية صنعاء) ذلك وهذه تخبر الآستانة لتصدق المشيخة على ذلك الانتخاب.

٢ - تؤلف محكمة استئناف للنظر فى الشكاوى التى يعرضها الإمام. ويكون مركزها فى صنعاء وينتخب الإمام رئيسها وأعضاءها وتصدق الحكومة على تعيينهم.

٣ - تكون مسائل الأوقاف والوصايا منوطة بالإمام.

٤ - يصدر عفو عام عن الجرائم السياسية والتكاليف والضرائب التى سلفت.

٥ - لاتجبى التكاليف الأميرية لمدة عشر سنوات من أهالى أرحب وخولان لفقرهم وخراب بلادهم بشرط أن يحافظوا على صداقتهم للدولة.

٦ - تجبى التكاليف الأميرية بحسب الشرع.

٧ - يحق للزبديين تقديم الهدايا للإمام. إما مباشرة وإما بواسطة مشايخ الدولة أوالحكام.

٨ - يسلم الإمام عشر حاصلاته للحكومة.

٩ - لاتجبى الأموال الأميرية من جبل الشرق مدة عشر سنوات لفقره.

١٠ - يخلى الإمام سبيل ما عنده من الرهائن من أهالى صنعاء وما جاورها وحراز وعمران.

١١ - يمكن لموظفى الحكومة وأتباع الإمام أن يتجولوا فى أنحاء اليمن بشرط أن لايخلوا بالسكينة والأمن - أ هـ.

واستقرت الحالة فى اليمن على أثر عقد هذا الاتفاق وجعلت مدته عشر سنوات واتخذ الإمام صعدا دار مقام له، وانصرف إلى العناية بأمور الدين والوعظ والإرشاد.

ولما أعلنت الحرب العظمى فى سنة ١٩١٤ وضرب الحلفاء الحصار على شواطئ البحر الأحمر انقطعت المواصلات بين اليمن والآستانة، وأصبح الجيش التركى المرابط هنالك شبه محصور. نعم إن الترك حاولوا الاتصال باليمن عن طريق الشام والحجاز فأرسلوا حملة صغيرة معها أموال إلا أنها تاهت فى البيداء وسطاً عليها العرب وسلبوها أموالها وفتكوا برجالها.

ولم يجد ولاة الأمور الترك باليمن بداً من الالتجاء إلى الإمام فى دفع رواتبهم ومساعدتهم فى توطيد أمن البلاد فساعدهم وأقام على الولاء للدولة محافظاً على عهوده، ولم يشأ الانتقاض عليها والانضمام إلى أعدائها الذين كاتبوه وأرادوا أن يستميلوه بل ظل على ولائه حتى انتهت الحرب وعقدت الهدنة بين الحلفاء والترك، وقد تعهد فيها الترك بالجلاء عن جميع البلاد العربية واليمن من جملتها.

وأصدرت وزارة الحربية العثمانية على أثر عقد الهدنة - وقد وقع عليها يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ فى موندروس - الأوامر إلى قائد جيشها فى اليمن بالتسليم للحلفاء فسلم نفسه فنقله الإنكليز إلى مصر ثم أطلقوا سراحه فقصد الآستانة.

وغادر الإمام يحيى صعدا على الأثر فجاء الروضة (وهى قرية خارج صنعاء ومن مصايفها الجميلة وقد اعتاد أن يصطاف فيها أخيراً) فأقام فيها يرقب الحالة عن كثب فجاءته وفود القبائل كما زاره التجار والعلماء وذوو الرأى والمكانة من صنعاء وأقام فى الروضة ثلاثة أشهر ثم انتقل إلى صنعاء فدخلها وتسلم مقاليد الأمور بعد سفر القائد التركى مصحوباً بالجيش وتخلف بعض الموظفين والضباط الترك مفضلين البقاء فى خدمته. وهكذا انتقلت السلطة الفعلية إليه وصار صاحب الشأن فى بلاد اليمن العليا.

وانصرف الإمام إلى نشر الأمن وتوطيده فى داخل البلاد، وأبقى الموظفين فى أول الأمر فى وظائفهم وعلى رأسهم الوالى التركى القديم وصرف لهم الرواتب،

ولم يغادر هذا اليمن نهائياً إلا فى سنة ١٩٢٣ ففى تلك السنة عقد الصلح بين الترك والحلفاء، وقد أصدر الوفد التركى بياناً رسمياً اعترف فيه بتنازل الترك عن سيادتهم على بلاد العرب.

واتجهت همة الإمام فى هذا الدور إلى حدوده الغربية والجنوبية - أى إلى النواحى التسع وهى واقعة بين عدن وحدود اليمن الحالية، وقد كانت من قبل تابعة لأئمة اليمن ثم دخلت فى الحماية البريطانية تدريجاً، وسيأتى الكلام على هذه النواحى مفصلاً عند البحث فى شئون لحج وحضرموت، فقد عمل الإمام فى هذا الدور على استرداد هذه النواحى وضمها إلى اليمن كما كانت فلقى مقاومة من الإنكليز، ولاتزال المسألة موضع أخذ ورد بينه وبينهم.

وأما مشكلة حدوده الغربية فخلاصتها أن الإنكليز ضربوا الحديدة فى أواخر أيام الحرب العظمى واحتلوها عسكرياً، وبعدما أقاموا فيها مدة جلوا عنها وسلموها إلى السيد محمد على الإدريسى إمام عسير يومئذ وصديقهم وحليفهم فبسط نفوذه بهذه الوساطه على جانب كبير من أراضى تهامة وخصوصاً سواحلها، ولم تكن من أراضيه بل كانت خاضعة للترك. فساء ذلك الإمام وانصراف إلى معالجة المشكلة بالطرق السياسية، فالحديدة باب صنعاء ومرفأ اليمن الأكبر.

ولما عجزت الطرق السياسية عن حلها حلها بالسيف، فهاجمت جنوده قوات الإدريسى الواقفة على الحدود مغتنمة فرصة الخلاف الذى شجر بين الأدارسة فاحتلت باجل والحديدة والصليف وابن عباس والزيدية واللحية وظلت تتقدم من دون كبير مقاومة حتى بلغت خط ميدى - حبل، وذلك فى سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٥) ولما رأى الأدارسة أنه لاقبل لهم بمقاومة الإمام لجأوا إلى ابن السعود فأجارهم وعقد معهم معاهدة مكة وأرسل صورة منها إلى الإمام يحيى طالباً أصدار الأوامر إلى الجند بالكف عن مطاردة الأدارسة. لأنهم فى حماه فأصدر الإمام الأمر إلى

جنوده بالامتناع عن الحرب. وبذلك انتهت مشكلة الحديدة بما أرضى الأمام وأقر عينه. وكان يقود الجيش المتوكلي في غزوة تهامة الأمير أحمد ولي العهد وكبير أنجاله، والسيد عبدالله بن أحمد الوزير وهو الذي استولى على باجل وخرق خطوط الأدارسة.

وبفضل الإمام يحيى تم لليمن الحصول على الاستقلال الإداري الداخلي في العهد التركي والنجاة من الحروب وأهوالها وآفاتها، كما تسنى له إنشاء دولة مستقلة استقلالاً لاتشوبه شائبه في ختام الحرب العظمى ضمت إليها جانباً كبيراً من إمارة الأدارسة، وقد كانت مستقلة عن تركيا قبل الحرب، كما استرد جزءاً من المقاطعات التسع.

كيف يقضي يومه؟

يقيم الإمام فى قصر السعادة أفخم قصور صنعاء وأعظمها، وقد بناه حديثاً واتخذه مقراً له ولعائلته وأولاده. وفيه ديوانه، وفيه يستقبل الزوار والوافدين ويشرف على شئون الدولة والبلاد.

وينهض من نومه قبل أذان الفجر فيتوضأ ويصلى ويتلو ما تيسر من القرآن ثم يتناول فطوره وينزل إلى ديوانه للنظر فى شؤون الرعية، أو يقصد ساحه القصر فيجلس للناس.

وبابه مفتوح لكل قاصد، ويبدأ الناس إذا كان فى الديوان بالدخول عليه منذ الساعة الثالثة عربية (٨صباحاً) فيسمع شكاويهم وينظر فى قضاياهم ويفصل بينهم ويصدر الأوامر بإجراء مايلزم. ويستمر على هذه الحالة حتى قبيل أذان الظهر. فيخرج من القصر بموكبه الرسمى وأمامه الزامل (موسيقى اليمن) وعلى رأسه المظلة[١] وقد أحاط به أنجاله وأمامه قائد الحرس ويسمونه رئيس العكفة.

ويقصد أحياناً عند خروجه من القصر الساحة العامة (ساحة القصر) فيجلس على دكة فيها فتلتف حوله النساء والأولاد وأبناء الرعية يستمع إلى شكاويهم ومظالمهم أو يجلس تحت شجرة فى حوش القصر، ويقف وراءه جندى بيده السيف وآخر إلى جنبه حاملاً المظلة فيفتتح الجلسة ويستمر الساعة والساعتين ويحيى كل قادم ويهش له ويسأله عن حاجته، والغاية من هذه الجلسة تسهيل مقابلته على أبناء الشعب. فقد يحول الحجاب أو الجند بين دخول مظلوم عليه.

وبعد الانتهاء من هذه العملية يخرج من القصر بموكبه الرسمى قبيل أذان

(١) قطرها ثلاثة أذرع وهى من الحرير الأزرق والأبيض المزركش وعلى أطرافها خرج عريض ثمين.

الظهر كما قلنا فيذهب فيصلى فى الجامع الكبير، أو فى المسجد المعطل فى بير العزل (حى من أحياء صنعاء يسكنه الكبراء) وبعد الصلاة يعدو بموكبه الرسمى إلى القصر فيتغدى وينام.

وطعامه المعتاد متعدد الألوان، وهو مطبوخ على الطريقة التركية، ويأكل مع أولاده وبعض رجال حاشيته وكبار ضيوفه فى القصر أو مع نسائه وأولاده ويتعشى فى داخل القصر مع الحريم بعد انصرافه من الديوان مساء.

ويعود إلى الديوان بعد القيلولة فيصلى العصر جماعة مع من يكون هنالك أو يقصد مسجداً مجاوراً وهذا شأنه فى الصلوات الأخرى. فهو يؤديها جماعة ويستأنف عمله فى الديوان عقب كل صلاة.

ولايغادر ديوانه قبل انتهاء عمله، وقد يستمر حتى الساعة العاشرة مساء، أو إلى منتصف الليل ولايؤجل عملاً.

ويقضى يوم الجمعة فى الصلاة والمطالعة، ولديه مكتبة ثمينة جداً فيها كتب خطية نادرة، وأبوابها مقفلة خوفاً على ذخائرها وكنوزها ومفتاحها معه.

ويقصد قرية الروض فى أوائل فصل الصيف، وهى فى جوار العاصمة فيقضى فيها مدة شهرين، أى ريثما ينتهى موسم المشمش، ثم يتحول عنها فى أواسط الصيف، إبان موسم العنب، إلى الروضة ويجود فيها فيظل حتى فصل الخريف.

عاداته ـ الإمام يحيى ولوع بالرمى (رمى القنابل والرصاص) وركوب الخيل وهو يجلس فى ديوانه على فراش أسود وثير تحته فراش آخر وسجادة عجمية وإلى جانبه الوسائد يتكئ عليها ويدخل عليه الزوار والمتقاضون وهو على هذه الحالة.

أوصافه ـ هو ربع القامة، أسمر اللون، عالى الجبين مستدير الوجه، ذو فم صغير، وأنف قصير وعينين سوداوين، ولحية بيضاء قصيرة مستديرة.

ملابسه ـ يرتدى الألبسة العربية وهى عبارة عن قباء من القطن فوقه جبة يمانية ذات أردان، ويضع على رأسه عمامة مطرزة مدلاة من جهة اليسار واليمين. ويدلى أولاده العمامة من جهة واحدة فقط تمييزاً عنه. ويحمل خنجراً (مذهباً) ويتمنطق بحزام ذهبى وبيده سيف مذهب القبضة يرفعه على كتفه عند مسيره فى أكثر الأحيان. والذؤابتان العلامة الفارقة له عن أبناء رعيته ولولاهما لما استطاع الغريب أن يميزه عن أحد، وكذلك يمتاز أيضاً بالزامل يضرب أمامه والموكب الرسمى. وقل أن يخرج من دون موسيقى تضرب بين يديه.

زوجاته ـ الإمام من العاملين بمبدأ تعدد الزوجات، وهو يتزوج ويطلق، ولاتزيد زوجاته الشرعيات مجتمعات على الأربع عملاً بأحكام الشريعة. ولايعرف عدد زوجاته بالضبط ويحصون بالعشرات، وقد ولدن له ٣٤ ولداً مات ١٩منهم ولايزال ١٥ أحياء بينهم خمس بنات متزوجات.

وإليك بيان بأسماء أولاده الذكور :

السيد أحمد (البكر) وولى العهد عمره ٣٦ وهو عامل مقاطعه حجه والقائد العام للجيش اليمانى

السيد الحسن	عمره	٣٥	ناظر البرق والبريد
السيد الحسين	عمره	٣٢	عامل الحديدة
السيد على	عمره	٢٣	ناظر الحربية
السيد المطهر	عمره	٢١	ناظر المواصلات
السيد القاسم	عمره	٢٠	ناظر المعارف
السيد عبدالله	عمره	١٨	
السيد إبراهيم	عمره	١٦	

السيد اسماعيل	عمره	١٥
السيد العباس	عمره	١١
السيد يحيى	عمره	٩
السيد المحسن	عمره	٨

ولكل واحد من أبناء الإمام لقب خاص يلقب به وهذا بيان ألقابهم :

السيد أحمد ـ صفى الدين

السيد الحسن ـ شرف الدين

السيد الحسين ـ شرف الدين

السيد على ـ جمال الدين

السيد المطهر ـ ضياء الدين

السيد القاسم ـ علم الدين

السيد عبدالله ـ فخر الدين

السيد إبراهيم ـ صارم الدين

السيد إسماعيل ـ ضياء الدين

السيد العباس ـ ضياء الدين

السيد يحيى ـ عماد الدين

السيد محسن ـ حسام الدين

وعدا هذا اللقب فهناك لقب آخر يضاف إليهم بعد أن يشبوا ويشتركوا فى الحروب والغارات وهو سيف الإسلام.

وفى يوم ١٦ ذى الحجة سنة ١٣٥٠ هـ توفى ثانى أولاده الأمير محمد (عامل

الحديدة) غريقاً فى البحر، فقد أراد إنقاذ أحد رفقائه، وقد أشرف على الغرق فغلبه التيار فأخرج جثة هامدة فحزن عليه والده حزناً شديداً ورثاه بالمرثية البليغة الآتية قال :

رضينا بحكم الله سمعاً وطاعـــة ... وإن فــــــت اكباداً واهرق ادمعا
وعم مصاب الناس بالبدر إذ مضى ... ونادى مناديه بمـــا هال إذ نعى
وعـــز علينـــا راحـــلاً غيـر آيب ... على حين لـــم يلبث زماناً ممتعاً
فقدناه ميمـــون النقيبه سيــــدا ... أعز عزيز الفضل ابيـــض أروعا
وأوحـــد أمـــا علمـــه متبحـــر ... وأما سجاياه فالـــروض أينعا
وأما مساعيه فما طاب مصــــدراً ... ووردا وأصلاحاً وشنف مســمعاً
وحمال أعباء ينـــوء بحملهـــا ... تبير ويهوى دونها متصـــدعاً
وذى همة قعساء أمضى عزيمـــة ... من السيف فى شرع الإله واقطعا
أقام قناه الشرع للظلم مـــا حيــا ... وبالحق أخاذا وللعدل مترعــــا
ينافس فــى تأثيره اليــوم امســه ... ويعرف منه الدهر طــودا ممــنعا
وأمجد من آل الرســول موقــــراً ... أشم طويل الباع ندبا ســـميذعا
له اللــــه مفقـــوداً لـــه الله آفـــلا ... له الله مدعوا أجاب فأســـرعا
وبادر عـــن دار الفنـــا متحـــولاً ... إلى داره الأخرى منيبا مـــودعا
فيارحمة البـــارى عليه تـــرددى ... وبلى ثراه طاب ماوى ومضـــجعا
ولازال رضـــوان الإلـــه يؤمـــه ... بما شاء إكراماً وفضلاً موســـعا
ويامن له شرح الصدور ومنتهى الـ ... ـأمور وجبر الكسر غوثا ممـــنعا
بإفراغ صبـــر مـــن لدنك فـإنـه ... تناهى به الخطب العظـــيم وروعا

ويتولى بنفسه تأديب أولاده وبناته، ويلقن الكبار منهم علوم اللغة والفقه، وهم ينظمون الشعر ويجيدون النثر ويمتازون بالأدب والرقة والتواضع ويحب بعضهم بعضا.

ديوانه - أثاث ديوانه بسيط جداً. خال من جميع مظاهر الأبهة والعظمة، يجلس فيه متربعاً على وسادة كما مر بك، وأمامه منضدة صغيرة عليها حبر وورق وأقلام.

ويجلس رئيس الديوان إلى يمينه ويسمونه الكاتب الأول، وهو بمثابة رئيس الوزراء فى الحكومات المدنية، ويجلس إلى يمين رئيس الديوان ثلاثة من الكتاب، على الأرض وأمامهم ثلاثة آخرون، ويعمل الستة بإمرة رئيسهم وإشراف الإمام نفسه، ولاينصرفون قبل إنجاز الأعمال اليومية والبت فى جميع الشؤون المعروضة.

ويجلس جنديان فى وسط الديوان أمام الإمام مباشرة - يحمل أحدهم ختمه ومحبرة حمراء لختم الرسائل والخطوط والأوامر التى تدفع إليه، ويرملها بالرمل الأحمر، وهو مما اختص به الإمام فى اليمن. فليس لأحد أن يستعمله مطلقاً. وهو يقرأ جميع الرسائل التى يصدرها ديوانه، ويكون قد أملاها من قبل، فإذا رآها موافقة دفعها إلى الجندى (أو الأمين) فيختمها ثم ترسل إلى البريد.

ومهمة الجندى الآخر الجالس فى وسط الديوان تقديم ورق القات إلى الإمام، والقات نبات شبه مخدر خاص باليمن، اعتاد أهلها أن يمضغوه ويخزنوه فى أفواهم ويشربون عليه ماء.

ويتلقى رئيس الديوان البريد فيفضه بنفسه ويقرأه ويرفع ما هو جدير بالنظر والعناية إلى الإمام الجالس إلى جانبه فيقرأه ويؤشر عليه بما يجب أن يكون. أما الشؤون البسيطة فيوعز رئيس الديوان إلى الكاتب الجالس بقربه بإنجازها فينجزها. والإمام آخر من ينهض بعدما يستوثق من أنه لم يبق شئ للنظر فيه.

ومن عاداته أيضاً أن يضع حرف (هـ) على ما يكتب فى الديوان أثباتاً لإطلاعه عليه، أو يضيف إليه كلمة «سلام» أو يؤرخه بخط يده، وحرف هـ مما اختص به وليس لأحد أن يقلده فى إستعماله.

ويطلقون على الديوان اسم «المخيم المنصورى» أيضاً، وهو مفتوح الأبواب فى الليل والنهار للقاصدين والزائرين. ويقف عليه حاجب يحمل الأوراق والعرائض إلى الأمام فينظر فيها أو يستأذن لبعض القادمين فى الدخول.

راتبه ـ ليس للأمام راتب معين يتناوله من بيت المال، فهو القابض على المال، وجميع أموال اليمن تجبى إليه، وهو يتصرف فيها كما يشاء ويريد لاحسيب ولارقيب ولاميزانية توضع، ولا فصول تدقق.

وللأمام ثورة خاصة عدا ثروة بيت المال، وهى ما ورثه عن أبائه وما اقتصده يقدرها بعضهم بخمسة عشر ـ أو عشرين ألف جنيه (٣٠٠) ألف ريال.

والمعروف أن بيت مال اليمن مملوء بالمال وهو مما اقتصده الإمام فى عهده ومما أدخره أباؤه واسلافه من قبل، ويقدره بعضهم ببعضه ملايين من الجنيهات، وعنده خزانتان كبيرتان: الأولى فى شهاره، وكانت مقره القديم. والثانية فى صنعاء فى داخل القصر السعيد. ويقال إنه كتم مكان خزائنه عن كل إنسان فلا يعرفها أحد سواه مبالغه فى الحرص والكتمان.

اقتصاده ـ وقد اشتهر الإمام بالتقتير على رجاله وعماله وبالميل إلى ادخار المال، ولعل هذا منشأ ما يقال عن وفرة خزائنه وامتلائها. وهو يقول بأن أموال بيت المال هى ملك المسلمين. فلايحق له أن ينفقه إلا فى شؤونهم ومصالحهم الخاصة وفى ما يفيدهم. ويقول إن هذه الأموال هى أمانة فى يده فلا يضيعها. وما يعطيه من هبات وأعطيات ـ وهى قليلة فى الغالب ـ من ماله الخاص، وقد رأيت أن له ثروة خاصة به ينفق منها فى الشؤون والمصالح الخاصة. ويقول أيضاً بأنه يدخر هذه الأموال لليوم العصيب. ويجيب الذين يلحون عليه بالبذل

والإنفاق قائلاً : «إذا كنا نجد الجندى براتب قدره خمسة مجيديات فى هذه الأيام فإنا لانجده زمن الحرب بعشرين ريالاً (أى نحو جنيه مصرى) ولذلك ينبغى أن ندخر المال لمثل هاتيك الأيام.

ومن القواعد التى جرى عليها إقراض المعسرين من بيت المال ما يحتاجونه بدون فائدة، فإذا جاءه أحد المزارعين أو التجار وطلب قرضاً فلا يتأخر عن إقراضه متى وثق من إخلاصه وتقواه وحسن نيته، ويكتب بذلك كتاباً إلى أجل على المدين أن يفيه فى أجله ولا يتناول منه ربحاً ولا فائدة.

رسائله ـ ورسائله إلى عماله وموظفيه مختصرة، غاية فى الايجاز. أما رسائله إلى خارج اليمن فتكون عادة مطولة، ويلتزم فيها السجع والصناعة اللفظية، وقد أوردنا جانباً منها فى ما تقدم، وهى من إنشائه فى الغالب.

معلوماته ـ والإمام واسع الاطلاع على الشؤون العالمية، ملم كل الإلمام بحوادث الكون. يطالع الصحف المصرية والسورية بدقة وعناية، ولايفوته شئ مما يجرى فى البلاد العربية، ويعرف معلومات واسعة عن حركة السياسة الدولية وعن أقطابها.

ومن عاداته أن يسأل كل قادم من مصر أوغيرها من البلاد المتحضرة، عما يحمله من صحف. فإذا حصل عليها وضعها وراء الوسادة التى يستند إليها لئلا تصل إليها يد. ويحمل إليه عمال البريد كل ما يصل إلى اليمن من صحف فيطلع عليها، ويميل إلى احتكار مطالعة الصحف ليتفرد بالمعلومات التى تحملها، وهو واسع الاطلاع على العلوم الدينية والعربية، وقد حاز رتبة الاجتهاد، وهو يردد هذه الجملة «قبح الله ملكاً يدخل عليه من هو أعلم منه» وله فى الاجتهاد آراء تختلف عن آراء أئمة المذهب الزيدى دونها فى ١٢ مادة ويستند إليها فى قضائه.

وكثيراً ما يصادف أن ينظم فى مجلسه بديوانه بيتين أو ثلاثة أو أكثر من الشعر يضمنها وصف نكتة حدثت أو حادثة وقعت. وهو يميل إلى المباسطة

والدعابة فى بعض الأحيان. ويوجه نحو زائريه شعاعاً قوياً من عينيه المتقدتين يحاول بهما الوصول إلى قرارة نفسه واستخراج أسراره.

أسفاره ـ لم يغادر حتى الآن بلاد اليمن بل لم يزر تهامة ولا ساحلها، وهو يتنقل فى أعالى الجبال بين صنعاء وتهامة وصعده وغيرها.

وكذلك شأن أولاده فقد نشأوا فى حجر والدهم ولم يغادروا بلادهم ليطلعوا على ما فى الكون من عجائب، والنجل الوحيد الذى زار مصر وأوربا هو المرحوم الأمير محمد. فقد دعى فى صيف سنة ١٩٢٧ لزيارة إيطاليا فزارها، رداً لزيارة السنيور غاسبارينى الذى زار صنعاء فى سنة ١٩٢٦ كما سيأتى بيانه. ومما يستحق الذكر عن رحله هذا الأمير انه دعى وهو فى نابولى، إلى حفلة راقصة أعدها له حاكمها فلما دخل البهو وشاهد غادات إيطاليا الفاتنات وكن يرفلن فى حلل الحرير والدمقس، وقد أسفرن عن وجوه كأنها البدور وأظهرن الصدور والنهود كاد أن يغمى عليه من هول الموقف وقد فوجئ به مفاجأة، فلاحظ ارتباكه مرافقوه من الإيطاليين فأخذوه إلى غرفة أخرى ريثما هدأ روعه وأطمأن باله.

معاملته لضيوفه ـ مما يلاحظ على الإمام إنه يسئ الظن بكل من يفد على بلاده من الغرباء، وخصوصاً من أهل البلاد العربية والشرقية توهماً منه أنهم رسل الأجانب وجواسيسهم، ولايسمح لهم بالوصول إلى صنعاء إلا متى وثق من حسن نيتهم ومن كونهم غير مرسلين بمهمة إلى بلاده ومن حسن أخلاقهم وأدابهم.

ومما يذكر عن المرحوم الأمير ـ محمد وقد كان من دعاة الإصلاح ومن العاملين على إدخاله إلى اليمن ـ أنه اتفق مع والده على أن يأتى بالرجل الذى يراد استخدامه فى اليمن فيجلس فى الحديدة تحت مراقبته (الأمير) فإذا وثق من إخلاصه وحسن نيته، بعد انقضاء مدة على إقامته يرسله إلى صنعاء ويقدمه إلى والده على مسئوليته فيقبله ويستخدمه.

وضيوفه على قسمين : قسم من أهل اليمن أو من السادة والعلماء المعروفين لديه. فهؤلاء يكرمهم ويجالسهم ويسمح لهم بالاختلاط بالناس. والقسم الآخر من غير اليمانيين وهؤلاء لايأذن لهم بدخول بلاده، إلا بعد أن يتلقى عنهم معلومات طيبة وينزلون حين وصولهم إلى صنعاء فى منزل يختاره لهم بنفسه، ويقيمون فيه شبه مأسورين فلا يقابلهم أحد ولايدخل عليهم أحد إلا بأمر الإمام. وهو يعامل كل ضيف بما يستحق ويليق بمقامة. وفضلاً عن ذلك فهنالك دار للضيافة يؤمها الزوار العاديون. أما العظماء والكبراء فينزلون منازل خاصة. وإلى جانب كل عامل من عمال الإمام فى المدن والأقاليم دار للضيافة يأوى إليها أبناء السبيل والغرباء لعدم وجود فنادق وغيرها للمبيت.

الأجانب فى اليمن ـ فى صنعاء طبيب إيطالى واحد وثلاثة عمال إيطاليون يعملون فى الورشة الميكانيكية التى أنشأها حديثا وفيها مهندس ألمانى وآخر نمسوى، وفى الحديدة ١٠ من الرعايا الروس يشتغلون بالنجارة و٨ أروام يعملون فى البيع والشراء. هؤلاء هم كل ما فى اليمن اليوم من أجانب. والإمام حريص على عدم السماح لهؤلاء بدخول بلاده والتوطن فيها، كما أنه لم يسمح حتى الآن للدول الأجنبية بإنشاء قنصليات أو سفارات عنده، خوفاً من أن يجر السماح بإنشائها إلى فتح الباب فى وجوه الجاليات الأجنبية، وهو مما لايقره ولايوافق عليه مطلقاً خوفاً على استقلال يمنه.

اليهود فى اليمن ـ ويقدر عدد اليهود فى اليمن بخمسة عشر ألفا وهم ينزلونها قبل الإسلام، ولهم ميزات يمتازون بها عن العرب المسلمين، وأولى هذه الميزات هى السوالف، والغاية من إرسالها أن لايعتدى عليهم إذا حدثت فتنة بين العرب بصفتهم من أهل الذمة، وكذلك فليس لهم أن يركبوا الخيل بل عليهم أن يركبوا الحمير وحدها، وعليهم أيضاً أن يرفعوا «الزخارف» بأجور يتناولونها، ويجب عليهم فى بناء بيوتهم أن لايتجاوزوا الطابقين علوا وهم يدفعون الجزية السنوية لخزينة الإمام، وإذا شتمهم المسلم أو أهانهم أو ضربهم يشكونه إلى

الأمام فينصـفهم حالاً. ولايسمح لليهود بالتملك. وغاية مايجوز لهم الاستملاك لمدة ٩٩سنة. ويجوز لهم أن يستخرجوا النبيذ للشرب لا للبيع. ويجوز استخدامهم وبناتهم فى بيوت المسلمين، ولايجوز لهم استخدام مسلمين عندهم. والخمر ممنوع منعاً باتاً فى اليمن ولاتجيز حكومتها صنعه ولا إدخاله ولابيعه ولانقله بوجه من الوجوه.

تقبيل يده ـ من عادة الإمام أن يسمح بتقبل يده لمن يدخل عليه من الزوار ويكب بعضهم على يده فيقبلها من الوجه والقفا، ويقبل بعضهم ركبته ومنهم من يقبل رأسه، ومنهم من يتبادل معه تقبيل الخد وتقبيل اليد، ومنهم من ينهض لاستقباله واقفاً، ومنهم من يستقبله قاعداً. ويجرى ذلك طبقاً لنظام مخصوص تبعاً لحالة الزائر.

الإمام والتصوير الشمسى ـ التصوير الشمسى معروف فى اليمن، وقد أخذت رسوم عديدة لأبناء الإمام وأحفاده وقصوره وأجناده، ومع ذلك فلم يسمح لأحد أن يصوره حتى الآن. والرسم المنشور له مقتبس من رسم تقريبى وضعه له الأستاذ الريحانى حين زيارته صنعا.

الرهائن ـ اليمن بلاد جبلية وعرة المسالك، صعبة المواصلات، اعتاد أهلها الحروب، وألفوا الفوضى وعدم الخضوع للنظام، واشتهروا بحب الغزوات والميل إلى الكفاح، وقد رأى الإمام ـ كما رأى الترك من قبل ـ أن الطريقة الوحيدة التى يأمن بها شر القبائل فى الأماكن القاصية والبعيدة أن يأخذ رهائن من أبناء شيوخها ورؤسائها فيضعهم تحت إشرافه.

وفى صنعاء اليوم عدد غير قليل من هؤلاء، وأكثرهم من أبناء شيوخ القبائل القوية فى أمكنة مختلفة تحت المراقبة الشديدة ويعيشون بما يجريه عليهم الإمام من الأرزاق اليومية.

زواره من الأجانب ـ زار اليمن فى السنوات الأخيرة اثنان من كبار

الأجانب أولهم السنيور غاسبارينى حاكم مستعمرة الأرتيرة سابقاً، فقد قصد صنعاء فى شهر اغسطس سنة ١٩٢٦ فدخلها بموكب حافل فاكرم الإمام وفادته. وفى خلال زيارته تلك عقدت معاهدة صداقة وتجارة بين الإمام وإيطاليا سيأتى الكلام عليها. وكذلك زاره المستر كراين الغنى الأميركى الشهير فأكرمه أيضاً واحتفى به فأهداه هدايا ثمينة.

وكذلك زاره السر جلبرت كليتن سنة ١٩٢٦ على رأس وفد لعقد اتفاق بينه وبين الحكومة البريطانية فلم يوفق.

عنايته بجيشه ـ الإمام كثير العناية بجيشه عظيم الاهتمام بتنظيمه وتسليحه وترقيته.

وهو يعرضه فى أيام الأعياد والمواسم فتشترك قواه على إختلاف الأسلحة فى العرض فتقر بذلك عينه.

ومع ما هو مشهور به من حب الاقتصاد فهو لايبخل على جيشه بالمال. فقد ابتاع له طيارات وأسلحة بمدافع من مختلف العيارات، وأنشأ معملاً لصنع القذائف والقنابل. وهو يسير فى جميع أعماله بالتؤدة متبعاً سياسة المراحل ولايتسرع فى شئ خوف الفشل والسقوط.

آراؤه الاجتماعية ـ يعد الإمام من غلاة المحافظين فى آرائه الاجتماعية، وهو من أنصار القديم ودعاته والمتمسكين به، مع ميل إلى الاستفادة من المخترعات الحديثة واستخدامها.

وهو من أنصار الجامعة الإسلامية وأكابر دعاتها. ولايؤمن بمبدأ القومية ولايراه جديراً بالاهتمام، ويفضل عليه المبدأ الدينى، ويراه أدعى إلى القبول والنجاح.

ومن آرائه أنه يجب على كل مسلم أن يفر بدينه وإيمانه فلا يقر منكراً إذا عجز

عن إزالته. وكذلك فهو يقول بوجوب الخروج على الإمام إذا بغى وخرج على الدين وعدم إطاعته، ويرى أيضاً وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ويقول أيضاً إن كثيرين من المسلمين فى حضرموت والحجاز والبلاد الإسلامية كاتبوه فى ظروف متعددة طالبين تدخله ومساعدته لإنقاذهم وإقامة الدين والشريعة فى بلادهم، وبعدما يورد ذلك يقفى عليه بقوله: ماذا يظن هؤلاء الأمام؟ وماذا يحسبونه؟ إن الأمام يكاد يعجز عن القيام بالعبء الملقى على كاهله؟ أننا متعبون من حالنا. فهل نستطيع أن ننظر فى شؤون غيرنا. وهو يجزع لكل خطب يحل بالمسلمين ويظهر الحسرة والتلهف.

ولا أثر للحضارة الأوربية فى اليمن، ولاوجود للعادات الأفرنجية الحديثة التى انتشرت فى بلاد الشرق والإسلام، ولايزال القوم هنالك متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم الإسلامية القديمة التى شبوا وشابوا عليها لايبغون عنها حولاً. ولايفتحون أبواب بلادهم للأجانب لئلا يفسدوا عليهم نظمهم وتقاليدهم.

العلوم والمعارف - قلنا إن الإمام يعد من كبار العلماء إن لم يكن كبيرهم فى اليمن. وقد اعترف له الجميع بالزعامة العلمية. كما أعترفوا له بالزعامة السياسية.

ولقد أنشأ فى خلال حكمه عدداً من المدارس. ففتح فى صنعاء المدرسة العلمية لتعليم العلوم العربية والدينية على مذهب الإمام زيد. ومدة الدراسة فيها تسع سنوات. وهى واقعة فى حى بير العزب، ويدرس فيها أبناء الإمام يتلقون الدروس مع زملائهم. وكذلك أنشأ مدرسة للأيتام، على النظم الجديدة، أدخل فيها بعض أولاده، مؤاساة للأيتام.

وأنشأ مدرسة للحربية فى صنعاء لتخريج الضباط.

وأنشأ جريدة أسماها الإيمان، وهى الجريدة الوحيدة فى اليمن، وأول صحيفة صدرت فى العهد الجديد.

وأنشأ فى المدن والبنادر عدداً من المدارس الابتدائية والكتاتيب. والحركة العلمية والتعليمية والأدبية فى ركود وسكون.

النقود الإمامية ـ سك الإمام فى السنوات الأخيرة نقوداً ذهبية وفضية ومعدنية باسمة كتب عليها «نصر الله أمير المؤمنين، المتوكل على الله محمد يحيى بن محمد» ثم عاد فسحبها من التداول لأن عدن حاربتها، وتلاعبت بأسعارها، ولم يبق سوى بعض أجزائها الصغيرة وهى عشر القرش وخمسه والقرش ونصفه، والعملة المتداولة فى اليمن اليوم هى الجنية المصرى والإنكلزى والريالات النمسوية.

الكهرباء فى صنعاء ـ ينار قصر الإمام وحده بالكهرباء فى صنعاء، وتستخدم الكهرباء فى كثير من شؤونه، ولاتزال الكهرباء مجهولة فى أجزاء اليمن الأخرى.

توسطه فى حرب الحجاز ـ جرياً على عادته من الاهتمام بالشؤون الإسلامية توسط لعقد صلح بين الملك على وعبدالعزيز السعود إبان الحرب الحجازية النجدية. فقد وجه إليهما يوم ٣ ربيع الثانى سنة ١٣٤٤هـ (أكتوبر ١٩٢٥) الكتاب الآتى نصه :

«قد علمتم ماحل ببلاد الأماكن المقدسة من الكوارث من نتائج الحروب التى اشتعلت نارها بينكم. ووصل الاستصراخ من الأهالى وعموم المسلمين لعموم ذوى العلاقة من المسلمين بالحرمين الشريفين ومشاعر الحج، فلا جرم إذا رأينا من الواجب علينا إجابة نداء المستصرخين بالتداخل فى طلب إنهاء الحرب بصلح يرضاه الله ورسوله، وتقر به عيون المسلمين وقد حملنا على ذلك ما نعتقده فيك من حسن الظن بنا والثقة بمساعينا ووضوح أنكم من أصدقائنا واندفاع ما يظن مريد الانكساح فى سعينا. ولا ثمرة فى إطالة البيان أن نصون مهبط بقاع الوحى وما فى ذلك ذلك من تكرر الكوارث بلا انقطاع وإبقاء الضرر بالبلاد والعباد حالاً

ومستقبلاً، وفى ذلك توكلت على الله وصممت على إرسال وفد مكلف بالإصلاح بينكم، والثقة العظمى إذا وجد به العمل فى أس طلبكم لمساعينا الخيرية بالقبول بوجودنا بصفة الحكم فيما بينكم واسترداداكم السقطات فى البادرات وقبولكم لما يقصر معاناة الاختلاف، وإلى ما يحبه الله ويربح فضله إلى ما فيه حفظ الكرامة. وأفيدوا بالجواب المسر فنحن فى انتظاره. وفقنا الله جميعاً والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته» ومع أن الملك على أجاب بالموافقة إلا أن المشروع باء بالفشل.

وبمناسبة ذكر الحرب الحجازية النجدية نسرد حادثة رواها أحد الفضلاء الذين زاروا اليمن فى سنة ١٩٢٤ أى قبيل تلك الحرب بأيام قليلة، وهى تدل على شدة عناية الإمام بتسقط أخبار البلاد المجاورة له ووجود عمال أكفاء عنده يعتمد عليهم ويوثق بهم. فقد روى هذا الثقة أنه لما وصل إلى صنعاء، وكان قادماً من مكة سأله الإمام عن حالة الحسين فأجابه برأيه فيه، ثم سأله ألم يبلغه خبر زحف قوات ابن السعود على الحجاز فأجاب بالنفى، وأضاف إلى ذلك أنه يستبعده، فأخرج الإمام من تحت وسادته كتاباً جاءه من أحد عيونه، وفيه بيان مفصل عن القوى التى أعدها ابن السعود للغارة على الحجاز، وأسماء قوادها وعدد رجالها وأسلحتها. ولم يطل الوقت حتى جاءت الحوادث مؤيدة لهذه الأخبار. ويوافى الإمام عماله بتقارير يومية ومعلومات مفصلة عن الحالة فى البلاد المجاورة له فلا يكاد يفوته شئ منها.

اللاسلكى فى اليمن - وفى عهده أيضاً تم إدخال اللاسلكى إلى اليمن وهنالك عدة مراكز أكبرها مركز صنعاء وتدور المخاطبات بينه وبين مركز مصوع الإيطالى وترسل البرقيات إلى اليمن بواسطة هذا المركز.

كراماته - وقبل أن نختم هذا الفصل لابد لنا من القول أن فى اليمن من يضيف إلى الإمام كرامات، ويعتقد بوجود قوى روحانية فيه، كما يوجد فيها من

يأتى لزيارته تبركاً ويطلب منه أن يرقيه أو أن يكتب له تميمة فلا يتأخر عن إجابته وتلبية رغبته فيأخذ التميمة ويرجع إلى أهله مسروراً معتقداً بالفوز والفلاح بسرها وبركتها.

الفتن فى عهده - وقد وقعت فى عهده فتن كثيرة أعظمها فتنة قبيلة الزرانيق فى سنة ١٩٢٩ وهى قبيلة قوية تقطن فى المنطقة الواقعة بين الحديدة وباجل فتم له إخضاعها والتغلب عليها ويسود اليمن هدوء تام.

السيارة فى اليمن - وقد تم أخيراً تعبيد الطريق بين صنعاء والحديدة فصار فى إمكان السيارة أن تسير بين الثغر والعاصمة وتقطع المسافة فى ١٤ ساعة.

خضع اليمن للدولة الإسلامية من يوم نشأتها فتقلب عليه عمال الحكومات الثلاث الأول: حكومة الخلفاء الراشدين، فحكومة الأمويين فالعباسيين. ولما ضعف شأن هذه فى القرن الثالث انفصل عنها وأنشأ دولة جديدة مستقلة بزعامة السادة من آل البيت، ولايزال الحكم فيهم والإمام القائم فرع من دوحتهم.

وخضع اليمن للترك حينما نهضوا نهضتهم الكبرى فى القرن العاشر للهجرة، واحتلوا مصر والشام وبسطوا نفوذهم على بلاد العرب، بيد أنه مالبث أن قاتلهم وطردهم من أراضيه وخلع نيرهم، على أنهم أستأنفوا الكرة وعادوا فى أواخر القرن الثانى عشر للهجرة (سنة ١٨٤٩) فاحتلوا الحديدة وتوغلوا فى أنحاء اليمن وبسطوا عليه نفوذهم فلجأ الأئمة إلى الجبال واعتصموا بها على عادتهم فى الأزمات استعداداً للوثوب عندما يأن الأوان.

وتتابعت الحروب بعد ذلك بينهم وبين الترك، وكلما هوى إمام قام آخر من آله مقامه حتى جاء دور سيادة الإمام الحالى فلم يكد يأخذ البيعة حتى أشعلها حرباً ضروساً، ونادى بالجهاد فلباه الناس فحاصر صنعاء (عاصمة اليمن) واحتلها على ما مر آنفاً، وبعد حروب وفتن طويلة عقد صلح فدعان الشهير وقد أوردنا خلاصته ومدته عشر سنوات، وقد تعهد فيه الترك أن يدفعوا راتباً شهرياً للإمام ولرجاله السادة والمشايخ قدره ٢٥٠٠ ليرة عثمانية ذهباً، وهكذا سجل الترك فى معاهدة رسمية اعترافهم بسلطة الإمام الدينية على الزيود ودفعوا له ولرجاله الرواتب فكان ذلك أول فوز سياسى ناله.

وأدرك الفوز السياسى الثانى بلا عناء يوم قضت ضرورات الحرب العظمى على الترك بالجلاء عن بلاد العرب، واليمن فى جملتها، فغادروها وسلموه أياها تسليم اليد فى الخريف سنة ١٩١٨ على أن استقلاله لم يعترف به دولياً إلا بعد

عقد الصلح فى لوزان بين الترك والحلفاء يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٢٣ فصار بذلك الزعيم الدينى والسياسى لليمن وأضحى سيدها المطلق.

وخطا الخطوة الثالثة فى ربيع سنة ١٩٢٥ فسير جيشاً على تهامة مغتنماً فرصة الخلاف بين أمراء العائلة الإدريسية وانقسام شيوخ القبائل وتفرق الكلمة فاحتل الحديدة والزيدية واللحية والصليف وابن عباس وميدى وباجل، وبذلك بسط نفوذه على تهامه ومعظم ساحلها.

وقد أدى فوز الإمام هذا الفوز المتتابع إلى ازدياد نفوذه وارتفاع مقامه وذيوع اسمه وإقبال الناس عليه. فلم يحمله ذلك على تغيير عاداته وخططه فقد أظهر فى مواقف كثيرة تؤدة وحكمة وبعد نظر، وأثبت أنه يعرف كيف يدرك غايته ويحقق أمنيته من دون كبير عناء ولا زيادة خسارة أو نفقات.

نظام الحكم في اليمن

الإمام هو مصدر كل سلطة فى الدولة اليمانية، وهو الكل فى الكل. فلا رأى إلا رأيه ولا كلمة إلا كلمته، وكل ما هنالك من مناصب فهى شرفية معطلة من كل نفوذ، فهو الذى يعين الموظفين ويختارهم، وهو الذى يعلن الحرب ويعقد الصلح.

والحكومة اليمانية حكومة دينية فى روحها وفى مظهرها اقتبست من العهد التركى القديم بعض مظاهره، ولقد أخذ الإمام حديثاً بنظرية تقسيم القوى فى الدولة. فأنشأ نظارات على مثال الوزارات فى الممالك الأخرى قلدها أنجاله كما رأيت. وهم مجردون من كل نفوذ يرجعون إلى والدهم فى الصغيرة والكبيرة فيفصل فيها.

ويتولى شؤون الخارجية تحت إشراف الإمام موظف تركى قديم اسمه راغب

بك كان فى العهد العثمانى يتقلد منصب متصرف الحديدة. فنشأت بينه وبين اليمانيين صداقة ومودة، فلما ساءت حالة تركيا بعد الحرب العظمى قصد اليمن فى سنة ١٩٢٥ ونزل ضيفاً على الإمام فى صنعاء فقربه إليه، وحيث إنه يعرف اللغة الفرنسوية فقد استخدمه فى الشؤون الأجنبية، وهو يدرس اللغة الفرنسوية لبعض أبناء الإمام. كما ارتبط معهم برابطة المصاهرة إذ تزوج الأمير أحمد ولى العهد إحدى كريماته، وزوج كريمته الأخرى للسيد الحسن.

والقوانين الوضعية تكاد تكون معدومة فى حكومة اليمن فالأحكام الشرعية وحدها هى المرجع الوحيد للحكم. ولما كان الإمام من الحائزين على مرتبة الاجتهاد فهو يستنبط من الأحكام ماتدعو إليه المصلحة ويطبقها من دون أن يحتاج إلى وضع قوانين جديدة. وله آراء معروفة فى الأحكام خالف بها أئمة المذهب الزيدى وعددها ١٢ مسألة معروفة فى اليمن.

ويشترط فى الإمام عند الزيود أن يكون مجتهداً ليتسنى له استنباط أحكام قد تدعو الحاجة إلى استنباطها. ولهذه المناسبة نقول إن شروط الأمامة عندهم ١٤ شرطاً لابد من توفرها فيمن يبايع بالإمانة وهى أن يكون ذكراً، مكلفاً، حراً، مجتهداً، علوياً، فاطمياً، عدلاً، سخياً، ورعا، سليم العقل، سليم الحواس، سليم الأطراف، صاحب رأى وتدبير، مقداماً، فارساً.

وموارد الحكومة اليمانية هى ما تجبيه من الزكاة الشرعية ومن ضريبة الجمارك، ومن الجزية السنوية التى يدفعها اليهود ومقدارها خمسة ريالات (١) فى العام عن الواحد (نحو ٢٠ ـ ٢٢ قرشاً صاغاً مصريا) وهم يجمعونها من بعضهم ويدفعونها إلى الحكومة دفعة واحدة. لافرق فى ذلك بين غنيهم وفقيرهم.

والضرائب المباشرة وغير المباشرة تكاد تكون فى حكم المفقود، والحكومة تجبى الزكاة أو الأعشار، وهى مما قضى الشرع بوجوب أدائها للإمام.

---

(١) جاء فى بعض المصادر أنها عبارة عن ريالين فقط أى عشرة قروش.

نظام ولاية العهد

لم يكن نظام ولاية العهد معروفاً فى اليمن من قبل، ولم يأخذ به أئمتها الذين يسيرون على الشريعة فى أحكامهم. لأنه غير معروف فى الشريعة، وخالف الإمام يحيى أسلافه. فرأى أنه بعد إنشاء الملك الجديد لابد من الأخذ بنظام ولاية العهد منعاً لما يجره موت الإمام بدون خلف من القلاقل والفتن التى تضعف البلاد فاختار ابنه الأمير أحمد لولاية العهد، وأخذ له البيعة من العلماء ورؤساء القبائل وأهل الحل والعقد تجنباً للمشاكل فى المستقبل.

علاقاته الدولية والسياسية

اليمن مستقل فى شؤونه الداخلية والخارجية استقلالاً حقيقياً تاماً، وليس لأى دولة نفوذ أو تدخل فى أموره على الإطلاق.

ولقد أراد الإيطاليون أن يستغلوا مركزهم فى الأرتيرة (البحر الأحمر) فيبسطوا نفوذهم على اليمن ويستعمروه فمدوا الشباك وأنفقوا الملايين من الأموال فلقوا من صلابة الأمام وقوة شكيمته ما أحبط خططهم، يضاف إلى ذلك الاتفاق الذى عقد بين إنكلترا وإيطاليا خاصا بسياسة البحر الأحمر فى رومية سنة ١٩٢٥ وهو يقضى بالاحتفاظ بالحالة الحاضرة على شواطئه وبأن يكون للطليان حق الاتجار مع اليمن فقط.

وفى شهر أغسطس سنة ١٩٢٦ سار السنيور غاسباريني - حاكم الأرتيرة يومئذ، وبطل السياسة الاستعمارية فى البحر الأحمر والعامل على نشر نفوذ إيطاليا - فى اليمن إلى الحديدة وصنعاء فى موكب حافل وحمل معه أنواع الهدايا

وبدر الأموال فوزعها على رجال الإمام وأولاده وحاشيته وقضى هنالك شهراً، وقد ختمت تلك الرحلة بالمعاهدة الآتية وهى :

بسم الله الرحمن الرحيم

جلالة فيكتور عمانوئيل الثالث ملك إيطاليا وجلالة ملك اليمن أمير المؤمنين الإمام يحيى.

لقصد تقوية ودوام الصداقة الودية بين المملكتين ورغبة من الطرفين فى تسهيل ووفور المناسبات الاقتصادية بين القطرين.

فصاحب الجلالة ملك إيطاليا بواسطة وكيله المفوض الكوالير يعقوب غاسبار ينى والى الأرتيرة وجلالة ملك اليمن الإمام يحيى أمير المؤمنين قد اتفقا وقررا ما هو آت :

المادة الأولى ـ تعترف حكومة جلالة ملك إيطاليا باستقلال حكومة اليمن وملكها جلالة الإمام يحيى الاستقلال المطلق الكامل. ومع هذا فلاتتدخل حكومة إيطاليا المشار إليها فى مملكة جلالة ملك اليمن الإمام بأى أمر من الأمور التى تناقض ما فى الفقرة الأولى من هذه المادة.

المادة الثانية ـ تتعهد الدولتان بتسهيل التبادل فى التجارة بين بلاديهما.

المادة الثالثة ـ حكومة جلالة ملك اليمن تصرح بأنها ترغب أن تجلب طلباتها من إيطاليا، وذلك فى الأشياء والآلات الفنية التى تساعد بجلب الفائدة فى نمو اقتصاد اليمن ونفعه، وكذلك فى الأشخاص الفنيين.

والحكومة الإيطالية تصرح بأنها تبذل جهدها حتى يصير إرسال الأشخاص والآلات الفنية والأشياء بأنسب وجه فى الأنواع والأثمان والرواتب.

المادة الرابعة ـ ما ذكر فى المادة ٢ و ٣ لايمنع حرية الطرفين فى التجارة والمطلوبات.

المادة الخامسة ـ ليس لأحد من تجار المملكتين أن يجلب ويتجر فيما تمنعه إحدى الدولتين فى بلادها. ولكل من الدولتين أن تصادر ما جلب إلى بلادها مما تمنع جلبه والتجارة فيه بعد الإشعار.

المادة السادسة ـ هذه المعاهدة لاتكون معمولاً بها إلا من حين تصل إلى جلالة ملك اليمن الإمام يحيى مصدقة من جلالة ملك إيطاليا.

المادة السابعة ـ تكون هذه المعاهدة جارية ومعمولاً بها لمدة عشر سنوات من بعد تصديقها. كما فى المادة السادسة. وقبل انقضاء مدة هذه المعاهدة بستة أشهر إذا أراد الطرفان تبديلها بغيرها أو تمديدها كانت المذاكرة فى ذلك.

المادة الثامنة ـ ولما حرر فى هذه المواد فجلالة ملك اليمن الإمام يحيى وسعادة الكوالين غاسبارينى بالوكالة عن جلالة ملك إيطاليا قد أمضيا على هذه المعاهدة المحررة فى نسختين متطابقتين باللغة العربية والإيطالية.

ولعدم وجود من يعرف الترجمة عن اللغة الإيطالية معرفة تامة لدى جلالة الإمام باليمن، ولأن المفاوضة التى تمت بين الطرفين بعقد المعاهدة الودية التجارية كان التفاهم فيها باللغة العربية، ولأن سعادة الكوالير غاسبارينى قد تأكد تماماً أن النص العربى هو مطابق للنص الإيطالى تماماً.

لذلك اتفقا بأنه إذا نشأت شكوك أو اختلاف فى تفسير النصين فالطرفان يعتمدان النص العربى وتفسيره بأصول اللغة العربية واعتبار هذا شرطاً.

وحرر يوم الخميس ٢٤ صفر سنة ١٣٤٥

غاسبارينى   ملك اليمن الإمام يحيى بن محمد

ولقد هلل الطليان لهذه المعاهدة، واستبشروا وفرحوا بعاقدها ومنحوه الرتب والأوسمة، وها قد مضى على عقدها نحو ثمانى سنوات لم ينالوا فيها منالاً.

ويعمل الإمام على إضعاف نفوذهم، وقد أبى أن يمدد مدتها خوف المستقبل، وعلاقاته السياسية مع هؤلاء حسنة إجمالاً وهم يصانعونه ويدارونه ويرجون أن يدركوا فى عهد خلفائه ما عجزوا عن إدراكه فى عهده.

معاهدته مع الروس - فى سنة ١٩٢٨ أرسل إليه بلاشفه موسكو الرسل يقترحون عقد معاهدة تجارية بينهم وبينه فأجابهم إلى طلبهم وعقد المعاهدة وهذا نصها :

بناء على الاستصواب والاستنساب المتقابل من كل من حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية من طرف، ومن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن الإمام يحيى بن الإمام محمد حميد الدين وحكومته من طرف أخر ورغبة الطرفين فى تأسيس المناسبات الرسمية الاعتيادية وفتح الصلات الاقتصادية بين بلاديهما وترقيتها وبنائها على أساس الصدق فى تنظيم العلاقات الودادية بين الحكومتين وشعوبهما والاعتراف بالتساوى بين الطرفين فى كافة الحقوق وأحكامها العامة المرعية بين الدول والملل.

قد اتفق الطرفان المشار إليهما على عقد هذه المعاهدة الودادية والصداقية والتجارية واعتبارها كمقدمة لما تستدعيه وتقتضيه الظروف المستقبلة عند ترقى الصلات الاقتصادية بين البلادين وتوسعها من إجراء المذكرات والسعى من الحكومتين المشار إليهما فى تنظيم الاتفاقات اللازمة كمثل تجارة وغيرها مما يرتضيه الطرفان فقررا الآن ما هو آت :

المادة الأولى - تعترف حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الإشتراكية بالاستقلال الكامل المطلق لحكومة قطعة اليمن ولملكها صاحب الجلالة الإمام يحيى بن الإمام محمد حميد الدين وحاكميته، ويقدر صاحب الجلالة ملك اليمن وحكومته صورة الاحترام الخالص والحسيات الجميلة التى تضمرها حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية لدولة اليمن وشعبها وسائر الشعوب الشرقية ووفاقا لهذا قد تأسست بين الطرفين المتعاهدين المناسبات الرسمية بموجب المقدمة المحررة أنفا.

المادة الثانية ـ يتعهد الطرفان المتعاقدان بتسهيل المبادلات التجارية بين الحكومتين. ووفاقاً لهذا التعهد يكون لكل من رعايا المملكتين فى بلاد المملكة الأخرى بعد استحصال الإذن منها الدخول والإقامة طبق نظاماتها وتعاطى التجارة وإجراء معاملاتها التى تقتضيها على شريطة أن يكون فصل القضايا التى تحدث لكل من رعايا الطرفين فى المحاكم المحلية للملكة التى يوجدون فيها على وفق نظاماتها وإن كل ما كان ممنوع الاتجار به فى قوانين إحدى الحكومتين. فلكل منهما منع أو مصادرة ما وجد فى مملكتها من ذلك، ويتعهد الطرفان المتعاقدان أن يساعدا بتطبيق كل تسهيل موافق للنظامات المحلية فى المعاملات لرعايا المملكتين فى التجارة فيما يختص بالضرائب والرسوم الجمركية.

المادة الثالثة ـ توضع هذه المعاهدة فى موضع التطبيق والإجراء من الحكومتين بعد إمضائها وتصديقها على مقتضى الأصول الرسمية المعتادة من طرف حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية اعتباراً من يوم وصول التصريح الرسمى من الحكومة المشار إليها إلى جلالة ملك اليمن الإمام يحيى.

المادة الرابعة ـ تكون هذه المعاهدة الودادية والصداقية والتجارية معمولاً بها وموضوعة فى موضع العمل والتطبيق مدة عشر سنوات اعتباراً من التاريخ الذى ذكر فى المادة الثالثة، وعند انقضاء المدة المذكورة يكون تمديدها أو تبديلها بغيرها راجعاً إلى رغبات الطرفين المتعاقدين وما سيتفقان عليه فى ذلك فى المستقبل.

المادة الخامسة ـ تسمى هذه المعاهدة الودادية والصداقية والتجارية (معاهدة صنعاء) وهى تشتمل على مقدمة وخاتمة ستأتى، وخمس مواد هذه المادة إحداها. وقد نظمت فى نسختين باللغة العربية لتعاطيهما من الطرفين المتعاقدين.

الخاتمة ـ لكى تكون هذه المعاهدة مهيأة لاكتسابها صفة التصديق النهائى حسبما نصت عليه المادة الثالثة والرابعة قد أمضيت فى صنعاء عاصمة اليمن من

طرف مرخص حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية حضرة الرفيق استاخوف بالنيابة عن حكومته المشار إليها، ومن طرف حضرة القاضى محمد راغب المندوب عن جلالة ملك اليمن الإمام المشار إليه بعد اتفاقهما على ما حوته من العبارات والمعانى الدالة عليها اتفاقاً تاماً كاملاً.

وتحريرها فى ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧هـ الموافق تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٩٢٨.

علاقاته مع فرنسا ـ فى ربيع سنة ١٩٢٢ أرسل الفرنسويون وفداً إلى صنعاء للحصول على امتياز بإنشاء سكة حديد بين الحديدة وصنعاء، وقد سبق لهم أن نالوا امتيازاً بها من الحكومة التركية، ولعقد اتفاق بشأن تجارة البن فلم يوفق هذا الوفد فى مهمته، فعاد إلى بلاده ولم تجر أى مفاوضات بعد ذلك بينه وبينهم.

علاقاته مع الإنكليز ـ لم تنتظم العلاقات السياسية حتى الآن بين اليمن والإنكليز رغم الجهود التى لاتزال تبذل منذ سنة ١٩٢٠ لتنظيمها ولعقد اتفاق بين الحكومتين يحل المشاكل المختلف عليها.

ولقد كانت الحكومة البريطانية فى مقدمة الحكومات الشرقية والغربية التى أسرعت إلى خطب ود الإمام والتقرب منه فقد أهداه الملك جورج سيارة خاصة فى سنة ١٩٢٠ وأرسلها مع كتاب خاص رقيق. وفى سنة ١٩٢١ أرسل الإنكليز بعثة من عدن إلى صنعاء بطريق الحديدة حملت هدايا جزيلة، مقدمة لعقد اتفاق بين حكومتهم وحكومته.

ولما غادرت هذه البعثة الحديدة فى طريقها إلى صنعاء اعتقل شيوخ قبيلة القحراء رجالها ومنعوهم عن مواصلة السفر ولم يطلقوهم إلا بعد ما تعهدوا لهم بالرجوع إلى عدن وهكذا كان. وفى سنة ١٩٢٣ زارت صنعاء بعثة إنكليزية فلم تنل منالاً من الإمام. لأنه كان يشترط إعادة الحديدة إليه، وكانت بيد الأدارسة

قبل الدخول فى أى مفاوضة، وكان يعد الحكومة الإنكليزية مسؤولة عن إعطائها للأدارسة بدون حق.

وقصدته بعثة رابعة سنة ١٩٢٦ أى بعد ما استرد الحديدة وقضى لبانته فى عسير وتهامة. فطلب تصحيح خط الحدود الجنوبى بين اليمن والمحميات بإعادة هذه إليه لأنها كانت فى الأصل تابعة لأئمة اليمن، ولأنه لايعترف بخط الحدود الذى تم الاتفاق عليه بين الباب العالى وبين الحكومة البريطانية. إذ لم يؤخذ رأيه فيه، ولأنه لاحق للباب العالى أن يتصرف فى بلاد غير مملوكة له بل مغتصبة من أصحابها الشرعيين.

وفى شهر فبراير سنة ١٩٢٨ اشتد الخلاف بين الإمام وحكومة عدن بشأن بعض أجزاء هذه النواحى، فطارت الطيارات البريطانية وألقت على الأراضى اليمانية المنشور الآتى :

إلى أهالى الضالع وقعطبة وسردفان

بناء على وجود عساكر زيدية فى المساحات المذكورة أعلاه فجميع القرى الكائنة فيها والتى تحتلها عساكر الزيدية ومن جملتها الضالع ستصير عرضه لرمى القنابل بواسطة طياراتنا. وهذا العمل هو ملحق بعمل الانتقام فى مسألة اختطاف الشيخ عبدالنبى العلوى والشيخ مقبل عبدالله. فلذلك يجب على النساء والأطفال وجميع الساكنين أن ينتقلوا من أى قرية يسكنها عساكر زيدية عند ماتقرب منهم طياراتنا».

حرر بعدن فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٨

ميجر جنرال

السركيت استيورت

والى عدن

وفعلاً طارت الطيارات وعددها ١٤٤ فألقت على قعطبة ٥٨ قنبلة فقتلت نيفا و١٤٠ من النساء والأطفال فى خلال خمسة أيام وألقت القنابل مدة يوم واحد على الضالع. وفى يوم ١٦ مارس ألقت المنشور الآتى :

إلى أهل المذهب الشافعى فى اليمن وفى المحمية البريطانية :

بعد السلام. لقد علمتم أنه بناء على انتهاك حرمة المحمية البريطانية من الإمام والزيود وتعديهم علينا أجبرنا على إلقاء القنابل على حامية الزيود.

ثانياً ـ بما أن هذه الحاميات أقامت نفسها بينكم فلعلكم قاسيتم من تأثير هذه القذائف ماقاسيتم. فذلك ذنب الزيود لاذنبنا حسبما قد علمتم بذلك بدون شك.

ثالثاً ـ كل محل ليس فيه حامية زيدية لن يصير عليه رمى القنابل إلا إذا أعان سكان ذلك المحل الزيود بأى شكل من الأشكال.

رابعاً ـ لكى تعيدوا فى أمان نعلمكم أن طياراتنا لن ترمى القذائف فى أيام العيد، وذلك بتاريخ ٢٩ و ٣٠ رمضان و ١ و ٢ شوال سنة ١٣٤٦ موافق ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ مارس سنة ١٩٢٨ إلا إذا حصل شئ من الزيود يؤدى إلى الضرب فإذا رميت قذائف فى تلك الأيام فاعرفوا أن الزيود هم المسؤولون.

خامساً ـ أن طياراتنا ستطير فى تلك الأيام للكشف لا للرمى مالم يحصل شئ من قبل الزيود.

كيت استيورت

والى عدن

وعلى أثر هذه الحوادث توسط السلطان عبدالكريم الفضل والسيد على بن الوزير عامل الإمام فى تعز فأطلق سراح الشيخين المعتقلين مقبل عبدالله وعبدالنبى، وعقدت هدنة مدتها شهر واحد لفتح باب المفاوضات بين الحكومتين.

وفى يوم ١٣ ابريل سنة ١٩٢٨ ذهب السلطان عبدالكريم والميجر فاول معاون

والى عدن إلى تعز فقابلا السيد على بن الوزير عامل الإمام للمفاوضة فأبلغهم أنه لم يخول الدخول فى مفاوضات رسمية، وعلى أثر ذلك أرسلت الحكومة البريطانية مذكرة إلى الإمام بأنها مستعدة بأن تبرم حالاً معاهدة موجزة تنحصر فى الأمور الآتية :

١ ـ تعترف بريطانيا باستقلال اليمن.

٢ ـ يعترف الإمام بحدود محميات عدن مع بعض تعديل فيها لمصلحته.

٣ ـ يعطى الإمام وعدا بالمساعدة التى يتسنى للحكومة البريطانية القيام بها فى دائرة معاهداتها الدولية.

وقد مد أجل الهدنة إلى أول شهر يوليو ليكون لدى الإمام وقت كاف للنظر فى هذه الأمور. ثم طلب هدنة أخرى فأجيب إلى طلبه بشرط أن يتعهد بالجلاء عن الضالع يوم ٢٠ يونيو. وهذا هو البيان الرسمى الذى أصدرته حكومة عدن بهذا الشأن :

«إن الحالة الحاضرة بين الحكومة البريطانية وسيادة الإمام هى أنه بناء على طلب الإمام فحكومة جلالة الملك سمحت بامتداد أجل الهدنة إلى يوم ١٧ يونيو سنة ١٩٢٨ بشرط أن يخلى الإمام الضالع يوم ٢٠ منه إثباتاً لحسن نيته».

ولما انتهى الأجل المضروب طارت الطيارات البريطانية يومى ٢٥ و ٢٦ يونيو وألقت وابلاً من القنابل على الضالع وقعطبة وذمار وبريم وتعز وماوية واب فاحدثت ضرراً كبيراً وسببت حرائق فى المدن، وقتل نحو ٦٠ شخصاً مما كان له أسوأ وقع فى النفوس.

وعلى أثر هذه الحوادث جلا جند الإمام عن الضالع فسكنت الأمور ولاتزال الحالة بين الإمام والإنكليز واقفة عند هذا الحد.

أما النواحى التسع فهذه أسماؤها :

لحج. ابين. الحواشب. الصبيحة. القطيب، الضالع، يافع العليا والسفلى، العوالق حضرموت.

علاقاته مع ابن السعود ـ لم تكن العلاقات السياسية بينه وبين ابن السعود على مايرام فى أول الأمر، وقد خيف من نشوب حرب بينهما ـ على أنها ما لبث أن تحسنت على أثر تبادل الرسل والهدايا، وأخيراً تم الاتفاق بينهما على تحديد الحدود بين بلاديهما، وقد جاء فى بلاغ رسمى نشرته حكومة مكة فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠هـ ما نصه :

أجتمع مندوبو الحكومة السعودية ومندوبو الإمام يحيى يوم ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠ فى مكان يسمى النظير بقرب جبل عرو الذى كان محل الخلاف بين الجانبين ودارت المفاوضة بين المندوبين بشأن انسحاب الجنود اليمانية من جبل العرو الذى كانت احتلته حتى خط الحدود الأصلى ولم يوفق المندوبون إلى بلوغ تسوية يمكن القبول بها لتمسك اليمانيين وإصرارهم على البقاء فى الأماكن التى احتلوها.

وحينما تعقدت الأمور جرت مخابرة برقية بين الملك والإمام فاقترح هذا على الملك أن يكون حكماً فى الخلاف فأجابه بحكمه على نفسه بالتنازل عن جبل العرو لليمن حلاً للمشكل».

وفى يوم ١٥ شعبان سنة ١٣٥٠ وقع مندوبو الفريقين على معاهدة صداقة وولاء بين هاتين الحكومتين ووقفت حكومة الإمام موقفاً ودياً إزاء حكومة ابن السعود أثناء فتنة الأدارسة فى عسير سنة ١٩٣٢ ولزمت الحياد التام. ولما لجأ السيد الإدريسى (زعيم الثورة وأمير عسير) إلى ميدى (أراضى الإمام) أرسل هذا إلى الملك ابن السعود برقية توسط فيها لإصدار عفو عنه وعن قومه فأجابه إلى ما طلب، وقال «وإن جميع من التجأ إليكم له أمان الله على ماله ودمه».

ودارت مكاتبات بعد ذلك بين الإمام والملك لعقد معاهدة تحالف، وجاء فى كتاب أرسله الإمام إلى الملك ما نصه :

«ولعله قد سبق منا إليكم أنه لولا المتفرنجون الذى سهلوا للأجانب من كيد الإسلام ما لايخطر لهم ببال لكان الإسلام منيع الجانب بعيد المنال. وكل ما لديكم من الإحساسات التى أثارتها الحمية الإسلامية فذاك هو عين ما عندنا. ونؤمل منكم أنكم تعرفون ذلك منا حقيقة. ولقد وجد منا الأشرار دعاة الضلال شديد الشكيمة وصعب المراس غير ملتفتين إلى ما يزخرفونه من الترهات وهيهات هيهات أن يجد منا المخذولون غير المقت».

علاقاته مع العراق - أنشأ سيادة الإمام علاقات ود وصداقة مع حكومة العراق فقد زار صنعاء فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٤٩ هجرية (إبريل سنة ١٩٣١) طه باشا الهاشمى مندوباً عن حكومة بغداد وعقد مع الإمام معاهدة ود وصداقة.

علاقاته مع الترك - وعلاقاته مع الترك حسنة. ويتردد المعتمد التركى فى جده على اليمن بلا انقطاع ويقابل الإمام ورجال حكومته واليمن داخلة فى دائرة نفوذه القنصلى، وقد أرسل الإمام فى سنة ١٩٢٦ كمية من البن الفاخر هدية إلى الغازى مصطفى كمال باشا رئيس الجمهورية التركية ومثلها إلى عصمت باشا رئيس الوزارة.

وخلاصة القول أن الإمام يسير على مبدأ العزلة والانفراد فى سياسته الخارجية ويأبى الاتصال بالعالم الخارجى خوفاً على استقلال بلاده. أما فى سياسته الداخلية فهو يحاول أن يقتص سيرة الخلفاء الراشدين فيسير فى الجنائز كما ساروا ويخطب على المنابر كما خطبوا، ويحارب كما حاربوا، وتتجلى هذه الحقيقة للباحث فى سيرته الشخصية، وفى النظام الذى يسير عليه.

تركيا

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

نشأت هذه الجمهورية على أنقاض الإمبراطورية العثمانية وقد انهارت فى ختام الحرب العظمى، ونودى بها يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٣ وعاصمتها أنقرة.

ويبلغ عدد سكان الجمهورية الجديدة كما تبين من آخر احصاء فى سنة ١٩٢٧ أربعة عشر مليوناً ولاريب أنهم زادوا فى خلال السنوات الأخيرة.

ونظام الحكم فيها جمهورى ديمقراطى نيابى فى الظاهر، فهناك رئيس جمهورية ينتخبه المجلس الوطنى الكبير الممثل لإرادة الأمة كل أربع سنين، وهنالك وزارة مسؤلة أمام هذا المجلس، ونواب له ينتخبون كل أربع سنين مرة، ومع أن جميع مظاهر الحكم النيابى الشعبى متوفرة إلا أن الحقيقة هى أن تركيا تحكم بنظام دكتاتورى يستره نظام ديمقراطى شفاف، فالغازى مصطفى كمال باشا ما برح يرأس دولة تركيا من سنة ١٩٢٠ حتى الآن، وفى كل أربع سنوات يجدد انتخابه، وكذلك فلا يزال عصمت باشا يرأس الوزارة التركية من سنة ١٩٢٣ إلا فترة قصيرة. وسكان هذه الجمهورة ترك مسلمون يتعبدون على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان. ما عدا بضعة آلاف من اليهود ونحو ٧٠ ألف رومى يقيمون فى العاصمة القديمة. ولا يسمح للأرمن ولا للروم بالإقامة فى الأناضول. وقد كانوا منبثين فيه بكثرة فأقصوا عنه من سنة ١٩٢٣.

والجمهورية التركية الجديدة علمانية لادينية، فصلت الدين عن الدنيا، وألغت القوانين القديمة واستبدلتها بقوانين ونظم جديدة مقتبسه من القوانين الأوربية الحديثة. وهى تعمل لإدماج الترك فى المدنية الأوربية الحديثة وقطع كل صلة تصلهم بالشرق وشعوبه.

ويحد الجمهورية التركية فى أوروبا البلغار واليونان والبحر الأسود، وتحدها روسيا وإيران والعراق شرقاً، وسورية جنوباً والبحر الأبيض غرباً فهى آسيوية أوربية، ومعظم أراضيها وعاصمتها فى آسية، وجزء من ولاية استانبول وولاية أدرنة فى أوربا وتبلغ مساحتها السطحية ٨٠٠ ألف كيلو متر مربع، وأشهر مدنها استانبول وأدرنه وأنقره واسكيشهر وقونيه وأطنه ومرسين وأزمير وأنطاليه وسيواس وقسطمونى وطرابزون وسمسون وقيصرية، وهى زراعية وقد بدأت تهتم بالصناعة.

ويرأس جمهوريتها اليوم الغازى مصطفى كمال باشا منشئ تركيا الحديثة وقائدها، وهذا رسمه بلباسه المدنى الجديد.



الغازي مصطفى كمال باشا (رئيس تركيا)

الغازي مصطفي كمال باشا

رئيس الجمهورية التركية

مولده ونشأته

ولد فى مدنية سلانيك سنة ١٨٨٠م (١٢٩٨هـ) من أب تاجر وسمى مصطفى. وأصل أسرته من لاريسا فى بلاد اليونان هاجرت إلى تركيا بعد الحرب اليونانية العثمانية واستوطنت سلانيك. فأدخله أبوه «كتاباً» فى الحى تديرة إحدى القارئات فتعلم قراءة القرآن ثم نقله إلى مدرسة ابتدائية فتخرج فيها.

وتوفى والده وهو صغير بدون ثروة تذكر فلجأت أمة إلى أخيها وكان مزارعاً فنقلها مع فتاها إلى قريته وكفله. فأخذ يساعد خاله فى عمله. سواء فى الحقل أو فى الدار أو رعى السائمة.

وشق على والدته أن ينشأ فتاها هذه النشأة الخاملة فأعادته إلى شقيقتها فى سلانيك ليتعلم فأدخلته هذه مدرسة رسمية من مدارس الحكومة وشملته برعياتها.

وضربه الأستاذ يوماً ضرباً مبرحاً لأنه تشاجر مع زميل له ساعة الدرس. فشق ذلك على جدته فأخرجته من المدرسة وأقصته عنها، ألختار الدخول فى المدرسة العسكرية لميل غريزى فيه. فعارضت والدته حينما عرض الأمر عليها خوفاً عليه ولئلا تصاب ببعاده فأصر وكان له ما أراد. وفى المدرسة العسكرية لقب بكمال فصار يدعى «مصطفى كمال» وبعد ما اجتاز الصفوف الأولية نقل إلى مدرسة مناستر الثانوية فنال شهادتها فانتقل إلى الكلية العسكرية فى الآستانة وتخرج فيها برتبة «ملازم ثان» سنة ١٩٠١م ١٣١٩هـ. ونقل إلى صفوف أركان الحرب لما أظهره من تفوق، وتخرج بعد ثلاث سنوات برتبة

يوزباشى أركان حرب، وأرسل إلى دمشق للخدمة فى الجيش الخامس، ويقال فى سبب إرساله أن السلطان عبدالحميد تلقى تقارير من جواسيسه - ومصطفى كمال لايزال فى المدرسة الحربية - بأن هذا ألف جمعية سياسية مع بعض زملائه الطلبة لمناوءة الحكومة وأنشأوا جريدة يكتبونها بأيديهم ويوزعونها على إخوانهم فصدر الأمر بمحاكمته فحكم عليه بالسجن بضعة أشهر، ولما انتهت مدة سجنه أطلق سراحه وأرسل إلى دمشق منفياً.

وقضى نحو سنتين ونصف سنة فى بلاد الشام يعمل فى سلاح الفرسان فاشترك فى الحملة التى أرسلت لإخضاع دروز جبل حوران وتأديبهم سنة ١٩٠٤ فقضى أربعة أشهر يعمل هناك ثم قصد بيروت ويافا والقدس لأعمال عسكرية فى الظاهر، أما فى الباطن فكان يسعى لإنشاء فروع لجمعية الاتحاد والترقى واستمالة الضباط إلى الدخول فيها.

وفى سنة ١٩٠٧ نقل إلى سلانيك وألحق بهيئة أركان حرب الجيش الثالث المرابط فيها، وظل فى هذا المنصب إلى ما بعد إعلان الدستور العثمانى فى سنة ١٩٠٨.

وانضم إلى الجيش الذى زحف على الآستانة لإخماد فتنة ١٣ إبريل سنة ١٩٠٩ إذ عين رئيساً لهيئة أركان حرب القوة التى زحفت من أدرنة.

ورفعت رتبته العسكرية فى تلك السنة إلى «قول أغاسى» وألحق بهيئة أركان حرب الجيش الجديد بعد أن نظم قوى «المليس» فى طرابس الغرب. ثم عين قائداً للآلاى ٣٨ المشاه ثم ألحق بهيئة أركان حرب الجيش الثانى فى الآستانة سنة ١٩١٠ وكان فى هيئة أركان حرب الحملة التى قادها محمود شوكت باشا وزير الحربية بنفسه لإخماد ثورة ألبانيا سنة ١٩١٠.

فى مصر - ولما أعلنت إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية فى سنة ١٩١١ وغزت طرابلس الغرب ظلماً وعدواناً، غادر مصطفى كمال الآستانة وجاء القطر

المصـرى متنكراً فى طريـقه إلى بنغـازى لتنظيم صـفوف المجـاهدين وإدارة حركـة المقاومة. فـأقام أياماً فى هـذه البلاد أعد فى إبانهـا معدات السفر إلى برقـة فوصلها سـالماً، وتسلم قيادة القـوات فى «درنة» وظل يقـاتل الإيطاليين حـتى عقـد الصلح بينهم وبين الـدولة فـعـاد إلى تركـيـا وأشـتـرك فى الحـرب البلقـانيـة سنة ١٩١٢ ـ ١٩١٣ وعين رئيـسـاً لأركـان حـرب فـيلق «بولاير» كمـا أشـتـرك فى الحـملة التى قـادها أنور باشا لاسـتـرداد أدرنه فى سنة ١٩١٣ وعين بعـد ذلك ملحـقاً عـسكرياً للسفارة العثمانية فى صوفيا عاصمة البلغار ومنح رتبة قائمقام.

إلى الجـيش ـ ولما أعـلنت الحـرب العظمى فـى سنة ١٩١٤ وعـبـأت تركـيـا جيشها طلب المترجم له من وزارة الحربية إعادته إلى الجيش فترددت فألح فأجابته إلى طلبـه وعينتـه قائداً للفـرقه ١٩ فى جـيش الدردنيل بقيـادة المشيـر ليمـان فون سـاندرس باشا الألمانى.

وبدأ الإنكليـز يوم ١٨ مـارس سنة ١٩١٥ بإنزال جـيشـهم إلى البر فى انافـارطه (دردنيل) بعدمـا مهـدوا له بضـرب مـواقع الـترك بمدافعـهم ضـرباً استـمر سـاعات طوالاً حتى أنقلبت الأرض إلى أتون من الجحيم.

ثم باشروا إنزال القوات وكان مصـطفى كمـال يرابط هنالك. فلما رأى ما حدث باغت الإنكـليـز وقـاتلهم ومنعـهم من توطيـد أقـدامـهم فى تلك الشـواطئ ونال انتصـاراً عظيماً عليهم، فعين على الأثر قائداً لمنطقة أنافارطة نفسـها ورفعت رتبته إلى أمـير الآلاى فـخاض حـروب الدردنيل وامـتدت بـضـعة أشـهـر وأبلى فـيهـا بلاء حـسـناً. ثم نقل قـائداً للفـيلق السـادس عـشـر حينمـا انتـهت تلك الحـروب بفـشل الحلفاء وأرسل مع فيلقـه إلى الأناضـول الشرقى لمنازله الجيش الروسـى فـاشـترك فى المعـارك الـتى انتـهت باسـتـرداد بتليس ومـوش وصـد الروس عـن الأيغـال فى البلاد وأبرز فى هـذا الميـدان من الكفاءة والمهـارة ما أبرزه فى الميادين الأخـرى فذاع اسمه وطار صيته.

ولما نشبت الثورة العربية فى الحجاز، وحاصرت جيوش الملك حسين المدينة المنورة وضيقت على الترك الخناق دعى المترجم له إلى دمشق فجاءها فى أواخر سنة ١٩١٦ وقابل أحمد جمال باشا القائد العام للجيش التركى فى بلاد العرب يومئذ فأبلغه أنهم اختاروه ليكون قائداً عاماً للحملة التى ترسل إلى الحجاز للقضاء على الثورة العربية لما يعرفونه فيه من الكفاءة والاقتدار. فسأله عن المرجع الذى يرجع إليه قائد هذه الحملة ويتلقى منه التعليمات فأجابه أنه قائد الجيش الرابع (أى جمال باشا نفسه) فأجابه إننى لا أشتغل تحت رئاستك، فقال جمال باشا بعد غد يصل أنور باشا وكيل القائد العام فكلمه فى الأمر.

وجاء أنور باشا فى الغداة فأبلغه أنه لايقبل العمل بقيادة جمال باشا من الوجهة الشكلية، كما أبلغه عدم موافقته على إرسال حملة على الحجاز من الوجهة العسكرية، وأشار بوجوب الجلاء عن تلك الديار ونقل الجيش المرابط فيها إلى الشام فلا فائدة عسكرية ترجى من متابعة القتال فى تلك الصحارى، فلم يعمل القائد العام بالشق الثانى من رأيه لاعتبارات دينية وأدبية، ثم سافر الاثنان إلى فلسطين وعادا إلى الآستانة وفيها صدر الأمر بتعيينه قائداً للجيش الثانى المرابط فى ديار بكر لقتال الروس وصدهم عن الأناضول، فأبى قبول هذا المنصب إلا بشروط سداها ولحمتها تعزيز قوى ذلك الجيش ليستطيع أداء المهمة المطلوبة منه وتزويده بالضباط الأكفاء وإرسال المعدات وما كانت الدولة يومئذ فى حالة تستطيع معها إجابة مطالبة فاستقال وعاد إلى الآستانة.

وأرسلت الحكومة العثمانية فى ربيع سنة ١٩١٨ ولى عهد السلطنة الأمير محمد وحيد الدين إلى ألمانيا لزيارة الإمبراطور غليوم فعين المترجم له ياوراً عسكرياً فزارها معه واجتمع إلى الإمبراطور والمارشال هندنبرج والمارشال لودندورف كما زار ساحة الحرب الألمانية الفرنسوية ودرس حالة ألمانيا العامة. وبعد ما عاد إلى الآستانة قصد النمسا للاستشفاء فى إحدى مصحاتها من مرض الكلى.

وعلى أثر تقلد السلطان محمد السادس زمام السلطنة دعاه إليه وكلفه قبول منصب قائد جيش فى سورية فلم ير بدا من الامتثال فسافر على الفور إلى الناصرة - وكانت مقراً للقيادة التركية العليا فى بلاد الشام أواخر الحرب العظمى - فوصلها يوم ٣١ يوليو سنة ١٩١٨ فاجتمع بالمشير ليمان فون ساندرس باشا القائد العام فأبلغه أنه عهد إليه بقيادة الجيش السابع، وقد تسلم هذا المنصب من المشير مصطفى فوزى باشا رئيس أركان حرب أنقره اليوم فنسق جيشه ونظمه وكان يرابط بين القدس ونابلس وكانت الأولى بيد الإنكليز.

وبدأ هؤلاء هجومهم الحاسم فى ميدان فلسطين يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩١٨ فصدهم مصطفى كمال وظل يقاتلهم ثلاثة أيام قتالاً متواصلاً رغم كونهم اخترقوا خطوطه فى ثلاثة أماكن، وأخيراً أضطر إلى التراجع والجلاء عن نابلس على أثر تشتت الجيش الثامن، وكان يقاتل على جناحة الأيمن وانسحاب القيادة العامة من الناصرة فى ٢٠ سبتمبر خوفاً من الوقوع فى أسر الإنكليز الذين واصلوا تقدمهم على الساحل فاحتلوا حيفا واتجهوا نحو الناصرة (مركز القيادة) وجاء مصطفى كمال مع فلول جيشه إلى دمشق فلم يقم فيها سوى أيام قلائل، ثم سار إلى حلب فبلغها فى أوائل شهر اكتوبر سنة ١٩١٨ فتولى قيادة الجيوش العثمانية عملياً لأن ليمان باشا كان فى حالة اضطراب شديد.

وانصرف إلى تنظيم الجيش وتنسيقه فكان يرسل المرضى والجرحى إلى أطنه ويستبقى الأقوياء الأصحاء استعداداً للدفاع والنضال، وأنشأ خطاً للدفاع فى جنوبى حلب وآخر فى شمالها وشحنهما بالمقاتلة وحصنهما. وقاتل الجيش العربى والإنكليزى فى خط الدفاع الأول يوم ٢٤ أكتوبر ثم انسحب إلى الخطوط الشمالية فى ٢٥ منه، وقد حشد فيها كل قواه ليحول دون زحف الحلفاء إلى الأناضول، فوقعت بينه وبينهم معركة أيضاً ولم يطل المطال بعد ذلك فعقدت الهدنة بين الخلفاء والترك فى موندروس يوم ٣٠ منه، وسافر مصطفى كمال إلى أطنه، وفيها تلقى أمر وزارة الحربية بتعيينه قائداً عاماً لجيش الصاعقة فقضى

فيها مدة ثم سافر إلى الآستانة للإشراف على الحالة عن كثب وكان يحمل رتبة فريق ثان ويعد فى مقدمة ضباط تركيا العسكريين كفاءة. وخصوصاً بعدما خلالة الجو بفرار أقطاب الاتحاديين أمثال أنور باشا وجمال باشا، وكان يعتبرهما من خصومة الشخصيين ومن منافسيه ومن العاملين على غمط فضله.

وتتابعت الأحداث بعد ذلك على الدولة العثمانية واحتل الحلفاء مدنها وعواصمها، وظهر أنهم يعملون على القضاء عليها واقتسام ممالكها فأقلق ذلك بال عقلاء الترك ومفكريهم، فأخذوا ينظرون فى الأساليب التى تصون استقلالهم وتحفظ ملكهم، واتجهت أنظارهم إلى المترجم له لشهرته الذائعة ومقامه العظيم فى الجيش، ولأنه الشخصية الكبرى التى قد يلتف الناس حولها وكان يقيم فى العاصمة بلا عمل رسمى، وأخيراً فى أوائل شهر مايو سنة ١٩١٩ عين مفتشاً عاماً للجيش العثمانى وأرسل إلى الأناضول لمباشرة مهمته فبلغ سمسون يوم ١٦ منه (ميناء أناضولية على البحر الأسود) فنزل فيها فى نفس اليوم الذى احتل فيه اليونانيون أزمير بأمر مجلس الحلفاء الأعلى.

نشأة الحركة الوطنية

وانصرف منذ ما وطئ ثرى الأناضول إلى العمل لتنظيم القوى استعداداً للنضال والكفاح فاتصل بالضباط والقواد المرابطين هنالك، فعقدوا أول مؤتمر فى أماسيه ليل ٢١ يونيو سنة ١٩١٩ وقد رأسه بالذات ثم سافر إلى أرضروم فعقد فيها مؤتمراً ثانياً يوم ١٠ يوليو من تلك السنة وعقد المؤتمر الثالث فى سيواس يوم ١٢ سبتمبر أيضاً برئاسته أيضاً وفى هذه المؤتمرات الثلاث تقررت قواعد الحركة الوطنية.

وخاف ممثلو الحلفاء فى الآستانة ـ وكانوا يسيطرون على حكومتها ـ

العاقبة، فأوعزوا إلى وزارة الحربية بأن تستقدمه فكتبت إليه تأمره بالرجوع فرفض فألحت عليه فأعلن أستقالته من الجيش فأصدرت الأمر بالقبض عليه ومحاكمته فلم تجد من يقدم على تنفيذ أمرها.

نشأة الحكومة الوطنية الجديدة

وفى يوم ٢٣ إبريل سنة ١٩٢٠ عقد الوطنيون مؤتمرهم الرابع فى أنقره وقد أرسلت إليه كل مدينة تركية ممثلين يمثلونها، وكان نطاق الحركة الجديدة قد اتسع، فاجتمع هؤلاء مع بعض أعضاء مجلس نواب حكومة الآستانة القديمة، وقد حلته حكومتها بأمر الحلفاء، واختاروا لمؤتمرهم اسم «المجلس الوطنى الكبير لتركيا» كما أختاروا المترجم له رئيساً ومنحوه سلطة واسعة لإدارة حركة الدفاع وإنقاذ البلاد، فألف حكومة على الأثر سميت حكومة المجلس الوطنى الكبير لتركيا قامت بمهمتها على أفضل منوال، وواصلت الحروب فى الشرق وكانوا ينازلون حكومة أريفان الأرمنية. وفى الجنوب وكانوا مشتبكين مع الفرنسويين فى ولاية أطنه. وفى الغرب وكانوا يقاتلون اليونانيين. وفى الشمال الغربى وكانوا يقاتلون حكومة السلطان محمد وحيد الدين.

ولما كان النظام الذى سار عليه المجلس الوطنى الكبير يقضى بأن تكون القيادة العليا للجيش مندمجة فى شخصيته، وهو ينتدب من يقوم بها لمدة لاتتجاوز ثلاثة أشهر فقد قرر هذا المجلس يوم ٢٠ يوليو سنة ١٩٢٢ أسناد هذا المنصب الخطير إليه مدة الحرب كما سبق فقرر فى جلسة ٩ سبتمبر سنة ١٩٢١ شكره باسم البلاد على جليل خدماته ومنحه رتبة المشير «مارشال» ولقب غازى.

احتلال أزمير - وفى أوائل شهر اغسطس سنة ١٩٢٢ وضع الغازى خطة عسكرية محكمة لمهاجمة اليونانيين، وكانوا يحتلون ازمير وبروسه وكثيراً من

المدن الأخرى، وقد بدأ هذا الهجوم صباح ٢١ اغسطس بقيادة الغازى نفسه، فتقدم الترك فى وادى مندرس فاحتلوا سراى كوى واور تاقجة فى ساحة أفيون قره حصار وفى ٢٣ منه زحفوا على روم كوى - بيله جك فى ساحة أزميت، والغاية من هذين الهجومين تضليل اليونانيين فلا يدركون غاية الترك وهى الحملة على أفيون قره حصار.

وما أنبثق فجر ٢٦ منه حتى كانت مدفعية الترك العظيمة تصب نيرانها الحامية على حصون أفيون قره حصار، وقد أحسن اليونانيون تحكيمها فى خلال سنة، وقالوا أنها لن تنال، وفى الساعة الواحدة بعد الظهر تم للترك إسكات المدفعة اليونانية واحتلال المدينة فدخلها الغازى فأحاط به الأهالى يذرفون دموع الفرح والسرور.

وهكذا ظل الترك ينتقلون تحت راية الغازى من نصر إلى نصر حتى بلغوا البحر الأبيض يوم ٧ سبتمبر. وفى الساعة ١١ قبل ظهر السبت ٩ منه دخلت كتيبة من فرسانهم أزمير. وفى يوم ١٢ منه دخلها على رأس جيشه باحتفال مهيب. وفى يوم ٢٠ منه أعلن جلاء اليونانيين عن الأناضول كله.

وقدرت خسارة اليونانيين بعشرين ألف قتيل و ٦١ ألف أسير بينهم القائد العام وكثير من الضباط، وخسر الجيش اليونانى مدافعه وعددها ٧٠٠ و ٢٠٠٠ متراليوز وجميع طيارته و١٦٠ ألف بندقية وكميات عظيمة من الذخائر والمعدات. وقد رفع هذا الانتصار العظيم الغازى الذى أحكم وضع خططه وتنفيذه إلى رتبه كبار القواد. وفى يوم ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٢٢ قرر المجلس الوطنى الكبير إضافة لقب الصاعقة «ييلدرم» إلى القابه.

رئاسه حزب الشعب التركى - وفى شهر اغسطس سنة ١٩٢٣ أعلن الغازى إنشاء حزب الشعب. ويشبه هذا الحزب فى تركيا حزب الفاشيست فى إيطاليا وحزب النازى فى ألمانيا، ومن أعضائه رؤساء الحكومة والوزراء ورجال الدولة، وهو الحزب السياسى الوحيد المعترف به هنالك.

رئاسة الجمهورية ـ ظل نظام الحكم الذى وضعه المجلس الوطنى الكبير لتركيا فى خلال اجتماعه الأول، نافذاً حتى يوم ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٢٣ ففى ذلك اليوم قرر المجلس الوطنى الكبير أن تكون تركيا جمهورية ديموقراطية نيابية وفى يوم ٢٩ منه أعلنت الجمهورية واختار المجلس بإجماع الآراء الغازى رئيساً لها.

وفى يوم أول نوفمبر سنة ١٩٢٧ جدد انتخابه لانتهاء مدته، ومدة الرئاسة عندهم أربع سنوات ثم جدد للمرة الثالثة فى نوفمبر سنة ١٩٣١ فاختاره المجلس بإجماع الآراء أيضاً.

كيف يقضي يومه؟

يقطن الغازى مصطفى كمال باشا فى أنقره فى قصر يسمونه «جاك قايا» وقد أتخذه دار مقام له منذ نزوله فى تلك المدينة إبان الحركة الوطنية ثم رممه وهو مقام رئاسة الجمهورية - وفيه ينام ويأكل ويستقبل ضيوفه وينظر فى مصالح الدولة والبلاد وفراشه بسيط.

وقد اعتاد منذ كان فى الجيش أن ينهض باكراً للنظر فى أعمال الجيش، أما بعد ما صار رئيساً للجمهورية فقد تبدل نظام معيشته فهو ينهض متأخراً فى الغالب فيستحم ويتزين ويتناول طعام الصباح وهو مؤلف من القهوة واللبن والزبد والبيض، وفى الساعة العاشرة يقصد إلى مكتبه الخاص فيبدأ باستقبال زائريه، ويظل حتى الساعة الواحدة بعد الظهر.

ويتغدى مع رئيس ديوانه وياوره العسكرى وحاشيته ثم يعود إلى الجناح الخاص به للقيلوله، ويظل حتى الساعة الخامسة فيعود إلى ديوانه ثانية.

وقد عكف على حضور المراقص التى تقام فى أنقره زمن الشتاء، أو فى الأستانة إذا كان الوقت صيفاً بعد انتشار الرقص فى تركيا، فيراقص السيدات اللواتى يكن مدعوات فى الحفلات العامة، وكثيراً مايقيم حفلات خاصة فى قصره للرقص والقصف يحضرها رجال خاصته فيرقصون ويقصفون حتى مطلع الفجر.

والغازى مشهور بميله إلى المسكر، وهو يتناوله كل مساء وقد يشربه فى النهار. ومشروبه من الخمر التركى المستخرج من العنب (العرقى) والشمبانيا فى الحفلات الكبرى.

زواجه - لما دخل ازمير فاتحاً سنة ١٩٢٢ تعرف بالسيدة لطيفة هانم كريمة

عشاقى زاده معمر بك من أعيان أزمير وأغنيائها، فوقعت من نفسه موقعاً حسناً لما تحلت به من جمال وأدب وظرف وعلم، فخطبها وتم زواجه بها فى حفله حافلة وانتقلت معه إلى قصر جاك قايا فى أنقرة وأقامت معه تساعده فى أعماله وتترجم له أقوال الصحف الإنكليزية والأميركية. لأنها تجيد لغة السكسون كما تجيد الفرنسوية والعزف على البيانو فتعزف له قطعاً موسيقية جميلة لإدخال السرور عليه.

ولم تطل إقامتها معه كثيراً فقد انفصلا فى سنة ١٩٢٤ طلاقاً فعادت السيدة إلى بيت أبيها ولم تلد أولاداً. والأقوال مختلفة فى أسباب هذا الطلاق وعوامله، فمن قائل أنه نشأ عن عدم امتزاجهما لما بين أخلاقها وأخلاقه من تباين. ومن قائل أنه أراد التخلص منها لأنها كانت تتدخل فى أمور الدولة وتحاول أن تملى أرادتها عليه. ومن قائل أنها عارضت فى تطبيق البرنامج الإصلاحى الذى طبقه، ومن قائل إن الطلاق منشؤه بواعث خاصة شخصية.

ولم يتزوج بعدها ويقول بأنه لاينوى الزواج مطلقاً، وانه يفضل حياه العزوبة والانفراد، ومما رواه عن نفسه أنه ما كان يروق له منذ صغره السكنى مع أم أو أخت أو قريب أو حبيب بل عود نفسه على الاستقلال فى المعيشة والانفراد فى المسكن. ويقول عن نفسه أيضاً إنه ما كان يتحمل قط أن توجه إليه أمه أو أخته أو قريبة من أقربائه نصيحة بمقتضى ما درجوا عليه من أفكار وعقائد. والطاعة فى نظره لأحد أصوله معناها الرجوع إلى الماضى. كما أن فى العصيان والتمرد صدعا للقلب، والطريقة المثلى فى نظره هى الابتعاد والانفراد.

ومما رواه أيضاً عن والدته أنها جاءته على أثر اجتماع عقده فى بيته مع إخوانه الضباط، وذلك قبل إعلان الدستور فى سنة ١٩٠٨ وقالت له بعد أن تبينت الغاية من الاجتماع «ياولدى أريد أن تبين لى هل تحاول أنت وإخوانك أن تشقوا عصا الطاعة على السلطان وله قوة سبعة أولياء» ولما أفهمها الغاية الحقيقية قالت له يجب التماس الحيطة يا بنى.

وتوفيت قريرة العين بما بلغه من مجد ورفعه.

أوصافه - مربوع القامة إلى الطول أقرب، عريض الكتفين، لاتبدو عليه علامات القوة البدنية. فهو نحيف اليدين والساقين، أزرق العينين حاد النظر؛ قصير الشارب مهيب الطلعة، مشرب الوجه بحمرة لفحتها حرارة الشمس، سحنته بارزة، وشعره ذهبى، وتقاطيع وجهه تنم عن انتسابه إلى أرومة ألبانية.

أخلاقه - يمتاز بقوة الإرادة وثابت العزيمة والإقدام والاستقلال بالرأى. وهو قليل الكلام إلا إذا كان الموضوع يهمة فيتدفق تدفقاً وينقلب إلى محامٍ بارع وخطيب لسن. وهو لين الحديث، حلو المعشر، ديمقراطى النزعة، ذو ذهن وقاد، وبصيرة نافذة، وذكاء خارق، وذا كرته قوية جداً ولاينسى شيئاً.

ومن أعظم ما يمتاز به بصفته جندياً كبيراً نبوغه فى فن تعبئة الجيش وإدارة المعارك، فهو لايضطرب إذا حلت بجيشه نازلة أو تغلب عليه عدوه فى أثناء القتال، ولا ييأس كما هو حال معظم القواد، بل يقف ثابتاً كالصخر ويظل يقاتل حتى لاتبقى لديه قوة، وحتى يدرك أنه لافائدة من الثبات والمقاومة.

وهو جد صريح لايعرف المداجاة والمداهنة، يجهر بآرائه ويدعو إليها ولايهاب كبيراً ولايخاف عظيماً. ومن أفضل ما يستشهد به على ذلك الحادثة الآتية، وقد وقعت له بعد انتهاء معارك الدردنيل سنة ١٩١٥ وعودته إلى الآستانة وقد سبقته شهرة طائرة وصيت ذائع قال : «وأخذت أزور رجال الحكومة وأفضى إليهم بما يجول فى نفسى، وكان بين الذين زرتهم يومئذ وزير الخارجية فذهبت وقابلت معاون المستشار - وكنت أعرفه من صوفيا - ورجوته إبلاغ الوزير خبر زيارتى ففعل وعاد يقول انتظر قليلاً وطال أمد الانتظار بعد ذلك طويلاً ولاحظت أنه يستقبل أناساً جاءوا بعدى فتأثرت وقلت للمعاون الظاهر إن الوزير ينسى فذهب فذكره وعاد يقول بوجوب الانتظار.

وبينما كنت أتحدث مع هذا فتح الحاجب الباب وقال إن الوزير فى انتظارك فقلت له: لينتظر. ولم أجب الدعوة إلا بعد انتهاء الحديث وقد أطلته عمداً.

ولما دخلت مكتبه استقبلنى واقفاً وهو باش وحدثنى بلسان ذرب وروح مطمئنة فقلت له: يا سيدى الوزير إن الموقف العسكرى على غير ماتتصوره وإن البلاد وكل شئ على وشك الزوال، والحقيقة فيما أقوله أنا لافيما تقولونه أنتم. فتجهم وجهه واحتد وقال: لقد احترمتك لأنهم قالوا إن مصطفى كمال قائد معركتى انافارطة وارى برونى أبلى بلاء حسناً، إلا أننى بدأت أشعر بعد حديثى معك اليوم شعوراً آخر.

وبعد أيام سمعت أن الوزير أبلغ مجلس الوزراء الأمر وطلب معاقبتى فأغرقت فى الضحك ».

ولما أعلنت الحرب العظمى وكان ملحقاً للسفارة العثمانية فى صوفيا عارض فى دخول دولته فى جانب الحلفاء. لأنه كان يعتقد بأنه لابد من انكسار الألمان وهزيمتهم، بيد أن لم ير من الوطنية أن يخلد للراحة وقد وقعت الحرب واصطلتها بلاده فطلب إلى وكيل القائد العام وهو أنور باشا أن يسند إليه منصباً فى الجيش، فأجابه بأن الأفضل استمراره فى صوفيا فأبرق له على الفور ملحاً فى استقدامه وقائلاً: «إذا كنتم تعتقدون فى العجز عن الانتظام فى سلك ضباط الدرجة الأولى فارجو بيان ذلك» ولما تأخر الجواب قرر السفر إلى ميدان الحرب كجندى عادى، وفعلاً نقل أثاث منزله إلى دار السفارة، وفيما هو يعد حقائبه للسفر تقلى برقية من وكيل القائد العام بأنه عين قائداً للفرقة ١٩.

ولما وصل الآستانة قابل أنور باشا، وسأله عن مقر الفرقة التى عين لها وإلى أى جيش تتبع؟ فأجابه: اذهب إلى مكتب هيئة أركان الحرب للحصول على المعلومات اللازمة.

وعبثاً بحث لمعرفة مقر هذه الفرقة ومركزها، وأخيراً قيل له أن يرجع إلى

ليمان باشا. فقد تكون الفرقة بإمرته. وبعد عناء وصل إلى رئيس أركان حرب القائد الألمانى، وسأله عن الفرقة فأجابه بعدم وجودها ثم قال له : لعلها تكون داخلة فى «التشكيلات الجديدة» التى شرع الفيلق الثالث فى القيام بها فى غاليبولى. فاذهب إلى هنالك وابحث عنها فذهب فعثر عليها وتقلد قيادها.

واتصل يوماً أثناء حروب الدردنيل بالقائد ليمان باشا نفسه فسأله عن رأيه فى الموقف فقال له: لقد أبلغتكم من قبل وأبلغت الدوائر العليا رأيى فى الحالة ووصفت لكم خطورة الموقف، وقد كانت هنالك تدابير كثيرة يمكن الالتجاء إليها أما الآن فلا يوجد سوى تدبير واحد.

ـ وما هو ؟

ـ أن تولونى قيادة جميع القوات التى هى تحت قيادتكم.

ـ أليس هذا كثير.

ـ بل هو قليل.

فقطع القائد الحديث على أثر ذلك، وتتالت بعد ذلك الأحداث فأنالته ما كان يرجوه فولى قيادة القوات كلها.

ومما يستحق الذكر للعظة والاعتبار أن ليمان باشا نفسه سلم بذاته قيادة قوى جيوش الصاعقة لمصطفى كمال باشا فى ختام الحرب أى بعد انقضاء أربع سنوات على الحادث الأول.

وما كانت علاقته أيضاً مع جمال باشا على مايرام، وإن كانت أفضل من علاقاته بأنور باشا. ومما يحسن إيراده هنا أنه لما استقال فى سنة ١٩١٧ من الجيش لعدم قبولهم مطالبه قرر الرجوع إلى الآستانة وكان فى حلب، ولما افتقد نقوده ووجد أنها لاتكفى لسفره فكر فى بيع خيوله وهى كل ما يملكه والرجوع بثمنها.

ولما عجز عن إيجاد مشتر لها قابل جمال باشا وسأله أن يجد له طريقه لبيعها ليتسنى له السفر، وبعد ما فحصها جمال باشا أبلغه أنها تساوى ألفى جنيه ذهباً قبضها وسافر إلى الآستانة. ولم يطل به المقام حتى تلقى برقية من جمال باشا يقول فيها انه باع الجياد بخمسة آلاف جنيه، وأنه مرسل له الثلاثة الآلاف ويرجوه تسلمها فاستنكف قبولها بحجة أن البيع الأول قطعى فلم يقبل جمال استنكافه بل ألح عليه فى تسلم المبلغ كاملاً فتسلمه.

سفره لألمانيا - وبينما كان فى الآستانة دعاه أنور باشا لمقابلته فذهب فقال له: أرسل أمبراطور المانيا دعوة إلى السلطان لزيارته فى المقر العام، ولما كان فى حالة لاتساعده على السفر فقد فكرنا أن ينوب عنه ولى العهد (١) فهل تقبل أن تصحبه؟.

- نعم.

مقابلة ولى العهد - وذهب بعد ذلك إلى قصر ولى العهد للتعرف إليه وإعداد معدات السفر، وفيما هو واقف مع زميل له فى بهو بين عدد من لابسى «الرادنكوت» كما قال - دخل عليهم رجل يلبس الرادنكوت أيضاً فاقترب منهم وجلس يتعرفهم وبعد ما أغمض عينيه ثم فتحهما بعد مدة قال لهما: تشرفت بكما وأنا مسرور لزيارتكما ثم أغمضهما ثانية ثم فتحهما وقال :

- سنسافر أليس كذلك ؟

بلى

ويقول الغازى فى صف هذه المقابلة «واعترف أننى شعرت على الفوز أننى أمام مجذوب».

ولما أزف وقت السفر وجاء ولى العهد إلى المحطة وجاء المشيعون واصطف

(١) هو الذى سار بعد ذلك ولقب بمحمد السادس وهو الذى حدثت الحركة الوطنية فى عهده ثم فر إلى مالطه ومات فى أوربا ودفن فى دمشق.

الجند تقدم الغازى من ولى العهد فقال له هذه الجنود جاءت لتشيعكم فحيوها.

ـ كيف؟

ـ سيروا أنتم وأنا من ورائكم.

فمشى أمام الجند رافعاً كلتا يديه بشكل غير طبيعى.

ولما دخل القطار قال له : يجب أن تحيو الجنود والناس من النافذة.

ـ هل ذلك ضرورى ؟

ـ نعم.

وكان ينفذ الأوامر التى يتلقاها بلا تردد وإبطاء. ويقول مصطفى كمال باشا إن حالة ولى العهد تبدلت تبدلاً محسوساً بعد ما اجتاز القطار أراضى تركيا ودخل فى أراضى بلغاريا فقد انتعش ووقف على رجليه وذهب عنه النعاس القديم وفتح عينيه وأخذ يتكلم كمن يلقى خطبه. فأدركت أن ما كان يتظاهر به فى الآستانة كان تصنعا.

أمام الإمبراطور ـ ولما وصلوا إلى المقر الألمانى العام جاء قيصر ألمانيا بنفسه لاستقبال ولى العهد. فقدم هذا حاشيته إليه الواحد بعد الآخر.

ولما وصل إلى مصطفى كمال وذكر اسمه أمسك القيصر بيده وقال بالألمانية بصوت عال :

الفيلق السادس عشر ـ أنا فارطه.

فارتبك مصطفى كمال باشا، وأطرق خجلاً. فارتاب الإمبراطور وظن أنه أمام رجل آخر فسأله بالألمانية.

ـ الست مصطفى كمال قائد الفيلق السادس عشر وصاحب معركة أنا فارطه.

فأجابه بالفرنسوية قائلاً:

ـ نعم يا إكسلانس

ويقول إنه أدرك خطأه عندما خرجت لفظة «إكسلانس» من فمه. فقد كان الواجب أن يقول «كايزر» وأن هذه ليست أول هفوة له من هذا القبيل، فقد هفا هفوة مثلها عند مقابلته الأولى للملك فرديناند ملك البلغار.

ومما يستحق الذكر من أخبار رحلته تلك أن والى الإلزاس سأل ولى العهد فى خلال المأدبة التى أدبها تكريماً له ولمن معه ـ عن مشكلة الأرمن فأحاله إلى مصطفى كمال، وقال له إنه يعرف التفاصيل، ولما فهم الغاية تأثر وقال للحاكم الألمانى :

أريد أن أفهم منكم شيئاً واحداً : من أين طرأ على فكركم البحث فى شؤون الأرمن الذين يدعون أن لهم كياناً فى دور مجهول من أدوار التاريخ، ويضللون الرأى العام فى سبيل إحياء هذه الفكرة، ويثيرون العالم على تركيا حليفتكم وقد ضحت بكل شئ فى سبيل ألمانيا ؟

فارتبك الحاكم وأجاب أن سؤاله لم يخرج عن حد المعلومات، فقال له مصطفى كمال : لقد حضرنا إلى هنالدرس الموقف العسكرى عن كثب فى بلاد حليفتنا ألمانيا لا للبحث فى قضية الأرمن.

نصائحه لوحيد الدين ـ ويقول إنه اغتنم فرصة إقامته الطويلة مع ولى العهد خلال تلك الرحلة فقال له :

لقد رأيتم خلال رحلتكم فى ألمانيا أن الإمبراطور وولى العهد والأمراء جميعاً فى خدمة الجيش فلماذا لا تقتدون بهم ؟

ـ ماذا أستطيع أن أعمل ؟

عندما تصلون إلى الآستانة اطلبوا قيادة جيش من الجيوش، وأكون أنا رئيس اركان حربكم.

ـ قيادة أى جيش ؟

ـ الخامس

ـ ولكنهم لايعطونها.

ـ أطلبوها أنتم.

عندما نعود إلى الآستانة نفكر فى هذا الأمر.

وحيد الدين بعد السلطنة ـ ولم يطل الأمر بوحيد الدين بعد رجوعه إلى الآستانة فقد بويع بالملك بدل أخيه المتوفى، وكان مصطفى كمال باشا يستشفى فى كارلسباد من مرض ألم به فى الكلى فأبرق إليه مهنئاً فجاءه الجواب بالشكر، وبعد أيام تلقى برقية من أحد رجاله يبلغه فيها وجوب الرجوع حالاً، فرجع وقابل السلطان الجديد مقابلة طويلة بسط فيها على مسامعه الحالة، وما يجب إجراؤه فأطبق عينيه كما فعل فى المرة الأولى عندما كان وليا للعهد ثم قال له :

هل يوجد عسكريون يفكرون بما تفكرون به ؟

ـ نعم

ـ لنفكر فى الأمر.

ثم تكررت المقابلات بينهما من دون جدوى. وفى ذات يوم جمعة دعاه بعد حفلة السلاملك وقابلة مقابلة حسنة ثم قال له :

قد عينتك قائداً لسورية، فخطورة الحالة هنالك تقضى ذهابك إليها، وكل ما أطلبه منك هو المحافظة على تلك الجهات فلا تدع سبيلاً لوقوعها بيد الأعداء، وأنا واثق تماماً من حسن قيامك بهذه المهمة.

فلم يعد مصطفى كمال ولم يبد، لأنه أدرك أن لا فائدة من الاعتراف، وأنها خطة مدبرة، ولما خرج من ناديه صادف أنور باشا وكان يبتسم. فقال له :

أهنئك فقد انتصرت. لقد خالفت الأصول المتبعة فبلغتنى الإرادة بواسطة السلطان نفسه.

وكان فى أدوار حياته العسكرية كلها عدوا شديد العداوة للاتحاديين وزعمائهم لاعتقاده أنهم يناوئونه ويحاولون اقصاءه، وقد انتقم منهم انتقاماً مريعاً زمن الحرب، فشهر برجالهم كما فتك بهم بعدها، مغتنماً فرصة المؤامرة التى دبرت لاغتياله فى أزمير، وسيأتى الكلام عليها، فأبادهم خوفاً على جمهوريته.

مناوأته للألمان ـ اشتهر الغازى فى عهد الإمبراطورية القديمة بمقاومة سياسة التساهل مع الألمان وإطلاق يدهم فى قيادة الجيش العثمانى زمن الحرب العظمى. وبيان ذلك أنه على أثر عقد معاهدة التحالف بين ألمانيا وتركيا سنة ١٩١٤ ودخول الترك الحرب فى جانب هؤلاء أرسل الألمان ضباطاً لتدريب الجيش العثمانى والعمل فى صفوفه، علاوة على البعثة التى كانت عندهم قبل الحرب برئاسة المارشال فون ليمان ساندرس باشا، فقبضوا على زمام الجيش وأصبحوا أصحاب الأمر والنهى فلم يرق ذلك للوطنيين الترك، وفى مقدمتهم مصطفى كمال باشا وجاهروا بالاستياء من تدخل هؤلاء الضباط، وقالوا بوجوب اقتصار مهمتهم على التنظيم والتدريب، وقد أدى تظاهره إلى ازدياد الجفاء بينه وبين أنور باشا زعيم القائلين بتفضيل الألمان والاعتماد عليهم، ورغم ذلك فقد كان هذا يحترمه لأخلاقه ومزاياته، ولولا ذلك لما أبقى عليه ساعة ولأخرجة كما أخرج كثيرين غيره من كبار الضباط الذين حاولوا الوقوف فى وجهه، ولم يكتموا استياءهم من إطلاق يده فى إدارة الجيش، وهو لايزال فتى لم يبلغ سن الكهولة والنضوج.

خطبه ـ اشتهر الغازى بالخطب الوطنية الحماسية يلقيها فى مجلس الأمة الكبير خلال الحوادث الجسام التى اجتازتها بلاده فى أدوار جهادها القومى. فقد كان يلهب النفوس بأقواله، ويثير الحماسة فى تعابيرة ويضيق بنا المقام لو حاولنا إيرادها. فلذلك نجتزئ بجانب منها.

خطب فى المجلس الوطنى الكبير على أثر الانتصار الذى أحرزه على اليونانيين فى معركة سقاريا الشهيرة ومما قاله :

«إن حرب الميدان التى انتصر فيها جيش المجلس الوطنى الكبير فى سقاريا حرب عظيمة الشأن، بل قد تكون عديمة الشبه والنظير فى التاريخ العسكرى فمعارك مكدن وتعد من أكبر حروب الميدان لم تستمر واحداً وعشرين يوماً كما استمرت هذه المعركة. فأهنئكم بانتصار جيشنا فى هذه الحروب التى ستكون نموذجاً فى التاريخ العسكرى».

وبعد مانوه بفضائل كبار القواد : فوزى باشا وعصمت باشا ورأفت باشا وقواد الفيالق وبقية الضباط قال :

«أما جنودنا الضراغم فإنهم فوق كل مدح وثناء. ولاغرو فإن أبناء هذه الأمة لايسعهم إلا أن يكونوا كذلك ولايمكننى أن أجد عبارات أصف بها شهامة أبناء بلادنا وبسالتهم، وأن أمة لها هؤلاء الأبناء أيها السادة وتلك الجيوش المؤلفة من هؤلاء الأبناء لابد أن تصون استقلالها وحياتها. إننا نبغى أن نعيش أحراراً فى داخل حدودنا القومية، وأن تكف أوربا عن الاعتداء على حقوقنا ومصالحنا وهذا كل ما نطلبه. وإذا كنا خسرنا فى الحرب العظمى فقد عوقبنا عقاب المغلوبين بتنازلنا عن سورية والعراق، وتخويل سكانهما حق البت فى مصيرهما. ولم تفقد أمة مغلوبة على أمرها ما فقدناه من البلاد الغنية الواسعة».

وخطب فى المجلس الوطنى الكبير حيث البحث فى قانون المسئولية الوزارية فقال :

«أفهم الجامعة الإسلامية على المنوال الآتى : أننا بصفتنا مسلمين نتمنى لكل المسلمين السعادة والرخاء ونرجو أن تحيا كل جماعة مسلمة حياة مستقلة فسعادة الأمم الإسلامية هى سعادتنا، وسعادتنا مرتبطة بسعادتها. ومن العبث

البحث فى إنشاء إمبراطورية إسلامية كبرى. فليس ذلك سوى محض خيال لايتفق مع العلم والمنطق والفن.

يجب علينا أن لاننسى أن لكل جسم سياسى قوة معينة يحسن به أن لايتجاوزها والذى نتمناه أن تتحد كل هيئة إسلامية فتؤلف وحدة اجتماعية وتعيش عيشة حرة».

«وخطب فى الحفلة التى أقامها مندوب فرنسا فى أنقره بمناسبة عيد ١٤ يوليو سنة ١٩٢٢ فقال :

«هنالك حقيقة يجب على متولى شؤون العالم أن يضعوها نصب أعنيهم وهى أن الأفكار لاتموت بالمدافع والبنادق والضغط والظلم. فقد دلت التجارب أن المظالم التى ترتكب للقضاء على فكرة حرة تأتى بعكس النتيجة المبتغاه وتزيد الأمة تمسكاً بفكرتها وحقها».

وخطب حينما أسند إليه منصب القيادة العامة مدة الحرب فقال : «ليس بين صنوف السعادة أسمى وأمجد من أن يتمتع الإنسان بنعمة الحرية فى حجر أمته، والذين أدركوا حقائق الأمور بعد اختبارها يعلمون أنه ليس للمناصب مهما عظمت أدنى قيمة إلا فى نظر الذين خلت قلوبهم من اللذات الوجدانية والمسرات الكونية والمشاعر القدسية».

ثروته ـ تقدر ثروته الشخصية اليوم بثلاثة ملايين جنيه تركى نحو ٣٠٠ ألف جنيه ذهباً. ومعظمها مما تبرع له به المتبرعون من أجواد الترك بعد انتصاره الأخير تقديراً لعمله العظيم. وقد وقفها حديثاً على حزب الشعب التركى الذى أنشأه ليظل حياً بعد وفاته ويؤدى المهمة التى رمى إليها.

المؤامرات لاغتياله ـ اكتشفت حتى الآن عدة مؤامرات دبرها خصوم النظام القائم فى تركيا لاغتيال الغازى مصطفى كمال باشا لما رسخ فى أذهانهم، وهو أن قتله الوسيلة الوحيدة للتخلص من هذا النظام.

وأعظم هذه المؤامرات شأناً مؤامرة أزمير، وقد أكتشفت يوم ١٧ يونيو سنة ١٩٢٥ وذلك أن أحد المتآمرين جاء قبيل وقوعها فأبلغ البوليس أمرها فأسرع فقبض على مدبريها والمشتركين فيها، وبلغ عددهم نحو ٢٠٠ منهم عدد كبير من النواب والوزراء السابقين وأقطاب جمعية الاتحاد والترقى.

وجاء فى التفاصيل التى نشرت عن هذا الحادث العظيم أن بعض رجال الاتحاد والترقى بدأوا من شتاء سنة ١٩٢٥ يعقدون الإجتماعات فى الآستانة ويعدون المعدات للفتك بالغازى اعتقاداً منهم بأن قتله يمكنهم من الرجوع إلى الحكم واسترداد السلطان والنفوذ وقد فقدوهما على يده. وقد قرروا فى ابتداء الأمر أن يقتلوه فى بروسه حين زيارته لها. بيد أن الأبحاث التى قام بها رجالهم هنالك أثبتت صعوبة الفرار على المتآمرين بعد ارتكابهم الجريمة لصغرالمدينة فعدلوا عن تنفيذ فكرتهم. ولما عرفوا أنه سيزور أزمير فى شهر يونيو قرروا اغتياله حين دخولها، وأعدوا زورقاً بخاريا يركبه الجناة إلى إحدى الجزر اليونانية القريبة. كما أعدوا السلاح اللازم ووضعوه فى حقائب الصقت عليها بطاقات باسم على شكرى بك نائب أزمير فى مجلس الأمة الكبير. لئلا تكون تابعة للتفتيش فى الجمرك.

ووصل إلى أزمير يوم ١٢ يونيو الذين أنتدبوا لقتله ومعهم السلاح ونزلوا فى فندق غفار انتظاراً لوصوله وهم ضيا خورشيد بك وجوبور حلمى ولاز اسماعيل ولاز يوسف، وبعد ما أستقروا قليلاً راحوا يبحثون عن مساعدين لهم فاهتدوا إلى صارى أفه أديب بك فانضم إليهم، وقدم لهم مهاجراً كريدياً اسمه شوقى تعهد بأن يعد لهم الزورق لينقلهم إلى جزيرة ساقز اليونانية وهى مناوحة لأزمير.

ولما اطلع شوقى على تفاصيل الجريمة أبلغ الأمر إلى البوليس فاعتقلهم فوراً وصادر السلاح كما اعتقل أقطاب الاتحاديين وزعماءهم وبينهم عدد من نواب

المجلس الوطنى والوزراء والقواد العسكريين. وعلى أثر اكتشاف المؤامرة صدر الأمر إلى محكمة الاستقلال بالسفر إلى أزمير لمحاكمة المتهمين فوصلت على الفور وباشرت عملها. ثم قررت شطر القضية إلى شطرين : شطر يتناول المتهمين الذين قبض عليهم متلبسين بالجريمة والذين جاءوا إلى أزمير لمباشرة العمل، وشطر خاص بأقطاب جمعية الاتحاد والترقى والنواب.

وختم الشطر الأول من القضية بالحكم على ١٥ متهماً بالاعدام. أعدم ١٢ منهم فوراً فى أزمير. ومنهم أربعة أعدموا أمام الفندق الذى نزلوا فيه حينما جاءوا لتنفيذ مهمتهم وانتحر الثالث عشر حينما أحدق البوليس بمكمنه ورأى أنه لا أمل له بالنجاه وتوارى الاثنان الباقيان عن الأنظار.

وختم الشطر الثانى من هذه القضية فى أنقره يوم ٢٧ أغسطس فحكمت المحكمة على أربعة من أقطاب الاتحاديين وهم جاويد بك وزير المالية المشهور والدكتور ناظم بك وحلمى بك ونائل بك بالإعدام فأعدموا فوراً وبأحكام مختلفة على غيرهم بالنفى المؤبد أو السجن لمدد طويلة، وهكذا تكون المؤامرة انتهت بإعدام تسعة عشر شخصاً. ثلاثة أرباعهم من النواب والوزراء السابقين والقواد العسكريين.

وبمناسبة هذه المؤامرة أذاع الغازى يوم ١٩ يونيو بلاغاً أعلن فيه اغتباطه لما تلقاه من رسائل التهنئة. وقال «إن الذين يظنون أنهم بإزالة شخصى من الوجود يستطيعون العبث بجمهوريتنا التى رسخت قواعدها فى وجدان جيشنا العظيم المؤلف من أبطال الأمة التركية العظيمة وقد استمددنا منها مبادئنا هم سخفاء جديرون بالشفقة، وسيعاملون المعاملة الواجبة. إن جسمى لابد أن يعود إلى التراب. أما الجمهورية فباقية إلى الأبد».

وقابلته اللجنة التى تألفت فى أزمير للاحتجاج على المتآمرين فقال لها :

«أنا واثق من أن مواطنى ينتقمون لى إذا قتلت، وبان أمتنا الكريمة لاتحيد أبداً

عن الطريق التى تسير عليها سوية. فأنا مستريح من هذه الجهة. ليلجأ خصومنا إلى جميع الوسائل المنكرة التى يظنون أنها تصل بهم إلى غايتهم. فحركاتهم الطائشة لاتطفئ نار انقلابنا».

مؤامرة الإصلاحيين ـ وقبيل هذه المؤامرة ببضعة أشهر اكتشفت حكومة الآستانة مؤامرة. قالوا أن المشتركين فيها ينتسبون إلى جمعية اسمها الطريقة الصلاحية وبينهم بعض النواب والعلماء والأساتذة وقد حوكموا أمام محكمة استقلال أنقرة فحكم على ١١ منهم بالإعدام فأعدموا فوراً. ومنهم أحمد رفيق بك أكبر مؤرخى الترك والأستاذ فى الجامعة التركية، وبلغ عدد الذين أعتقلوا فى هذه القضية سبعين متهماً.

وكذلك اكتشفوا فى سنة ١٩٢٨ مؤامرة للفتك بالغازى وقالوا إن المتآمرين كانوا يسعون إلى قتله حين زيارته مدينة بروسه وزعيمة هذه المؤامرة سيدة تركية اسمها قدرية هانم كانت متزوجة بطبيب مصرى ثم طلقت منه فعادت إلى تركيا.

وقد برئت ساحتها. لأن التحقيق لم يثبت إدانتها وذهب ضحية هذه المؤامرة أميرالاى أعدم فى بروسه نفسها.

وثمة مؤامرة رابعة ظهرت فى شهر أغسطس سنة ٩٣١ فقد قيل إن عصابة كانت مؤلفة لاغتياله فى طريقة إلى بروسه قادما من يالوه فتكت برجل توهمت أنه الغازى. فأطلقت عليه الرصاص وأردته قتيلاً، وكان للقدر يد فى نجاته ولم يوفق البوليس إلى معرفة أعضاء هذه العصابة.

ويتخذ البوليس الاحتياطات الشديدة للمحافظة على حياة الغازى فى أسفاره وتنقلاته وفى منزله، ولايسمح لأحد بالدخول عليه ومقابلته أو الدنو منه إلا بعد التثبت من حسن نيته ومن كونه لاينوى شراً.

زيارته الأولى للآستانة ـ قلنا فى مقدمة هذا الفصل إن الغازى غادر

الآستانة يوم ١٦ مايو سنة ٩١٩ إلى الأناضول لتولى منصب المفتش العام للجيش العثمانى، وأنه ما كاد يطأ ثراه حتى نادى بالجهاد فتم على يده فوز أمته ونجاحها، وقد ختم هذا الدور بسقوط حكومة الآستانة القديمة وبإنشاء حكومة جديدة على أنقاضها اتخذت أنقره مقراً لها.

وبديهى أن تنخفض قيمة الآستانة بسبب هذا النقل، وأن تسوء حالتها وحالة سكانها الذين لم يكتموا عدم ارتياحهم إلى ما وقع، ووصلت هذه الأخبار إلى مسامع الغازى. فامتنع عن زيارة مدينتهم وعن دخولها نحو ثمانى سنوات وأخيراً وبناء على الدعوة التى وجهها إليه رئيس بلديتها زارها يوم ٢ يوليو سنة ١٩٢٧ قادماً باليخت أرطغرل وقد ركبه من أزميت فسار به إلى غلطة تحرسه بوارج حربية وسفن أخرى فنزل على رصيف قصر ضولمة باغجة فقابله الشعب بمظاهرات عظيمة.

ورد على خطب الترحيب التى ألقيت فقال: إنه لما غادر الآستانة إلى الأناضول بعد الهدنة من ثمانى سنوات لم يودعه أحد، وهو يعود الآن فتعانقة، المدينة باسمه جذلة، وقال إن الآستانة ستظل عزيزة على قلب كل تركى.

اصطيافه ـ وقد اعتاد من سنة ١٩٢٨ أن يقصد الآستانة فى صيف كل عام فينزل فى قصر ضولمه باغجة (قصر السلاطين من آل عثمان) ويستحم فى حمامات (يالوه) الجميلة وقد بنى له فيها قصراً.

وعند دخول فصل الشتاء يعود إلى أنقره فيشتى فى قصر جاك قيا.

رحلاته ـ لايفتأ الغازى يطوف مدن الأناضول. فله فى كل سنة رحلة على الأقل يزور فيها الولايات القاصية والمدن البعيدة فيختلط بأبناء الشعب ويحادثهم ويقف على آرائهم ومطالبهم، وكثيراً مايقف بالقرى فى رحلاته فيتفقد حالة الفلاحين مستفهماً منهم عما يشكون منه لإصلاحه وتعديله.

مذكراته ـ بدأ منذ سنة ١٩٢٥ بنشر مذكراته وقد أملاها إملاء على جريدتى

حاكميت ملية ومليت التركيتين، وترجم القسم الأول منها إلى اللغة العربية فى مصر، وهو خاص بسياسة تركيا منذ دخولها الحرب إلى أوائل الحركة الوطنية.

أما الأجزاء الثلاثة الأخيرة فلم تنشر حتى الآن ويبحث الثانى فى نشأة الحركة الوطنية وما قام به فى الآستانة لتنظيمها، وينتهى يوم وصوله إلى سمسون.

ويبحث الجزء الثالث عن تاريخ الحركة الوطنية من يوم سمسون حتى مؤتمر أرضروم.

أما القسم الرابع فيتضمن وصف حوادث الأناضول الأخيرة وما ناله فيها من انتصار.

جاذبت حكومة المجلس الوطنى الكبير لتركيا منذ ما أنشأها الغازى مصطفى كمال باشا فى أنقره ورفع قواعدها يوم ٢٣ أبريل سنة ١٩٢٠ حكومة الخليفة محمد وحيد الدين السادس فى الآستانة حبل النفوذ مناديه أنها الحكومة الشرعية التى تمثل الشعب التركى وأن حكومة السلطان فى الآستانة لاتمثل سوى نفسها لوقوعها تحت سلطة الحلفاء، وخصوصاً الإنكليز منهم. وكانوا يحتلون عاصمتها احتلالاً عسكرياً من يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢٠.

وتمت الغلبة لحكومة أنقرة بعد الفوز العظيم الذى أدركته على اليونانيين فى الأناضول (خريف سنة ١٩٢٢) فلجأ السلطان محمد وحيد الدين يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ إلى البارجة البريطانية مالايا فأبحرت به إلى مالطة بعد ما قرر المجلس الوطنى الكبير يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩٢٢ خلعه فانهار بسفره بناء الإمبراطورية العثمانية ووضع العثمانية، ووضع الكماليون يدهم على الآستانة وأصبحوا سادة تركيا الحقيقيين وأصحاب النفوذ المطلق فيها. وفى يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ أصدر المجلس الوطنى الكبير قراره بالفصل بين الخلافة والسلطنة، وبايع الأمير عبدالمجيد افندى صاحب ولاية العهد بموجب النظام القديم خليفه للمسلمين بعدما جرده من كل سلطان ونفوذ دنيوى ثم عاد يوم ٢ مارس سنة ١٩٢٤ فقرر إلغاء الخلافة وطرد الخليفة وآله من تركيا فطردوا. ولايزال هذا فى فرنسا.

ولما كان دستور (القانون الأساسى) حكومة المجلس الوطنى الكبير موجزاً

... هذا القانون فى ٢٢ يناير سنة ١٩٢١ وهو فى ٢٢ مادة وقد جاء فى مادته الأولى ... الشعب دون قيد ولا شرط، والقاعدة الإدارية قيام الأمة بإدرارة شؤونها بنفس... المادة الثانية السلطتان التنفيذية والتشريعية مجموعتان فى المجلس الوطنى ... الأمة و... تمثيلا حقيقيا. وقالت المادة الثالثة: «يقوم المجلس الكبير بإدارة الدولة التركية، وتسمى ... طنية: حكومة المجلس الوطنى الكبير» الخ.

فقد ألف المجلس الوطنى الكبير لجنة لتعديله. فأتمت مهمتها واختارت النظام الجمهورى. فأعلن يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٣ ولايزال قائماً حتى الآن.

وقامت الحكومة الوطنية الجديدة، سواء فى عهد المجلس الوطنى أم فى عهد الجمهورية بأعمال جسام عسكرية واجتماعية وعلمية وعنصرية تشير إليها بإيجاز.

كانت الحركة الوطنية في ابتداء أمرها عرضه لمهاجمة أربع قوى تألبت على قتالها واتحدت ضمناً للقضاء عليها :

١ ـ قوة حكومة السلطان فى الآستانة. وقد عبأت الجنود بأموال الإنكليز وأغرائهم وسيرتهم إلى الأناضول لقتال الوطنيين باعتبارهم خارجين على الخليفة ومارقين من الدين. وقد أصدر شيخ إسلام تلك الحكومة ـ درى زاده عبدالله افندى فتوى بتكفيرهم ووجوب قتالهم.

٢ ـ قوة الأرمن فى شرقى الأناضول وقد اغتنموا فرصة خروج الترك منكسرين من الحرب العظمى فهاجموا وان وأرضروم فى الأناضول الشرقية بغية الاستيلاء عليها.

٣ ـ قوة الفرنسويين فى الجنوب فقد نزلوا إلى ميناء مرسين بعد الهدنة واحتلوا مقاطعة «كيليكية» (ولاية أطنة) محاولين إنشاء حكومة أرمنية فى ربوعها فهاجمهم الترك وقاتلوهم واضطروهم إلى مسالمتهم فعقدوا معهم معاهدة فى أنقرة يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٢١ قضت بجلاء الفرنسويين عن كيليكية واعترفت بالانتداب الفرنسوى لسورية، وحددت الحدود بين تركيا وسورية، ولاتزال نافذة.

٤ ـ قوة اليونانيين فى غربى الأناضول، وكانوا يحتلون أزمير وبروسه وجانباً كبيراً من غربى الأناضول، وحسبك أنهم حاولوا بلوغ أنقره واحتلالها فصدمهم الترك وهزموهم شر هزيمة، ثم طردوهم من الأناضول كله فى خلال هجوم

شهر أغسطس كما مر سابقاً، ووضعوا يدهم فعلاً على الآستانة نفسها يوم أول نوفمبر سنة ١٩٢٢ فقد دخلها الجنرال رافت باشا باسم حكومة المجلس الوطنى.

ولقد هز النصر التركى فى الأناضول الشرق كما هز الغرب، ورأى الحلفاء أنفسهم أمام حالة جديدة، وادركوا انه لابد لهم من تنظيم علاقاتهم مع تركيا على طريقة تتفق مع ما أدركته من فوز، فتم الاتفاق مبدئياً على عقد مؤتمر دولى فى لوزان يجتمع فيه الترك والحلفاء.

مؤتمر لوزان ومعاهدته

عقد هذا المؤتمر في لوزان يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ ومثل الترك فيه وفد رأسه عصمت باشا. كما مثل الحكومات الإنكليزية والفرنسوية والإيطالية واليابانية واليونانية والرومانية واليوغسلافية مندوبون من قبلها. وبعد مباحثات استمرت أياماً وأسابيع وقع الفريقان يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٣ معاهدة صلح تقع فى ١٤١ مادة جاء في مقدمتها أن الفريقين المتعاقدين: إنكلترا وفرنسا وإيطاليا واليابان واليونان ورومانيا ويوغسلافيا من جهة وتركيا من جهة أخرى رغبة منهما فى إنهاء حالة الحرب التى تعبث بالسكينة فى الشرق من سنة ١٩١٤ وفى إنشاء صلات مودة وصداقة بين شعوبهم، يرونها ضرورية لإنشاء روابط تجارية بشرط أن تكون قائمة على مبدأ احترام السيادة القومية قرروا تعيين مندوبين يمثلونهم، فعينت انكلترا السر هوراس رمبولد مندوبها السامى فى استانبول، وعينت الجمهورية الفرنسوية الجنرال موريس بلله المندوب السامى فى الشرق، وعينت إيطاليا المركيز كامبل غارونى سفيرها فى استانبول، والسنيور جول سيزار مونتانيا وزيرها المفوض فى أثينا، وعينت اليابان المسيو كنتارو أوجيبائى جوزامى سفيرها فى إيطاليا، وعينت اليونان المسيو فنزيلوس والمسيو

كـاكلامـونوس، وعـينت رومانيـا المسـيو دياماندى والمسـيـو كونجسـقد، وعـينت يوغسـلافيا الدكـتـور يواندويج سفيرهـا فى سويسـرا، وعينت تـركـيا عصمت باشـا وزير الخـارجـيـة والدكـتـور رضـا نور بك وزير الصـحـة والشـؤون الاجـتـمـاعـيـة، وحسـن بك من الـوزراء السـابقين، الذين بعـد أن اجتمعوا وفحصـوا أوراق تعيينهم ووجدوها مطابقة للأصول اتفقوا على المواد الآتية :

المادة الأولى ـ ينشـأ بين الـدول المتـعـاقـدة ورعـاياها مـنذ إبرام هـذه المعـاهـدة ووضـعها موضـع التنفيذ صلح دائم. وتسـتأنـف الصـلات السـياسية بينهما ويعامل ممثلوهـم وقـناصـلهم طبقـاً لقـواعـد حـقـوق الدول مع مـراعـاة أحكام الاتـفـاقـات الخـاصـة.

ويلى ذلك الفـصل الأول. وهـو خاص بالحـدود وتنص المادة الثـانية على تحـديد الحـدود بـين تـركـيـا وبلغـاريا ـ والـيـونان، والثـالـثة تـرسم حـدودها مع سـورية والعـراق. وجاء فى المادة السـابعة عـشرة أن تركيـا تتنازل عن جـميع حـقوقها فى مصـر والسـودان من يوم ٥ نوفمبر سـنة ١٩١٤ وجاء فى المادة ٢٢ أن تـركيا تتنازل عن جميع الحقوق والامتيازات التى نالتها بموجب معاهدة ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٢ مع مراعـاة أحكام المادة ٢٧ من هـذه المعاهـدة (هى خـاصـة بالموظفين التر[illegible] عـدم جواز تدخلهم فى الأراضـى التى انسلخت عن تركيا) فى طرابلس الغرب.

والمادة ٢٣ خـاصة بالمـضايق (البـوسـفور والدردنيـل وبحر مـرمـرة) وقد تقـر[illegible] بموجـبهـا أن تفتح للـمـلاحـة الجوية والبـحرية فى زمن السـلم والحرب. وجـاء فى المادة ٢٨ أن الفـريقين المتعاقدين يعترفان بأن الامتيازات الأجنبية ألغيت فى تركيا. وجاء فى التاسـعـة والعشرين أن الفاسيين والتونسيين من رعـايا فرنسـا يعاملون نفس مـعاملة الرعـايا الفـرنسـويين فى بلاد الترك. وكـذلك فأبناء طرابلـس الـغرب يعـاملون فـى تركـيـا نفس مـعـاملـة الإيطاليين. ولاتشـمـل أحكـام هـذه المادة الذين توطنوا فى تركيا وهـم من أصـل فاسـى أو تونسـى أو طرابلسـى.

والفصل الثانى خاص بأحكام التابعية ويتألف من تسع مواد، والفصل الثالث خاص بحماية الأقليات، ويتألف من تسع مواد، وقد تعهدت فيه الحكومة التركية بمعاملة رعاياها بالمساواة المطلقة التامة من دون تفريق فى المذهب والقومية.

ويلى ذلك بيان عن الديون العثمانية، ثم فصل خاص بالشؤون الاقتصادية، ثم فصل فى شركات ضمان الحياه ثم فى الديون الخاصة، وفصل آخر فى الملكية الصناعية والأدبية والمحاكم المختلطة (وقد ألغيت بعد ذلك).

وقد ألحقوا بهذه المعاهدة اتفاقاً خاصاً بالمضايق نص على وجوب فتحها للملاحة وتنظيم ذلك، ولهذا الاتفاق سبعة ملاحق تنص على الأساليب التى تتخذ للمحافظة على حريتها فى زمن الحرب والسلام، وطريقة عبور البواخر فى الذهاب والأياب.

وألحقوا بها اتفاقاً خاصاً بإقامة الأجانب فى تركيا وطرق محاكمتهم، وآخر للتجارة، وثالث لتبادل الروم والترك، ورابع لتبادل أسرى الحرب، وبياناً يختص بإعلان العفو العام والذين استثنوا منه، ويلى ذلك أيضاً سلسلة من البيانات والوثائق السياسية، ولقد جاء عقد هذه المعاهدة على هذا المنوال فوزاً سياسياً عظيماً للترك لايقل عن فوزهم العسكرى فى ميدان الحرب.

وانصرف الغازى بعد ذلك إلى العناية بشئون بلاده الداخلية فكان أول ما عمله حمله المجلس الوطنى الكبير يوم ٢ مارس سنة ١٩٢٤ على إصدار قرار ألغى فيه الخلافة من تركيا، وقضى بطرد سلائل الخلفاء من بلادهم، وباتخاذ العلمانية شعاراً للدولة التركية. على أنهم عادوا بعد ذلك فاستصدروا من المجلس الوطنى الكبير يوم ٩ أبريل سنة ١٩٢٨ قراراً بإلغاء المادة الواردة فى دستور سنة ١٩٢٣ خاصة بالدين الإسلامى فقد نص فى إحدى مواده على أن دين الدولة هو الإسلام فحذفوا هذا النص، كما حذفوا النص القائل بأن المجلس الوطنى الكبير يتولى تنفيذ الأحكام الشرعية. وخطب يومئذ عصمت باشا رئيس الوزارة التركية وهو

صاحب الاقتراح فقال إن اليمين القانونية بعد الآن هى أقسم بشرفى بدلاً من القسم القديم وهو «والله العظيم».

وقد تم فى عهد الجمهورية الجديدة إنشاء ١٨٤٥ كيلوا متراً من سكك الحديد على حساب الحكومة. فربطت أجزاء البلاد بشبكة حديدية جديدة، وتم تعبيد ٣٠ ألف كيلو متراً من الطرق التجارية.

وعززت الحكومة الطيران. فأنشأت مصنعاً للطيارات فى قيصرى ولديها اليوم نحو ألف طائرة وهو عدد كبير لاتملكه حكومة شرقية إذا استثنينا اليابان.

وعنيت أيضاً بتعزيز القوى البحرية فابتاعت ١٢ غواصه و ٨ قطع بحرية مختلفة القياس والحجم. كما عززت الأسطول التجارى ونظمته على أفضل منوال.

وتم للحكومة التخلص من ديون الإمبراطورية العثمانية القديمة. وقد كانت تقدر بمائة وخمسة وعشرين مليوناً من الجنيهات فظلت تخفض بفضل مهارة رجال أنقرة حتى هبطت إلى ثمانية ملايين من الجنهيات تدفع فى خلال ٥٠ سنة.

وكذلك تم لها إقصاء الروم والأرمن من بلاد الأناضول كلها، وقد كانوا فى السنين الأخيرة مصدر متاعب لتركيا باستسلامهم إلى دسائس الأجانب وأنقيادهم إليهم، ولايسمح لهم بالإقامة فى داخل تركيا. اللهم إلا مدينة استانبول نفسها فقد استثنت بموجب معاهدة لوزران من هذا القيد. وفيها نحو ٧٠٠ ألف رومى وبضعة آلاف أرمنى، وهم يهاجرون تدريجاً بسبب تضييق الحكومة عليهم ومقاطعة الشعب لهم.

وكذلك فقد نسخت الحكومة الكمالية القوانين التركية القديمة، وكانت مستمدة من الشريعة الإسلامية وأبدلتها بقوانين أوربية جديدة. فالقانون المدنى النافذ اليوم منقول عن القانون المدنى السويسرى. نقله الترك إلى لسانهم

وطبقوه فى محاكمهم. وقانون العقوبات النافذ فى محاكمهم مقتبس من قانون العقوبات الإيطالى. وقل مثل ذلك عن بقية الأنظمة والقوانين.

وتم أيضاً للغازى إلغاء الأبجدية العربية التى كانت تكتب بها اللغة التركية واستبدلها بالأبجدية اللاتينية بقرار أصدره المجلس الوطنى الكبير فى نوفمبر سنة ١٩٢٨ ونفذ من أول يناير سنة ١٩٢٩ بحجة أن الأبجدية اللاتينية أسهل كما أنشأ جامعة فى أنقره، وهو عامل على تنسيق جامعة الآستانة وتجديدها.

وكانت آخر أعماله فى السنة الماضية إصداره الأمر بترجمة القرآن إلى اللغة التركية، وبأن تقرأ خطبه الجمعة ويؤذن وتقام الصلوات باللغة التركية، وكانت حتى الآن تقام باللغة العربية، وكانوا يؤذون بها فامتنع بعض الشيوخ عن تلبية هذا الأمر المخالف للدين فى نظرهم وحدث من جراء ذلك هياج فى بروسه فزارها الغازى ورئيس الوزارة على الأثر وتلافياً الحادث.

وعنى أيضاً عناية فائقة بترقية اقتصاديات بلاده وتعزيز الصناعات. فأنشأ ٤ معامل للسكر و ٣٢ معملاً لنسج الحرير والجوخ و ٨ معامل للكبريت و ١٩ للكحول و ٨٠ للنجارة والأخشاب، وكل ذلك من دون أن يستقرض قرشاً واحداً أو يهب امتيازاً لأجنبى. وبالإجمال فقد انشأ شعباً جديداً وقطع كل علاقاته بالشرق ومال نحو الغرب عاملاً على الاندماج فيه.

نظام الحكم في تركيا

نظام الحكم فى تركيا جمهورى لادينى ديمقراطى شعبى فى ظاهره، دكتاتورى فى باطنه، فالغازى مصطفى كمال باشا ما برح منذ سنة ١٩٢٠ يحكم تركيا ويديرها ويتصرف فى شؤونها طبقاً لما يعتقد أنه الأفضل والأنفع لمصلحتها، لايجسر على معارضته أحد، ولا يرتفع فى وجهه صوت.

نعم : لقد أدى اعتناق السياسة اللادينية والمجاهرة بها، وإغلاق التكايا والزوايا إلى ظهور عدة ثورات أهمها ثورة الشيخ سعيد النقشبندى فى شتاء سنة ١٩٢٥، فقد قام هذا فى ولاية معمور العزيز من بلاد الأكراد فى شرقى الأناضول داعياً الناس باسم الدين لقتال ملاحدة أنقره. فلبوه وساروا وراءه فاحتل معظم المدن المجاورة له، وزحف على أنقره للقضاء على الحكومة فجهزت قوات كثيرة على جناح السرعة عاقت تقدمه وأخمدت حركته، وبعد ماتم لقوات الحكومة النصر صدر الأمر إلى محكمة الاستقلال[١] بالسفر فسافرت إلى ديار بكر وهنالك نصبت ميزانها وبدأت عملها. ومما يستحق الذكر من أخبارها أنها أصدرت الحكم بإعدام ٤٤ من زعماء تلك الثورة فى يوم واحد فاعدموا على الأثر ومنهم الشيخ سعيد نفسه وعدد من أعيان الكرد ومتعلميهم.

وأصدرت بعد ذلك أحكاماً أخرى بإعدام كثيرين من الكرد كما شرد عدد من أبناء الأسر الكردية. فقد نقلوا إلى غرب الأناضول وإلى شماله وأقطعوا هنالك الأراضى والدور لإسكانهم فيها بدلاً من أراضيهم، والقصد من ذلك أضعاف العصبية الكردية.

ولم تخمد ثورة النقشبنديين حتى تلتها ثورة أخرى من أرضروم احتجاجاً على النظام الجديد. فأعلنت الحكومة الأحكام العرفية وسيرت القوى.

وكذلك أضرم الكرد ثورة ثالثة فى شمدينان وأخرى فى ريزه ومرعش وفى منمن وغيرها وقد أخمدت كلها.

ويعتمد الغازى فى الظاهر على حزب الشعب، وهو الحزب الذى أنشأه فى سنة ١٩٢٣ كما قلنا أنفا، ولايسمح لجريدة لاتؤيدة بالصدور. كما أنه لايسمح بإنشاء أحزاب سياسية معارضة. أما فى الباطن فيعتمد على تأييد الجيش وهو يواليه.

---

(١) احدث الكماليون هذه المحاكم فى الأناضول إبان الحركة الوطنية، وهى شبيهة بالمحاكم العسكرية لمحاكمة الخارجين عليهم، وهى تتألف من ثلاثة قضاة وأحكامها مبرمة إلا فى قضايا الإعدام فلابد من عرضها على الهيئة العامة للمجلس الوطنى الكبير لإقرارها وقد نشرت هذه المحاكم الارهاب، وبثت الرعب فى القلوب بأحكامها القاسية، ويقدر الذين أعدمتهم فى خلال تلك الفترة بالمئات.

المعاهدات السياسية والدولية

نظم الغازى مصطفى كمال باشا علاقات دولته السياسية مع جميع الدول الغربية والشرقية على أفضل منوال وأكمله، وصفى مشكلاته وسواها، ولذلك يتمتع الترك فى داخليتهم بهناء واستقرار ماذاقوا طعمه من قبل، فقد كانوا فى عهد الحكومة السابقة لاينتهون من حرب حتى يستقبلوا غيرها، ولايحلون معضلة حتى يواجهوا معضلات.

ولقد عقدت الحكومة الجديدة سلسلة معاهدات يضيق المقام دون إيرادها فنكتفى بإيراد الخطير منها وخصوصاً ما كان منها مع الدول الشرقية.

ولعل أعظم هذه المعاهدات شأنا، معاهدة لوزان. وقد عقدها مع ست دول كما رأيت وهى قاعدة لعلاقات تركيا مع معظم دول أوربا وتليها معاهدة أنقرة مع فرنسا وقد عقدت يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٢١.

وهنالك أيضاً سلسلة معاهدات واتفاقات عقدت بينهما خاصة بشؤون سورية.

معاهدتها مع روسيا - وتلى معاهد لوزان وأنقرة فى خطورة الشأن معاهدة موسكو، وإن كانت تقدمتها. فقد عقدت يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢١ أى إبان الحركة الوطنية فى الأناضول، وقد اعترف الروس فيها بحكومة المجلس الوطنى الكبير ممثلة لتركيا، وتنازلوا عن جميع ماللإمبراطورية الروسية من حقوق وامتيازات وعن المتجمد لها من الغرامة الحربية، وتعهدوا أن يعقدوا معها اتفاقات اقتصادية فى أقصر مدة، وبالغاء الامتيازات الأجنبية فى بلادها. وبالإجمال فقد قبلوا أن يعاملوها معاملة الند للند.

وفى يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥ عقدت هاتان الدولتان ميثاق صداقة وعدم اعتداء. جاء فى المادة الأولى منه أن الفريقين المتعاقدتين يتعهدان بأنه إذا قامت

دولة أخرى أو دول بحركة عسكرية على أراضى الفريق الآخر فهى تحتفظ بحيادها.

وتعهد كل فريق بموجب المادة الثانية أن لايعتدى على بلاد الفريق الآخر، وبأن لايشترك مع دولة أو دول أخرى فى اتفاق أو فى محالفة سياسية قائمة على معاداة الفريق الآخر، وبأن لايشترك مع دولة أو دول فى أى اتفاق أو تحالف يمس أمن الفريق الآخر البحرى والبرى العسكريين، وأن لايشترك مع دولة أو دول فى أى حركة عدائية ضد الفريق الآخر.

ومدة هذا الميثاق ثلاث سنوات، ويمتد بنفسه لسنة إذا لم يعلن انتهاؤه مقدماً، وله ثلاثة ملاحق خلاصة الأول أن كل فريق من الفريقين المتعاقدين يحتفظ بحريته التامة فى إنشاء صلات سياسية من كل نوع مع الدول فى دائرة الشؤون التى لم ينص عليها فى هذا الميثاق.

وخلاصة الثانى أن كلمة «سياسية» الواردة فى المادة السابقة تشمل جميع الاتفاقات المالية والاقتصادية التى يقع فيها عدوان على الفريق الآخر.

وتعهد الفريقان فى الثالث بأن يتفاوضا فى وضع القواعد التى يرجعان إليها لحل الاختلافات التى لاتحل بالطرق السياسية العادية.

علاقاتها مع إيطاليا ـ ظلت العلاقات السياسية مضطربة بين تركيا وإيطاليا حتى يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٢٨ ففيه عقدت بين الفريقين فى رومية المعاهدة الآتية :

المادة الأولى ـ تتعهد الدولتان المتعاقدتان بأن لاتدخل إحداهما فى أى اتفاق سياسى أو اقتصادى أو تحالف موجه ضد الدولة الأخرى.

المادة الثانية ـ إذا استهدفت إحدى الدولتين المتعاقدتين لاعتداء دولة أو دول ـ رغم خطتها السلمية ـ فالدولة الأخرى تلزم جانب الحياد التام مدة الحرب.

المادة الثالثة - يلجأ الفريقان المتعاقدان إلى الوسائل السلمية لحل كل خلاف قد يقع بينهما فى المستقبل من أى نوع كان. فإذا لم تنجح هذه الوسائل وجب الالتجاء إلى الوسائل القضائية.

المادة الرابعة - يعرض كل خلاف ينشأ عن تطبيق هذه المعاهدة على محكمة لاهاى الدولية.

ومدة هذه المعاهدة خمس سنوات، وإذا لم تعرب إحدى الدولتين عن رغبتها فى إلغائها قبل انتهاء هذه المدة بستة أشهر يسرى مفعولها خمس سنوات أخرى.

وهى طويلة ولها ملحقان يختصان بأصول التحكيم وطرقه وأساليبه.

علاقاتها مع اليونان - تحسنت العلاقات بين تركيا واليونان تحسناً كبيراً، وتحول ذاك العداء إلى صداقة وطيدة بفضل إخلاص رجالهما وبعد نظرهم. وفى يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٩٣٣ وقع فى انقرة على ميثاق ضمان ومودة بينهما فى خمس مواد نص على ضمان سلامة حدودهما واتباعهما خطة مشتركة إزاء السياسة الدولية حتى أن فى إمكانهما تعيين ممثل واحد لهما فى المؤتمرات الدولية.

ومدة هذه الميثاق عشر سنوات، وهو قابل التجديد لمدة عشر سنوات أخرى. إلا إذا كانت إحدى الدولتين تبلغ الدولة الأخرى عزمها على إلغائه قبل مضى المدة المعينة له بسنة واحدة.

تلك هى المعاهدات الخطيرة التى عقدتها مع الدول الأوربية، ونلحقها بالمعاهدات التى عقدتها مع الدول الشرقية.

معاهدتها مع أفغانستان - كانت أفغانستان أول دولة شرقية تعاقدت مع حكومة تركيا فى عهدها الجديد. فقد عقدت بينهما فى موسكو يوم أول مارس سنة ١٩٢١ معاهدة هذه مقدمتها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولتان العليتان. تركيا وأفغانستان مرتبتطان أرتباطاً خالصاً قلبياً، شاعرتان بأمل ومقصد مقدسين، مالكتان لمنافع مشتركة عالية مادية وأدبية، مقتنعتان بأنهما شريكتان فى السراء والضراء، معتقدتان بأنهما لايمكنهما أن تعيشا على انفراد وبلا ارتباط فى هذا الوقت الذى يريان فيه على حمد وشكر وانتباه العالم الشرقى وسعيه للخلاص، شاهدتان أنه لايصيب إحداهما سوء أو أذى إلا وتتألم منه الأخرى، ولذلك قررت هاتان الدولتان والأمتان المتآخيتان أن تنقلا ما بينهما من الاتحاد المعنوى والاتفاق الطبيعى المستمد من غابر الزمان إلى الساحة السياسية، وأن تفرغاه فى قالب اتفاق مادى رسمى، وأن تعقدا معاهدة تكون مقدمة خير للمستقبل السعيد الذى ينتظره الشرق، وقد عينت الحكومة التركية لتحقيق هذا المقصد أحد أعضائها ووزير اقتصادها يوسف كمال بك، ووزير معارفها الدكتور رضا نور بك. كما عينت الحكومة الأفغانية سفيرها ومندوبها الجنرال محمد ولى خان وقد تقبلوا المواد الآتية :

ويلى ذلك المعاهدة. وهى فى عشر مواد. وقد جاء فى المادة الأولى منها: «الدولة التركية التى تعيش مستقلة إلى ما شاء الله ترى فرضاً عليها أن تعترف بكامل استقلال الدولة العلية الأفغانية المرتبطة معها بأخلص رابطة وجدانية» وجاء فى المادة الثانية: «الطرفان العاليان المتعاقدان يعترفان باستقلال الأمم الشرقية جميعها وحريتها، وبان لكل أمة منها أن تختار لنفسها أى إدارة تختارها لبلادها كما تصادقان على استقلال بخارى وخيوى». وجاء فى المادة الرابعة: «يقبل الطرفان المتعاقدان أن يعتبر كل منهما أى اعتداء على الآخر من طرف أى دولة إستعمارية تريد الاستيلاء على الشرق كأنما قد وقع على نفسه، ويتعهد بدفع ذلك الاعتداء بجميع الوسائط الممكنة». وجاء فى المادة العاشرة «تتعهد تركيا بمساعدة الأفغان وإرسال الضباط والمعلمين وإبقائهم خمس سنوات، وإرسال هيئة معلمين آخرين إذا طلبت ذلك مرة أخرى».

ولما زار أمان الله خان أنقره فى شهر مايو سنة ١٩٢٨ خلال رحلته المعروفة وقع يوم ٢٢ منه ميثاق ضمان وهذا نصه :

١ ـ يتعهد الفريقان بموجب هذا الميثاق، ويمتد سنة أخرى من نفسه إذا لم يطلب أحد الفريقين فسخه قبل انتهاء مدته بسته أشهر بالمحافظة على السلم والصداقة الخالدة بين البلادين، وتكون مدته عشر سنوات.

٢ ـ إذا استهدف فريق من الفريقين المتعاقدين لحركة اعتداء من دولة أو دول يتعهد الفريق الآخر ببذل جميع المساعى لمنع هذا الاعتداء فإذا وقع فعلاً بقوات مسلحة تعهدت الحكومتان التركية والأفغانية ـ قبل البدء بالأعمال الحربية ـ أن تتداولاً معاً للوصول إلى قرار ينطبق على مصالحهما السامية المشتركة.

٣ ـ يتعهد كل فريق من الفريقين المتعاقدين بان لايعقد مع أى دولة أو دول أخرى اتفاقاً ودياً أو أى اتفاق سياسى أو عسكرى أو اقتصادى أو مالى يكون موجهاً ضد الفريق الآخر أو مضراً به، ويتعهد كل فريق كذلك بأن لايشترك فى أى حركة عدائية موجهة ضد سلامة الفريق الآخر من الوجهة العسكرية.

٤ ـ يسهل كل فريق أعمال الفريق الآخر وتقدمه وارتقاءه، ويبذل كل ما فى وسعه من المساعدة التى يحتاج إليها كل منهما.

٥ ـ تتعهد الحكومة التركية بأن تضع رهن إشارة الحكومة الأفغانية من تحتاج إليهم أفغانستان من ذوى الأخصاء فى الشؤون العسكرية والقضائية والعلمية.

٦ ـ يتمتع رعايا الفريقين المتعاقدين فى بلاد كل فريق منهما بجميع الامتيازات التى تتمتع بها رعايا الدول ذوات الحظوة. وتعقد بينهما فى المستقبل معاهدة لتنظيم العلاقات التجارية والتمثيل القنصلى والبريد وتبادل المجرمين.

٧ ـ يحتفظ كل فريق من الفريقين المتعاقدين بحريته المطلقة فى علاقاته مع الدول الأخرى إلا فى الشؤون التى استثنيت بموجب هذا الميثاق.

علاقاتها مع إيران - لم تنتظم العلاقات بين تركيا وإيران حتى سنة ١٩٢٦ بسبب الاختلاف على الحدود، ففى ٢٢ إبريل من تلك السنة عقدت بينهما معاهدة صداقة وولاء. ثم عادتا فعقدتا فى أنقره يوم ١٥ يونيو سنة ١٩٢٨ ميثاق عدم اعتداء يكون ملحقاً لمعاهدة سنة ١٩٢٦ وخلاصته أنه فى حالة استهداف إحدى الدولتين لعداء دولة أجنبية تبذل الدولة المتعاقدة جهدها للتوفيق وإصلاح ذات البين. فإذا فشلت فعلى الدولتين أن تعيدا النظر فى موقفهما، وكذلك يجب عليهما أن تعيدا النظر فى موقفهما السياسى من أونه إلى أخرى بقصد اتخاذ التدابير اللازمة لحماية مصالحهما.

وفى شهر نوفمبر سنة ١٩٣١ زار محمد على فروغى خان وزير الخارجية الإيرانية أنقرة فعقد مع تركيا معاهدة اقتصادية واتفاقاً لتبادل المجرمين.

علاقتها مع العراق - سبقت الحديث عن الملك فيصل والعراق.

علاقاتها مع الدولة السعودية - ودية، ولم تعقد معاهدات بينهما حتى الآن.

علاقاتها مع اليمن - ودية، ولم تعقد معاهدات بينهما حتى الآن.

إيران

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

المملكة الإيرانية من الممالك الإسلامية الكبرى فى آسيا الوسطى، ويطلق عليها الفرس لقب إمبراطورية، ويلقبون الشاه بالإمبراطور.

ويبلغ عدد سكانها بموجب إحصاء نشرته جمعية الأمم لسنة ١٩٣٣ عشرة ملايين و ٢٢ ألف نسمة، تسعة منهم شيعيون مسلمون، ومليون سنيون، وهنالك ٩٠ ألف أرمنى و ٤٠ ألف يهودى، ويقول أهل الخبرة من الفرس أن نفوس بلادهم لاتقل عن ١٤ ميلوناً، وليس هنالك أحصاء رسمى جديد يعول عليه.

ومساحتها السطحية ١,٦١٨,٨٨٨ كيلو متراً وعاصمتها طهران، ومن مدنها الشهيرة أصفهان وتبريز وشيراز وكرمنشاه ومشهد ورشت وقزوين.

ويحدها الروس وبحر قزوين والأفغان والهند وخليج فارس والعراق وتركيا وتعد من البلاد الزراعية والصناعية فقد اشتهرت بالسجاد الفاخر والمنسوجات البديعة والصناعات النفيسة التى تصنعها.

والحكومة الإيرانية مستقلة استقلالاً تاماً ناجزاً فى داخليتها وخارجيتها وليس لأى دولة أجنبية نفوذ فى بلادها. وقد كانت حتى قيام الشاه الجديد مشمولة بالنفوذين الروسى والإنكليزى. فقضى عليهما وأراحها من الامتيازات الأجنبية أيضاً، وهى أول حكومة إسلامية اشتركت فى جمعية الأمم.

ويبلغ عدد الجيش الفارسى فى الوقت الحاضر ٥٠ ألف جندى منظمين ومسلحين على الطراز الحديث، ونظام الخدمة العسكرية إجبارى عندهم.

ونظام الحكم فى إيران دستورى، ملكى، نيابى، ديمقراطى، مدنى. ويتبوأ عرشها جلالة الشاه رضا خان بهلوى مجدد شبابها. وهذا رسمه :



الملك الشاه رضا بهلوي (ملك إيران)

الشاه رضا خان بهلوي

ملك إيران

مولده ونشأته

هو رضا بن عباس على خان أحد ضباط الجيش الفارسى القدماء. ولد فى قرية الأشت من قرى سواه كوه فى ٢٤ اسفند سنة ١٢٥٦ هجرية شمسية (الموافق ١٠ شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٥ هجرية قمرية و ٥ مارس سنة ١٨٧٧م).

وكان أبوه حين ولادته حاكماً على سواد كوه وقائداً للقوة العسكرية فيها، وهى بلوك من الجند المتطوع فعلمه القراءة والكتابة، واستشهد فى حرب «هرات» بعدما أظهر كفاة وشجاعة وولده لايزال صغيراً فكفلته والدته وغرست فيه روح الميل إلى الجندية ليحل محل والده ويثأر له، وما كاد يبلغ أشده حتى انتظم فى سلكها، وذلك سنة ١٣٠٧هـ.ش برتبة جندى بسيط، وظل يترقى حتى وصل إلى درجة ضابط فى سواد كوه، وأبرز من الشجاعة والبسالة فى مطاردة اللصوص وقطاع الطريق والثأثرين مالفت إليه الأنظار فرفعت رتبته العسكرية، ونقل إلى منصب عسكرى فى طهران، ثم تحول إلى همدان فكر منشاه فبلاد مازندران الغربية، وهو فى خلال ذلك يعمل على توطيد الأمن والضرب على أيدى العصاه واللصوص. فطار صيته ولمع نجمه وزاد فى شهرته ما أظهره من جرأه وشجاعة فى معركة دارت بينه وبين العصاه فى نواحى كرمنشاه فقد فر جنده وضباطه حينما حمى وطيس القتال وبقى صامداً مع المدفعية وعدد قليل من الجند حتى هزم العصاه وكسرهم شر كسرة. فاستقدمته الحكومة على أثر ذلك إلى طهران وكافأته على ذلك بتعيينه قائداً للفرقة العسكرية المرابطة فى همدان، وذلك سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٦)م.

ولما بدأت الثورة فى روسية سنة ١٩١٧ وأسقط البلاشقة الجيش القيصرى

وأضطربت الحالة على الحدود الروسية ـ الفارسية عين قائداً لمنطقة الحدود فانصرف إلى توحيد القوى الإيرانية وتنظيمها وتنسيقها استعداداً للطوارئ والحوادث.

ودعى بعد ذلك إلى طهران. حيث عين قائداً لحاميتها، ولما نزل الروس يوم ٢٠ مايو سنة ١٩٢٠ على شواطئ بحر قزوين واستولوا على الموانئ والذخائر أرسل من طهران مع فرقته لطردهم ومقاومتهم ففاز بأمنيته، وتم له فى خلال هذه الحملة تنظيم فرقة القوزاق التى يقودها تنظيماً جديداً، واغتنم فرصة ضعف حكومة طهران وارتباكها فزحف على رأس فرقة من قزوين على طهران يوم (٣ حوت ١٢٩٩) ١٩٢١ فاحتل مكاتب الحكومة ودواوينها وأرغم الشاه على إسقاط الوزارة القائمة وتأليف وزارة جديدة برئاسة صديقه القديم السيد ضياء الدين الطباطبائى تقلد فيها وزارة الحربية، وكان برتبه أميرآلاى فى الجيش الفارسى.

وخطا الخطوة الثاتنية فى شهر أكتوبر سنة ١٩٢٣ إذ حمل الشاه أحمد خان القاجارى على أن يوليه رياسه الوزارة. فأصدر الشاه يوم ٢٨ من ذلك الشهر مرسوماً باسناد رياسة الوزارة إليه مع احتفاظه بمنصب وزارة الحربية ولقب بلقب سردارسبه وهوأعظم الألقاب العسكرية عند الفرس.

وبعد ذلك بأيام أوعز إلى الشاه بأن يغادر طهران فقصد باريس فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٣ بطريق سورية. ولم يعد الشاه بعد ذلك إلى بلاده بل مات بعد خلعه طريداً فى باريس سنة ١٩٣٠.

وكانت الخطوة الرابعة القرار الذى أصدره البرلمان الفارسى فى جلسته المعقودة يوم ٢١ اكتوبر سنة ١٩٢٥ (٩ ربيع الأول سنة ١٣٤٤) بخلع الأسرة القاجارية، وتعيين رضا خان بهلوى القائد العام للجيوش الإيرانية رئيساً مؤقتاً للحكومة الإيرانية ريثما تجتمع الجمعية الوطنية فتبت نهائياً فى شكل الحكم الجديد. وهذا نص القرار الصادر :

«لقد خلعت أسرة قاجار المالكة حباً بالمصلحة الوطنية العامة وتألفت حكومة وقتية فى دائرة القوانين الدستورية والأهلية عهد برئاستها إلى رضا خان كبير الوزراء وترك للجمعية الوطنية أن تقرر شكل الحكم الجديد الدائم».

وأطلقت المدافع فى طهران حينما أعلن هذا القرار أيذاناً بانتهاء الحكم القديم وبقيام الحكم الجديد، وأصدر رئيس الحكومة المؤقتة أمراً بإطلاق سراح جميع المعتلقين السياسيين، وبإعلان عفو عام عن جمع أفراد الأسرة المالكة السابقة. ونص أول مرسوم أصدره فى العهد الجديد على تخفيض ثمن الخبز فى جميع بلاد إيران على أن تسدى الحكومة نفسها مساعدة مالية إلى تجاره وبائعيه. كما أمر بإغلاق الحانات ومحلات الميسر، وأقيمت الاحتفالات فى إيران كلها مدة ثلاثة أيام ونصبت الزينات الفاخرة ابتهاجاً بالعهد الجديد.

وتناقلت الألسن أن النية متجهة إلى إنشاء جمهورية فى طهران ينتخب رضا خان رئيسالها. فقاوم المجتهدون - ولهم نفوذ كبير هنالك - هذه الفكرة وأبلغوا رضا خان أنهم لايعارضون فى اختياره ملكاً ويكونون أول من يبايعه، وإنما يعارضون فى إنشاء جمهورية وانتخابه رئيساً لها. لأن الجمهورية فى عرفهم مخالفة للشريعة الإسلامية فأذاع على الفور بياناً كذب فيه ميله إلى النظام الجمهورى.

وهذا نص المنشور الذى أذاعه على موظفى الدولة حين انتخابه رئيساً للحكومة المؤقته :

ليكون معلوماً لدى عموم موظفى الدولة من ملكيين وعسكريين داخل البلاد وخارجها على اختلاف وظائفهم ومراتهبم. كبيرة كانت أو صغيرة أنه لامعنى لوجود الأنظمة الإدارية والعسكرية إلا استتاب الأمن والسير على إسعاد الشعب ورفاهيته وترقية شؤونه، وليست الأنظمة موجودة للموظفين الذين لايعرفون معنى لها. فيجعلون من وظائفهم وسيلة لابتزاز أموال الشعب وإرهاقه. مرة باسم الدولة وأخرى باسم الوطن.

فليعلم عمال الدولة فى داخل البلاد وفى خارجها ويوقنوا بأن الظلم والاستبداد والإرهاق ليست كلمات مرادفة للكلمة الرعوية الإيرانية. كلا، بل إن كل فرد من أفراد الأمة الفارسية الذين يظلهم علم الأسد والشمس مصونون من جميع الاعتداءات على أموالهم وحرياتهم ومن اعتداء أى موظف كائناً من كان.

ولأهمية هذا الأمر الذى يجب أن يوضع موضع الاهتمام والجد لمحو الظلم والاعتداء أعلن الجميع أنه اعتباراً من هذا التاريخ يجب على كل فرد من أفراد الشعب أصابه إجحاف أو اعتدى عليه أو ظلم من أى موظف من موظفى الدولة عسكريين وملكيين علت مرتبتهم أم حقرت أن يقدم فى الحال شكوى بالبريد مبيناً فيها اسم الموظف ولقبه ووظيفته، ونوع الاعتداء وتاريخه وما أحدثه من أثر، وفى أى زمان ومكان، وأسماء الذين شهدوه وأن يوضع فى البريد باسمى رأساً من دون طابع حتى يأخذ العدل مجراه.

وتضع وزارة الداخلية صندوقاً بريدياً فى الأماكن البعيدة التى لاتوجد فيها أماكن للبريد يكتب عليه «صندوق الشكايات» وتكون المسافة بين كل صندوق وآخر فرسخين وذلك تسهيلاً للسكان القاطنين فى أماكن بعيدة، وتنتدب الوزارة أحد أهالى الجهة لفتح الصندوق مرة فى كل أسبوعين وإرسال مافيه إلىّ مباشرة بطريق البريد السريع وبدون أجر.

وعلى عموم موظفى البريد قبول هذه الرسائل وإرسالها إلىّ بعناية خاصة حتى يكون جميع الرعايا أحراراً فى إبداء تظلماتهم.

وعلى وزارتى الداخلية والبريد إفهام الناس الغرض من وضع الصناديق وإبلاغ الحكام والموظفين والعمد والمشايخ بأن كل من حال منهم دون وصول الشكاوى إلىّ بتهديد أو ترغيب فيكون عرضه للجزاء الصارم.

كل رعايا الدولة الإيرانية المقيمين فى أنحاء العالم داخلون فى نطاق هذا البلاغ ولهم حق الرعاية، وكل من يقع عليه منهم جور أو اعتداء من سفير أو قنصل أو

أى موظف كان من رجال السفارات أو القنصليات فليبادر برفع شكواه إلىّ تلغرافياً وبوضوح تام.

وفى الختام ألفت نظر الجمهور إلى هذه النقطة الخطيرة وهى : إن كل من قدم شكوى عارية عن الصحة، أو كانت لمجرد اتهام لأغراض شخصية، أو كان الغرض منها الحط من كرامة الموظفين يكون عرضه لأشد الجزاء. لأننى كما أبذل الجهد كل الجهد فى حفظ رفاهية الشعب وحقوقه من العبث ومن تعدى الموظفين. فإنى من جهة أخرى لا أفرط فى حفظ شرف الموظفين الأبرياء.

أصدرنا هذا ليعرف كل شخص الواجب عليه، وليعمل به دائرة القانون ليكون العدل أساس دولتنا. والعدل أساس الملك».

زواجه ـ تزوج مرتين: الأولى وهو شاب، والثانية بعدما تقلد رئاسة الوزارة فى سنة ١٩٢٣ فقد اقترن بإحدى الأميرات القاجاريات، ولما توج ملكاً على إيران منح زوجته الأولى لقب ملكه، وهى والدة ولى العهد، وتقيم الزوجتان سوية معه.

كيف يقضي يومه ؟

يقطن جلاله الشاه القصر الذى أنشأه حديثاً فى طهران، ويعد من أجل قصورها الجديدة، كما يعد قصر الكولستان (أى قصر الورد) - وقد كان قصر الملوك القاجاريين، وانتهى حكمهم بقيام الدولة البهلوية الجديدة - من أعظم قصور إيران القديمة، بل من أعظم قصور العالم.

ولا يزال الشاه متمسكاً بعاداته القديمة التى ألفها حينما كان جندياً فهو ينام باكراً وينهض باكراً، ومما يروى عنه، أنه يعتذر فى الحفلات الساهرة الرسمية التى تقام فى قصر الكولستان احتفالاً بملك أو تكريماً لقادم أو بمناسبة من المناسبات، عند الساعة العاشرة لضيوفة وينسحب إلى قصره لحلول موعد نومه ولأنه لم يعتد السهر أكثر من ذلك، وينيب عنه وزير البلاط أو أحد رجاله الآخرين فى رياسة الحفلة والعناية بالمدعوين.

ويستيقظ عادة فى الساعة الخامسة صباحاً فيستحم ويتزين ويلبس ثيابة ويتناول فطوره ثم يخرج إلى الجناح الخاص به فينظر فى الشؤون المعروضة عليه، أو يقصد المدرسة الحربية، وقد بناها على مقربة من قصره لتكون تحت إشرافه المباشر، وهو يزورها فى الليل والنهار والصباح والمساء، وقل أن يمضى يوم لايزرها فيه فهى تحت رقابته المباشرة، أو يقصد إلى أحدى الثكنات لمراقبة التعليم العسكرى فى الصباح وتفقد حالة الجند، كما كان يفعل وهو ضابط.

ويبدأ عند الساعة العاشرة باستقبال زواره ورجال دولته وكبار موظفيه، وينظر فى شؤون الدولة، ويظل فى ذلك حتى الساعة الواحدة فيعود إلى داخل القصر ويتغذى مع أعضاء أسرته.

وينام بعد الغذاء ولايغادر قصره فى المساء إلا ليذهب إلى المدرسة الحربية أو

ليتفقد الجند فى ثكناتهم، أو ليشهد حفله، أو لينظر فى عمل من الأعمال العامة. ويتعشى فى القصر.

هذا فى الشتاء أما فى الصيف فيقصد مع أسرته إلى مصيف شاميران الواقع على مقربة من طهران، والمواصلات بينهما بسكة الحديد، والمسافة سبعة كيلو مترات فقط. وقد أنشئت فى هذا المصيف الجميل قصور غناء جميلة يقصدها الكبراء والعظماء ورجال الدولة لقضاء الصيف.

علومه ـ لم يدخل فى صباه مدارس عالية كما تقدم، وإنما تدرج فى مراتب الجندية حتى بلغ أعلاها وأسماها، ويتكلم عدا لغته الفارسية، اللغة الروسية وقد تعلمها فى الجيش أيضاً واللغة التركية وهى لغة جانب غير قليل من التركمان النازلين فى مقاطعه أذربيجان، ويؤلفون نحو ربع سكان إيران ويفهم اللغه العربية ويصعب عليه النطق بها.

أوصافه ـ أول ما يخطر ببال من يرى جلالته للنظرة الأولى أنه من الدم التركى أو الكردى. فهو طويل القامة منتصبها عريض المنكبين، ولابدع فهو من (أقليم مازندران) وسكانه خليط من الفرس والكرد والتركمان، وتعلو وجهه سمات الهيبة والوقار، وتبدو عليه دلائل الجد والحزم والجرأة والإقدام، وهو قليل الكلام يعد كلماته قبل أن ينطق بها كما يحلق شعر رأسه بالماكينة كأحد أفراد الجند، ولايترك السبحة من يده ويقلبها من جهة إلى أخرى.

وهو يميل إلى البساطة فى جميع أموره وشؤونه، ولايزال حتى الآن يعيش فى قصره عيشه الجندية التى ألفها، عيشه التقشف والابتعاد عن كل مظهر، ولباسه العادى هو بذلة من الخاكى البسط التى يلبسها الضباط والجنود فى أعمالهم اليومية، ويلبس فى الحفلات الرسمية بذلة مشير فى الجيش الإيرانى ومتى انتهت الحفلة نزعها وعاد إلى بذلته الخاكية، وقل أن يلبس الملابس الملكية بل ندر أن شوهد فيها.

ولا أدل على ميله للبساطة وابتعاده عن المظاهر من إصداره الأوامر لحكومته بمنع إقامة أى احتفال بمناسبة حلول ذكرى تتويجه أو ميلاده، وبأن يقتصر على الحفلة الرسمية التى جرت العادة من القديم أن تقام فى إيران، ويسمونها عيد النيروز - أى عيد دخول فصل الربيع. وهذا هو العيد الرسمى الوحيد اليوم فى إيران.

ومن الأسرار الوحيدة التى يتحفظ بها ولا يطلع عليها أحداً من رجال دولته، عدد أفراد الجيش الفارسى بالضبط فلا يعرف ذلك سواه، فهو المضطلع بشؤون الجيش ومتوليها مباشرة.

أسفاره - لم تمكنه ظروفه الخاصة من مغادرة بلاده فى الصغر. كما أن ظروفه بعد اضطلاعه بعبء النهضة الجديدة لاتدع له وقتاً للسفر إلى البلاد الأجنبية رغم ما يشاع من وقت إلى آخر عن اعتزامه السفر إلى أوربا.

والمعروف عنه أنه زار روسيا فى صغره. كما زار العراق فى أواخر سنة ١٩٢٤ حينما كان قائداً عاماً للجيش الفارسى للإشراف على الحملة العسكرية التى أرسلت يومئذ لاحتلال إمارة المحمرة، وقد احتفت به الحكومة العراقية وأكرمت مثواه. وكذلك فهو يطوف أنحاء بلاده بلا انقطاع متفقداً أمورها باحثاً فى شؤونها.

وزاره فى عاصمته من ملوك الشرق أمان الله خان ملك الأفغان السابق حينما خرج فى رحلته الشهيرة سنة ١٩٢٧ وهى الرحلة التى أدت إلى ضياع عرشه وتاجه. كما زاره جلالة الملك فيصل ملك العراق فى شهر إبريل من شهور سنة ١٩٣٢ وحل ضيفاً عليه، وقد انتجت الرحلة الأخيرة أفضل النتائج لخيرى العراق وإيران. فازدادت علاقاتهما قوة وإحكاماً.

ويطوف الشاه طهران ويمشى فى أسواقها وحيداً لايصحبه جندى ولا شرطى. ويروى أهل طهران قصصاً عديدة عن جلالته تدل على صرامته وشدة

محافظته على النظام، فقد ذكروا أنه كان مرة يركب جواده فى طريقة إلى وزارة الحربية، وذلك قبل أن يتبوأ العرش فبصر برجل يسير فى الشارع بلباس النوم (البجاما) فترجل وناداه وسأله. لماذا يسير فى الشارع بلباس غرفة النوم فقال له إنه ذاهب من منزله القريب ليشترى حاجة ثم يعود بها فوراً. فقال له: ولكن الا تعلم أن هذا اللباس خاص بغرفة النوم وحدها، ثم صفعه صفعات قوية وتركه بعدما اشترط عليه أن لايعود لمثلها.

وكان مرة يركب سيارة فبلغت تقاطع إحدى الشوارع، وكان الشرطى قد عطل حركة المرور لعذر طارئ فوقف الشاه بمركبته ينتظر السماح ليمر وأمامه مركبة (أوتوبيس) أطلق سائقها «لزمارته» العنان احتجاجاً على الشرطى أو تنبيهاً له، ولما ضاق الشاه بزمارته ذرعا نزل من سيارته وقصده ليؤدبه بيده فلما رآه هذا قادماً نزل من الجهة الأخرى وترك السيارة وفر لايلوى على شئ.

وقل أن شوهد مبتسماً. ويرهبه رجاله ويعاملهم بالشدة الزائدة ولايتسامح معهم فى شئ من الأشياء، وهو يسير على النظام العسكرى فى كل عمل من أعماله.

صلاته ـ ويؤدى الصلاة فى أوقاتها، وهو مشهور بالتدين والابتعاد عن المسكر والتدخين وعن كل المحرمات والمعاصى.

المؤامرات لاغتياله ـ على الرغم مما أداه لبلاده من خدم عظيمة وإنقاذه لها من الفوضى والأضطراب فقد دبر أنصار القاجاريين بين ثورات ومؤامرات للقضاء على النظام الجديد وللفتك بجلالة الشاه. فلم يفوزوا بطائل بل أخمدت ثوراتهم واكتشفت مؤامراتهم وفتك برجالهم.

ولعل أعظم هذه المؤامرات شأناً تلك التى اكتشفت فى آخر لحظة ـ كما جاء فى بلاغ رسمى نشر يومئذ ـ وكانت الغاية منها اغتيال الشاه وولى العهد فقد قبض على بعض الذين دبروها، وهم الدكتور أمير خان من أطباء البوليس وأميرالاى

فولادين القائد القوزاقى والبكباشى روح الله خان، وقد قبض على هذا بينما كان فى اجتماع سرى، وشاع يومئذ أن فولادين وروح الله أعدما رمياً بالرصاص فى مركز القيادة العسكرية بأمر الشاه وذلك فى أواخر سبتمبر سنة ١٩٢٦.

واستهدف الشاه نفسه لمؤامرة أخرى عندما كان يطوف البلاد فى شهر أكتوبر من تلك السنة فقد قذفت عليه قنبلة لم تصبه بأذى بل إنفجرت بسيارة مدرعة كانت ترافق القوة التى تحرسه وقتل الذين كانوا فيها.

وأوقد سالار الدولة أصغر أنجال المرحوم الشاه مظفر الدين شاه، وعم الشاه أحمد القاجارى آخر الملوك القاجاريين - ثورة فى بلاد الكرد الإيرانية صيف سنة ١٩٢٦ بتأييد عشيرة أورمان، ويمت إليها بصلة النسب فأمه من أصل كردى فسيرت عليه الحكومة قوات كبيرة لقيت عناء فى القضاء على ثورته.

وكذلك شقت حامية سلماس عصا الطاعة فى شهر يوليو سنة ١٩٢٦ وقتلت قائدها وزحفت على طهران لاحتلالها فأدبت.

وبفضل ما أظهره الشا من حزم وعزم قضى على تلك الثورات والفتن، ونكل بأنصارها ودعاتها. ولم نعد نسمع بوقوع اضطراب فى السنوات الأخيرة. لأن الناس ألفوا النظام الجديد واطمأنوا إليه.

كيف أرتقي العرش ؟

فى صباح ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٥ اجتمعت فى دار مجلس الشورى الملى (مجلس النواب) الإيرانى فى طهران الجمعية التأسيسية الإيرانية وقررت بإجماع الآراء المناداة برضا خان شاهاً لإيران، مكافأة له على ما أبرزه من الكفاءة والإخلاص. على أن يظل الملك فى بيته يتوارثه أبناؤه.

وغادر قصره بمركبة خاصة، حينما أبلغ هذا القرار تحيط بها قلة من الفرسان ورجال الدولة وتتقدمه الموسيقى، وكان مرتدياً بذله عسكرية، قاصداً قصر كولستان، ولما بلغه قدموا إليه الأوسمة والنياشين التاريخية التى كانت للشاه المخلوع فتقلدها إلى جانب أوسمته ونياشينه، وحلى «القلبق» الذى يلبسه على رأسه بألماسه داريانوس الشهيرة.

وبعدما أستراح قليلاً ركب المركبة الملكية المذهبة فأقلته إلى دار المجلس النيابى بين الجنود المصطفة والجماهير المحتشدة على الأفاريز وفى نوافذ البيوت وعلى سطوحها وتبع مركبته سيارة جلس فيها ثلاث سيدات إيرانيات متحجبات.

ولما وصل اعتلى عرشاً نصب فى صدر قاعة المجلس الكبرى. فأحاط به رجال الدين والدنيا وألقى الخطاب الآتى :

«أقدر شعور شعبى العالى نحو شخصى، وأعتبر هذا الاجتماع عنواناً للإخلاص من شعبى المحبوب، كما أقدر قيمة إلقاء أزمة الأمور إلىّ وتوليتى هذا المنصب الجليل. وهذه أول فرصة يتيسر لى فيها أن أظهر مسرتى وامتنانى من أبناء الشعب الذين يقدرون مجهوداتى التى بذلتها فى ترقية شعبى.

وكما أنى لم أفرط يوماً ما فى حقوق الشعب فى الماضى. فسأجتهد لكيلاً أفرط بشئ فى المستقبل، وأحاول ما أستطعت مستمداً المعونة من الله عز وجل

على نيل المقصود لأصل بالدولة إلى المستوى اللائق بها. راجياً أن أوفق بمعونتكم إلى إسعاد البلاد ورفاهيتها، ولتحقيق هذه الغاية قررت لنفسى قانوناً أساسياً للسير عليه».

ثم نهض واقفاً ووضع يده على القرآن وأقسم القسم الآتى :

«أشهد الله تعالى وكتابه المجيد وكل مقرب إلى الله، وبحقهم أقسم أن أجعل نصب عينى حفظ استقلال إيران فى حدودها الطبيعية، وأن أحافظ على حقوق الأمة ودستورها، وأن أكون حارساً ساهراً على حقوق الأمة، وأن أحترم قوانين الدولة وأسير على منوالها، وأن أحافظ على الشعائر الدينية، وأن أحترم المذهب الاثنى عشرى، وأن أبذل جهدى فى المحافظة على جميع الشعائر الدينية التى أمر الله بها مستمداً المعونة من أرواح الشهداء الطيبين الطاهرين لكى أرفع شأن البلاد، وأصل بها إلى ذروة السعادة والرفاهية، والله على ما أقول شهيد».

وفى الغداة (١٦ ديسمبر) اجتمع بدار المجلس النيابى العلماء والنواب والوزراء والسفراء ورجال الدولة. فألقى معتمد بريطانيا باسمه وباسم زملائه السفراء والقناصل خطاباً هنأ فيه جلالة الشاه على ارتقائه العرش. متمنياً للأمة الفارسية فى عهده رقياً وتقدماً فرد عليه بالخطاب الآتى :

«إن التمنيات التى تفضلتم فأعربتم عنها بالأصالة عن أنفسكم وبالنيابة عن هيئة مندوبى الدول السياسيين بمناسبة جلوسى على عرش بلادى، لمن دواعى سرورى وابتهاجى فى هذا اليوم التاريخى الذى تحتفل فيه البلاد، وإن سرورى لعظيم بوجودكم.

وبقدر ما أظهرتموه من التمنيات الطيبة فإن نفسى مطمئنة لتحقيق مطالب الأمة الإيرانية التى أعربت عنها بلسان الجمعية التأسيسية، وهى المطالب التى تعبر عن آراء جديدة، وتنبئ بشروق شمس عصر جديد على هذه المملكة. أما تحملى تبعة هذا العبء الثقيل. عبء الإصلاحات والمهام اللازمة لهذه البلاد فإنى

على يقين من أن الدول العظمى المتحابة ستعاوننى على أداء هذه المهمة الخطيرة.

«إنى أؤيد فى هذا الموقف رغبتى فى حفظ الروابط الطيبة التى تربطنا بجميع الدول، وبالأخص الدول التى يمثلها المندوبون الحاضرون فى هذا الإجتماع، وأسأل الله عز وجل أن يساعدنى فى أداء ما عهد إلى، وأن يؤيدنى بعزه ونصره».

ولى عهده ـ وولى عهد المملكة الفارسية اليوم هو الأمير محمد على بهلوى خان، وهو فى التاسعة عشرة من عمره. وقد تعلم فى المدرسة الحربية بطهران وهو الآن فى سويسرا يطلب العلم ويدرس المدنية الأوربية عن كثب.

معاهدة

ظلت إيران حتى أوائل القرن الحاضر ميداناً للتنازع والتنافس بين الروس والإنكليز. أولئك من الشمال وهؤلاء من الجنوب، وكل منهم يطمع في الاستيلاء عليها واستصفائها، ولا يحجم عن إتيان أي عمل لتحقيق أمنيته.

ومالا إلى التفاهم حينما ضاقا ذرعاً بالتنافس. فعقدا معاهدة في شهر أغسطس سنة ١٩٠٧ قسماً بموجبها إيران إلى ثلاث مناطق :

أ ـ منطقة أصفهان والأزد، وقد دخلت تحت نفوذ الروس.

ب ـ منطقة سلسان ومكزان، وقد دخلت تحت النفوذ البريطاني.

جـ ـ شقة حياد حرة بين المنطقتين تركت للحكومة الإيرانية، واعتبرت كحاجز بينهما، وتشمل طهران والبلاد المجاورة لها.

وشبت الحرب العظمى في سنة ١٩١٤ وكلتا الدولتين متمسكة بموقفها. عاملة على تعزيز نفوذها. فلزم الإيرانيون الحياد ولم يؤيدوا فريقاً من الفريقين اللذين اقتحموا الحدود الإيرانية على السواء وانتهكوا حرمة حياد حكومة طهران. فقد احتلت الجنود البريطانية ثغر بوشهر يوم ٨ أغسطس سنة ١٩١٥ وبعث الإنكليز قوة أخرى للمحافظة على ينابيع النفط في ميدان نفطون، وزحف الروس حتى اقتربوا من حدود العراق، وسير الترك والألمان الجنود فدخلت إيران واحتلت كرمنشاه وتقدمت إلى همذان يقودها رؤوف بك بطل حميدية، وقد أعلن أنه ذاهب إلى الهند بطريق الأفغان، وهكذا صارت إيران ميداناً فسيحاً يتطاحن فيه المتحاربون من دون أن تحرك ساكناً، على أن انتهاء تلك الحرب الضروس جعل الدول تسترد جندها الواحدة تلو الأخرى. ولاسيما الروس فقد ارتدوا عنها منذ سنة ١٩١٧ أي منذ ثورتهم المشهورة.

واغتنم الإنكليز الفرصة فعقدوا فى سنة ١٩١٩ معاهدة مع الحكومة الفارسية مثلهم فيها السربرسى كوكس المندوب البريطانى السامى فى خليج فارس، كما مثل حكومة طهران البرنس فيروز فرمان فرما، وهى تضع هذه البلاد تحت حماية إنكلترا. فقام الشعب الفارسى لهذه المعاهدة وقعد، وأسقط الحكومة التى عقدتها، وكان عقدها من جملة الوسائل التى هيأت سقوط حكومة القاجاريين. فقد اغتنم رضا خان فرصة نقمة الشعب على عاقدى تلك المعاهدة فاستولى على دوائر حكومة طهران، واضطر الشاه إلى تبديل تلك الوزارة وتعيين وزارة اختار هو رئيسها، ومن ذلك اليوم أصبح سيد إيران المطلق ودكتاتورها الحقيقى، ثم ارتقى العرش كما مر بك آنفا.

مشروعاته الإصلاحية والعمرانية

يمكن القول أن عهد الشاه رضا خان بهلوى هو خير عهد عمرانى عرفته إيران منذ قرون طويلة. فقد انصرف إلى إنهاض بلاده وترقيتها عمرانياً واقتصادياً فأدرك نجاحاً يذكر، ونحن نسجل هنا جانباً من هذه الأعمال الخالدة :

سكك الحديد ـ لم يكن فى إيران يوم تولى أمرها الشاه الجديد سكة حديد رغم اتساع مساحاتها وتعدد ولاياتها، ورغم انتشار هذه السكك فى أربعة أقطار المعمور وتنافس الحكومات فى إنشائها وإلا كثار منها.

ورأى الشاه أن منح امتيازات لشركات أجنبية بإنشاء هذه السكك لايحقق الغاية منها. وقد يؤدى إلى بسط نفوذ دولها السياسى والأدبى فصحت عزيمته على أن تتولى الحكومة إنشاءها بنفسها وبمواردها الخاصة فتكون ملكاً للبلاد تستعملها لحسابها وتجنى فوائدها، وقد تم له ما أراد. فأنشئ جانب كبير من هذه الخطوط وهم ماضون فى إنجاز الباقى.

أما الأموال التى أنفقوها على هذه المشروعات فهى من دخل ضريبة الشاى والسكر وقد احتكرتها الحكومة لحسابها وتنفق على سكك الحديد.

ويبدأ الخط الجديد من ميناء خور موسى على الخليج الفارسى بالقرب من المحمرة. فيمر بالأهواز وديزقول فحرجاد إلى بير الجريدى عاصمة لورستان ومنها يتجه إلى همذان فيخترق سهل مولاى الخصيب ويتجه من هذه إلى الشمال الشرقى فيصل إلى طهران العاصمة سالكا الطريق التى تسلكها القوافل. ومن طهران يتجه إلى بندرغازى على شاطئ بحر قزوين فيمر فى مقاطعة مازندران وبهذا يصل بين بحرى قزوين وخليج فارس شاقا بلاد إيران من الجنوب إلى الشمال، ويبلغ طول هذا الخط ٢٩٥٠ كيلو متراً وتقدر النفقات اللازمة له بـ ١٤٣ مليون طومان (١٠ ملايين جنيه تقريبا).

هذا هو المشروع العظيم الذى بدأوا بتحقيقه من يوم ١٦ أكتوبر سنة ١٩٢٧ فقد جاء فى بلاغ رسمى نشر يومئذ أن جلالة الشاه افتتح رسمياً أعمال سكة الحديد بأن ضرب بيده الفأس الأولى فى المكان الذى تقام عليه المحطة الكبرى فى طهران، وقد تم لهم حتى السنة الماضية انشاء ٤٤٣ كيلومتراً من الخطوط الجنوبية بين هرمز ـ الأهواز ـ شوسز ـ ديزقول، وتسيير القطارات بينها حاملة البضائع والركاب وسيحتفل بوصوله إلى طهران قريباً.

وكذلك تم إنشاء ١٨٠ كيلومتراً من الجهة الشمالية فوصل القطار القادم من شاطئ بحر قزوين إلى على إباد، وتبلغ المسافة بينهما ٣٨٠ كيلو متراً وتجاوزه والأعمال مستمرة بنشاط من الجانبين.

وكذلك فهناك سكة أخرى يعدون المعدات لإنشائها فتصل بعض المدن الفارسية بالخط الكبير وسيبدأون بها بعد الفراغ منه.

المصرف الوطنى الإيرانى ـ ولم يكن فى إيران حتى العهد الجديد بنك وطنى يساعد التجار وينمى اقتصاديات البلاد فسعى الشاه فأنشأ البنك البنك

الوطنى الإيرانى، وقد افتتحه يوم ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٨ فأسدى للبلاد خدماً جمة وأنشأ ٢٣ فرعاً له فى مدن إيران الأخرى.

إلغاء الامتيازات الأجنبية - ورثت إيران عن حكومة القاجاريين فيما ورثته الامتيازات الاجنبية، وأدرك الشاه ما لهذه الامتيازات من عظيم الضرر ببلاده وشعبه فأصدر أمراً بإلغائها وأبلغ الدول رسمياً هذا الإلغاء يوم ١٠ مايو سنة ١٩٢٧ على أن يبتدئ التنفيذ بعد سنة، ولئن اعترض بعضهم فلم يغن اعتراضه شيئاً. وهكذا تخلصت إيران بفضل الشاه وحزمه من هذه الامتيازات. وفضلاً عن ذلك فقد أبلغت وزارة الخارجية فى طهران سفارات الدول الأجنبية بأن جميع رسائلها إليها يجب أن تكتب باللغة الفارسية. وقالت إن كل رسالة من أى دولة كانت لاتكتب بها تعاد إلى مرسلها فوراً.

إلغاء الألقاب - إشتهرت إيران فى العهد الأخير بكثرة الألقاب وابتذالها فصار الدجال أو بائع الأدوية البسيطة يلقب بشمس الأطباء أو نصر الحكماء، وصار الجندى البسيط يلقب بصمام السلطنة أو عضد الدولة وقس على ذلك.

ولما تولى الأمر رضا شاه، ورأى ما عليه الألقاب من فوضى أمر بالغائها جملة وحتم على كل فرد أن يختار لنفسه اسم عائلته، وسبق الكل فاختار لنفسه لقب بهلوى فصار يعرف باسم رضا بهلوى.

البهلوية - وهو أول من ابتكر لباس الرأس الجديد ويسمونه «البهلوية» فقد كان الإيرانيون يلبسون على رؤوسهم أنواعاً مختلفة من الملابس فمنهم من يعتمر بالقلبق، ومنهم من يضع الطربوش أو العقال.

والبهلوية شبيهة : بـ «كاسكيت» وبعبارة أخرى هى القلبق الإيرانى القديم أضيفت إليه المقدمة التى توضع أمام «الكاسكيت» وكذلك فقد عمت الملابس الأفرنجية إيران.

الجيش - قلنا فى الفصل السابق إن رضا خان وجه عنايته منذ الساعة

الأولى إلى أصلاح الجيش وتنسيقه، وأنه ألغى نظام التطوع القديم وأخذ بنظام الخدمة الإلزاميه، فتسنى له إنشاء جيش منظم لايعرف سواه عدده الحقيقى، والمظنون أنه يتفاوت بين ٤٠ ـ ٥٠ألف جندى يقودهم ضباط مدربون.

والواقع أن لجلالته يعود الفضل فى حصول الجيش الإيرانى على ضباط أكفاء فقد جرى منذ تقلد وزارة الحربية فى سنة ١٩٢١ على إيفاد بعثات من الضباط إلى فرنسا وألمانيا وإنكلترا للتمرن فى جيوشها، ثم يعودون بعد إتمام دروسهم فيقلدون مناصب عسكرية. ولايدخل فى هذا الضباط الذين يتخرجون فى مدرسة طهران الحربية على أنهم أخذوا يرسلون بعضهم إلى أوربا للتمرن فى جيوشها.

ولايقل عدد الضباط الإيرانيين الذين تخرجوا فى مدارس أوربا عن بضع مئات، وهم عماد الجيش الحديث وقوامه.

ولايخفى أن إيران كانت حتى العهد القاجارى خاضعة لنظام إدارى يشبه نظام الإقطاع الذى كان معروفاً فى أوربا حتى الثورة الإفرنسية فكانت منقسمة إلى مقاطعات يسمونها (إيالات) يحكم كل إياله أمير مستقل (فرمان فرما) يدفع للحكومة المركزية جعلاً معيناً كل سنة، ويتمتع باستقلال تام فى داخليته فيضع الضرائب ويجبيها ويسن الأنظمة ويلغيها وغنى عن البيان أن إنشاء حكومة مركزية لايتفق ومصالح هؤلاء الذين اعتادوا الاستبداد والسيطرة، ولذلك قاوموا رضا خان فى أول الأمر أشد مقاومة وعملوا على إسقاطه. بيد أن تذرعه بالحزم والعزم، وإخلاص الجيش له جعله يتغلب على هؤلاء الواحد بعد الآخر ويقضى على امتيازاتهم وسلطانهم، وينشئ فى إيران حكومة مركزية قوية.

وفى إيران مصنع لصنع أسلحة الجيش ومعداته وهو مما أنشأه الشاه ويديره ضباط ألمان.

وكذلك تم له إنشاء أسطول من الطيارات يقوده ضباط إيرانيون تدربوا فى

أوربا، ولايقل عدد الطيارات فى إيران عن مائة طيارة، والهمة مبذولة لتعزيز القوة الجوية، وعندهم مدرسة للطيران تخرج فى كل دورة ٦٠ طالباً.

اسطول بحرى - لم يكن لإيران قبل النهضة الحاضرة أسطول بحرى يحمى شطوطها ويعزز مقامها ونفوذها. فاتجهت همة الشاه إلى إنشاء أسطول. ولإدراك هذه الغاية بدأ من سنة ١٩٢٦ يرسل بعثة من الطلاب إلى إيطاليا لتلقى العلوم البحرية استعداداً لإنشاء أسطول إيرانى. وبعد أن تخرج بعض هؤلاء وأثبتوا كفاءتهم ابتاعت الحكومة الإيرانية ثلاث نسافات من إيطاليا لتكون نواة للأسطول الجديد، وقد وصلت هذه النسافات فى شهر نوفمبر سنة ١٩٣٢ إلى الموانئ الإيرانية. فاستقبلت استقبالاً حافلاً وكان الشاه نفسه فى مقدمه المستقبلين.

مدرسة أبناء العشائر - بعد أن قضى جلالة الشاه على النظام الإقطاعى القديم ونزع سلاح القبائل التى ناصرت ذلك النظام وأيدته، رأى أن يستعين بالعلم فى محاربة الأمية وفى استمالة أبناء العشائر القوية. فصار يأتى كل سنة بعدد من أبنائها، وخصوصاً عشائر التركمان القوية فيدخلهم مدارس الحكومة فى العاصمة ليتعلموا ويتثقفوا. وأنشأ دارا خاصة بهم يأوون إليها، وهى معدة على أفضل منوال، والقصد من تعليم هؤلاء وإعدادهم أن يكونوا عوناً للحكومة فى إخضاع عشائرهم، وفى تحضيرها عندما تنتهى إليهم الزعامة فيها.

إلغاء امتياز دارسى - ربما كان حادث الغاء امتياز دارسى الإنكليزى من أعظم مفاخر العهد الحاضر فى إيران، وربما كان الفوز الذى أدركه جلالة الشاه من إلغاء هذا الإمتياز لايعادله فوز سياسى آخر ناله.

وبياناً لذلك نقول : إن حكومة الشاه ناصر الدين منحت المستر دارسى الاسترالى امتيازاً مدته ٦٠ سنة لاستخراج النفط من بلادها يوم ٢٨ مايو سنة

١٩٠١ مقابل شروط اتفق عليها، ولما تم لدارسى إيجاد المال اللازم أنشأ شركة باشرت استنباط النفط وأدركت نجاحاً عظيماً.

واستغلت هذه الشركة اضطراب الحالة الداخلية فى إيران وضعف نفوذ الحكومة فتملصت من معظم الشروط الواردة فى صك الامتياز. كما استقلت فى المناطق التى تستنبط النفط منها استقلالاً تاماً. فصارت حكومة داخل حكومة.

ولما قامت الحكومة الجديدة، ورأت أن حالة هذه الشركة مما لايطاق ولا يصبر عليه دعتها إلى الدخول فى مفاوضات لتعديل الامتياز تعديلاً يزيل الغبن اللاحق بإيران وينصفها، فماطلت الشركة وسوفت فصبرت عليها حتى يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٣٢ ففى ذاك اليوم أمر الشاه الوزراء حينما دخلوا عليه يعيدون فى عيد (صاحب الزمان) أن يعقدوا جلسة قصيرة، ويقرروا إلغاء امتياز دارسى فصدعوا بالأمر، وأرسل وزير المالية فى اليوم نفسه كتاباً إلى مدير الشركة يبلغه خبر الإلغاء رسمياً ويقول له: أن الحكومة مستعدة للدخول فى مفاوضات جديدة مع الشركة لمنحها امتيازاً جديداً إذا شاءت.

وقد كان لإلغاء الامتياز على هذا المنوال تأثير عظيم فى الشعب الفارسى. فأقام الزينات، وظل فى سرور وحبور مدة ثلاثة أيام، كما أنه من الجهة الأخرى أقام لندرة وأقعدها. فهددت صحفها إيران وتوعدتها وقيل إن الأمر صدر إلى بعض وحدات الأسطول الإنكليزى بالسفر إلى الموانئ الفارسية وقيل إن تأهبات جرت لحمل ايران على الرجوع عن قرارها. فلم يزدها ذلك إلا إصراراً. وأخيراً اقترحت إنكلترا أن يعرض الخلاف على جمعية الأمم للبت فيه باعتباره خلافاً بين دولتين من الدول الداخلة فى الجمعية (أى إنكلترا وإيران) فأبى الإيرانيون إقرار ذلك واقترحوا أن يعرض على محكمة العدل الدولية فى لاهاى باعتباره بين دولة وأحد الرعايا الأجانب الحائزين على امتياز فى بلادها، ولما عرض الخلاف على مجلس جمعية الأمم يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٣٣ دعا المجلس الفريقين إلى الدخول فى

مفاوضات لحل الخلاف ودياً، وأجل الفصل فيه ريثما تقترن هذه المفاوضات بنتيجة حاسمة.

وعلى أثر صدور هذا القرار ووثوق الشركة من ثبات إيران وحزمها وعزمها سافر مديرها (السرجون كادمن) إلى طهران فاجتمع مع ممثلى الحكومة الإيرانية، ووقع معهم يوم ٣ مايو سنة ١٩٣٣ اتفاقاً جديداً ضمن للحكومة الإيرانية مزايا عظيمة ونحن نوجز شروط الاتفاق الجديد مع مقابلتها بالشروط القديمة :

١ ـ دفعت الشركة للحكومة الإيرانية مليون جنيه مقابل المتأخر لها من الأرباح.

٢ ـ كانت الشركة تدفع للحكومة الإيرانية بموجب نظام الامتياز القديم ١٦ فى المائة من صافى أرباحها فصار عليها أن تدفع بموجب الاتفاق الجديد :

(أ) أربع شلنات عن كل طن صدر إلى الخارج ويصدر بعد الآن.

(ب) تتعهد الشركة بأن تضمن دخلاً لإيران من هذه الضريبة لايقل عن ٧٥٠ ألف جنيه سنوياً.

(ج) تدفع الشركة للحكومة ٢٠ فى المائة من صافى الأرباح السنوية. ابتداء من سنة ١٩٣٢ بعد خصم ٥ فى المائة تدفع للمساهمين وذلك طول مدة الامتياز.

(د) تدفع الشركة للحكومة ضريبة الدخل طول مدة الامتياز طبقاً للقوانين الفارسية، وما كان دخل الحكومة فى السابق من الشركة يزيد عن ٢٠٠ ألف جنيه ويقدر الآن بمليون ونصف مليون سنوياً.

٣ ـ أنقصت مساحة الأراضى التى يشملها الامتياز من ٥٠٠ ألف ميل مربع إلى ١٠٠ ألف ميل مربع، وللحكومة أن تتصرف فى الأراضى التى تركت لها.

٤ ـ اعترفت الشركة للحكومة بحق التفتيش المطلق ومراقبة أعمالها، وقبلت أن تعين الحكومة وكيلاً لها فى لندن تسهيلاً لمراقبة الأعمال، وما كان لذلك أثر فى

الامتياز القديم.

٥ ـ تعهدت الشركة بأن تخفض سعر الزيت الذى يباع فى إيران فيباع بأرخص تعريفة.

٦ ـ تعهدت الشركة بعدم استخدام أجانب فى أعمال الشركة إلا الفنيين.

٧ ـ تعهدت الشركة بأن تدفع نفقات بعثة ترسلها الحكومة الإيرانية إلى إنكلترا للتخصص فى فن النفط واستخراجه.

وعملا بهذا الاتفاق دفعت الشركة للحكومة فى شهر يوليو الماضى أربعة ملايين جنيه.

تيمورطاش والطباطبائى ـ لابد لنا من الإشارة ـ ونحن ندون أعمال جلالة الشاه العمرانية فى إيران ونسجل إصلاحاته ـ إلى حادثين لهما صلة وثيقة بتاريخه :

أما الحادث الأول فيختص بالسيد ضياء الدين الطباطبائى، ولايخفى أن رضا خان حمل الشاه أحمد قاجار حينما احتل طهران فى سنة ١٩٢١ على تأليف الوزارة برئاسة صديقة هذا فألفت كما أراد. ودخل هو وزيراً للحربية ـ وهى المرة الأولى التى استوزر فيها ـ وقد عمرت هذه الوزارة أربعة أشهر فقط، ثم أسقطها رضا خان وقامت مقامها وزارة أخرى أسقطها واحتفظ بوزارة الحربية فى الوزارتين كما احتفظ بها فى الوزارات التالية :

ولم تطل إقامة السيد الطباطبائى بعد ذلك فى إيران بل غادرها مكرها، فنزل فى سويسرا واختارها دار إقامة له وهو يتناول راتباً شهرياً من الحكومة الفارسية ولايسمح له بالرجوع إلى بلاد آبائه وأجداده.

أما الحادث الثانى فهو حادث عبدالمحسن خان تيمورطاش وزير البلاط البهلوى من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٣٢ ويد رضا خان اليمنى ومشيره الأكبر

وأحد الأفذاذ الذين ساعدوه فى تحقيق مشروعاته وبلوغه مابلغه، فقد فوجئ الناس فى شهر يناير من سنة ١٩٣٣ بخبر اعتزاله الحكم وهو فى إبان سطوته ومجده، ثم قيل لهم إنه قبع فى بيته فلا يخرج منه ولايسمح له بمغادرته ولا بالاجتماع إلى أحد، ثم قالوا إنه نقل إلى قصر القاجاريين القديم وقد اتخذه الشاه الجديد سجناً لرجال السياسة الممتازين. ثم أعلن رسمياً أنه قدم إلى المحاكمة فوقف فى شهر مارس فى ساحة محكمة (عمال الدولة) ليجيب على التهم التى أتهم بها وهى الرشوة والاختلاس والاحتيال وبعد محاكمة قصيرة، وكانت سرية ظلت تفاصيلها مجهولة، أصدر القاضى قراره بسجنه ثلاث سنين حبساً بسيطاً مع تجريدة من جميع رتبه ومن الحقوق المدنية لأنه ارتشى بمبلغ مائتى ألف ريال وبإعادة هذا المبلغ، وكذلك أصدر قراراً أخر يسجنه سنتين أيضاً حبساً تأديبياً بتهمة الاحتيال والتلاعب، واسترداد ٣٨٥٠٢٠ طومانا حازها بالتلاعب والاحتيال.

وهكذا كانت خاتمة هذا الرجل الذى أدار دفة السياسة الإيرانية خلال سبع سنوات، وكان رسول الشاه فى المهمات العظمى إلى أوربا ودماغ إيران المفكر.

والواقع أن جلالة الشاه أقصى عن الحكم كبار رجال الدولة الفارسية الذين ظهروا فى العهد السابق واشتغلوا فيه أو الذين ساعدوه فى أوائل عهده فلم يلمع نجم أحد، ولم يشتهر اسم رجل إلا وحفرت له حفرة. فالجنرال حبيب الله الشيبانى مدوخ الثورة القشقانية فى كرمان والجنرال الفولاذى الذى أبلى بلاء حسناً فى إخضاع الألوار وغيرهما أعدموا سراً كما أعدم غيرهم من رجال الجيش والدولة.

نشر العلم ـ أنشأ جلالته فى عاصمة بلاده مدرسة للحقوق وأخرى لتدريس العلوم السياسية إلى جانب المدرسة الحربية، يضاف إلى هذا اهتمامه الزائد بنشر التعليم الابتدائى والثانوى وتأسيسه لذلك المدارس فى جميع أنحاء البلاد لتهذيب الشعب وتثقيفه. كما عنى عناية عظيمة بالشؤون الاقتصادية والصناعية فارتقت البلاد من هذه الناحية ارتقاء مشهوداً.

نظام الحكم في إيران

انصرف الملوك القاجاريون فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر إلى اللهو والقصف مهملين مصالح البلاد فاتحين أبوابها للأجانب، يهبونهم الامتيازات الاقتصادية والسياسية بدون حساب، فساء ذلك عقلاء الشعب وقادته فعملوا للإصلاح، ولما عجزوا نادوا بالثورة توصلاً لإنشاء حكومة دستورية تقيد سلطة الشاه وتضع حداً لتصرفاته السيئة، وكانت ثورتهم أول ثورة على النظام الاستبدادى فى الشرق فوقعت بينهم وجند الحكومة فى أسواق طهران وفى المسجد الجامع معارك شديدة سقط فيها بعض زعمائهم صرعى، وأخيراً لجأ عدد كبير من أنصار الحركة الدستورية إلى دار السفارة البريطانية. قيل إن عددهم بلغ اثنى عشر ألفاً، ولم يغادرها إلا بعد ما أعلن الشاه مظفر الدين ابن الشاه ناصر الدين الدستور يوم ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٣٢٤ (١٩٠٦) وأقال الحكومة القديمة وقلد الحكم زعماء الثورة، ومن ذلك اليوم دخلت إيران فى عداد الدول الدستورية.

وفى ١٧ شعبان من تلك السنة اجتمع أول برلمان إيرانى فى مدرسة دار الفنون فاقر النظام الأساسى (الدستور).

وحاول الشاه محمد على خان سنة ١٩٠٩ الغاء النظام الجديد والرجوع بالبلاد إلى النظام الاستبدادى القديم فلقى مقاومة شديدة وانتهى الأمر بخلعه وإخراجه فلجأ إلى روسيا ثم إلى تركيا، وخلفه ابنه أحمد خان، وكان صغيراً، وفى زمنه ظهر رضا خان وقبض على زمام السلطنة. ثم أشار له بمغادرة إيران فغادرها فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٣ إلى باريس ومات هنالك.

ولاتزال إيران من الوجهة النظرية تحكم حكماً دستورياً نيابياً، ديمقراطياً فهنالك مجلس النواب، ويسمونه (مجلس الشورى الملى الإيرانى) يجتمع فى

دورات منظمة ويتناقش فى المشروعات والقوانين ويصدقها. أما الحقيقة فهى أن الشاه يحكم البلاد حكماً دكتاتورياً عسكرياً وإرادته هى العليا، وهى مصدر كل سلطة فى الدولة.

علاقاتها السياسية والدولية

علاقاتها مع روسيا ـ كان أول فوز سياسى نالته إيران على يد رضا خان بهلوى هو المعاهدة التى عقدتها مع روسيا فى موسكو يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩٢١ فقد تنازل الروس بهذه المعاهدة عن جميع امتيازاتهم القديمة فى بلاد الفرس وعن امتياز البنك الإمبراطورى، واعترفوا باستقلال ايران التام وألغوا جميع المعاهدات القديمة ونزلوا عن كل دعوى لهم فى منطقة النفوذ.

وفى يوم أول أكتوبر سنة ١٩٢٧ وقعت معاهدة حياد وتحالف دفاعى بين فارس وروسيا فى موسكو. تتألف من ٨ مواد وبروتوكولين. تعهدت فيها هاتان الحكومتان بالمقابلة باجتناب كل اعتداء أو غارة على الحدود والامتناع عن عقد أى تحالف مع أى دولة أجنبية ضد الأخرى، والتزام جانب الحياد فى حالة اعتداء دولة أخرى.

وجاء فى البروتوكولين أن التعهدات التى تتعهد بها حكومة فارس بموجب هذه المعاهدة لاتناقض تعهداتها بصفتها عضواً فى جمعية الأمم.

علاقاتها مع الإنكليز ـ مابرحت العلاقات السياسية بين إنكلترا وإيران منذ رفض البرلمان الفارسى معاهدة الحماية فى سنة ١٩٢٠ وأبى اقرارها، عرضة للطوارئ المختلفة، ولقد سعى الإنكليز كثيراً فى خلال هذه المدة لتنظيم علاقاتهم بإيران فلم يوفقوا، ولاتزال الحالة معلقة بينهما.

علاقاتها مع الأفغان ـ عقدت اول معاهدة فى العهد الجديد بين إيران وأفغانستان يوم ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٣ وهى مصدرة بكلمة التوحيد «لا أله إلا الله محمد رسول الله» وبقوله تعالى «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا». وتليها مقدمة تنص على أن المعاهدة عقدت تحكيماً للجامعة الإسلامية والروابط العنصرية وروابط الجيرة والود، وأن أمير الأفغان عين السردار عبدالعزيز خان من قبله. كما عين جلالة الشاه ناظر خارجيته حسن محتشم السلطنة.

وتنص المادة الأولى على إنشاء روابط صداقة وود وعلاقات حسنة بين حكومتى إيران وأفغانستان وبين شعبيهما، وتنص المواد الأخرى على تبادل السفراء والمعتمدين واحترام رعايا الفريقين فى بلاديهما، وتبعية كل منهما لقوانين المملكة التى يقيمون فيها، واعفائهما من الخدمات النظامية، وتبادل المجرمين الذين يفرون إلى بلاد أحد الطرفين باستثناء المجرمين السياسيين، وتحكيم العلاقات الودية والروابط التجارية بتنفيذ العهود والمقررات الخاصة بهما، ووجوب اجتناب أحد الفريقين تسهيل أسباب انتصار دولة ثالثة محاربة لأحدهما بالتزام قوانين الحياد، وحل كل ما يقع من الخلاف طبقاً لقواعد الحقوق الدولية.

ولما زار أمان الله خان طهران فى شهر يونيو سنة ١٩٢٨ قادماً من الآستانة عقد مع حكومة طهران ميثاق ضمان وعدم اعتداء كالميثاق الذى عقده مع الترك فاكتفينا بالإشارة إليه هنا.

علاقاتها مع تركيا ـ سبقت الإشارة إليها.

علاقاتها مع العراق ـ سبقت الإشارة إليها

علاقاتها مع مصر ـ سبقت الإشارة إليها.

علاقاتها مع البلاد العربية ـ ودية ولم تنظم حتى الآن.

أفغانستان

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

أفغانستان هى إحدى الحكومات الإسلامية الكبرى فى آسيا الوسطى وهى تتمتع باستقلال تام ناجز.

ويحدها من الشمال الفرس، ومن الشرق بخارى، ومن الغرب والجنوب الهند وتبلغ مساحتها السطحية ٥٥٨ ألف كيلو متر مربع. ويبلغ عدد سكانها كما جاء فى أحصاء افغانى رسمى نشر سنة ١٩٣٢ أثنى عشر مليونا. يضاف إليهم ستة ملايين أفغانيين يقيمون فى الهند، وجميعهم مسلمون سنيون يتدينون على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان، ولايستثنى منهم سوى أقلية صغيرة تتعبد على مذهب الإمام الشافعى ومذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولا يوجد فيها مسيحيون وانما هنالك نحو ٣٠٠٠يهودى تقطن أكثريتهم هرات.

وعاصمتها كابول، ومن أعظم مدنها هرات وقندهار وجلال أباد.

وأفغانستان بلاد جبلية، وسكانها أشداء متمسكون بدينهم وقوميتهم معتصمون بجبالهم وصياصيهم لم يعرفوا الخضوع للأجانب ولم يعتادوا عليه.

واللغه التى يتكلمها الأفغانيون هى «بشتو» مشتقة من الآرية القديمة ويتكلم أهل الشمال لغة الجغطاى «التركية القديمة».

واللغه الفارسية أيضاً منتشرة فى أفغانستان وهى لغة الحكومة والدواوين والأدب، وكذلك فهنالك كثيرون - وخصوصاً العلماء يعرفون اللغه العربية - وهى لغة الدين.

ولأفغانستان جيش قوى منظم يعتمد عليه، ويبلغ عدده فى زمن السلم نحو ٥٠ ألفاً من المشاه ونحو ٢٠ ألفاً من الفرسان ولديه مدفعية قوية.

وأفغانستان بلاد زراعية لاتزال تسير فى أعمالها على النظم القديمة، وحالتها الاقتصادية والتجارية متأخرة بالنسبة للبلاد الأخرى.

والشريعة الإسلامية هى دستور الحكم فى بلاد الأفغان وملكها اليوم هو جلالة الشاه محمد نادر خان بن يوسف. وهذا رسمه :



الملك الشاه محمد نادر خان (ملك أفغانستان)

الشاه محمد نادر خان

ملك أفغانستان

مولده ونشأته

هو محمد نادر بن محمد يوسف بن محمد يحيى بن سلطان أحمد بن بايندة محمد. ولد فى كابول يوم ٩ أبريل سنة ١٨٨٣.

وهو وأمان الله خان الملك السابق من عائلة واحدة، ويجتمعان فى الجد الرابع فأمان الله هو ابن حبيب الله بن عبدالرحمن بن محمد أفضل بن دوست محمد بن بايندة محمد.

درس القراءة والكتابة فى صغره على أساتذة ومؤدبين جئ له بهم. ولما بلغ العشرين من سنيه (سنة ١٩٠٣) دخل الجيش فى عهد المرحوم الأمير عبدالرحمن خان برتبة أميرالاى وبعد ذلك بسنتين - أى فى سنة ١٩٠٥ منح رتبة غند مشرى، وفى سنة ١٩٠٨ رقى إلى رتبة جنرال وفى سنة ١٩١١ رقى إلى رتبة نائب سالارى، ومنح نشان سردار وفى سنة ١٩١٣ عين وزيراً للحربية فى عهد الأمير حبيب الله، ومنح رتبة سبه سالارى، وعهد إليه فى تنظيم الجيش الأفغانى طبقاً للأصول الحديثة وتنسيقه وتدريبه.

واستبقاه أمان الله فى منصبه هذا حينما ولى الحكم سنة ١٩١٩ ولما أعلن الحرب على الإنكليز فى شهر مايو من تلك السنة عينه قائداً عاماً للجيش الزاحف على الهند (حرب الاستقلال) ففاز وانتصر واستقبل استقبال القادة العظماء حين رجوعه إلى كابول، وأمر أمان الله بإقامة أثر تذكارى لتلك الحرب فنصب فى إحدى ساحات كابول ونقش عليه بالفارسية ما ترجمته :

«أقيم هذا البناء تذكاراً لورود المجاهد الكبير، الوطنى الأوحد محب الأمة

حضرة محمد نادر خان سبه سالار، الباسل، الذى فازت الأمة الأفغانية باستقلالها وحريتها التامين على يده، واستردهما بقوة سيفه من الإنكليز فى سنة ١٢٩٨ شمسى هجرى».

وما كاد يستقر به المقام حتى أرسل إلى الانحاء الشرقية للنظر فى أمورها وفى سنة ١٩٢٠ عين رئيساً للجنة الإصلاحية المرسلة إلى قطغن وبدمشان فنظم الإدارة الملكية والشؤون العسكرية على أفضل منوال. وفى سنة ١٩٢٣ استقال من وزارة الحربية لخلافه مع أمان الله خان على السياسة الداخلية. وفى سنة ١٩٢٤ عين سفيراً لحكومته فى باريس. فسافر إليها، وفى يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٦ استعفى نهائياً من هذا المنصب وقصد إلى نيس (جنوب فرنسا) فأقام فيها مستشفياً حتى سنة ١٩٢٨ وغادرها حينما نشبت الثورة فى بلاده فقصد بمباى، ومنها جاء بيشاور، ومن هذه دخل الحدود الأفغانية، وبدأ العمل فوفق وفى يوم ١٦ أكتوبر سنة ١٩٢٩ نودى به ملكاً لافغانستان.

كيف يقضي يومه؟

ينهض فى الساعة الرابعة صباح كل يوم أو قبل ذلك. فيتوضأ ويصلى ويقرأ جزءاً من القرآن. ثم يتناول طعام الصباح وينظر فى شؤون الدولة.

وفى القصر الملكى فى كابول مؤذن خاص للأذان وإمام خاص لجامع القصر يؤدى الصلوات فى أوقاتها. فإذا أذن الظهر جاء الشاه إلى الجامع فأدى الصلاة وكثيراً ما يتولى الأمامة بدلاً من الإمام إذا غاب أو تأخر، فيصلى الحاضرون وراءه جماعة، وقل مثل ذلك عن بقية الفروض المكتوبة فهو يؤديها فى أوقاتها المقررة جماعة.

ويتناول طعام الغداء بعد صلاة الظهر فى قاعة المائدة، ويأكل الموجودون فى القصر على المائدة الملوكية، ويأكل معه أيضاً ثمانية من أفراد الجند يمثلون أحدى الأورط الأفغانية، وقد سار من عهد بيعته على هذه الخطة، وذلك أنه أصدر أمراً إلى وزارة الحربية بأن تنتدب كل يوم ثمانية من الجنود يمثلون أورطة لتناول طعام الغداء معه، وعملاً بأمره يصل هؤلاء ويختارون من الأورط بالمناوبة.

ويستريح بعد الطعام فى الجناح الخاص به فى القصر حتى أذان العصر فيؤدى المكتوبة جماعة، ثم ينظر فى مالديه من الأعمال حتى أذان المغرب فيصلى جماعة ويجلس مع زائريه حتى صلاة العشاء وينام بعدها.

ولاتفارقه سجادة الصلاة ولا المؤذن إذا خرج للنزهة فى الضاحية أو سافر إلى إحدى الجهات القريبة أو البعيدة. فإذا حل وقت الصلاة توقف إذا كان ماشياً أو وقفت السيارة إذا كان راكباً. فينزل ويتوضأ ويصلى ولا يؤخر أداء الفريضة دقيقة واحدة.

أسرته ـ تزوج وهو شاب بابنه عمه. فولدت له غلاماً ذكراً هو محمد ظاهر

خان سنة ١٩٠٤ وقد درس فى المدرسة الحربية فى كابول ثم لحق بوالده حينما كان سفيراً فى باريس. فدرس اللغة الفرنسوية والعلوم العصرية فى معاهدها، ويرجى أن يكون ولى عهد الدولة الأفغانية، وإن كان نظام ولاية العهد لم يقرر حتى الآن فى تلك البلاد.

ولم يتزوج محمد نادرخان زوجة أخرى، وعادة تعدد الزوجات غير معروفة كثيراً عند الأفغانيين.

ثروته ـ لايمك محمد نادر خان ثروة كبيرة، وهو يعول على راتبه الذى يتقاضاه من خزينة الدولة. وقد بنى فى الأرض التى ورثها عن والده مصحة للمسلولين، ووقف عليها أملاكه الخاصة لتظل أبوابها مفتتحة على الدوام.

علومه ـ يتكلم الفارسية والأفغانية، وقد تعلم الفرنسوية مدة إقامته فى فرنسا وهو يفهم العربية والإنكليزية، ويشارك فى بعض العلوم المعقولة والمنقولة. فضلاً عن تضلعه فى العلوم العسكرية وعلوم الشريعة، ويعد من كبار أبطال أفغانستان ومن فرسانها المغاوير.

أوصافه ـ هو طويل القامة، كبير الجثة، أسمراللون، ذو لحية كثة مستديرة، فصيح اللهجة، طلق اللسان، مهيب الطلعة، وقور.

أخلاقه ـ لين فى شدة، وتواضع فى حزم، وإقدام وجرأة وشجاعه. ألف خوض المعامع وركوب الأهوال، محبوب، ذكى، تقى، دين، اشتهر بالمحافظة على أحكام الدين، كريم وهاب، محب للعدل، لايفرق بين كبير وصغير فى الحق، ميال إلى الإصلاح، عامل على إدخاله تدريجاً إلى بلاده بما يتناسب مع أخلاقها وعاداتها.

مصيفه ـ أعتاد جلالته فى السنتين الأخيرتين أن يقضى فصل الصيف فى قرية باغمان على مقربه من كابول. فينتقل إليها من أول الموسم باسرته. أما الحكومة فتظل فى كابول تدير شؤون البلاد، ولم يؤذن لها بالنقلة كما كان الأمر فى العهد السابق اقتصاداً فى النفقات.

كيف أرتقي العرش؟

لما ثار بجه سقا على حكومة أمان الله خان فى أواخر سنة ١٩٢٨ كان محمد نادر خان فى جنوب فرنسا مع نجله، منصرفاً إلى العناية بصحته، وكان قد اعتزل السياسة واستقال من خدمة الحكومة لخلاف بينه وبين ابن عمه أمان الله. فقد كان يرى أنه تسرع كثيراً، وأن اصلاحاته لاتتفق وعادات البلاد وتقاليدها، فغادر نيس وجاء إلى بمباى ومنها إلى بشاور، وهو خالى الوفاض، بادى الانفاض، لايملك شيئاً من المال، فقدم له تاجر هندى مسلم عرف خبره ٥٠٠روبيه يستعين بها فى أموره، وهى كل ما كان يملكه من مال حينما نزل بلاد فوست من أفغانستان.

ومهد له سبل الفوز والنجاح، بالإضافة إلى شهرته الطائرة وصيته الذائع، إزماع أمان الله السفر إلى أوربا، على أثر تنازله عن العرش، حيث يعيش مرتاحاً مطمئناً يتمتع بما لديه من ثروة عظيمة، وانصراف بجة سقا أمير أفغانستان الجديد إلى السلب والنهب وإراقة الدماء، ونفرة الرأى العام من أعماله واتجاهه إلى المترجم له لأنه القادر على إنقاذ البلاد.

وتظاهر نادر خان بالميل إلى أمان الله فى ابتداء هذه الرحلة وقال لبعض الصحافيين الذين قابلوه إنه لايزال يدين له بالإخلاص، ويعمل لإعادته إلى العرش. ولما وصل أمان الله إلى الحدود أمر وكيله التجارى فى بشاور بأن يمده بالمال ليستعين به فى حركته الجديدة، وقد كان خالى اليدين منه كما رأينا وليستميل رجل القبائل، ورجال القبائل الأفغانية لاينقادون إلا لمن يكثرلهم العطاء ـ بعد أن يأخذ منه عهداً بأن يقدم العرش ـ إلى الملك أمان الله أو نجله رحمه الله أو أخيه.

وذلل مال أمان الله له الصعاب، وراض له الجامح من القبائل. فأقبلت عليه

وانقادت إليه، وفى مقدمتها قبائل الفريدى والمهمند والمسعودى والوزيرى، وهى أشجع القبائل الأفغانية وأكثرها نفراً وأعظمها قوة.

ورأى أن يستميل قبيلة غلزه، وهى من القبائل الكبرى أيضاً، وكانت تشد عضد بجه سقا وتؤيده دون القبائل الأخرى، فأرسل إليها ٩٠ سيدة من نساء قبيلته تحمل كل منهن مصحفاً. فقلن لشيوخها بلسان نادر خان «عار عليكم أن تخضعوا لرجل سافل مجهول النسب كان يعيش عيشة اللصوصية وتتخلوا عن نادر خان، وقد عرفتم مقامة وشجاعته وحسن بلائه فى الحرب الإنكليزية الأفغانية. يقول لكم نادر خان إننى أحبكم وأعدكم إخوانى وأثق بشهامتكم ومروءتكم، ولولا ذلك لما أرسلت اليك الحرائر من نساء قبيلتى، وأدعوكم إلى نصرتى فى جهادى لإنقاذ البلاد. وإذا كنتم لاتستطيعون ذلك فأطلب إليكم البقاء على الحياد على الأقل».

فكان لعمله هذا التأثير المطلوب فأقلعت قبائل غلزى عن تأييد بجه سقا ومساعدته ورفضت أن تمده بثلاثة آلاف جندى طلبها منها. فكان رفضها أول فوز مادى ناله نادرخان بعد حصوله على المال من أمان الله.

واتخذ نادر شاه بلده على خيل الواقعة قرب حدود الهند مقراً له وقد وافاه إليها أخواه شاه محمود خان وشاه ولى خان، وأخذ يعد المعدات لمنازلة بجه سقا، يساعده مسلمو الهند - وقد كبر عليهم أن يؤول أمر أفغانستان إلى ما آل إليه من التفرقة والشتات وأن يجلس على عرشها لص سفاك - ويؤيده عقلاء الأفغان وشيوخهم وكبارهم لثقتهم به، ولأنهم أدركوا أنه القادر على إنقاذ بلادهم، ويلتف حوله أنصار امان الله، وقد كانوا يعتقدون انه يعمل لمصلحة سيدهم. وهكذا بدأ يحشد القوى ويعد المعدات لضرب الضربة القاضية. وفى أواخر شهر سبتمبر من سنة ١٩٢٩ قرر الهجوم على كابول واحتلالها والقضاء على عهد ابن السقاء، وأعد لذلك ثلاثة جيوش قاد أحدها أخوه شاه ولى خان فزحف بطريق وادى

لوغر، وقاد الجيش الآخر أخوه شاه محمود خان وزحف بطريق تمرويز. وتولى بنفسه قيادة الجيش الثالث، وكان بمثابة احتياطى للجيشين اللذين تقدما للعمل وفى يوم ٩ أكتوبر دنا الجيشان من كابول من دون مقاومة تذكر، وفى الساعة الرابعة من صباح ١٤ منه دخلها جيش ولى شاه واختفى بجه سقا وتلاشت قواه، وسلمت المدينة للفاتح الجديد، ويجب أن لاننسى ما كان لأبناء كابول ـ أنصار الحركة الجديدة ـ من فضل فى تعجيل النصر فقد بثوا الاضطراب فى نفوس أنصار بجه سقا، وألقوا الخوف والذعر فى قلوبهم فلم يثبتوا ولم يقاوموا.

وتناقلت ألسنة البرق بشرى فوز نادر خان ودخوله كابول. فقال أمان الله ـ وكان فى رومية للصحافيين الذين جاءوه يسألونه رأيه ـ «لقد تلقيت الآن بشرى سقوط كابول، ولا إعلم إن كان نادر خان استولى عليها باسمه أو باسمى. لقد كان دائماً من أتباعى المخلصين، فليس لدى أى شك فى إخلاصه. ومع ذلك فيسرنى أن أكون وزيراً مفوضاً أعمل فى خدمته فى إحدى العواصم الأوربية».

وأسرع أمان الله فأرسل إلى نادر خان البرقية الآتية :

«أهنئك أنت وجميع الذين سجلوا أسماءهم فى التاريخ بإحرازكم هذا الانتصار الباهر».

اجتماع الجمعية الوطنية

وفى يوم ١٥ أكتوبر وصل نادرخان إلى كابول. فدخلها دخول الظافرين فاجتمع على الأثر عدد من رؤساء القبائل وكبارها النازلين فى العاصمة من المهمند والشنوارى وحيدران وسليمان خيل وخوغيانى وقندهارى بشكل جمعية وطنية فى ميدان العاصمة الأكبر، وبعد مابحثوا فى الحالة، وفيما يجب عمله

اختاروا نحو ٤٠ منهم ذهبوا فقابلوا نادر خان فسألوه: هل يوافق على إنشاء حكومة مركزية أم يفضل أن تستقل كل قبيلة فى بلادها فلا تكون لها صلة بحكومة كابول؟ فقال أنه يفضل الشق الأول ضنا بوحدة البلاد.

فقالوا له: إن كنت تريد ذلك فيجب قبل كل شئ أن تذكر بأن أمان الله خان أراد حكم البلاد بنظام أفرنجى ففرض ضرائب كثيرة على الأهلين، وأدخل نظام التجنيد الإلزامى، وأحدث أموراً كثيرة مانفعت البلاد شيئاً وإنما حرمته عرشه. نعم إنها درت أموالاً على خزينة كابول أنفقها الملك على السفارات الأفغانية فى العواصم الأوربية من دون أن تفيد البلاد فائدة تذكر. فإذا كنت تريد إنشاء حكومة مركزية فيجب عليك أن لاتقع فى ما وقعت فيه الحكومة السابقة. فالشعب الأفغانى لايريد أن ينهبه موظفو الحكومة المركزية.

فأجابهم إلى طلبهم ووعدهم بأن يسير فى السبيل الأقوم ولايقع فى ما وقع فيه سلفه. فبايعوه بالملك وأظهروا له الطاعة والانقياد.

أول بلاغ رسمى ـ وهذا نص البلاغ الرسمى الأول الذى أذاعته وزارة الخارجية الأفغانية يوم ١٦ أكوبر باللاسلكى على حكومات العالم بقيام العهد الجديد :

«إن الوزارة الأفغانية تتشرف بإعلامكم أن المرشال محمد نادر خان دخل العاصمة الأفغانية يوم ١٥ أكتوبر سنة ١٩٢٩ وقد اعترف نواب الشعب الموجودون فى العاصمة بإخلاصه العظيم لبلاده وخدماته الجليلة لها. فانتخبوه ملكاً وقدموا له الخضوع التام والطاعة الصادقة».

الحكومة الجديدة

وألف نادر شاه على الفور حكومة. فعين أخويه شاه ولى خان نائباً للملك وشاه محمود خان وزيرا للحربية.

جوابه لأمان الله ـ وبعد ما انتهت البيعة وجلس على الأريكة أرسل إلى أمان الله برقية جوابية قال فيها «قبلت العرش لأن الشعب الأفغانى أجبرنى على قبوله، وأؤكد لكم أننى باذل أقصى جهدى لتحقيق أمنيتكم، وهى ترقية البلاد وإيقاظها ولن أنسى والشعب الأفغانى جليل خدماتكم».

وكذلك فقد صرح لبعض مكاتبى الصحف الذين قابلوه فى كابول يومئذ بأنه لم يعد إلى أفغانستان ليجلس على العرش. بل لينقذ البلاد. وقال إنه يأمل أن يسير بها فى طريق التمدن، وهو ينوى أن ينشئ المدارس ويوسع نظام المعارف وينشئ سككاً حديدية ويعبد الطرق ويفتح المصانع.

وقال من حديث آخر : لست من أنصار بريطانية ولا من أنصار روسيا، وإنما أنا لأفغانستان، ولأفغانستان وحدها.

أول منشور للملك الجديد ـ وأول منشور إذاعة الملك الجديد نص على منع شرب الخمر وعقاب شاربها طبقاً لأحكام الشريعة. وقال إن كل موظف يوجد ثملاً يعزل ويعاقب، وذكر أن البلاد ستحكم بالشريعة الإسلامية طبقاً لمذهب الإمام أبى حنيفة النعمان.

معاهدة

فى ليلة ٢٠ فبراير سنة ١٩١٩ قتل الأمير حبيب الله خان (أمير أفغانستان) غيلة فى جلال أباد، فخلفه نجله الثالث أمان الله خان. فاستل سيفه يوم ٧ مايو من تلك السنة فى الميدان العام أمام جمهور من أقطاب الأمة وأعيانها، وأعلن أنه لا يعيده إلى قرابه حتى يعيد لبلاده استقلالها وسيادتها التامة، ثم أرسل على الفور إنذاراً إلى الحكومة البريطانية يطلب إلغاء معاهدة راوول بندى المعقودة مع جده الأمير عبدالرحمن سنة ١٨٨٣ وقد تنازل فيها عن سيادته الخارجية للإنكليز يمارسونها مقابل راتب سنوى قدره ١٨٥٠٠٠٠ روبية.

ولما رفض الإنكليز إجابته إلى طلبه أعلن الحرب عليهم، وأمر جيشه بقيادة السردار محمد نادر خان بمنازلتهم فوقعت معارك قصيرة انتهت بإجابة حكومة الهند الحكومة الأفغانية إلى مطلبها. فاجتمع مندوبو الفريقين فى راوول بندى يوم ٨ أغسطس سنة ١٩٢٠ ووقعوا المعاهدة الآتية :

١ ـ ينادى بالصلح بين الحكومة البريطانية والحكومة الأفغانية من تاريخ إمضاء هذه المعاهدة.

٢ ـ نظراً إلى الأحوال التى أدت إلى وقوع الحرب الحالية بين البريطانيين والأفغانيين تروم الحكومة البريطانية أن تعرب عن استيائها، وذلك بحرمان حكومة أفغانستان ما كان لأمرائها السابقين من مزية استيراد السلاح والذخيرة وسائر المهمات العسكرية بطريق الهند.

٣ ـ تحجز الحكومة البريطانية ما هو متأخر عند حكومة الهند من راتب أمير أفغانستان.

٤ ـ وفى الوقت عينه ترغب الحكومة البريطانية فى إعادة علاقات المودة القديمة بين الحكومتين، وتشترط لذلك أن تقدم الحكومة الأفغانية الضمان

وتقيم البينة على حسن نيتها وإخلاصها. وفى هذه الحالة تقبل الحكومة البريطانية أن ترسل إلى أفغانستان بعد ستة أشهر من تاريخ هذا العقد بعثة أخرى للبحث فى الأمور والمصالح المشتركة التى تهم الحكومتين والاتفاق عليها وتوطيد الصداقة القديمة على قواعد متينة. وتسلم حكومة أفغانستان بمقتضى هذا العقد بالحد الفاصل بين الهند وأفغانستان كما قبله الأمير المتوفى، وتقبل أن تتولى لجنة بريطانية تحديد حد خيبر الغربى الذى لم تعين تخومه قبلا حيث وقع الاعتداء الأخير من جانب الأفغان، وتقبل الحد الذى ترسمه اللجنة المذكورة، ويظل الجنود البريطانيون فى مواقعهم الحالية على الجانب الأفغانى من هذا الحد إلى أن يتم تعيين التخوم.

ومثل بريطانيا فى عقد المعاهدة السر هملتن غرنت، ومثل الأفغان السيد أحمد على.

المعاهدة الإنكليزية ـ الأفغانية الثانية

وعملاً بما جاء فى هذه المعاهدة اجتمع مندوبو الفريقين فى كابول ووقعوا يوم نوفمبر سنة ١٩٢١ على معاهدة صداقة وولاء بين إنكلترا وأفغانستان اعترفت فيها انكلترا بالاستقلال التام لأفغانستان، وتعهدت بأن توافق على مرور السلاح إليها بطريق الهند ما دامت متأكدة أن مقاصدها ودية، وأنه ليس هنالك خطر مباشر على الهند من هذا النقل.

المعاهدة الأفغانية ـ الروسية

واتجهت أنظار الأمير بعد ماتم له هذا الفوز فى السياسة الخارجية إلى تنظيم علاقاته مع دول الشرق والغرب. فعقد معاهدة مع روسيا السوفياتية يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٢١ وقد نصت المادة الأولى منها على اعتراف كل حكومة باستقلال الأخرى، والوعد باحترام استقلالها وبالارتباط معها بصلة منظمة، وقالت المادة الثانية إن كلا من الحكومتين المتعاقدتين تتعهد باجتناب عقد كل اتفاق سياسى أو عسكرى مع دولة أخرى يضر بمصلحة الفريق الثانى. ونصت المادة الثالثة على حقوق الممثلين السياسيين والقناصل والامتيازات التى يتمتعون بها بالمقابلة. وجاء فى المادة الرابعة أن حكومة الجمهورية الروسية تنشئ خمس قنصليات فى أفغانستان مقابل سبع قنصليات تنشئها هذه فى روسيا، ولايدخل فى ذلك القنصليات الخمس الواقعة على الحدود الروسية فى آسيا الوسطى. وجاء فى المادة السابعة أن الفريقين المتعاقدين متفقان على تحرير الشعوب الشرقية وأن مبدأ استقلالها يجب أن يكون أساس الرغبة العامة لكل شعب. وقالت المادة الثامنة إنه عملاً بالمادة السابعة فالفريقان المتعاقدان يعترفان باستقلال بخارى وخيوى مهما كان شكل حكومتيهما، طبقاً لرغبة شعبيهما، وألحقت بهذه المعاهدة مادة إضافية جاء فيها أن الحكومة الروسية تتعهد بأن تقدم للحكومة الأفغانية مليون روبل ذهباً أو فضة أو نحاساً سنوياً، وأن تنشئ خطاً تلغرافياً بين كوجول هرات، قندهار ـ كابول، وأن تضع روسيا تحت تصرف أفغانستان الرجال الفنيين والأخصائيين الذين تحتاج إليهم.

وانصرف أمان الله بعدما نظم علاقته السياسية على هذا المنوال مع الإنكليز والروس ـ جارى أفغانستان القويين ـ إلى الإصلاحات الداخلية، ثم خرج سائحاً مع زوجته وحاشيته فطاف عواصم دول الشرق والغرب، وزوجته سافرة تبدى زينتها مما كان له أسوأ وقع فى نفوس الشعب الأفغانى فنفر من الملك وخذله،

فاضطر إلى التنازل عن الملك ومغادرة البلاد فخلفه بجه سقا باسم حبيب الله خان ولم يطل به الأمر. بل سقط وهوى وأعدم رمياً بالرصاص يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٩ فى كابول، وخلفه محمد نادر شاه.

الإصلاح في عهده

كان أول ما عمله الشاه الجديد بعد البيعة إعادته وزارتى المعارف والحقانية إلى ما كانتا عليه فى عهد أمان الله، وقد ألغاهما بجه سقا، مكتفياً بإلغاء تعليم البنات مراعاة لتقاليد الشعب الأفغانى الذى يعارض فيه.

وأنشأ فى السنة الماضية، سنة ١٩٣٢ مدرسة للطب على أن تكون نواة للجامعة الأفغانية التى قرر إنشاءها تدريجاً فى بلاده، ويدير المدرسة الطبية طبيب تركى يساعده أساتذة من الألمان والترك.

وكذلك أنشأ مجمعاً أدبياً «انجمن أدبى» فى كابول، ولهذا المجمع مجلة أدبية اسمها «كابول» لنشر الثقافة والعلوم والأدب، وفى كابول أيضاً ثلاثة أندية جديدة: ناد للمعارف وآخر للخارجية وثالث للحربية. وفى جلال آباد مجمع أدبى.

وأنشأ فى كابول مدرسة داخلية لأبناء العشائر يتعلمون فيها ويتثقفون على نفقة الحكومة، والقصد من ذلك أن يكون خريجو هذه المدرسة واسطة لتهذيب عشائرهم وتحضيرها.

وأنشأ مدارس لتعليم اللغات وتدريس الأفغانية والفارسية والألمانية والفرنسوية والإنكليزية.

وأنشأ مدرسة للحفاظ فى كابول يستظهر طلابها القرآن الكريم، وفى أفغانستان اليوم ثلاث مدارس من هذا النوع: مدرسة كابول ومدرسة هرات وقندهار.

وكذلك أصلح المدرسة الحربية ونسقها ونظمها على أفضل القواعد الحديثة،

وقد باشروا بإنشاء بناء فخم لهذه المدرسة فى بالاحصار مكان المدرسة القديمة وقد دمرها الإنكليز خلال احتلالهم لتلك العاصمة فى القرن الماضى واشترطوا على الحكومة الأفغانية أن لاتعيد بناءها فظلت خربة حتى استردت أفغانستان استقلالها، وجاء نادر شاه يعيدها إلى أفضل مما كانت عليه.

وكذلك أسس لجنة لإصلاح الجيش والإشراف على شؤونه يسمونها «إصلاح وترقى عسكرى» وهى بمثابة مجلس عال للجيش الأفغانى تمد وزير الحربية بآرائها وخططها ومشروعاتها.

وأنشأ جمعية للعلماء تمثل جميع علماء أفغانستان، وهى ملحقة بوزارة العدلية، وفى مقدمة اختصاصاتها النظر فى مشروعات القوانين التى تضعها الوزارة من وجهة مطابقتها للشريعة الإسلامية.

وأنشأ أيضاً ديواناً خاصاً للنظر فى المنازعات التجارية طبقاً للأصول المتعارف عليها بين التجار.

وأنشأ أيضاً دارا للأيتام فى كابول تضم عدداً كبيراً من هؤلاء وتعنى بشؤونهم كما أدخل نظام الكشافة إلى المدارس الحكومية وبنى بيمارستانا للمجانين كما أنشأ فى هذه السنة مدرسة متوسطة فى جلال أباد، وهو عامل على نشر العلوم وتعميمها بهمة لاتعرف الملل والكلل.

الإصلاح الزراعى والصناعى ـ لما كانت أفغانستان بلاداً زراعية فقد وجه عنايته لإصلاح الزراعة وتحسينها بإنشاء الخزانات للرى فأنشأ أربعة خزانات. الأول فى غزنه ويروى ١٠٩٧٧ فداناً والثانى والثالث فى لوجر ويرويان ٣٩ ألف فدان، والرابع فى باغمان ويروى ٤٥ ألفاً من الأفدنة، وشق فى جلال أباد ترعة كبيرة تروى ١٠٨٠٠٠ فدان.

وأنشأ أيضاً مصنعاً لحفظ اللحوم والفواكة (كونسرفه) ومعملاً لصنع الأزرار وآخر لعصر الزيت، وغيره لصنع الصابون، وورشة ميكانيكية لإصلاح السيارات وترميمها ومعملاً لنسج المنسوجات الصوفية والفانيلات والجوارب (الكلسات) وغيره لخيوط القنب. كما أنشأ مصنعين للنجارة.

وأنشأ حديثاً شركة تجارية لتعاطى الشؤون المالية والتجارية باسم شركة الإسهام. على أن تكون نواة لبنك مالى يؤسس فى تلك البلاد المحرومة من البنوك المالية، وهو عامل ليل نهار على الإصلاح الزراعى والاقتصادى.

نظام الحكم في أفغانستان

ظلت أفغانستان حتى عهد أمان الله خان تحكم حكماً مطلقاً يستند إلى الشريعة الإسلامية، ويتولاه الأمير وينفذه على الطريقة التى يختارها. ففى سنة ١٩٢٤ وضع هذا الأمير قانوناً أساسياً (دستوراً) لبلاده يقع فى ٧٣ مادة جاء فى المادة الأولى منه «الدولة الأفغانية مستقلة فى إدارة أمورها الداخلية والخارجية، ويتألف من أجزائها كلٌ لايتجزأ خاضع لإرادة جلالة ملك الأفغان. وجاء فى المادة الثانية أن الدين الإسلامى هو الدين الرسمى فلاتعتبر الأديان الأخرى، وتحمى الحكومة الجماعات اليهودية والمجوسية التى تعيش فى البلاد مادامت تحافظ على النظام. وجاء فى المادة الرابعة. بما أن جلالة ملك الأفغان قد خدم بلاده خدماً عظيمة فالشعب الأفغانى يتعهد بنقل مقام السلطنة إلى نجل الملك الحالى ونجل نجله الخ وكلما تبوأ أحدهم عرش السلطنة يجتمع أشراف البلاد فيقسم أمامهم أنه يقوم بإدارة البلاد وفق هذا القانون فى دائرة الشريعة الأحمدية الغراء، ويحافظ على استقلال البلاد. وجاء فى المادة الخامسة أن ملك الأفغان هو حامى الدين الإسلامى. وجاء فى المادة السادسة أن هيئة الوزراء تدير البلاد ويكون كل وزير مسؤولاً أمام جلالة الملك الخ.

ولما سقطت الحكومة الأمانية على أثر ثورة بجه سقا ألغى هذا النظام فى جملة الأنظمة والقوانين والإصلاحات التى تمت فى ذلك العهد. على أن نادر شاه عاد فوضع فى سنة ١٩٣٠ دستوراً جديداً لأفغانستان يشبه من وجوه الدستور القديم، ومما نص عليه إنشاء برلمان يتألف من مجلسين، نواب: وعدد أعضائه ١١١ ينتخبهم الشعب، وشيوخ وعددهم ٤٠ ويختارهم الملك.

وكذلك نص الدستور الجديد على إنشاء رئاسة للحكومة، وقد كانت القاعدة المتبعة عندهم أن يرأس الشاه مجلس الوزراء بالذات ويسمون رئيس الوزراة صدراً أعظم، وهذا بيان بعدد الوزارات عندهم :

الداخلية والخارجية والمالية والحربية والتجارة والأشغال العامة والمعارف والحقانية.

والملك هو القائد العام للجيش وممثل الدولة الأعلى، وهو صاحب النفوذ المطلق فى شؤون الدولة، وهو مصدر كل سلطة، وهو حامى الدين الإسلامى والساهر على تنفيذ الشريعة الغراء.

علاقاتها السياسية والدولية

عرفت مما تقدم أن أفغانستان نظمت علاقتها مع الحكومتين الإنكليزية والروسية على أفضل منوال. فقد اعترفت كل واحدة منهما باستقلالها التام وتبادلت معها السفراء والقناصل.

وكذلك نظمت أفغانستان علاقاتها السياسية مع الدول الشرقية الأخرى على أفضل منوال وهذا بيان عنها : فارجع إليها فى موضعها من هذا الكتاب :

علاقتها مع مصر	سبقت الإشارة إليها
علاقتها مع العراق	سبقت الإشارة إليها
علاقتها مع المملكة العربية	سبقت الإشارة إليها
علاقتها مع تركيا	سبقت الإشارة إليها
علاقتها مع ايران	سبقت الإشارة إليها

وفضلاً عن ذلك فعلاقاتها السياسية مع دول أوربا الأخرى كالفرنسويين والألمان والطليان والولايات المتحدة واليابان على ما يرام، وقد تبادلت معها عقد المعاهدات السياسية.

الدول الإسلامية المحمية

الجزء الثانى

سورية

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها



محمد علي العابد (رئيس سوريا)

انفصلت سورية فى ختام الحرب العظمى عن الإمبراطورية التركية كما انفصلت بلاد العرب الأخرى، وأنشأت لها حكومة وطنية مستقلة مالبث الفرنسيون أن هاجموها وأسقطوها واحتلوا البلاد احتلالاً عسكرياً وبسطوا عليها حمايتهم. ثم عبثوا بوحدتها الجغرافية والسياسية والاقتصادية فجزءوها إلى خمس دويلات وفصلوا بعضها عن بعض وأقاموا بينها الحواجز وضربوا السدود وهذه أسماؤها :

دولة دمشق ويسمونها سورية، ودولة لبنان، ودولة جبل الدروز، ودولة العلويين ودولة إسكندرونة، ثم أنشاؤا من دولة دمشق جمهورية سموها الجمهورية السورية وأختاروا لها رئيساً مسلماً وهى التى نتكلم عنها هنا.

ومساحة أراضى هذه الجمهورية ١٢٧ ألف كيلو متر مربع وعدد سكانها نحو ١٥٠٠٠٠٠ نسمة معظمهم عرب وعاصمتها دمشق. وأشهر مدنها حلب وحمص وحماه ودير الزور والباب وأدلب وإسكندرونه وإنطاكية.

ويحدها الترك من الشمال، والعراق من الشرق، وشرقى الأردن من الجنوب، وفلسطين ولبنان من الغرب. وهى بلاد صناعية زراعية.

ورئيس الجمهورية السورية اليوم هو محمد على العابد وهذا رسمه :

محمد علي العابد

رئيس الجمهورية السورية

مولده ونشأته

ولد فى دمشق سنة ١٨٦٧ ووالده أحمد عزت باشا العابد السكرتير الثانى للسلطان عبدالحميد، ويتصل نسبه بعشيرة الموالى البدوية الضاربة فى صحراء الشام، ووالدته من آل المرادى.

نشأته ـ نشأ فى دمشق وتعلم القراءة والكتابة فى معاهدها الابتدائية ثم نقل إلى المدرسة الإعدادية فى بيروت فانتظم فى عداد طلبتها الداخليين، وبعد أن نال شهادتها انتقل إلى الآستانة لاحقاً بأسرته فدخل فى مدرسة غلطه سراى ثم أرسل إلى باريس فدخل مدرسة الحقوق ونال شهادتها النهائية (ليسانسيه) وعاد إلى الآستانة فعين فى قلم المستشار القضائى لوزارة الخارجية وجاء له والده بأحد الأساتذة يدرسه أصول الفقه الإسلامى بعدما درس الفقه الرومانى والتشريع الأوربى. وظل يتدرج فى مناصب وزارة الخارجية بفضل نفوذ والده وقربه من السلطان حتى عين فى سنة ١٩٠٨ وزيراً مفوضاً للدولة العثمانية فى واشنطن فقصدها مع زوجته وأولاده.

ولم تطل إقامته فى واشنطن بل أضطر أن يغادرها على أثر أعلان الدستور العثمانى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٠٨ وفرار والده من الآستانة بباخرة خاصة خوف فتك الشعب به، وشعر وهو فى واشنطن بما شعر به والده من الخوف فى الآستانة فغادرها سراً، وبدلاً من أن يقصد نيويورك ليبحر عائداً إلى أوربا قصد كاليفورنيا، ومنها ركب البحر متخفياً وانضم إلى والده وظلا يتنقلان مع أسرتيهما بين سويسرا وفرنسا وإنكلترا ومصر حتى وضعت الحرب العظمى أوزارها فقدما مصر وفيها توفى والده.

وسافر محمد على بك إلى دمشق فى صيف سنة ١٩٢٠ بعدما تم للفرنسويين الاستيلاء عليها، ولما أنشأ الجنرال غورو الاتحاد السورى فى سنة ١٩٢٢ عينه وزير مالية له فظل فى هذا المنصب نحو سنة ثم غادره لإلغائه.

وفى يوم ٣٠ أبريل سنة ١٩٣٢ أعلن انتخابه نائباً عن دمشق بصفته أحد مرشحى السلطة الفرنسوية، وفى يوم ١٤ يونيو من السنة نفسها انتخب رئيساً للجمهورية السورية بمساعدة الفرنسويين بعدما قطع لهم العهد بأن يكون طوع إشارتهم وأن ينفذ بلاقيد ولا شرط جميع أوامرهم. وإليك نص الخطبة التى خطبها على أثر انتخابه وقد أعدها له أحد الأدباء مقدماً.

سادتى :

أشكركم جزيل الشكر على هذه الثقة الغالية التى تكرمتم بها على، وأعاهدكم على العمل بكل قواى على تحقيق أمانينا القومية وإيصال بلادنا إلى ما تصبو إليه من مجد وسؤدد يتناسب مع ماضيها التاريخى المجيد. وسأكون كما عرفتمونى فى جميع الأدوار صديقاً للجميع وسأبذل جهدى للتوفيق بين الأحزاب والهيئات السياسية على اختلاقها لاعتقادى أن لاخلاف بينها فى الغالب، ولأن التعاون بين أبناء الوطن ضرورى فى هذا الدور الذى نفتتحه اليوم، وبكلمة مختصرة سأكون فوق الأحزاب والحزبيات واضعاً نفسى ومكرساً أوقاتى لخدمة وطنى المحبوب الذى تربطنى به أوثق الروابط وترقية مرافقة الاقتصادية وإنشاء المشروعات النافعة وتنمية موارد الثروة العامة وخدمة العلوم وترقيتها ونشر المعارف بالتعاون مع الدولة الفرنسوية النبيلة التى اعتقد أنها تقدم لنا مساعدتها الثمينة فى هذا الدور الخطير الذى نجتازه فى تأسيس دولتنا وإنشاء كياننا القومى ومن الله نستمد العون والتوفيق.

ثروته - يعد من أغنى الأغنياء فى ديار الشام وثروته النقدية تقدر بنصف مليون جنيه ومعظمها مما ورثه عن والده وقد جمعها إبان وجوده فى الآستانة

سكرتيراً للسلطان، وثروته العقارية لايستهان بها وهو من كبار المشتغلين بالبورصة والأوراق المالية على أن المحاكم الشرعية والأهلية والأجنبية فى مصر والشام وبيروت لاتزال منذ عشر سنوات تشتغل بفصل قضايا الأرث بينه وبين أخيه عبدالرحمن ـ وهو متجنس بالجنسية التركية ـ وبين أخته وقد تزوجت إنكليزياً، وبين أخته الثانية وهو ينكر نسبها.

علومه ـ يجيد عدا لغته العربية اللغتين التركية والفرنسوية إجادة تامة كأحد أبنائهما، وهو محيط بتاريخ الأدب الفرنسوى وبالعلوم الاقتصادية فلا يكاد يفوته الإطلاع على شئ يكتب فى هذه العلوم تقريباً. وكذلك فهو يفهم الإنكليزية والفارسية ويستطيع التفاهم بهما. وله ذاكرة قوية جداً ولايزال يردد على مسامع زائريه ما استظهره من الكتب فى خلال دراسته.

عائلته ـ تزوج وهو فى الثلاثين السيدة زهره هانم بنت محمد بك اليوسف من دمشق فولدت له أربعة أولاد : نصوح ومختار وشريفة وليلى. وقد درس الأول الحقوق فى فرنسا ولم ينل شهادة ولايزال الثانى يواصل الدرس فى إنكلترا.

كيف يقضي يومه ؟

ينزل مع عائلته فى قصر الجمهورية بدمشق وقد استأجرته له الحكومة وفرشته وفيه مكتبه الرسمى وفيه ينام ويأكل، ويستيقظ عادة فى الساعة السادسة، ولكنه لايغادر فراشه قبل الثامنة فيدخل الحمام ثم يوافيه المزين وبعد أن يتناول فطوره يبدأ بلبس ثيابه ولايخرج من «الحريم» قبل الساعة العاشرة والنصف فيجلس فى البهو الكبير ويبدأ باستقبال زائريه، ويظل على ذلك حتى الساعة الواحدة. فيتناول الطعام مع الحاضرين فى غرفة المائدة ثم يصعد إلى الطابق العلوى من القصر فيستريح حتى الساعة الخامسة فينهض ويرتدى ثيابة وينزل إلى البهو لاستقبال الزائرين ويظل على ذلك حتى الساعة الثامنة فيتعشى عشاء خفيفاً مع الموجودين فى القصر، ويفضل أكل الفاكهة فى المساء كما يكثر من أكل الثوم فى الظهر، لما يعتقده من فائدته الصحية، ويلجأ إلى مخدعه بين الساعة العاشرة والحادية عشرة مساء.

وقد يغادر قصره فى النهار فيقصد دار الحكومة فيدخل مكتبه الخاص ويستقبل من يكون هنالك من الزائرين أو يرأس جلسه مجلس الوزراء. وقد يخرج بعد الظهر للنزهة فى السيارة.

أوصافه ـ هو ربعه، ممتلئ الجسم، ذو لحية صغيرة أطلقلها على الطريقة الفرنسوية، واسع العينين، واسع الفم، مستطيل الوجه، منخفض الصوت فيه شئ من اللكنة.

أخلاقه ـ هو مهذب، متواضع، يحسن استقبال زائريه، ويقف على قدميه لكل داخل عليه، ويحرص على إرضاء قاصديه بأى طريقة كانت، وهو مشهور بالتقتير وكزازة اليد والاقتصاد الزائد.

على أنه من الجهة الأخرى يكثر من إقامة الولائم الفخمة فى قصره للموظفين

والضباط الفرنسويين. فيأكلون ويشربون الشمبانيا والنبيذ ويقدم بكثرة على مائدته.

راتبه - يبلغ راتبه الشهرى ١٥٠٠ ليرة سورية نحو ٣٠٠ جنيه مصرى.

كيف أعدت الثورة السورية؟

خلا الجو للفرنسويين فى سورية بعد معركة ميسلون فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٠ فدخلوا دمشق ودكوا عرشها وأقصوا عن البلاد ملكها الشرعى جلالة الملك فيصل، ثم أعلنوا الأحكام العرفية، ونفذوا فى ظل هذه الأحكام سياسة التجزئة القتالة فقسموا هذه البلاد الصغيرة إلى خمس دول مستقلة بعضها عن بعض.

ففى يوم أول سبتمبر سنة ١٩٢٠ وقف الجنرال غورو فى بيروت يعلن إنشاء دولة لبنان بحدوده الحاضرة وعين الكبتن ترابو حاكماً عاماً له [(١)] وفى ٨ منه أعلن إنشاء دولة العلويين فى اللاذقية، وفى ١٥ منه أعلن إنشاء دولة حلب. ثم أنشئت دولة دمشق وتشمل حمص وحماه وحوران فقط، ثم أنشئت حكومة سنجق اسكندرونة المستقل فقابل السوريون هذا العمل بالاحتجاج الشديد والاستنكار الزائد فعدله الجنرال غورو نفسه. فأعلن يوم ٢٨ يونيو سنة ١٩٢٢ انشاء اتحاد سورى يشمل دول دمشق وحلب والعلويين وتكون حلب عاصمة له. وفى يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٢٢ أعلن إنشاء دولة جبل الدروز. وفى يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٤ أصدر الجنرال فيجان أمراً بإلغاء الاتحاد السورى وإنشاء

---

(١) استبدلت دولة لبنان الكبير يوم ٢٦ مايو سنة ٩٢٦ بالجمهورية اللبنانية وفى يوم ٧ مايو سنة ١٩٣٢ أصدر المفوض السامى قرارا بوقف دستور هذه الدولة وإلغاء جمهوريتها ولا يزال موقوفا حتى الآن ولا تزال الجمهورية ملغاة.

دولة سـورية تشـمل على مـقـاطعـتى حلب ودمـشـق وحـدهمـا، وتكـون دمـشق عاصمة لها وبذلك خـرجت دولة العلويين من الاتحاد. وأصبح عدد الدول السـورية خمساً وهــى :

دولة ســــــــــــــورية

دولة لبـــــــــــــنان

دولة العلــــــــــــويين

دولة جـــبل الـــــــدروز

حكومة سنجق إسكندرونه

ولقد أدرك السو ريون منذ الساعة الأولى ما تنطوى عليه سياسة التجزئة التى ينفـذها الفـرنسـويون فى بـلادهم من أخطار، وعـرفـوا أن الغـاية منهـا إضـعـافـهم وتشـتيت قواهـم ليسـهل تطبيق البرامج الاستعمارية فى بلادهـم فقاوموها بجميع الوسـائل السلمية المشـروعة من عرائض وشكايات، وإضـراب واحتجاجات وإرسال الوفـود إلى جامـعـة الأمم، ولما رأوا الأبواب مـغلقـة فى وجـوههم وأنه لا رجـاء لهم بعدول فرنسا عن هذه الخطة عمدوا إلى الثورة.

الاتفاق بين دمشق وجبل الدروز

فى ربيع سنة ١٩٢٥ زار المرحوم الأمـير حمد الأطرش، عمـيد بنى الأطرش فى جبل الدروز دمشـق واجتمع ليلاً، وبناء على طلبه، بالدكـتور عبدالرحمن شـهبندر زعيم النـهضة السـورية، فبـحثاً فى حـالة سـورية ومـوقف الفرنسـويـين ومـا يجب عملـه لإنقاذ البـلاد، فاظهـر الدكـتور رغبـته فى الاجتمـاع بإخوان الأمـيـر وأبناء عمه من رجـال جـبل الـدروز وذوى الحل والعـقد فـيـه، فعـقـدوا اجـتمـاعين سـريين فى

منزله، حضرهما عدد عديد منهم: من الأحياء عبدالغفار باشا الأطرش. ومتعب بك الأطرش. والشيخ يوسف العيسمى. ومن الأموات نسيب بك الأطرش وغيرهم كثيرون، وبعد البحث والمداولة تحالفوا بأقدس الإيمان وتعاهدوا وهم وقوف على أن يدافعوا عن استقلال بلادهم حتى النفس الأخير.

ولم يطل الوقت حتى بدت تباشير الثورة فى جبل الدروز فوقعت أول معركة فى قرية «الكفر» يوم ١٦ يوليو سنة ١٩٢٥ فقد أباد الدروز بقيادة سلطان باشا الأطرش كتيبة فرنسوية يبلغ عدد رجالها ١٩٠ بقيادة الكبتن نورمان، فأعد الفرنسويون على الأثر حملة كبيرة جمعوا رجالها من هناك وهنالك وسيروها بقيادة الجنرال ميشو وزحفت من دمشق يوم أول أغسطس لإخضاع الجبل فباغتها الدروز ليلة ٣ منه فى المزرعة وأبادوها عن آخرها، وغنموا أسلابها ومعداتها.

وقصد جبل الدروز فى خلال هذه الحوادث ثلاثة من أبناء الشام منتدبين من قبل الهيئات الوطنية لدرس الحالة عن كثب وموافاتها بما يجب عمله والاتفاق على الخطة النهائية وبعد ما قضوا أياماً عادوا بالنبأ اليقين فعقد رجال الحركة فى دمشق اجتماعاً ليلة ١١ أغسطس سنة ١٩٢٥ فى منزل الحاج عثمان الشراباتى دام حتى مطلع الفجر وحضره عدا الدكتور عبدالرحمن الشهبندر، فوزى البكرى ونسيب البكرى ويحيى حياتى وحسن الحكيم والمرحوم سعد الدين المؤيد وغيرهم فتم الاتفاق على توحيد العمل وأن يخرج قادة الحركة الوطنية فى دمشق إلى لقاء فرسان الدروز فى الكسوة صباح ٢٣ منه.

وفى مساء ٢٢ منه غادر الدكتور شهبندر دمشق ومعه نزيه بك المؤيد العظم إلى قريه حوش متبن وقد تم الاتفاق على أن يجتمع مع إخوانه فيها فلم يوافه سوى يحيى حياتى بك والظاهر أن الباقين تأخروا لضيق الوقت، مما اضطره أن يغير خطته خوف الوقوع فى الشرك فذهب مغرباً حتى بلودان ـ تبعد عن دمشق

من ناحية الغرب نحو ٣٥ كيلوا متراً ومن هنالك عاد إلى جبل الدروز ومعه نزيه بك بطريق غوطة دمشق والمرحوم سعدالدين بك المؤيد وجميل مردم بك فالتقوا بسلطان باشا الأطرش وإخوانه فى قرية كفر اللحى يوم ٢٥ أغسطس واتحد الكل فى العمل، وكان من القواعد التى تم الاتفاق عليها أن لايعقد الجبل صلحاً منفرداً عن دمشق ولاتعقد دمشق صلحاً لوحدها.

واتسع نطاق الثورة على أثر ذلك فشمل جبل الدروز كله، فلجأت حامية السويدا الفرنسوية إلى القلعة، وامتد إلى غوطه دمشق وقلمون ووصل إلى حماه. فقد ثار أهلها فى شهر أكتوبر من تلك السنة بناء على اتفاق تم بينهم وبين الدكتور شهبندر وسلطان باشا الأطرش بواسطة رسالة حملها منير أفندى الريس ومظهر أفندى السباعى وإقليم البلان ووادى التيم ودارت معارك عنيفة بين الثوار والفرنسويين أبلى فيها الثوار احسن بلاء. وفى يوم ١٨ أكتوبر سنة ١٩٢٥ دخل الثوار دمشق فأمر الجنرال ساراى (مندوب فرنسا السامى) بإطلاق النار عليها فضربت بالمدافع مدة ٢٤ ساعة فدكت جانباً كبيراً من قصورها التاريخية ودورها الثمينة وأسواقها وشوارعها، وقد كانت نكبة عظيمة ريع لها العالم وصب اللعنات على مرتكبيها. فاستدعت باريس على الأثر مندوبها فمات غماً وكمداً من جراء تبكيت الضمير.

وجهز الفرنسويون حملة قوية زحفت يوم ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٥ على السويدا لاحتلالها فصدها الثوار وأعادوها على أعقابها بعد ما أنقذت الحامية المحصورة فى قلعتها واستأنفوا الكرة فى شهر إبريل سنة ١٩٢٦ بعد ما تلقوا إمدادات عظيمة من فرنسا فزحفوا مرة ثالثة على السويداء فاحتلوها كما احتلوا مجدل شمس. وفى شهر يوليو سنة ١٩٢٦ خرجوا بقوات عظيمة لمنازلة الثوار المرابطين فى غوطة دمشق فأجلوهم عن مراكزهم، وهكذا استعادوا نفوذهم تدريجاً بعدما أضاعوه مدة سنة وأكثر. وقد أبلى السوريون أحسن بلاء فى هذه الثورة، وكتبوا صفحة بيضاء فى تاريخهم. وقدرت خسارتهم فى هذه الثورة من

النفوس بعشرة آلاف قتيل ولاتقل الخسارة المادية عن مليون جنيه، وقد دمر الفرنسويون فى خلال الثورة جانباً كبيراً من دمشق وحماه ومعظم قرى جبل الدروز والغوطة وتعد بالمئات.

واختارت فرنسا على أثر هذه الحوادث مندوباً سامياً مدنياً بدلاً من المندوب العسكرى السابق (الجنرال ساراى) فوصل هذا واسمه المسيودى جوفنيل إلى بيروت يوم أول ديسمبر سنة ١٩٢٥ فأفهمه السوريون بلسان واحد أن السبيل الوحيد للاتفاق هو إعادة وحدة سورية إلى ما كانت عليه فى العهد العثمانى. فحال رجال الاستعمار من قادة الجيش المحتل دون تحقيق هذه الفكرة. فلم يطل المندوب الجديد المقام بل غادر سورية فى شهر مايو سنة ١٩٢٦ أى أنه لم يبق فيها سوى خمسة أشهر من دون أن يعمل عملاً يذكر سوى إنشاء الجمهورية فى لبنان فخلفه المسيو هنرى بونسو ،وأذاعت فرنسا على لسان وزير خارجيتها يومئذ أنها مستعدة للتفاهم مع السوريين بشرط أن يلجأوا إلى الهدوء لأنها. لاتريد أن يقال أنها تفاهمت معهم مكرهة.

وأخلد السوريون إلى الهدوء إجابة لما طلب منهم فجاء المندوب الجديد وظل نحو سنة ونصف سنة يدرس ويبحث، وفى يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٢٨ أقال حكومة الداماد أحمد نامى، وأنشأ حكومة جديدة برئاسة الشيخ تاج الدين الحسنى، وأصدر بهذه المناسبة البلاغ الآتى يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٢٨ :

«كانت الدولة المنتدبة (فرنسا) ترجو من زمن بعيد أن تأزف الساعة التى تتمكن فيها سورية من حل قضية دستورها فى حالة السلام. وقد أزفت هذه الساعة الآن، وستجرى الانتخابات قريباً بمقتضى القوانين المعمول بها وهى تضمن حرية الاقتراع لجميع الأحزاب، وستلغى جميع القيود الموضوعة على الحريات المشروعة، وهى القيود الموروثة من عهد الاضطراب لتظهر آراء البلاد الحقيقية ظهوراً جلياً باستشارة الشعب.

وستسن الجمعية التى تنشأ عن هذه الانتخابات القانون الأساسى النهائى للبلاد السورية بتمام الحرية المطلقة ضمن نطاق الاتفاقات الدولية والصكوك المسؤولة عنها فرنسا إزاء جمعية الأمم، فاحترام الحقوق والواجبات المتبادلة الناشئة عن صك الانتداب، والتى يمكن تحديدها باتفاقات تعقد فيما بعد هو فى الحقيقة أساس للرقى السريع الذى يجب أن تبلغه سورية، وتساعدها الدولة المنتدبة على تحقيقه بكل قواها.

ففى الوقت الذى تقيم فيه فرنسا للسوريين الدليل على سخائها والثقة التى تضعها فيهم تحذرهم من تعريض المستقبل المملوء بالوعود الجميلة، والذى تفتح أمامهم أبوابه للأخطار الناشئة عن الاضطرابات والاختلافات، أو عن جهل الحقائق السياسية.

وأن فرنسا تنفيذاً لهذه الخطة التى رسمتها تضع ثقتها بالحكومة المؤقتة التى أخذت اليوم على عاتقها مهمة محدودة هى إدارة الشؤون العامة».

وفى يوم ٢٤ ابريل سنة ١٩٢٨ جرت الانتخابات للجمعية التأسيسية فاشتركت فيها عناصر الأمة، وانتهت بفوز الوطنيين فوزاً مبيناً. وفى يوم ٩ يونيو افتتحت الجمعية التأسيسية فى دمشق ومهمتها وضع الدستور وسن قانون الانتخاب وما كادت تفرغ من وضع مشروع الأول حتى دخل عليها المسيو موغراً السكرتير العام للمفوض السامى يوم ٨ اغسطس ووقف على منبرها وألقى البيان الآتى :

«تتبع ممثل فرنسا سير أعمال الجمعية التأسيسية بانتباه وعطف عظيمين راجياً حلول الوقت الذى يمنح سورية دستورها النهائى. وحيث إنه تقرر أن يبدأ اليوم بمناقشة مشروع الدستور الذى وضعته اللجنة فقد وجب على العميد الفرنسى تنبيه أعضاء الجمعية إلى ضرورة عدم البحث الآن فى المسائل التى ليس حلها من خصائص الجمعية وحدها. لأنها تمس تنفيذ الانتداب وتعد فرنسا

مسئولة عنه أمام جامعة الأمم، ولايمكن تغيير شئ من نصوص هذا الانتداب إلا باتفاق سابق توافق عليه جمعية الأمم. وقد رغب العميد فى بياناته السابقة الإعراب عن ذلك تجنباً لكل سوء تفاهم على نقاط خطيرة كهذه. تعرض للخطر ثمرة الجهود المبذولة بإخلاص من الفريقين لقطع المرحلة الأولى بسلام، ولكن بعض مواد المشروع تقتضى تحفظات خاصة لأن بينها ما يخالف تصريحات العهود الدولية المحددة بها مسئولية الدولة المنتدبة، وتعد المواد ٧٣، ٧٤، ٧٥، ١١٠، ١١٢ فى المشروع ماسه بالمسائل الداخلة ضمن النطاق المذكور. وكذلك المادة الثانية من حيث مخالفتها للاتفاقات الدولية ولحالة قانونية واقعة لايمكن تعديلها بقرار يتخذه فريق واحد. فبقاء أحكام كهذه يوجد حالة مهمة تعرض للخطر ما كان يرجى تحقيقه بفروغ صبر. فالعميد الفرنسوى يثق بحكمة الجمعية ولايشك إنها بوقوفها على هذه الصعوبات تعنى بالملاحظات المذكورة من تلقاء نفسها، وتقرر فصل المواد المشار إليها من صلب الدستور قبل الدخول فى المناقشة فيكون مشروع الدستور متفقاً مع جوهر حالة لايمكن تغييرها إلا باتفاقات يجب عقدها مع الحكومة الفرنسوية. وبعكس ذلك فلايسع فرنسا إجازة سن دستور وتنفيذه، وهو يحرمها الوسائل التى تساعدها على القيام بالواجبات الدولية التى أخذتها على نفسها».

وهذا نص المواد الست المطلوب حذفها من المشروع :

المادة ٢ ـ البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية وحده سياسية لاتتجزأ ولا عبرة بكل تجزئة طرأت عليها بعد نهاية الحرب العامة.

المادة ٧٣ ـ لرئيس الجمهورية حق العفو الخاص. أما العفو العام فلا يمنح إلا بقانون.

المادة ٧٤ ـ يتولى رئيس الجمهورية عقد المعاهدات الدولية وإبرامها. أما المعاهدات التى تنطوى على شروط تتعلق بسلامة البلاد أو بمالية الدولة أو

المعاهدات التجارية أو سائر المعاهدات التى لايجوز فسخها سنة فسنة فلاتعد نافذة إلا بعد موافقة المجلس عليها.

المادة ٧٥ ـ يختار رئيس الجمهورية رئيس الوزراء ويعين الوزراء ويقبل استقالتهم، ويقبل الممثلين السياسيين ويعين الموظفين الملكيين والقضاة ضمن حدود القانون ويرأس الحفلات الرسمية.

المادة ١١٠ ـ تنظيم الجيش الذى سيؤلف يكون بقانون خاص.

المادة ١١٢ ـ لرئيس الجمهورية أن يعلن بناء على اقتراح الوزارة الأحكام العرفية فى الأماكن التى تحدث فيها اضطرابات أو قلاقل ويجب أن يبلغ المجلس النيابى خبر إعلان الأحكام المذكورة فوراً، وإذا لم يكن المجلس النيابى مجتمعاً فيدعوه على وجه السرعة.

ولما كان تجريد الدستور من هذه المواد معناه إبقاؤه بلا روح فقد رفضت الجمعية التأسيسية بالإجماع تقريباً اقتراح العميد الفرنسوى. فأصدر فى الغداة ٩ منه قراراً بتأجيلها لمدة ثلاثة أشهر، وقبل أن تنتهى جددها ثلاثة أخرى ثم ظل يجددها حتى يوم ٣ فبراير سنة ١٩٢٩ ففيه أصدر قراراً أجلها فيه إلى أجل غير مسمى فاذاع ديوان الجمعية التأسيسية على الأثر البلاغ الآتى :

كان المسيو بونسو طلب تأجيل المواد الست بحجة معارضتها لتعهدات فرنسا فرأت الجمعية التأسيسية أن فصلها يجعل الدستور ناقصاً لاقيمة له، واقترحت أن تحدد العلاقات بين فرنسا وسورية بمعاهدة تبنى على تبادل المصالح وتصان فيها سيادة سورية. وكانت فرنسا قد أعلنت رضاءها عن ذلك بلسان المسيودى جوفنيل وبوسيلة أخرى، ولذلك اعتذرت الجمعية عن تلبية هذا الطلب مظهرة رغبتها فى اقرار سياسة التعاون والتفاهم، وقابلت القرار القاضى بتأجيل اجتماعها مدة ستة أشهر بالتؤدة والتفاؤل أملة إيجاد وسيلة تكفل مصالح الفريقين وتوفق بين النظريتين، وبعد التأمل وجدت أنه يمكن ذلك بإضافة مادة

إلى الدستور مفادها أن تنفذ المواد الخمس الموقوفة باتفاقات خاصة بين فرنسا وسورية ريثما تعقد المعاهدة.

أما المادة الثانية فتعدل هكذا: «البلاد السورية وحده سياسية لاتتجزأ وحقوق الاعتراض على التجزئه الحاضرة محفوظة» فلم يقر الفرنسويون هذا الاقتراح. بل أصدر مندوبهم قراراً آخر بحل الجمعية بعد ذلك.

وفى يوم ١٤ مايو سنة ١٩٣٠ أصدر المفوض السامى الفرنسوى قراراً نشر بموجبه مشروع الدستور الذى وضعته الجمعية التأسيسية بعد ما عدل ٢٣ مادة منه لاست مواد كما أقترح فى بيانه الذى ألقى يوم ٨ أغسطس بالجمعية. وأضاف إليه مادة جديدة فى آخره هى المادة ١١٦ وقد شلته. وهذا نصها «ما من حكم من أحكام الدستور يعارض ولايجوز أن يعارض التعهدات التى قطعتها فرنسا على نفسها فيما يختص بسورية، ولاسيما ما كان منها بجمعية الأمم».

«يطبق هذا التحفظ بنوع خاص على المواد التى تتعلق بالمحافظة على النظام وعلى الأمن، وبالدفاع عن البلاد وبالمواد التى لها شأن بالعلائق الخارجية».

«لاتطبق أحكام هذا الدستور التى من شأنها أن تمس بتعهدات فرنسا الدولية فيما يختص بسورية فى أثناء مدة هذه التعهدات إلا ضمن الشروط التى تحدد فى اتفاق يعقد بين الحكومتين الفرنسوية والسورية. وبناء على ذلك فالقوانين المنصوص عليها فى مواد هذا الدستور والذى قد يكون لتطبيقها علاقة بهذه التبعات لايتناقش فيها، ولاتنشر وفقاً لهذا الدستور إلا تنفيذاً لهذا الاتفاق. وإن القرارات ذات الصفة التشريعية أو التنظيمية التى أتخذها ممثلو الحكومة الفرنسوية لايجوز تعديلها إلا بعد الاتفاق بين الحكومتين».

وقد كان لنشر الدستور على هذا المنوال أسوأ تأثير فأقفلت المدن احتجاجاً عليه، وأقيمت المظاهرات فى دمشق وحلب وحمص وأرسلت البرقيات إلى جمعية الأمم معلنة عدم الرضاء بما وقع.

وفى شتاء سنة ١٩٣٢ جرت بأمر المفوض السامى الانتخابات فى داخل أراضى سورية لعقد مجلس نيابى، وفى يوم ٧ يونيو من تلك السنة اجتمع هذا المجلس، بعد أحداث عصيبة ومعارك عنيفة سقط فيها كثير من القتلى والجرحى، وفى يوم ١٤ منه انتخب بالأكثرية محمد على بك العابد رئيساً للجمهورية طبقاً للتعليمات الصادرة من الفرنسويين.

نظام الحكم في سورية

يقضى الدستور الذى نشره المفوض السامى يوم ٢٠ مايو سنة ١٩٣٠ أن تكون الدولة السورية جمهورية دينها الإسلام، وأن يكون التشريع منوطاً بمجلس الأمة ويتألف هذا من ٦٩ نائباً ينتخبون على درجتين، وأن يتولى رئيس الجمهورية القوة التنفيذية بمؤازرة الوزراء، ومدة رئاسته خمس سنوات، ولايجوز إعادة انتخابه مرة ثانية إلا بعد مرور خمس سنوات على انقضاء رئاسته ولايزيد عدد الوزراء على سبعة.

عهده

فى ربيع سنة ١٩٣٣ سلم المفوض السامى الفرنسوى رئيس الجمهورية السورية مشروع معاهدة يراد عقدها بين سورية وفرنسا لتنظيم علاقاتهما السياسية، فوافق عليها مبدئياً وكاد أن يبرمها لولا الضجة العظيمة التى أقامتها المدن السورية، وأنسحاب النواب الوطنيين من مجلس النواب وشلهم حركة الحكومة.

ويقضى المشروع الفرنسوى الجديد بإقرار جميع التصرفات التى جرت زمن الاحتلال وبالاعتراف بالتجزئة الحاضرة وما يتبعها من أوضاع، ويمنح فرنسا مركزاً شرعياً فى بلاد الشام.

وأسرعت الحكومة الفرنسوية حينما تبين لها حبوط المشروع فاستدعت مندوبها السامى من سورية وعينت آخر خلفاً له، ولاتزال القضية السورية واقفة عند هذا الحد. فالسوريون يطلبون الاستقلال التام، وإعادة وحدة بلادهم وإلغاء الأوضاع التى أنشأها الفرنسويون لما تتقاضاه من نفقات طائلة، ولأن الغاية منها التمكين للفرنسويين، ويأبى هؤلاء إجابتهم إلى هذه المطالب ويطاولون ويسوفون.

ويمكن القول بأن العهد الحاضر هو أشأم عهد فى تاريخ سورية الحديث سواء من الوجه الاقتصادية والتجارية أما من الوجهة الإدارية والسياسية فالجمهورية مجردة من كل سلطان ونفوذ والكلمة العليا للفرنسويين.

الميثاق الوطني السوري

وهذا نص الميثاق الوطنى السورى الذى أقره زعماء سورية إبان الثورة سنة ١٩٢٦ وتعاهدوا على العمل لتحقيقه :

١ ـ اعتراف الحكومة الفرنسوية باستقلال سورية التام وبحقها فى التمثيل الخارجى وتأليف حكومة وطنية بالاتفاق مع زعماء الثورة، وتوقيف حالة الحرب ثم يشرع فى انتخاب المجلس التأسيسى انتخاباً مباشراً بالاقتراع العام فيتولى سن الدستور وتقرير شكل الحكم على أساس السيادة القومية (١).

٢ ـ تحويل الانتداب إلى معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية المستقلة لمدة ١٥ سنة تعين فيها الحقوق والواجبات والعلائق المتقابلة بين الأمتين على مثال المعاهدة المعقودة بين بريطانيا والعراق، مع مراعاة الفروق بين البلدين ورقى السوريين، ولاتكون هذه المعاهدة نافذة إلا بعد تصديقها من البرلمان السورى ومجلس النواب الفرنسوى، ويحتفظ فيها لفرنسا بموقع خاص وأرجحية فى المشاريع الاقتصادية ـ على شرط عدم الإخلال بالسيادة القومية وهذه المعاهدة تسجل لدى جمعية الأمم وتضمن تنفيذها.

٣ ـ تحقيق الوحدة السورية بما فيها لواء طرابلس الشام وأقضية عكار وحصن الأكراد وبعلبك التى هى جزء من الوحدة بطبيعة الحال. أما بقية البلاد التى ضمت إلى لبنان فيستفتى أهلها فى تقرير مصيرهم.

٤ ـ توحيد النظام القضائى على قاعدة السيادة القومية بصورة تصون حقوق الوطنيين والأجانب معاً.

٥ ـ دخول سورية فى جمعية الأمم.

---

(١) وضع الميثاق ونشر فى سنة ١٩٢٦ أى قبل اجتماع الجمعية التأسيسية وفضها بسنتين فقد اجتمعت فى سنة ١٩٢٨ ونشر الدستور سنة ١٩٣٠ ونفذ سنة ١٩٣٢.

٦ ـ تأليف جيش وطنى فى خلال ثلاث سنوات. بحيث تتمكن القوات الفرنسوية من الجلاء التدريجى عن البلاد ـ على أن يتم الجلاء التام فى هذه المدة.

٧ ـ إصلاح نظام النقد وإعادة العملة على أساس الذهب وإلغاء امتيازات البنك السورى، وضمان أوراق النقد السورية المتداولة او تبديلها.

٨ ـ العفو العام عن جميع أصحاب الجرائم السياسية بدون قيد ولاشرط وبدون الاحتفاظ بالحق الشخصى المضمون بطبيعة الحال.

٩ ـ إلغاء الغرامات الحربية كلها. مع إعادة كل ما اخذ حتى الآن بهذا الاسم ـ سواء أكان فى دمشق أم غيرها من المدن».

صك الانتداب الفرنسوي لسورية

ونرى أن نختم هذا الفصل بنشر نص صك الانتداب الفرنسوى لسورية وقد وضعته الحكومة الفرنسوية نفسها وعرضته على مجلس جمعية الأمم يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٢ فأقره من دون مناقشة. فاحتج عليه السوريون احتجاجاً شديداً معلنين تمسكهم بالاستقلال التام ورفضهم الانتداب الفرنسوى، وهو :

«إن مجلس جمعية الأمم (١)

لما كانت دول الحلفاء العظمى متفقة على أن أراضى سورية ولبنان التى كانت فى ما مضى جزءاً من السلطنة العثمانية يعهد بها ضمن حدود تعينها الدول المشار إليها إلى الدولة منتدبة موكول إليها نصح الأهالى ومعاونتهم وإرشادهم فى إدارتهم وفقاً لنص الفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين من عهد جمعية الأمم.

---

(١) نشرته جمعية الامم رسميا تحت رقم C. 528, M. 313. 1922. VI بتاريخ ١٢ اغسطس سنة ١٩٩٢.

ولما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد قررت أن الانتداب على البلاد الآنفة الذكر يعطى لحكومة الجمهورية الفرنسوية التى قبلته.

ولما كان نص هذا الانتداب المبين فى المواد المذكورة فى ما بعد قد وافقت عليه حكومة الجمهورية الفرنسوية وعرض للتصديق على مجلس جمعية الأمم.

ولما كانت حكومة الجمهورية الفرنسوية تتعهد بإجراء هذا الانتداب باسم جمعية الأمم طبقاً للمواد المذكورة.

ولما كانت نصوص المادة الثانية والعشرين الآنفة الذكر (الفقرة الثامنة) تقضى بأنه إذا كانت درجة السلطة والمراقبة والإدارة التى تجريها الدولة المنتدبة لم يتفق عليها سابقاً بين أعضاء جمعية الأمم فالمجلس هو الذى ينظم ذلك.

يضع نصوص الانتداب كما يلى موافقاً عليه :

المادة الأولى ـ على الدولة المنتدبة أن تضع فى خلال ثلاث سنوات من تاريخ تنفيذ الانتداب نظاماً أساسياً لسورية ولبنان.

ويجب أن يوضع هذا النظام بالاتفاق مع السلطات المحلية، وأن تؤخذ فى وضعه بعين الاعتبار حقوق ومصالح وأمانى كل الشعوب النازلة فى البلاد المذكورة، وأن ينص فيه على الوسائل اللازمة لتسهيل ارتقاء سورية ولبنان ارتقاء مطرداً بصفتهما دولتين مستقلتين وإلى أن يوضع هذا النظام الأساسى موضع التطبيق يجب أن يسار فى إدارة سورية ولبنان على نهج يتفق مع روح صك الانتداب الحالى.

وتقوم الدولة المنتدبة بتنشيط الاستقلالات الإدارية المحلية بقدر ما تسمح الظروف بذلك.

المادة الثانية ـ للدولة المنتدبة أن تحتفظ بجيوشها فى البلاد الواقعة تحت الانتداب بقصد الدفاع عن هذه البلاد. ولها أن تنظم الجندرمة المحلية اللازمة

للدفاع عن البلاد، وأن تستعملها لهذا الغرض وللمحافظة على الأمن، وذلك إلى أن يوضع النظام الأساسي موضع التنفيذ ويعود الأمن العام إلى نصابه. ويشترط في ذلك أن لاتؤلف هذه القوى المحلية إلا من سكان البلاد التي يشملها الانتداب.

وتكون هذه الجندرمة في ما بعد تابعة للحكومات المحلية في مايخرج عن حدود السلطة والمراقبة التي يجب أن تحتفظ بهما عليها الدولة المنتدبة. ولاتستعمل هذه القوات لغير الأغراض المنصوص عليها آنفاً إلا بأذن الدولة المنتدبة وليس ثمة مايمنع سورية ولبنان من الاشتراك في نفقات جيش الدولة المنتدبة المرابط في البلاد.

وللدولة المنتدبة في كل أن أن تستعمل الموانئ وسكك الحديد وكل طرق المواصلات في سورية ولبنان لنقل عساكرها وجميع المعدات والمؤن وغير ذلك من المهمات.

المادة الثالثة ـ إن إدارة علاقات سورية ولبنان الخارجية وقبول واعتماد قناصل الدول الأجنبية فيهما من حقوق الدولة المنتدبة وحدها. كما أن السوريين واللبنانيين المقيمين في خارج حدود سوريا ولبنان يكونان تابعين لحماية الدولة المنتدبة السياسية والقنصلية.

المادة الرابعة ـ أن الدولة المنتدبة تضمن أراضي سورية ولبنان من كل فقدان أو استئجار يقع عليها أو على قسم منها ومن وضع أية مراقبة أجنبية كانت عليها.

المادة الخامسة ـ أن الامتيازات والحقوق التي كان الأجانب يتمتعون بها في عهد الدولة العثمانية وفقاً للتقاليد والامتيازات الأجنبية المعلومة ومنها حق القضاء القنصلي والحماية تعتبر غير نافذة ولامعمول بها. غير أن المحاكم القنصلية الأجنبية تظل نافذة الأحكام كما في الماضي إلى أن يوضع النظام القضائي المنصوص عنه في المادة السادسة من هذا الصك موضع التنفيذ.

إذا كانت الدول التى كان رعاياها يتمتعون فى ١ أغسطس سنة ١٩١٤ بالامتيازات والحقوق المذكورة لم تعدل عن إعادة تلك الامتيازات والحقوق أو عن تطبيقها مدة معينة فالامتيازات والحقوق الآنفة الذكر تعود بدون مهلة بعد انتهاب الانتداب إما بتمامها أو بالتعديل الذى يكون قد تم الاتفاق عليه بين الدول ذوات الشأن.

المادة السادسة - تضع الدولة المنتدبة فى سورية ولبنان نظاماً قضائياً يضمن للوطنيين والأجانب على السواء حقوقهم كاملة، ويضمن للجماعات والشعوب المختلفة فى سورية ولبنان نظام الأحوال الشخصية والمصالح ذوات الصفة الدينية، وتقوم الدولة المنتدبة على الأخص بمراقبة إدارة الأوقاف طبقاً للشرائع الدينية ولارادة الواقفين.

المادة السابعة - تكون المعاهدات الخاصة بتسليم المجرمين المعمول بها الآن بين الدول المنتدبة والدول الأجنبية نافذة فى سورية ولبنان إلى أن تعقد اتفاقات خاصة بهذا الشأن.

المادة الثامنة - تضمن الدولة المنتدبة لكل إنسان حرية العقيدة بأوسع معانيها، كما تضمن أيضاً حرية القيام بالفروض الدينية على اختلاف أنواعها فيما لايخالف شروط الآداب والأمن العام.

ولايكون اختلاف العنصر والدين واللغة سبباً فى عدم المساواة فى معاملة أهالى سورية ولبنان.

وتنشط الدولة المنتدبة التعليم باللغات الوطنية فى أراضى سورية ولبنان.

وتحترم حقوق الطوائف فى الاحتفاظ بمدارسها لتهذيب وتعليم أبنائها بلغتها الخاصة - على شرط أن تتقيد هذه المدارس بالتعليمات العامة التى تضعها الإدارة للتعليم العام.

المادة التاسعة ـ تمتنع الدولة المنتدبة عن التدخل فى إدارة مجالس المعابد أو فى إدارة الفرق الدينية ومعابد الطوائف المختلفة التى تظل حرمتها مضمونة ضماناً مطلقاً.

المادة العاشرة ـ أن المراقبة التى تقوم بها الدولة المنتدبة على البعثات الدينية فى سورية ولبنان تكون مقصورة على المحافظة على الأمن العام وحسن الإدارة. ويكون نشاط هذه البعثات الدينية حراً. ولاتكون جنسية أعضاء هذه البعثات سبباً فى تقييدهم بشروط خاصة. على شرط أن لاتخرج أعمالهم عن دائرة الدين.

وفى استطاعته هذه البعثات الدينية أن تشتغل بأعمال التعليم والإسعاف العام على شرط أن تكون خاضعة فى ذلك لأحكام النظام والمراقبة التى تضعها الدولة المنتدبة أو الدول المشمولة بانتدابها للتعليم والتربية والأسعاف.

المادة الحادية عشرة ـ من خصائص الدولة المنتدبة أن تمنع فى سورية ولبنان كل ما من شأنه أن يجعل رعايا إحدى الدول الداخلة فى جمعية الأمم أو الجمعيات والشركات التابعة لها فى موقف عدم المساواة مع رعايا الدولة المنتدبة، وللشركات والجمعيات التابعة لها أو لأى دولة أخرى غيرها. سواء كان ذلك فى أمور الضرائب والتجارة والصناعة، أو الحرف والمهن الأخرى أو الملاحة والمعاملة المقررة للسفن والطيارات.

وكذلك تكون المساواة فى سورية ولبنان تامة فيما يتعلق بالبضائع الواردة من بلاد أحدى تلك الدول أو الصادرة إليها، ويكون مرور البضائع وانتقالها حراً فى البلاد الواقعة تحت الانتداب بشروط عادلة.

وللدولة المنتدبة أن تفرض أو أن تحمل الحكومات المحلية على فرض كل ما تراه ضرورياً من الرسوم والعوائد الجمركية. على شرط أن لايكون ذلك مخالفاً

للأحكام الآنفة الذكر. وللدولة المنتدبة أو الحكومة المحلية العاملة بمشورتها أن تعقد اتفاقات جمركية خاصة مع بلاد متاخمة لها لأسباب الجوار.

وللدولة المنتدبة أن تقوم أو أن تحمل على القيام بما تراه واجباً لإنماء الموارد الطبيعية فى الأراضى المذكورة، وأن تصون مصالح الشعوب الوطنية. على أن لايكون فى عملها هذا ما يناقض الفقرة الأولى من هذه المادة.

والامتيازات الخاصة بإنماء هذه الموارد الطبيعية تعطى بدون تمييز بسبب الجنسية بين رعايا كل الدول الداخلة فى جمعية الأمم بشروط لاتمس بقاء سلطة الحكومة المحلية تامة، ولايعطى امتياز تكون له صفة احتكار عام.

وهذه الفقرة لاتعارض حق الدولة المنتدبة فى إيجاد احتكارات ذات صفة مالية بحتة لمصلحة أراضى سورية ولبنان ولإيجاد الموارد المالية الأكثر انطباقاً على الحاجات المحلية لهذه الأراضى، أو فى بعض الظروف لترقية الموارد الطبيعية. سواء بواسطة الحكومة رأساً، أو بواسطة هيئة خاضعة لمراقبتها على شرط أن لاينجم عن ذلك بالذات أو بالتبع أى احتكار للموارد الطبيعية يعود بفائدة للدولة المنتدبة أو لرعاياها أو أية ميزة تفضيلية لاتنطبق على المساواة الاقتصادية أو التجارية أو الصناعية المضمونة فى ما سبق ذكره.

المادة الثانية عشرة - يجب على الدولة المنتدبة أن توافق لحساب سورية ولبنان على الاتفاقات الدولية العامة المعقودة أو التى ستعقد بمصادقة جمعية الأمم بشأن المسائل الآتية : الرقيق وتجارة المخدرات وتجارة الأسلحة والذخائر والمساواة التجارية، وحرية مرور البضائع وحرية الملاحة البحرية والجوية والمواصلات البريدية والبرقية السلكية واللاسلكية. وحماية الحقوق الفنية والأدبية والصناعية.

المادة الثالثة عشرة - تضمن الدولة المنتدبة بقدر ماتسمح بذلك الظروف الإجتماعية والدينية وسواها انضمام سورية ولبنان إلى الأنظمة ذات الفائدة العامة التى ستضعها جمعية الأمم للوقاية من الأمراض أو لمحاربتها ويشمل ذلك أمراض الحيوان والنبات.

المادة الرابعة عشرة ـ تضع الدولة المنتدبة وتنفذ فى السنة الأولى من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب قانوناً خاصاً بالآثار والعاديات ينطبق على الأحكام الآتية ويكون هذا القانون ضامناً لرعايا كل الدول الداخلة فى جمعية الأمم المساواة فى المعاملة فيما يتعلق بالحفريات والتنقيبات الأثرية.

١ ـ يجب أن يفهم من لفظه «العاديات» كل ما نتج عن عمل البشر أو وضعهم قبل سنة ١٧٠٠.

٢ ـ إن التشريع لحماية العاديات يجب أن يكون أجدر بالتشجيع منه بالتهديد.

ويجب على كل شخص يكتشف أثراً بدون حصول على الأذن المذكور فى الفقرة الخامسة أن يعلم السلطة ذات الشأن باكتشافه، وينال مكافأة متناسبة مع قيمة ما أكتشفه.

٣ ـ لايمكن نقل ملكية شئ من العاديات إلا لمصلحة السلطة ذات الشأن. مالم تعدل هذه السلطة عن استحوازه.

ولايمكن إخراجه شيئا من العاديات من البلاد إلا بأذن تلك السلطة.

٤ ـ كل شخص يتلف أو يثلم قطعة من العاديات تعمداً أو إهمالاً يجب أن يجازى جزاء معيناً.

٥ ـ ممنوع كل حفر أو تنقيب لإيجاد العاديات إلا بأذن من السلطة ذات الشأن وإلا غرم المخالف غرامة مالية.

٦ ـ توضع شروط عادلة للسماح بنزع الملكية مؤقتاً أو دائماً فى الأراضى التى تحتوى فائدة تاريخية أو أثرية.

٧ ـ لاتعطى الرخصة بإجراء الحفريات إلا لأشخاص يقدمون أدلة كافية على اختبارهم الأثرى، وعلى الدولة المنتدبة عند إعطاء هذه الرخص أن لاتستثنى علماء أمة ما.

٨ ـ يمكن اقتسام محصول التنقيب بين الأشخاص الذين أجروه والسلطة

ذات الشأن بالنسبة التى تعينها هى. فإذا تعذر الاقتسام لأسباب علمية يعطى للمكتشف تعويض عادل بدل قسم من محصول التعديل.

المادة الخامسة عشرة - متى وضع النظام الأساسى المنصوص عليه فى المادة الأولى من هذا الصك موضوع التنفيذ تتفق الدولة المنتدبة مع الحكومات المحلية على طرق تسديد هذ الحكومات لكل النفقات التى أنفقتها الدولة المنتدبة على تنظيم الإدارة وإنماء الموارد الطبيعية، وعلى إنشاء الأعمال النافعة ذات الصفة الدائمة التى تبقى فائدتها للبلاد ويبلغ هذا الاتفاق لمجلس جمعية الأمم.

المادة السادسة عشرة - تكون اللغة العربية واللغة الفرنسوية اللغتين الرسميتين فى سورية ولبنان.

المادة السابعة عشرة - تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جمعية الأمم تقريراً سنوياً فى الشكل الذى يطلبه عن الإجراءات التى اتخذتها فى خلال السنة لتنفيذ هذا الانتداب ويضاف إلى هذا التقرير كل الأنظمة والقوانين التى تكون قد سنت فى ذلك العام.

المادة الثامنة عشرة - إن موافقة مجلس جمعية الأمم ضرورية لإحداث أى تغيير فى نصوص صك الانتداب الحالى.

المادة التاسعة عشرة - من خصائص مجلس جمعية الأمم عند انتهاء الانتداب أن يبذل كل نفوذه لضمان قيام حكومة سورية بالواجبات المالية، ومنها المخصصات أو رواتب التقاعد التى تكون الإدارة السورية قد تعهدت بها فى مدة الانتداب.

المادة العشرون - تقبل الدولة المنتدبة أن كل خلاف يقع بينها وبين أحد أعضاء جمعية الأمم على تفسير أو تطبيق أحكام الانتداب ولايمكن حله بالمفاوضات يعرض على محكمة العدل الدولية الدائمة المنصوص عليها فى المادة الرابعة عشرة من عهد جمعية الأمم.

شرقي الأردن

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

نشأت إمارة شرقى الأردن فى جنوبى بلاد الشام سنة ١٩٢١ بعد انتهاء الحكم الفيصلى فى دمشق، يحدها من الجنوب الحجاز، ومن الغرب نهر الأردن والبحر الميت وفلسطين، ومن الشمال سورية والعراق، ومن الشرق نجد. ومساحتها نحو ٤٠ ألف كيلو متر مربع. وعدد سكانها نحو ٤٠٠ألف نسمة. بينهم ٣٠ألف مسيحى، ونحو ١٠آلاف شركسى. والباقون عرب مسلمون سنيون وسكان الأرياف منهم لايزالون على عاداتهم البدوية.

وعاصمتها عمان. وأشهر مدنها السلط، والكرك، ومأدبا، والطفيلة، وإربد، وجرش، ويعول سكانها على الزراعة فى معايشهم.

وشرقى الأردن مشمول بالحماية البريطانية، وقد فرضت عليه وقبلها بمعاهدة، وله جيش صغير بقيادة ضابط بريطانى.

وحكومته دستورية نيابية ديمقراطية يرأسها الأمير عبدالله بن الحسين، وهذا رسمه :



الأمير عبد الله بن الحسين (أمير شرق الأردن)

الأمير عبدالله بن الحسين

أمير شرقى الأردن

مولده ونشأته

ولد الأمير عبدالله بن الحسين فى مكة المكرمة فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٩هـ ووالده هو المرحوم الملك حسين، ووالدته الشريفة عابدية بنت الشريف عبدالله باشا.

وقد نشأ فى حجر والده نشأة أبناء الأشراف من أمثاله. فتعلم القراءة والكتابة فى داخل قصر والده على مدرسين جئ بهم لتعليمه هو وشقيقه الملك على والملك فيصل.

ورحل إلى الآستانة مع أسرته حينما تلقى المرحوم والده دعوة السلطان عبدالحميد سنة ١٣١٤هـ وله من العمر ١٦سنة فنزلوا فى القصر الفخم الذى أهداه السلطان لوالده فى أستينة، وقد مر ذلك فى الكلام على سيرة الملك فيصل.

وقضى زمن الشبوبية فى الآستانة يدرس وإخوته على أساتذة خصوصيين ويقرأ كتب الترك الأدبية واللغوية. فحذق لغتهم وأتقنها كما درس أدبهم دراسة وافية، وله ميل خاص إليها لايقل عن ميله إلى أدب العرب. فقد ضرب فى الأدبين بسهم وافر. فقرأ دواوين كبار شعراء الأمتين، ورافق حركتى الأدب العربى والتركى فى مراحلها، وله أراء أدبية قيمة، ولما تقلد المرحوم والده شرافة مكة فى سنة ١٣٢٦هـ ١٩٠٨م غادر الآستانة إلى الحجاز وفى السنة التالية (١٣٢٧) انتخب نائباً عن مكة فى مجلس النواب العثمانى. فكان يسافر إلى الآستانة زمن انعقاد البرلمان هو وأخوه الملك فيصل. ثم يعودان بعد انقضاء الدورة البرلمانية إلى مكة فيساعدان والدهما فى عمله ويشاركانه فى مهامه.

وشقت قبائل مطير القاطنة فى شرقى المدينة عصا الطاعة. فجهز والده حملة لتأديبها قادها وأخوه الملك على. فجرح برصاصة فى فخذه أثناءها، واشترك مع أخيه الملك فيصل فى قيادة حملة أبها لإخضاع الإدريسى.

وقام مقام والده فى إمارة مكة حينما سار إلى نجد لتأديب بعض قبائلها سنة ١٣٢٩.

وسافر إلى الآستانة سنة ١٩١٤ بدعوة من الباب العالى لحل بعض المشاكل الناشئة عن تحديد حقوق الإمارة الحجازية، وأعلنت الحرب وهو فيها - فعاد إلى مكة خوف انقطاع المواصلات البحرية.

وتولى قيادة الجيش الهاشمى الذى تولى مهاجمة الطائف فى ابتداء الثورة العربية فى (شعبان ١٣٣٤) فضرب حولها نطاقاً وأقام يحاصرها حتى استسلمت يوم ٢٦ ذى القعدة سنة ١٣٣٤ وأسر قائدها الجنرال غالب باشا وأركان حربه وجنوده.

واشترك مع والده فى إنشاء الحكومة الجديدة على أثر الثورة، وقد تأسست يوم ٤ ذى الحجة سنة ١٣٣٤ وتقلد فيها وكالة الخارجية، وهو الذى أرسل البلاغات الرسمية إلى الدول الأوربية والشرقية بإنشاء الحكومة الهاشمية الجديدة فى الحجاز.

وفى شهر المحرم سنة ١٣٣٥ سافر إلى المدينة على رأس جيشه «الجيش الشرقى» لمساعدة أخيه الملك على، وكان يتولى حصارها. فنزل فى شمالها وظل مقيماً على حصارها حتى سلمت إليه، ودخلها رسمياً باسم جلالة والده يوم ١١ ربيع الآخر سنة. ١٣٣٧ (١٣ديسمبر سنة ١٩١٨) ثم عاد بجيشه إلى مكة، وتلقى فى الطريق أمراً من والده بأن يقصد عشيرة ويتولى قيادة الحملة التى كانت مجهزة للزحف على نجد، وتأديب خالد بن لؤى.

والكلام على هذا الحادث طويل لصلته الكبرى بتاريخ الدولة الهاشمية فى الحجاز وعلاقتها بنجد وآل سعود وقد أفردنا له فصلاً خاصاً.

السفر إلى المدينة ـ وعلى أثر حادث طربة عاد الأمير إلى مكة، وقد فترت العلاقات بينه وبين والده فتوراً ظاهراً، تراه مفصلاً فى آخر هذا الفصل فتقلد منصب وكالة الخارجية. فحدثت على الأثر مشكلة المحاجر الصحية. فزادت هوة الخلاف اتساعاً بينهما. وخلاصتها أن الحكومة البريطانية طلبت أن تكون مسئولة عن محاجر الحجاز الصحية، وأن لايقام محجر فى جزيرة أبى سعد (المناوحة لجدة) بل يكتفى بمحجر جزيرة قمران الإنكليزى، وأن يعاين الحجاج القادمون من السويس فى جزيرة أبى سعد معاينة صحية فقط. وأن تكون الحكومة البريطانية مسئولة عن الصحة فى الحجاز أمام مجلس الكرنتينات والصحة الدولى العام مقابل تعويض مالى تعوضه على الحجاز، وقد أرسل اللورد اللنبى، المندوب السامى البريطانى يومئذ فى مصر، كتاباً بهذا الشأن إلى الملك حسين يرجوه القبول فأبى، فعارضه ابنه الأمير وأشار بقبول الاقتراح مراعاة لمصلحة البلاد.

وهدد الكولونيل فيكرى المندوب البريطانى فى جده يومئذ الملك باحتلال الإنكليز لجزيرة أبى سعد إذا لم يقبل المشروع، وقد ظهر أنه أراد بذلك التهويل وان الحكومة البريطانية لم تفكر فى تنفيذ هذا المشروع، وكان الأمير عبدالله يومئذ فى جده فاستدعاه والده إلى مكة على الفور ولامه على موقفه وتساهله، فاستقال بعد يومين من وكالة الخارجية (رمضان ١٣٤٠) ولزم منزله وأقام نحو شهرين معتزلاً، وفى شهر ذى القعدة قصد المدينة المنورة فأقام فيها أياماً بقرب أخيه، ثم سافر منها إلى معان فعمان (محرم سنة ١٣٤١) ومما يؤثر عنه أنه لما وصل إلى قهوة سالم فى طريقه إلى المدينة، وهى تبعد عن مكة نحو عشر كيلومترات قال «آخ. الحمد لله. اليوم خلصنا من البلاء وصرنا فى القفر فوق

الرمل» ولم يعد يتدخل فى شئون الحجاز بعد ذلك. وزيادة فى البيان نقول: إن الإنكليز عادوا فعدلوا عن تنفيذ مشروعهم الخاص بالمحاجر لما رأوه من تصلب الملك واستدعوا الكولونيل فيكرى من جده بعد ذلك بقليل لتهديده حكومة الحجاز على المنوال الذى مر بك، وكان ذلك بسبب كتاب كتبه الملك إلى اللورد اللنبى.

الأمير فى معان - لم يطل الأمير الإقامة فى المدينة بل قصد معان، وكانت لاتزال حجازية، فوافاه إليه بعض أحرار السوريين الذين غادروا بلادهم بعد معركة ميسلون الشهيرة، كما قصد بعضهم إلى مكة، يدعو الحسين إلى العمل لإنقاذ بلاد الشام، وكان لوصوله إلى معان يومئذ رنه عظيمة مادت لها بلاد الشام من أقصاها إلى أقصاها.

إمارة عمان - ثم غادر معان إلى عمان، وكانت بلاد شرقى الأردن غارقة فى لجة من الفوضى، فاحتفى به أهلها حفاوة عظيمة وعدوة منقذاً محرراً، ثم قصد القدس فاجتمع بالمستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية يومئذ وكان يزورها (مارس ١٩٢١) فتم الاتفاق بينهما شفاها على أن يتولى الأمر فى شرقى الأردن وأن ينشئ فيها حكومة مدنية، وفى يوم ٧ أبريل سنة ١٩٢١ تم تأسيس حكومة عمان الحاضرة برئاسته.

كيف يقضي يومه؟

يقيم الأمير عبدالله وعائلته فى قصر رغدان، وقد أنشأه فى عاصمته الجديدة سنة ١٩٢٥ على أحدث طراز، وأثثه بالرياش الفاخر ويجمع بين الذوقين الشرقى والغربى، ويعد من القصور الجميلة. ثم أنشأ له ملحقا فى الأيام الأخيرة.

ويستيقظ مبكراً من نومه فينهض فى الساعة الخامسة شتاء والرابعة صيفاً، فيتوضأ ويصلى الصبح، وندر أن يصليه بعد شروق الشمس، ثم يقرأ جزءاً من القرآن، ثم يقوم برياضة فى الضاحية، قبل الشروق، فيسير ساعة أو أكثر على قدميه ثم يعود إلى ديوانه الخاص فيستقبل زواره.

ويتغذى فى غرفة المائدة فى الطبق السفلى من قصره ويأكل مع الموجودين من رجال وخاصته ثم يستريح بعد ذلك فى حجرته الخاصة، ويتعشى فى غرفه المائدة عشاء خفيفاً ولايدخن، وقد كان يستعمل الأنفية ثم عدل عنها. وينام عادة فى الساعة العاشرة.

زواجه ـ تزوج وهو فى الأستانة سنة ١٩٢٠ بالشريفة مصباح كريمة عمه المرحوم ناصر باشا فولدت له ولداً ذكراً هو الأمير طلال ولى عهده والأميره هيا وتزوج بعد ذلك بشركية كانت تعمل كوصيفة فى قصر زوجته فولت له الأمير نايف وأميرتين: مقبولة ومنيرة.

أوصافه ـ هو ربعه يميل إلى السمنة، أبيض اللون مشرب بحمرة، مليح الطلعة، ولحية جميلة كثة تحيط بوجهه الباسم، وهو كثير الشبه بالمرحوم والده.

أخلافه ـ اشتهر منذ نشأته بالسخاء والكرم الحاتميين. فهو يستدين وينفق إذا لم يجد مالاً يهبه لزواره وقاصديه، وقد بلغت ديونه فى السنوات الأخيرة نحو ٤٠ ألف جنيه. مما حمل الحكومة الإنكليزية على التدخل فأرصدت له راتباً من

راتبه يتناوله باسم نفقات جيب ويبلغ ١٢٠ جنيهاً فى أول كل شهر ويتصرف فيه أما الباقى من راتبه السنوى ويبلغ ١٣ ألف جنيه فقد أرصد لوفاء دينه. وفى مطبخه مراقب إنكليزى يراقب حركة الطبخ والدخل والخرج. وهو ملول، ضيق الصدر، كثير الكلام، قليل الحذر، بعيد عن التكتم، ميال إلى المباسطة، محب للبساطة، يكره الرسميات، ويميل إلى حياه البداوة ويفضلها عن حياة الحضارة، يقبل على البداة ويأنس بهم أكثر من أقباله على أبناء المدن، وفى قصره عدد غير قليل من هؤلاء يجلس إليهم فى أوقات فراغه ويأنس إلى حديثهم.

وهو مولع أيضاً يلعب الشطرنج لايكاد يتركه ليلاً أو نهاراً كما أنه كثير المطالعة فى كتب الأدب العربى والتركى.

أسفاره - زار القطر المصرى كثيراً وخصوصاً إبان وجوه فى الحجاز قبيل الحرب العظمى فكان يتردد على القاهرة فى ذهابه إلى الآستانة وإيابه وينزل ضيفاً على سمو الخديوى السابق صديقه الحميم.

وزار لندن فى شهر أكتوبر سنة ١٩٢٢ بدعوة من الحكومة البريطانية فلقى أكراماً ورعاية وكذلك زار قبرص فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٦ وكان والده المرحوم فيها وزار بغداد فى شهر أكتوبر سنة ١٩٢٩ وقضى أيامه فى ضيافة أخيه الملك فيصل ثم زارها للاشتراك فى مأتمة وهو يتردد على فلسطين بدون انقطاع فأحياناً يزور القدس وأحياناً يافا وحيفا.

خطبه ورسائله - يتولى الأمير عبدالله بنفسه كتابة رسائله الخاصة وخطبه والبلاغات الرسمية التى يصدرها «المقر العالى» فتجئ آية فى البلاغة وحسن السبك لطول باعه فى الأدب العربى ونحن نورد هنا جانباً من خطبة الرسمية التى ألقاها فى مناسبات مختلفة.

احتفل فى عمان يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٢٣ بتلاوة بيان رسمى اعترفت فيه بريطانيا بوجود حكومة عربية فى شرقى الأردن برئاسة الأمير عبدالله فألقى رئيس ديوانه خطبه طويلة أعدها سموه واستهلها بقوله :

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وبعد: فإن الله سبحانه وتعالى قد بعث محمداً والعرب منكمشون فى جاهليتهم المظلمة، وموضوعون فى حروبهم الداخلية والطوائل، والأحقاد مستحكمة فى أفئدتهم فوحد كلمتهم وألف بين قلوبهم، وجمع بين أهوائهم وقادهم إلى مافيه طريق رشادهم وأخرجهم من الضلال إلى الهدى، وملكهم الدنيا وهو آبون كارهون، فجزاه الله عن العرب خيراً ثم خلف من بعده الخلف الصالح وهو الخلفاء الراشدون فاتبعوا سنته، وفتحوا الفتوح، وأسسوا دعائم الدولة العربية، وشادوا لهم من المدنية صرحاً. فبه ﷺ وبهم رضى الله عنهم كان للعرب ما كان من المفاخر المادية والمعنوية حتى أصبحوا مصابيح الوجود. وكلكم تعلمون ماضى دولكم من أمويين وعباسيين وأندلسيين وفاطميين. كل ذلك كان بالاقتداء بتعاليمه وبالاعتصام بالوحدة فى الرأى والعمل وبالائتمار بأوامر من كانت بيده مقاليد الأمور وبنى عليه الأمل، ثم شاءت الأقدار الصمدانية للحكمة الأزلية أن يقلب الدهر للعرب ظهر مجنه، ويصميهم بكوارثه ومحنه، فأصابهم ما أصاب غيرهم من الأمم، وضرب التخاذل بينهم بجرانه وتسلطت الأعاجم على شؤونهم وأهم أمورهم. فوقع على الدولة العباسية ما وقع وأضاع العرب ما اكتسبوه بالأنفس والنفائس، وظلوا بعدها كما تعلمون إلى أن أذن الله بالحرب العامة فى أثناء انتباه الأقطار العربية وسعيها لإعادة مجدها السابق وعزها الغابر. فوقعت النهضة العربية المباركة على يد من اختاره سبحانه وتعالى قواماً لها وقائداً لأمورها. فنادى إلى الحق فأيقظ الهاجع فى عماده، ونبه الغافل فى كراه، وخاض غمرات الحرب فى أشد أوقاتها خطراً متكلاً على الله وعلى قومه والنصر من عند الله. فكلل الله جميع أعماله بالنجاح لأئتمار العرب فى أثناء الحرب بأمر واحد وأتباعهم مركزاً واحداً.

وخطب يوم ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٤ بمناسبة عودته من الحجاز فقال: لاتصل الأمم إلى غاياتها إلا بالعقل والعقل، يكون النظام والنظام، هو الذى يوصل

إلى الغاية المنشودة. أما الذين ينصاعون إلى الفوضى ولايدخلون البيوت من أبوابها فيسلكون غير طريق الحق والنظام، هؤلاء ليسوا إلا خطراً على بلادهم مهما حاولوا تبرير أعمالهم.

نعم. نحن خرجنا من الحرب العامة لنكون أصحاب بلادنا. ولكن من هو الذى يقول إننا على أهبة فى وسائلنا وأوضاعنا لمقاومة الأمم؟ إن المقاومة التى تجلب الشر ليست سوى جريمة، والشجاعة الحقيقية هى فى معرفة الإنسان نفسه وسلوكه مسلك الحق والحكمة، وأن يسعى قبل كل شئ فى إعداد نفسه ليكون رجلاً أو أمة.

أنا لا أخون الله والأمانة التى أودعت لى. بل أجهر بالحق ليسمع الجميع. إن كل من يعبث بالأمن فى سورية وفلسطين من دعاة الفتنة نعتبرة خارجاً علينا إذا ماسولت له نفسه استخدام هذه المنطقة الآمنة فى مناحى هواه. لأننا لانريد أن تجنى هذه البلاد ذلاً، وإنى لأقول لكم اسمعوا وأطيعوا. فالطاعة لابد منها فى المحافظة على الكيان».

وورد سموه على برقيه أرسلها إليه موسى كاظم باشا الحسينى باسم فلسطين راجياً منه عدم حضور الحفلة التى تقيمها الحكومة الإنكليزية إعلاناً لانتدابها على فلسطين بقوله :

«إننى عالم بما أوجب الله على فى أعمالى وإليه المفزع والمآل، وأود أن الغير يعرف ما أوجبه الله عليه فيتبعه، وإننى لا أرى أن هنا شيئاً استجد بل هو الانتداب الذى ذكر منذ عقد الهدنة، والمخطوب من هيئة سورية على لسان كافة أحزابها وممثليها لدى لجنة الاستفتاء من أنهم يريدون انتداب أمريكا، وإن لم يكن فالانتداب البريطانى، وإننى لا تأخذنى فى الحق لومة لائم. لذا أقول: إن أفتنا جميعاً التردد فى الأمور، وأذكر بكل ثناء أن الأمة ووفدها أديا ما ظناً فيه الفائدة ولهما الشكر. فليتركا الآن الرجال الرسميين المسئولين يعملون بما يرون فيه الفائدة أيضاً. ألا وإننى عالم بأن الله آخذ بناصيتى فيما أنا فيه. فإن رأيت قبول طلبكم من العزم فعلت، وإن رأيت ترك ذلك من الحزم مضيت، والله حسبى ونعم الوكيل».

ولما نعى البرق المغفور له الملك فيصلاً وجاءه المعزون خطب فيهم فقال: إن المصاب هو مصاب العرب. أما نحن فذو مصابين. مصاب خاص ومصاب عام أنتم تعرفون المرحوم فلا حاجة إلى من يعرفكم عليه، ندعو الله أن يعوض الإسلام والعرب عن فيصل وقدما كان الله للجميع. فليأخذ الله بيدنا ويصبرنا على هذ المصاب الجليل.

وخطب أيضاً فقال : لاحى يدوم إلا وجهه. لقد استرد الله فيصلاً، وإن هذا الاسترداد ليصعب على القلوب والعرب أحوج ما يكونون إليه، ولكنا نحن آل زيد دائماً مصابون، والله لاينساكم، ولكم برسول الله اسوة حسنة. بارك الله فيكم، واسيتمونا وعزيتمونا جزاكم الله خيراً عن كل عين دمعت، وعن كل قلب وجف، استغفروا للمرحوم. أرجو الله أن لايسيئكم بعزيز.

مسألة الخلافة ـ ولابد لنا ونحن نورد سيرة الأمير عبدالله من الإشارة إلى أنه كان فى مقدمة العاملين على مبايعة والده الملك حسين بالخلافة الإسلامية فى شهر مارس سنة ١٩٢٢ على اثر إلغاء الترك الكماليين لها فى بلادهم وطردهم سلائل الخلفاء العثمانيين. فقد أقنع والده وكان يزوره فى عمان بقبول البيعة كما حمل كثيرين من رجال فلسطين وسورية على مبايعته. فجرت يوم الجمعة ٨ شعبان سنة ١٣٤٢ و ١٤مارس سنة ١٩٢٤ ولم يطل ملكه بعدها سوى بضعة أشهر.

إعداد الثورة العربية ـ وكما تفرد الأمير عبدالله بعملية نقل الخلافة إلى والده فقد كان فى مقدمة العاملين على تهيئة الثورة العربية فى الحجاز، وكان هو الوسيط بين والده وبين رجال الإنكليز فى مصر. فكانت المكاتبات تجرى بواسطته، وكان رسل الإنكليز ينزلون على شواطئ البحر الأحمر ثم يقصدون الطائف فيقابلهم سموه ويتناول منهم الكتب والرسائل ويجيبهم عليها حتى تم الاتفاق على اشتراك العرب فى الثورة إلى جانب الحلفاء.

الرتب والألقاب ـ وأسرف الأمير فى ابتداء عهده بمنح الرتب والألقاب فعد حاملو لقب باشا ولقد بك بالعشرات، ولما طغى سيلها تدخلت الحكومة البريطانية فوضعت حداً لها.

عهده

ضمت المقاطعات التى تتألف منها حكومة شرقى الأردن الحاضرة إلى حكومة دمشق الفيصلية (٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٨ ـ ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٠) وخضعت لها بعد جلاء الترك ولما بسط الفرنسويون نفوذهم على سورية الشرقية أمسكوا عن التعرض لهذه المقاطعات تنفيذاً لأحكام معاهدة سايكس بيكو المعقودة بيهم وبين الإنكليز فى القاهرة يوم ٨ مايو سنة ١٩١٦ وقد نشرنا نصها فى هذا الفصل.

واضطربت الحالة فى شرقى الأردن لعدم وجود حكومة مركزية عليا تصون النظام وتوطد الأمن فزار السر هربرت صموئيل المندوب السامى البريطانى لفلسطين يومئذ السلط (أغسطس سنة ١٩٢٠) وخطب شيوخها معلناً دخول بلادهم تحت الانتداب البريطانى وعزم بريطانيا على إنشاء حكومة عربية تسوس أمورهم.

وفى يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩٢٠ اجتمع شيوخ إربد وعجلون بالميجر سمرست مندوب انكلترا فى عجلون يومئذ وباحثوه فى مصير بلادهم وتم الاتفاق بينه وبينهم على الاتفاق الآتى، وهو بشكل كتاب موجه إليهم من الميجر ويسمى معاهدة أم قيس وهو :

١ ـ نوافق على تأليف حكومة عربية مستقلة تحت انتداب الحكومة البريطانية وأما بخصوص ضم حوران والقنطرة ومرجعيون إلى حكومتكم الجديدة فهذا طلب لايستطاع منحه بالوقت الحاضر، بل سيكون تقديمه والسعى فيه لدى مندوب ونائب جلالة ملك بريطانيا العظمى بفلسطين.

٢ ـ طلبكم أميراً عربياً لهذه الحكومة فهذا الطلب أيضاً سيخابر به فخامة المندوب السامى ليسعى لتحقيقه لدى جمعية الأمم.

٣ ـ بخصوص تأليف مجلس عام لهذه الحكومة فهذا الطلب سيقدم إلى فخامة المندوب السامى ويصادق عليه بعد استشارة أهالى السلط والكرك.

٤ ـ لاعلاقة ألبتة بين حكومة هذه البلاد وحكومة فلسطين.

٥ ـ منع الهجرة الصهيونية ومنع بيع الأراضى لليهود عائد لحكومة البلاد.

٦ ـ توافق الحكومة البريطانية على تأليف جيش وطنى لهذه الحكومة وزيادته عند اللزوم إذا وافقت عليه أهالى منطقتى السلط والكرك.

٧ ـ لاتوجد فى الوقت الحاضر فكرة نزع السلاح. أما إذا أرادت الحكومة الوطنية ذلك فى المستقبل فالأمر لها.

٨ ـ لايكون تسليم أى فرد كان من المجرمين السياسيين اللاجئين إلى هذه المنطقة بتاتاً، ولايطالب أحد من الأهالى بجرم سياسى سابق أو خلافه.

٩ ـ ستكون التجارة حرة بين هذه المنطقة وفلسطين وتجرى المخابرة بخصوص جعلها حرة مع باقى الحكومات المجاورة لها. وستعطى حقها من إيرادات الجمارك وقد يمكن أخذ جانب منها لوفاء الدين العام.

١٠ ـ سيكون الخط الحجازى بن درعا ـ سمخ تابعاً لحكومة الشام. أما بين درعا ـ المدينة فقيد المذاكرة.

١١ ـ للحكومة الوطنية الحق باتخاذ أى شعار كان.

١٢ ـ تقدم الحكومة البريطانية السلاح وغيره للحكومة المحلية بثمنه حسب اللزوم.

١٣ ـ تراجع جمعية الأمم بشأن انتداب بريطانيا لسورية.

ولما وصل الأمير عبدالله إلى عمان قادماً من الحجاز رأى ولاة الأمور البريطانيون فى وصوله ما يساعد على إنقاذ شرقى الأردن من الفوضى ويقضى

على حكومات المقاطعات، فقد نشأت فيها خلال هذه المدة القصيرة أربع حكومات كل منها مستقلة عن الأخرى وهى : حكومة السلط، حكومة الكرك، حكومة إربد، وحكومة عجلون، فدعى إلى القدس على مامر آنفا فقابل المستر تشرشل وتم الاتفاق على إنشاء حكومة عربية طبق القواعد الآتية :

١ ـ تؤسس حكومة عربية وطنية فى شرقى الأردن برئاسة الأمير عبدالله.

٢ ـ تكون هذه الحكومة مستقلة استقلالاً إدارياً تاماً.

٣ ـ تساعدها بريطانيا ماليا لتوطيد الأمن.

٤ ـ تسترشد برأى مندوب بريطانى يقيم فى عمان.

٥ ـ يحافظ على حدود فلسطين وسورية من كل اعتداء.

٦ ـ تنشئ بريطانيا مركزين للطيران فى عمان والجيزة (الزيزاء).

٧ ـ تتوسط بريطانيا لتحسين العلاقات بين الأمير عبدالله والسلطة الفرنسوية فى سورية.

النص علي منع الهجرة الصهيونية إلي شرقي الأردن

جاء فى المادة ٢٥ من صك الانتداب البريطانى لفلسطين وقد أقره مجلس جمعية الأمم يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ مانصه :

«يحق للدولة المنتدبة بسماح مجلس جمعية الأمم أن تؤجل أو توقف تطبيق ما تراه من هذه الشروط غير مطابق للأحوال المحلية الحاضرة فى الأملاك الواقعة بين نهر الأردن والحد الشرقى لفلسطين كما سيعين فى آخر الأمر، وأن تضع من التدابير لإدارة هذه الأملاك ما تراه ملائماً لتلك الأحوال بشرط أن لايعمل عمل يكون مخالفاً لشروط المواد ١٥ و ١٦ و ١٨».

وفى يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٢٢ عرض سكرتير جمعية الأمم على الجمعية مذكرة قدمتها الحكومة البريطانية بخصوص المادة ٢٥ الآنفة الذكر وطريقة تطبيقها وهى :

تطلب حكومة جلالة الملك من مجلس جمعية الأمم وفقاً لشروط هذه المادة أن يقرر القرار الآتى :

«لاتطبق المواد الآتية من نظام الانتداب الفلسطينى فى القطر المعروف بشرقى الأردن الذى يشمل جميع المقاطعات الواقعة إلى شرق خط ممتد من نقطة واقعة على خليج العقبة على بعد ميلين إلى غرب مدينة العقبة ماراً بمنتصف وادى عربه والبحر الميت. ونهر الأردن حتى المنطقة التى يلتقى بها هذا النهر بنهر اليرموك، فمنتصف هذا النهر حتى الحدود السورية.

والمواد الملغاة هى :

١ ـ الفقرة الثانية والثالثة من ديباجة صك الانتداب وهذا نصها :

«حيث إن دول الحلفاء الكبرى وافقت أيضاً على أن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذ التصريح الذى صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ للشعب اليهودى مع البيان الجلى أن لاتفعل شيئاً يضر الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة فى فلسطين الآن، ولا الحقوق أو المركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى.

«وحيث إن ذلك هو اعتراف بالصلة التاريخية التى تصل الشعب اليهودى بفلسطين والبواعث التى تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القوى فى تلك البلاد».

والمادة الثانية من صك الانتداب ـ ونصها :

«تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل البلاد فى أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومى اليهودى كما جاء فى ديباجة هذا الصك

وترقية أنظمة الحكم الذاتى وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الأجناس والأديان».

والمادة الرابعة والسادسة :

هذا نص المادة الرابعة : «يعترف بوكالة يهودية صالحة كهيئة عامة لتشير وتعاون فى إدارة فلسطين فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك مما يمس إنشاء الوطن القومى اليهودى ومصالح السكان اليهود فى فلسطين وتساعد فى ترقية البلاد تحت سيطرة حكومتها دائماً.

ويعترف بأن الجمعية الصهيونية هى هذه الوكالة المنصوص عليها فى ماتقدم مادامت الدولة المنتدبة ترى أن نظامها وتأليفها يجعلانها صالحة لهذا الغرض. وعلى الجمعية الصهيونية أن تتخذ مايلزم من التدابير بعد استشارة الحكومة البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة فى إنشاء الوطن القومى».

ونص المادة السادسة : «على حكومة فلسطين مع كفالة عدم إلحاق الضرر بحقوق سائر طوائف الأهالى ومراكزهم أن تسهل هجرة اليهود إلى فلسطين فى أحوال مناسبة وتنشيط بمعونة الوكالة اليهودية المنصوص عنها فى المادة الرابعة استقرار اليهود فى الأراضى الزراعية، وفى جملتها الأراضى المبذورة والأراضى البور غير المطلوبة للأعمال العامة».

والمادة السابعة، وهذا نصها : «يجب على حكومة فلسطين أن تسن قانوناً للجنسية ينص على تسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً دائماً لهم على الرعوية الفلسطينية».

والجملة الثانية من الفقرتين الأولى والثانية من المادة ١١ ونصها : «ويجوز لحكومة البلاد أن تتفق مع الوكالة اليهودية على أن تصنع وتدير بشروط

الإنصاف والعدل الأعمال والمصالح والمنافع العامة، وترقى مرافق البلاد الطبيعية حيث لاتتولى الحكومة مباشرة هذه الأمور بنفسها».

والمادتان ١٣ و ١٤ وهما خاصتان بالأماكن المقدسة فى فلسطين والمادة ٢٢ وهى خاصة بالاعتراف باللغة العبرية لغة رسمية والمادة ٢٣ وهى خاصة بالأعياد.

وفى تطبيق نظام الانتداب على شرقى الأردن تقوم حكومته بالأعمال التى تقوم بها حكومة فلسطين فى فلسطين بمراقبة الدولة المنتدبة.

٢ - تقبل حكومة جلالة الملك التبعة التى تقع على عاتقها فى تطبيق نظام الانتداب على شرق الأردن وتتكفل بأن الشروط التى توضع لإدارة ذلك القطر وفقاً للمادة ٢٥ لاتكون بأية وسيلة غير مطابقة لبقية شروط نظام الانتداب التى لم يشر إلى عدم تطبيقها هذا القرار.

أول تصريح رسمي لبريطانيا

كان أول تصريح رسمى أصدرته بريطانيا خاصاً بشرقى الأردن التصريح الذى تلى فى عمان يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٢٣ وقد ألقاه السر جلبرت كليتن باسم بريطانيا ونصه :

«تعترف حكومة جلالة الملك بوجود حكومة مستقلة فى شرقى الأردن برئاسة صاحب السمو الأمير عبدالله بن الحسين. شرط أن توافق جمعية الأمم على ذلك وأن تكون حكومة شرقى الأردن دستورية تمكن حكومة جلالة الملك من القيام بتعهداتها الدولية فى مايتعلق بتل البلاد، وذلك بواسطة اتفاق يعقد بين الحكومتين».

كيف ضمت العقبة ومعان إلي شرقي الأردن؟

فى يوم ١٨ مارس سنة ١٩٢٤ أعلن الملك حسين تنازله عن إدارة العقبة ومعان الداخلتين فى مملكة الحجاز إلى نجله الأمير عبدالله فضمها إلى بعضها وأنشأ منهما ولاية جعل معان مقرها وقيل أن هذا الالحاق شخصى.

واغتنم الإنكليز فرصة الحرب الحجازية ـ النجدية فحملوا الأمير عبدالله على إقناع أخيه بالتنازل نهائياً عن هذه المقاطعة لإمارة شرقى الأردن فتم لهم ما أرادوه واحتفل يوم ١٨ يوليو سنة ١٩٢٥ فى معان بفصلها نهائياً عن الحجاز وإلحاقها رسمياً بشرقى الأردن وهذا نص الاتفاق الرسمى الموقع بين الأخوين يوم ٢٥ ذى القعدة سنة ١٣٤٣ :

تقرر بين جلالة الملك على وسمو الأمير عبدالله ما يأتى :

أ ـ التصريح بسلامة الشرق العربى.

ب ـ عدم ـ ازعاج جلالة الخليفة الأعظم نظراً لمقامه فى العالم العربى والإسلامى ـ أى أنه لايجرى التسليم إلا بعد تشريف جلالته لجده (١).

ج ـ لايجرى التسليم إلا بعد صدور الأوامرلموظفى ولاية معان.

د ـ عدم التعر لمناقلات الحجاز الحربية مطلقاً.

هـ ـ السماح للحكومة الحجازية بنقل جندها ومعداتها إلى أى محل تريد قبل التسليم وبعده.

***

ولما عقد المؤتمر الإسلامى فى مكة سنة ١٩٢٦ أثيرت مسألة العقبة وانتقد

(١) المقصود هنا بعبارة جلالة الخليفة المعظم هو الملك حسين، ولا يخفى انه كان يومئذ يقيم فى العقبة من أعمال معان، وقد نزلها لاجئا على اثر غزو النجديين للحجاز.

الخطباء الأساليب التى اتبعت فى فصلها عن الحجاز وإلحاقها بشرقى الأردن وطلبوا من حكومة مكة العمل لاستردادها وفعلاً دار البحث عليها فى خلال المفاوضات التى جرت فى جده لعقد معاهدة تنظم العلاقات بين حكومتى مكة ولندن، وانتهت بإضافة الملحق الرابع إلى تلك المعاهدة.

المعاهدة الأردنية الإنكليزية

وعملاً بالتصريح البريطانى الصادر يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٢٣ وقد نشرناه آنفا وهو يقضى بعقد معاهدة بين شرقى الأردن وإنكلترا تحدد علاقاتهما بدأت المفاوضات بين المندوب السامى البريطانى لفلسطين من جهة وبين رئيس الحكومة الأردنية من جهة أخرى واستمرت نحو ٤ سنوات، وفى يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٢٨ وقع على هذه المعاهدة ونشرت فى لندن وعمان يوم ٢٦ مارس وهى :

حيث إن لصاحب الجلالة البريطانية بحكم انتداب معهود فيه إليه يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ صلاحية للعمل فى ما شمله الانتداب من إقليم.

وحيث إن صاحب السمو أمير شرقى الأردن قد أقام حكومة فى القسم المعروف بشرقى الأردن ما فى الإنتداب من إقليم.

وحيث إن صاحب الجلالة البريطانية مستعد أن يعترف بقيام حكومة مستقلة فى شرقى الأردن فى حكم صاحب السمو أمير شرقى الأردن. على أن تكون دستورية وجاعلة صاحب الجلالة البريطانية. حيث يقوم بما هو إلى هذه الأقطار من عهوده الدولية اعترافاً يقع عن طريق معاهدة تقع مع صاحب السمو.

فقد عقد صاحب الجلالة البريطانية وصاحب السمو أمير شرقى الأردن معاهدة إجابة لهذه الأغراض، وسعياً إلى هذه الغاية، وعينا لهما مفوضين مطلقين:

عن صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وأرلنده والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار وإمبراطور الهند الفلد مارشال الريت أنو رابل اللور بلومر.

وعن صاحب السمو أمير شرقى الأردن حسن خالد باشا أبو الهدى.

اللذين بعد تبادلهما بلاغ تفويضيهما واعتبارهما صحة ورسماً تعاهدا كما يلى:

المادة ١ ـ معاهد صاحب السمو أمير شرقى الأردن أن صاحب الجلالة البريطانية يمثله فى شرقى الأردن وكيل بريطانى عامل بالنيابة عن المندوب السامى لشرق الأردن، وأن المخابرة مابين صاحب الجلالة البريطانية وسائر الدول كافة من الجهة الواحدة وبين حكومة شرقى الأردن من الأخرى تكون عن طريق الوكيل البريطانى والمندوب السامى المذكورين.

ومعاهد صاحب السمو الأمير أن اعتيادى نفقات الحكومة والإدارة المدنيتين ومرتبات الوكيل البريطانى وأفراد ديوانه ونفقاتهم تحتملها كافة شرقى الأردن، وييسر صاحب السمو الأمير محال لإقامة البريطانيين من ديوان الوكيل البريطانى.

المادة ٢ ـ إن صلاحيتى الاشتراع والحكم المعهود فيهما إلى صاحب الجلالة البريطانية منتدباً لفلسطين يمارسهم فى هذا القسم المعروف بشرقى الأردن صاحب السمو الأمير عن طريق ما يعين وما يتعين فى قانون شرقى الأردن الأساسى وفى كل تعديل يلحقه بمصادقة صاحب الجلالة البريطانية من حكومة دستورية، وفى سياق سائر مواد هذه المعاهدة يراد بكلمة (فلسطين) ـ مالم ترد معرفته على وجه آخر ـ ذلك القسم من الإقليم الذى فى الانتداب الواقع إلى غربى خط يخط من نقطة على ميلين غرباً من مدينة العقبة القائمة على الخليج المعروف بهذا الاسم صعوداً فى قلب وادى عربة فقلب البحر الميت فقلب نهر الأردن حتى ملتقاه بنهر اليرموك ففى قلب هذا النهر حتى الحد السورى.

المادة ٣ ـ معاهد صاحب السمو الأمير أنه مدى هذه المعاهدة لايعين فى شرقى الأردن موظفاً غير ذى جنسية أردنية من دون موافقة صاحب الجلالة البريطانية وأمر استخدام موظفين بريطانيين وكيفية تعيينهم فى شرقى الأردن من حيث العدد والشروط يضبط بمعاهدة على حدتها.

المادة ٤ ـ معاهد صاحب السمو الأمير أن كل ما قد يقتضى لتام القيام بما هو إلى أقطار شرقي الأردن من دولى مسئوليات صاحب الجلالة البريطانية وعهوده من قانون أوامر أو نظام يتخذ ويستسن فى شرقى الأردن من قانون أو أمر أو نظام ما قد يعوق تمام القيام بما ذكر من دولى المسئوليات والعهود.

المادة ٥ ـ معاهد صاحب السمو الأمير أنه ينقاد بمشورة صاحب الجلالة البريطانية مسوقة إليه عن طريق المندوب السامى لشرقى الأردن فى جميع الشئون المختصة بعلاقات شرقى الأردن الخارجية وفى جميع مهام الشئون المتصلة بما هو إلى شرقى الأردن من دولى عهود صاحب الجلالة البريطانية ومصالحة وما إليها. وأخذ صاحب السمو الأمير على نفسه أن يتبع فى شرقى الأردن خطة فى الشئون الإدارية والمالية وموارد الخزينة مايضمن لحكومته وماليتها الاستقرار وحسن الانتظام، وأن يدع صاحب الجلالة البريطانية على علم بما يعتزم وبما يتخذ من تدابير قضاء لحق هذا الالتزام من الإنفاذ وأنه لايحدث تغييراً فى نظام شرقى الأردن من دون موافقة صاحب الجلالة البريطانية.

المادة ٦ ـ يتعهد صاحب السمو الأمير أن يتبع مشورة صاحب الجلالة البريطانية فى قانون الميزانية السنوى، وفى كل قانون ذى علاقة بشئون مشمولة فى هذه المعاهدة وفى كل قانون يكون من نوع من الأنواع التالية أى :

(١) قانو يتصل بأمر نقد شرقى الأردن أو يتعلق بإصدار ورق نقد. (٢) قانون تفرض به رسوم جديدة. (٣) قانون يسوغ به جعل أشخاص ـ هم من رعايا حكومة عضو فى جمعية الأمم أو معاهدة لحكومة صاحب الجلالة تضمن لها من

الحقوق ما كانت لتتمتع به لوكانت عضواً فى الجمعية المذكورة ـ خاضعين أو معرضين لحكم فقد أهلية غير مخضع ولا معرض له أيضاً رعايا بريطانيون ولا ذوو جنسية حكومة أجنبية. (٤) قانون خاص يوضع به لأمر الوراثة فى عرش الأمير أو لأمر إقامة مجلس حكم. (٥) قانون يسوغ به جعل أرض أو مال أو عطية أخرى أو منحة لشخصه. (٦) قانون يسوغ به أن يتولى الأمير السيادة على شئ من الأقطار فى خارج شرقى الأردن. (٧) قانون يتعلق بأمر اختصاص المحاكم النظامية على الأجانب. (٨) قانون يحدث تغييراً فى أوضاع القانون الأساسى أو يعدها أو يضيف إلى تفاصيلها.

المادة ٧ ـ لايكون بين فلسطين وشرقى الأردن حاجز جمركى والتعريفة الجمركية فى شرقى الأردن يصدق عليها صاحب الجلالة البريطانية. وعلى حكومة فلسطين أن تدفع إلى حكومة شرقى الأردن مبلغاً بقدر الرسوم الجمركية المفروضة على ما يدخل فلسطين من غير أقطار شرقى الأردن من البضائع، ثم يدخل شرقى الأردن للاستهلاك المحلى إنما يكون لها حق أن تحجز من المستحق أداؤه من هذا القبيل مبلغا مقدار الرسوم الجمركية المفروضة من قبل شرقى الأردن على ما يدخل شرقى الأردن من غير أقطار فلسطين ثم يدخل فلسطين للاستهلاك المحلى، وتلقى تجارة شرقى الأردن ومتاجرها فى الموانئ الفلسطينية من التسهيلات ما تلقاه فيها تجارة فلسطين ومتاجرها على السواء.

المادة ٨ ـ لايقيم صاحب الجلالة البريطانية عائقاً فى سبيل اتحاد شرقى الأردن مع من يرغب فيه من حكومات عربية مجاورة لأغراض جمركية وغيرها.

المادة ٩ ـ يتعهد صاحب السمو الأمير أنه يقبل وينفذ فى الشئون القضائية ما قد يراه صاحب الجلالة البريطانية ضرورياً لصيانة مصالح الأجانب، وتندمج تلك التدابير فى معاهدة على حدة تبلغ إلى جمعية الأمم، وريثما تعقد هذه المعاهدة لايؤتى بأجنبى أمام محكمة فى شرقى الأردن من دون موافقة صاحب الجلالة البريطانية.

ويتعهد صاحب السمو الأمير أن يقبل وينفذ من معقول التدابير فى الشؤون القضائية ماقد يراه صاحب الجلالة البريطانية ضرورياً صيانة لأمرى الشريعة والصلاحية فى ما هو إلى مسائل ناشئة عن مختلف الملل المذهبية من عقائد دينية.

المادة ١٠ ـ لصاحب الجلالة البريطانية أن يقيم قوات مسلحة فى شرقى الأردن، وله أن يجند وأن ينظم وأن يلى من قوات مسلحة ما يراه ضرورياً للدفاع عن البلاد، ولمعونة صاحب السمو الأمير فى حفظ الأمن والنظام.

ويتعهد صاحب السمو بأنه لايجند ولايقيم ولايسمح أن يجند ويقام فى شرقى الأردن قوة حربية أو عسكرية من دون موافقة صاحب الجلالة.

المادة ١١ ـ يسلم صاحب السمو بأن نفقات القوات اللازمة للدفاع فى شرقى الأردن تكون عبئاً على إيرادته. وعند نفاذ هذه المعاهدة تظل شرقى الأردن متحملة سدساً من نفقات قوات الحدود، وتتحمل أيضاً حالما تطيق موارد البلاد المالية الربو فى نفقات القوات البريطانية محلة بشرقى الأردن قدر ما تكون معتبرة عند صاحب الجلالة البريطانية مستخدمة فى ما هو إلى شرقى الأردن على نفقاتها محله بيريطانيا العظمى وكامل نفقات كل قوة مجندة لشرقى الأردن وحدها.

المادة ١٢ ـ إذا لم تكف إيرادات شرقى الأردن لنفقاته العادية المصدقة من قبل صاحب الجلالة البريطانية بما فى ذلك نفقات القوات المحلية المسؤول عنها شرقى الأردن كما فى المادة ١١ ينظر فى إمداد من الخزينة البريطانية سواء بجعل معين أو بعقد قرض، ويتدبر صاحب الجلالة البريطانية أيضاً لقاء الربو فى نفقات القوات البريطانية المحلة فى شرقى الأردن والمعتبرة عند جلالته مستخدمة فى ما هو إلى شرقى الأردن قدر ما تكون إيراداته غير الكافية لتحمل هذا البريد ومدى ذلك.

المادة ١٣ ـ يتعهد صاحب السمو بتلبية جميع ما قد يقتضيه صاحب الجلالة البريطانية من جهة إلى أخرى من قانون أو أوامر أو نظام إجابة لأغراض المادة العاشرة. ويتعهد أن لايتخذ ولايسن فى شرقى الأردن قانوناً ولا نظاماً يكون فى رأى صاحب الجلالة حائلاً دون أغراض تلك المادة.

المادة ١٤ ـ يتعهد صاحب السمو أنه يتبع مشورة صاحب الجلالة فى أمر إعلان الأحكام العرفية فى جميع شرقى الأردن أو فى أى جزء منها. وأن يعهد فى أمر حكم ما قد يجعل تحت الأحكام العرفية من أجزاء من شرقى الأردن إلى من قد يسميه صاحب الجلالة البريطانية من ضابط أو ضباط من قوات جلالته. ويتعهد أيضاً أنه عند إعادة الحكم المدنى يسن قانوناً خاصاً يتحمل به مسؤولية كل عمل عملته القوات المسلحة المقامة من قبل صاحب الجلالة وكل عمل تركته وكل تقصير وقع فى الأحكام العرفية.

المادة ١٥ ـ لصاحب الجلالة أن يمارس سلطته على أفراد القوات المسلحة المقامة أو المولى عليها من قبل جلالته فى شرقى الأردن. وفى سياق الأغراض المرادة بهذه المادة وبالخمس السابقة يعتبر مفاد الكلمتين (القوات المسلحة) شاملاً الملكيين الملحقين بالقوات المسلحة أو المستخدمين فيها.

المادة ١٦ ـ يتعهد صاحب السمو أن ييسر فى جميع الأحيان كل تسهيل لانتقال قوات صاحب الجلالة البريطانية (داخلاً فى ذلك استعمال دوائر اللاسلكى وخط التلغراف والتلفون البريين وحق مد خطوط بريدة) ولنقل الوقود والعتاد والذخيرة واللوازم واختزانها فى طرق شرقى الأردن وسككها الحديدية ومسالكها المائية وموانئها.

المادة ١٧ ـ يتعهد صاحب السمو أنه يعمل بمشورة صاحب الجلالة فى جميع الأمور المتعلقة بمنح الامتيازات، أو باستغلال الموارد الطبيعية، أو بإنشاء السكك الحديدية وأعمالها وباقتراض القروض.

المادة ١٨ ـ لايتنازل عن أرض فى شرقى الأردن ولاتؤجر ولا تجعل بأى صورة فى ولاية دولة أجنبية وليس هذا بمانع صاحب السمو من اتخاذ ما قد يكون ضرورياً من تدبير فى أمر الإقامة فيما خص ممثلين أجنبيين وقياماً بمقتضى المواد السابقة.

المادة ١٩ ـ يتعهد صاحب السمو الأمير أنه إلى حين انعقاد معاهدات تسليم المجرمين خاصة أيلة إلى شرقى الأردن يكون النافذ من معاهدات تسليم المجرمين مما بين صاحب الجلالة والدولة الأجنبية سارياً حكمة فى شرقى الأردن.

المادة ٢٠ ـ تنفذ هذه المعاهدة حال إجازتها من الفريقين الساميين المتعاقدين من بعد قبولها من الحكومة الدستورية المقامة على حكم المادة الثانية، والحكومة الدستورية تعتبر وقتية إلى أن تكون هذه المعاهدة قد صودق عليها على هذا الوجه. ولاشئ يمنع الفريقين الساميين المتعاقدين من إعادة النظر من حين إلى حين أخر فى أوضاع هذه المعاهدة قصد تحوير قد يبدو مرغوباً فيه فى ما يكون فى حينه من أحوال وظروف.

المادة ٢١ ـ صيغت هذه المعاهدة باللغتين العربية والإنكليزية ويكون لكل منهما عين المقام والاعتبار ويكون للإنكليزية التقدم عند الاختلاف بينهما فى تفسير مادة من مواد المعاهدة وشهادة بذلك وقع المفوضان المطلقان المذكوران على هذه المعاهدة فى القدس فى اليوم العشرين من شهر فبراير (شباط) سنة ١٩٢٨.

حسن خالد أبو الهدى   **الفيلد مارشال بلومر**

وفى ٢ نوفمبر سنة ١٩٢٨ أعلن إبرام هذه المعاهدة ووضعها موضع التنفيذ وأرسل المندوب السامى بهذه المناسبة كتاباً إلى الأمير جاء فيه «أمرت أن أحيطكم علماً باعتراف جلالة الملك بوجود حكومة مستقلة فى شرقى الأردن تتولى التشريع والإدارة بلا قيد غير التحفظات المنصوص عليها فى المعاهدة، وأن يؤدى إلى أميرها ما يؤدى للأمراء المالكين ورؤساء الدول من تحيات مألوفة».

نظام الحكم في شرقي الأردن

نظام الحكم فى شرقى الأردن دستورى نيابى مقيد وإمارتها وراثية فى ذرية الأمير عبدالله بن الحسين. وقد وضع دستورها بالاشتراك بين دار الإمارة ودار المندوب السامى، ونشر يوم ١٦ أبريل سنة ١٩٢٨ وهو فى ٧٢ مادة. وقد جاء فى المادة ١٦ منه أن السلطات التشريعية والإدارية مخولة للأمير عبدالله بن الحسين ولورثته من بعده وأن ولاية العهد فى الذكور من سلالة الأمير وفقاً لقانون الوراثة الخاص، وجاء فى المادة ٢٠ أن الأمير هو الذى يعين رئيس الوزراء ويقيله أو يقبل استقالته من منصبه.

وجاء فى المادة ٢٠ يؤلف مجلس تنفيذى لإسداء المشورة للأمير من رئيس وزراء وأعضاء آخرين لايتجاوز عددهم الخمسة يعينهم الأمير بناء على توصية رئيس الوزراء. إما من الموظفين الرئيسيين فى الإدارة أو من نواب الأمة المنتخبين.

وجاء فى المادة ٢٥ أن السلطة التشريعية تناط بالمجلس التشريعى والأمير، ويتألف هذا المجلس من ممثلين منتخبين طبقاً لقانون الانتخاب ومن رئيس الوزراء وأعضاء المجلس التنفيذى الآخرين الذين لم ينتخبوا ممثلين. ومدة المجلس ثلاث سنوات، ويتألف من ١٦ نائباً ١٣ مسلماً بينهم ٢ من الشراكسة المسلمين و ٣ من المسيحيين.

وجاء فى المادة ٧٠ أنه يجوز للأمير فى أى وقت خلال سنتين من تاريخ بدء العمل بهذا القانون مع رعاية التزاماته العهدية أن يغير بمنشور يصدره أى حكم من أحكام هذا القانون الأساسى ويلغيه أو يضيف عليه تنفيذاً للغايات المتوخاه منه، ويجوز له أن يضع أية مواد أخرى ضرورية ليطبقها على ما ينطوى عليه من أحكام. وللحكومة البريطانية فى عمان مندوب يمثل المندوب السامى لحكومة فلسطين، وهو همزة الوصل بين الحكومتين (عمان والقدس).

وعلى أثر إعلان نصوص هذه المعاهدة ونشر الدستور عقد رجال هذه الإمارة وأصحاب الشان فيها مؤتمراً وطنياً فى عمان لدرس الحالة والنظر فى ما يجب اتخاذه من تدابير. فاحتجوا على ما جرى ووضعوا الميثاق الوطنى الآتى وتعاهدوا على تنفيذه وهو :

بالاستناد إلى العهود المقطوعة للعرب عامة من جانب حليفتهم بريطانيا العظمى أثناء الحرب العامة.

وإلى الوعود الرسمية المقطوعة من قبلها لشرقى الأردن خاصة، وإلى المادة (٢٢) من عهد جمعية الأمم.

وإلى مبادئ الرئيس ولسن الأربعة عشر التى اعترفت بها الحلفاء ووعدوا رسمياً بتحرير الشعوب المظلومة على أساسها.

وإلى الوعد الرسمى الصادر عن وزارتى خارجية إنكلترا وفرنسا سنة ١٩١٨ للبلاد العربية المحررة.،

قد اجتمعنا نحن ممثلى الإمارة العربية الأردنية فى مؤتمرنا الوطنى المنعقد فى عمان يوم ٢٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٨ وقررنا ميثاقاً وطنياً لبلادنا البنود الآتية :

١ ـ إمارة شرقى الأردن دولة عربية مستقلة ذات سيادة بحدودها الطبيعية المعروفة.

٢ ـ تدار بلاد شرقى الأردن بحكومة دستورية مستقلة برئاسة صاحب السمو الملكى الأمير عبدالله بن الحسين المعظم وأعقابه من بعده.

٣ ـ لاتعترف بلاد شرقى الأردن بمبدأ الانتداب إلا كمساعدة فنية نزيهة

لصالح البلاد، وهذه المساعدة تحدد بموجب اتفاق أو معاهدة تعقد بين شرقى الأردن وحليفة العرب بريطانيا العظمى على أساس الحقوق المتقابلة والمنافع المتبادلة دون أن يمس ذلك بالسيادة القومية.

٤ ـ تعتبر شرقى الأردن وعد بلفور القاضى بانشاء وطن قومى لليهود بفلسطين مخالف لعهود بريطانيا ووعودها الرسمية للعرب، وتصرفاً مضاداً للشرائع الدينية والمدنية فى العالم.

٥ ـ كل انتخاب للنيابة العامة يقع فى شرقى الأردن على غير قواعد التمثيل الصحيح وعلى أساس عدم مسئولية الحكومة. أما المجلس النيابى لايعتبر انتخاباً ممثلاً لإرادة الأمة وسيادتها القومية ضمن القواعد الدستورية بل يعتبر انتخاباً مصطنعاً لاقيمة تمثيلية صحيحة له، والأعضاء الذين ينتخبون على أساسه إذا فصلوا بحق سياسى أو مالى أو تشريعى ضار بحقوق شرقى الأردن الأساسية لايكون لفصلهم قوة الحق المعترف به من قبل الشعب. بل يكون فصلهم جزءاً من أجزاء تصرف السلطة الانتدابية وعلى مسئوليتها.

٦ ـ ترفض شرقى الأردن كل تجنيد لايكون صادراً عن حكومة دستورية مسئولة. باعتبار أن التجنيد لايتجزأ من السيادة الوطنية.

٧ ـ ترفض شرقى الأردن تحمل نفقات أى قوة احتلالية أجنبية، وتعتبر كل مال يفرض عليها من هذا القبيل مالاً مغتصباً من عرق عاملها المسكين وفلاحها البائس.

٨ ـ ترى شرقى الأردن مواردها، إذا منحت حق الخيار بتنظيم حكومتها المدنية، كافية لقيام إدارة دستورية صالحة فيها برئاسة سمو الأمير المعظم صاحب الإمارة الشرعى. أما الإعانة المالية التى تدفعها الحكومة البريطانية فإن بلاد شرقى الأردن تعتبرها نفقات ضرورية لخطوط المواصلات الإمبراطورية وللقوى العسكرية المعدة لخدمة المصالح البريطانية. ليس إلا لذلك فإن هذه

الإعانة التى يضاف إليها اليوم قسم من واردات البلاد لتحقيق غايات لامصلحة لشرق الأردن فيها. كما هو الواقع لاتخول بريطانيا العظمى حق الإشراف على ماليه شرقى الأردن. هذا الأشراف المركزى الضار الواقع باليوم، ولهذا فإننا نعتبر الوضع المالى الحاضر المبنى على سياسة تخفيف الإعانة المالية عن عاتق المكلف البريطانى على حساب المكلف الأردنى عبارة عن وضع ضار غير مشروع لاتتحمله موارد البلاد، ومن الواجب إبطاله واستبداله بنظام يؤيد استقلال حكومة شرقى الأردن المالى مقررين أن التصرف المالى الحاضر لايجوز صدوره عن حليفة غنية كبريطانيا بالنسبة لبلاد فقيرة كشرقى الأردن.

٩ - تعتبر بلاد شرقى الأردن كل تشريع استثنائى لايقوم على أساس العدل والمنفعة العامة وحاجات الشعب الصحيحة تشريعاً باطلاً.

١٠ - لاتعترف شرقى الأردن بكل قرض مالى وقع قبل تشكيل المجلس النيابى.

١١ - لايجوز التصرف بالأراضى الأميرية قبل عرضها على المجلس النيابى وتصديقه عليها، وكل بيع وقع قبل انعقاد المجلس يعتبر باطلاً».

وتتابعت المؤتمرات بعد ذلك وأخرها مؤتمر عمان الخامس المعقود يوم ٥ يونيو سنة ١٩٣٣ من دون أن تغير أو تبدل شيئاً من الوضع الراهن. وقد أبدت الحكومة البريطانية أن توافق على تعديل المعاهدة وإزالة ما فيها من غبن رغم طلب الحكومة نفسها للتعديل. أما موقف الأمير إزاء الحركة الوطنية فهو مبهم فيوم يوالى الوطنيين ويوم يعرض عنهم وينأى بجانبه.

معركة طربة وبيان عن العلاقات

بين الهاشميين والسعوديين

لم تكن معركة طربة ـ وقد أشرنا إليها فى ما تقدم ووعدنا باستيفاء الكلام عليها ـ سوى مظهر من مظاهر التنازع على الزعامة والسيادة بين الملك حسين والملك عبدالعزيز السعود، فقد كان كل منهما يطمع فى بسط نفوذه على الجزيرة والتفرد فى الحكم.

والحقيقة أنه ما كاد الشريف حسين باشا يصل إلى الحجاز فى سنة ١٣٣٦ معيناً أميراً لمكة، حتى وجه أنظاره نحو نجد لمقاومة الدعوة الدينية التى كان عبدالعزيز السعود يبثها بين القبائل الحجازية الضاربة على حدود بلاده لحملها على تأييده فى سياسة التوسع التى يسير عليها. وكان أول ما فعله الحسين أنه جهز حملة كبيرة قادها بنفسه سنة ١٣٢٩ ومعه الملكان على وفيصل من أنجاله وعساكر بيشه وعكيل (ويؤلف هؤلاء سلاح الفرسان فى الحملة) وسار لتأديب هذه القبائل والقضاء على النفوذ النجدى.

واشترك فى هذه الحملة محمد بن حميد (عم سلطان بن بجاد وكبير قبيله عتيبة) وأبو العلا شيخ العصما من عتيبة وعدد كبير من الشيوخ والرؤساء فسار حتى الخرمة ـ على حدود نجد ـ وهاجم قبائل الدواسر (فى أسفل وادى الخرمة) فقاوموه، وقد أمدهم عبدالعزيز السعود بقوة من رجاله قادها أحد إخوته فهزمهم الحسين وأسر شقيق عبدالعزيز فخضعت له القبائل من عتيبة والبقوم ومطير. ثم أطلق سراح الأمير النجدى المأسور، وعقد الصلح مع ابن السعود، بتوسط محمد بن حميد على أن لايتعرض ابن السعود لقبائل البقوم وسبيع ومطير الضاربة على الحدود، ولا للقبائل الداخلة فى المنطقة الحجازية حتى الشعراء (شفا نجد).

واغتنم أبن السعود فرصة اشتباك الشريف فى الحرب العظمى وانهماكه فى قتال الترك فى الشمال، فنشط لنشر دعوته الدينية بين القبائل فكثر عدد أنصاره.

ومما يستحق الذكر هنا أن عبدالعزيز السعود أرسل سنة ١٣٣٤هـ وفداً إلى الحجاز، وذلك فى أول دخول حكومته الحرب يطلب من الشريف تحديد الحدود نهائياً والاعتراف بنجد ومصالحها، فأجابه بقوله «كل ما أنت عليه فهو لك» وعاد الوفد من دون أن ينال منالاً، وحضر رجاله حصار الطائف وحلوا ضيوفاً فى مخيم الأمير عبدالله، وكانت العلاقات بين الفريقن حسنة، وكان أهل نجد يتجرون مع الحجاز.

وظهر الخلاف بين الحكومتين فى مظهر جديد على أثر ما حدث بين الأمير عبدالله وخالد بن لؤى من نزاع، ولايخفى أن الشريف حسيناً عين خالداً فى سنة ١٣٢٧ أميراً على الخرمة، ولم تكن الإمارة فى بيته. بل كانت فى الأشراف الحوارث، وكان خالد يفد مع كبار الأشراف مرتين أو ثلاثة فى السنة للسلام على الحسين ولقضاء بعض المصالح فى مكة ويبدى زائد الإخلاص، وقد اشترك مع رجاله فى حصار الطائف بقيادة الأمير عبدالله. فلما سلمت جاء إلى مكة وحج ثم صحب الأمير إلى الخاكية شرقى المدينة لمنازلة الترك، ثم تحولوا إلى العيس.

وقضى خالد زمنا فى العيس مع الأمير، ثم وقع بينهما خلاف أدى إلى غضبه واستئذانه بالرجوع إلى بلاده، وبين الرواة اختلاف فى تعليل أسبابه، والرأى الأرجح هو أن خصاماً شجر بين خالد وبين فاجر بن شلوع من شيوخ قبيلة الروقة (عتيبة نجد) فلطم هذا خالداً فاعتقله الأمير بضعة أيام ثم سرحه فلم يقنع خالد بهذه العقوبة. فأستأذن فى الرحيل، فأشار الشريف شاكر بن زيد بن فواز على الأمير بأن لايأذن له خوف إنتقاضة فأجابه: من هو حتى أخافه؟ ثم أذن له بشرط أن يمر بمكة ويزور الملك. فلم يفعل بل قصد طربه بطريق رابغ فجمع

رجاله فيها وحصنها وكاتب ابن السعود، وأنشأ معه علاقات ودية وعمل على نشر دعوته الدينية بين القبائل. وخامرت الملك شكوك فكتب إليه بالحضور فأرسل يعتذر ويقول: إن هنالك أسباباً تقضى ببقائه. وبعد أيام عين الملك قاضياً للخرمة من أهل الوجه فقصدها ونزل على خالد (أميرها) فأكرم مثواه وأبقاه نحو شهر. ثم كتب إلى فضيلة الأستاذ عبدالله بن سراج قاضى القضاة ورئيس الحكومة الحجازية كتاباً خاصاً يقول فيه إنه بسبب الظروف الحاضرة يميل إلى إعادة القاضى. لأنه يحب الجدل ويتدخل فى ماليس من اختصاصه، وحمل القاضى نفسه هذا الكتاب، ولما اتصل خبره بالحسين دعاه وسأله فحدثه بأعمال خالد واتباعه دعوة أهل نجد فتظاهر بالغضب وطرد القاضى.

وانتظر أياماً ثم كتب إلى خالد كتاباً خاصاً يدعوه للقدوم لمباحثته فى بعض الشؤون فأبى فكرر الطلب وأرسل الرسل فأجاب أنه مستقل وأنه لايحضر، فأصدر الملك أمراً بعزله وعين أحد أبناء عمه فى مكانه، وهو شريف من أهل الخرمة، ولم يطق هذا البقاء طويلاً. بل كتب إلى الملك يستعفيه، ويقول إن خالداً لم يبق له نفوذاً ولا وجاهة.

ولجأ الملك إلى القوة فجهز حملة تتألف من ٥٠٠ بدوى بقيادة الشريف حمود بن زيد بن فواز ومعها رشاشان ومدفع جبلى. فبلغ خبرها خالداً فكمن لها بخيله ورجله فى بطن نخل، قرب الخرمة، فلما وقعت فى الكمين وضع السيف فيها وفتك برجالها وغنم ما معهم من سلاح ومعدات. فأمر الملك بتجهيز حملة ثانية من ألف بدوى معهم ٤ مدافع ورشاشات، ولما اقتربت الحملة من منازله، بيتها ومعه عربان سبيع والدواسر ووضع السيف فى رجالها عند الفجر، فأبادها وغنم أسلابها، وأصيب قائدها برصاصتين فى فخذه، وما كان رجال خالد يقلون عن ألفى مقاتل.

وكان لانتصاره على حملتى الملك أثر بليغ فى نفوس القبائل فالتفت حوله

وأيدته، واضطربت الحالة فأمر الحسين بإعداد حملة ثالثة عقد لواءها الشريف شاكر بن زيد، ويتفاوت عدد رجالها بين ٢٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ معظمهم من عتيبة، فسلكت طريق مران، وهى طريق نجد، فهاجمتها قبائل عتيبة مع خالد وما كادت المعركة تبدأ حتى انفض رجال الشريف شاكر زيد من حوله وتسللوا ومعهم الذخائر والسلاح فارتد إلى مكة بعد أن أضاع كل شئ.

وجهز الحسين على الأثر حملة رابعة جمعها من بنى سفيان وهذيل وثقيف وبنى سعيد وحرب الحجازية مع جانب من عساكر بيشه وولاها صهره عبدالله باشا بن محمد، ومعه الشريف شاكر بن زيد نفسه.

وكان عدد رجالها يتفاوت بين ٣ ـ ٤ آلاف، فسارت حتى حضن، إلى الجهة الغربية من الطائف، وحدد مهمتها بتأديب قبائل البقوم وحماية العربان الموالين للحكومة، وفى حضن تلقت أمراً من الملك بالتزام موقفها وعدم إجراء أى حركة انتظاراً لوصول الأمير عبدالله، وقد وجهت إليه القيادة العليا، فأقامت نحو شهرين فانتشرت الحمى بين رجالها ومات منهم عدد غير قليل وأصبح الباقون فى حالة لاتساعد على الأعمال العسكرية.

وكان الأمير عبدالله فى خلال هذه الحوادث مخيماً فى العيس. فجاءه أمر والده بالرحيل مع جيشه فجاء إلى أبيار ومنها قصد العشيرة (نقطة متوسطة بين المدينة والطائف ومكة وحضن إلى الثانية أقرب وتبعد عن الثالثة ثلاث مراحل) وهبط الحسين العشيرة قبل وصول ابنه، وأقام ينتظره فوافاه وكان جيش الأمير يتألف من ٧٠٠ جندى نظامى و ٣٠٠ خيال، و١٧ مدفعاً جبلياً وهاوتزر و ١٤ رشاشة، وبدو من عقيل وعتيبة وبيشة لايقلون عن ثلاثة آلاف. وكذلك أرتدت إلى العشيرة القوات التى كانت فى حضن بقيادة الشريف عبدالله باشا ابن محمد. وجاء أيضاً شرف بن راجح أمير الطائف وشاكر بن زيد والأشراف من آل ناصر وهزاع وآل الحارث فعقدوا مؤتمراً برئاسة الحسين استمر ثلاثة أيام.

ومما يستحق الذكر هنا أن بنى سفيان وبنى هذيل أبلغوا الملك فى العشيرة أنهم لايذهبون إلى الشرق لقتال القبائل، وأنهم يدافعون عن أراضيهم فقط.

الإنكليز يتداخلون والحسين يرفض

ووصل إلى العشيرة، والمؤتمر مجتمع فيها، حسين روحى أفندى سكرتير المعتمد الإنكليزى فى جدة، يحمل كتاباً من ولسن باشا المعتمد فسلمه إلى الملك يدا بيد، فلما فضه وقرأه قال بصوت عال على مسمع من الجميع «أذهب وقل لهم إنه ليس لهم حق التدخل فى شئوننا وأننا نفعل ما نريد» ولم يرسل جواباً، وقيل يومئذ فى مكة إن حكومة لندن أرسلت بواسطة معتمدها تنصح الحسين بالاعتدال وعدم الإيغال فى العداء، وبالرجوع مع جيشه إلى الطائف فيوافيه ابن السعود فيجرى الصلح والتفاهم، ويقال إنها أرسلت مثل هذا الاقتراح إلى الرياض، وقد عجل الحسين بالرفض، وقال إن هذه أمور داخلية ليس لأحد أن يتدخل فيها.

المعركة الفاصلة وكيف وقعت ؟

وزحف جيش الأمير عبدالله على الأثر متجها إلى الشرق، وفيه عبدالله باشا ابن محمد والشريف شاكر وكبار الأشراف فى الحجاز، وعدد من كبار الضباط ففيه من القواد الجنرالية حلمى باشا، وصبرى باشا، وحامد باشا الوادى وإبراهيم بك الراوى. و٥٠٠ ضابطاً. وكانت القيادة العامة للجيش المنظم (مشاه وفرساناً ومدفعية) منوطة بالجنرال حلمى باشا يعاونه صبرى باشا. وكان مجموع الجيش يتألف كما يأتى :

٨٠٠ جندى نظامى

٣٠٠٠ بدوى

٢٢ رشاشة

١٧ مدفعاً جبلياً وهاوتزر

ولهذا الجيش مهمتان عند الحسين : تأديب القبائل التى شقت عصا الطاعة وإعادتها إلى الحظيرة، والزحف على الرياض وإخضاع ابن السعود.

ونزل الجيش حضناً بعد رحيله من العشيرة، وضرب الأمير مخيمة فيها وكان يميل إلى التأنى والا كتفاء بمهاجمة القبائل النازلة هنالك والتنكيل بها قبل الإقدام على خوض معركة حاسمة، ولما طال به المقام، كتب إليه والده يستحثه بالزحف والإسراع فى العمل فلم ير بدا من الرحيل فغادر حضناً بعد ما قضى فيها نحو ثلاثة أسابيع ونيفا، وقصد طربة فدخلها بلا عناء بعد ضربها بالمدافع.

ووصلت إلى مخيم الأمير فى طربة ركوبه من نجد، والركوبة فى اصطلاح الحجازين كل قافلة تتألف من ٨ هجن وترسل فى مهمة خطيرة، وتحمل إليه كتاباً من ابن السعود، يسأله فيه عن صحة ما شاع عن إزماعه الزحف على نجد فى حين أن العلاقات ودية بينهما ويساله التوسط لإصلاح ذات البين وعدم سفك الدماء، فكتب إليه جواباً يطمئنه فيه ويقول أنه سيسعى للصلح.

ومما يستحق الذكر أن معظم الأشراف الذين كانوا فى الحملة وهم بمثابة «هيئة أركان الحرب». أشاروا على الأمير باعتقال رسل ابن السعود وبعدم إطلاق سراحهم إلا بعد انتهاء مهمته العسكرية قائلين إنهم جاءوا للاستطلاع، وبما أنهم عرفوا أسرار الجيش، لأنهم قضوا نحو أسبوع فى مخيمة فلا يجوز تسريحهم فلم يستمع إليهم، ولم يأخذ بقولهم وجاءت الحوادث مؤيدة لبعد نظرهم فلم يمض أربعة أيام على سفر هؤلاء حتى بيت الجيش ومزق شر ممزق.

وحدث حادث آخر، لايقل عن هذا غرابة، وذلك أن بدوياً من ذوى زياد (عتيبة) جاء إلى مخيم الأمير فى مساء الليلة التى قرر فيها خالد أن يبيته وأبلغه أن القبائل متجمعة فى الخرمة للهجوم عليه، وأنهم سيباغتونه فى الليلة نفسها، فبدلاً من أن يأمر باتخاذ الأهبة أمر بإعدامه بحجة أنه رسول للعدو جاء يثبط العزائم ويلقى الذعر فى القلوب فأعدم فوراً.

ولما بلغ ذلك مسامع الأشراف (هيئة أركان الحرب) اقترحوا على الأمير بأن ينقل مخيمه إلى داخل طربه ويعبئ جيشه وينظمه ـ احتياطاً ـ فيسهل عليه الدفاع، وما كانت حالة الجند ووضعها الحربى تبعث على الارتياح، فرفض الأخذ برأيهم، وأبقى كل شئ على حاله. لأنه ما كان يعتقد أن خالداً وابن السعود يقدمان على مهاجمته. وهنالك من يقول بأن التنافس بين الأشراف (هيئة أركان الحرب) ومحاولة كل منهم الظهور له دخل فى الانكسار. فقد كان بعضهم ينافس بعضا وينقض بعضهم آراء بعض. وكان قادة الجيش النظامى يسمعون ما يدور بينهم من مناقشات من دون أن يبدوا رأياً حاسماً.

وقبيل الفجر من ليلة ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٨ باغت خالد بن لؤى جيش الأمير عبدالله، وكان مستغرقاً فى النوم، ولم يتخذ أقل احتياط، وكانت مدافعه ورشاشاته ملقاه على أبواب الخيام وغير معدة للاستعمال، وما كادوا يبدأون بإطلاق النار حتى وقع الذعر والأضطراب فى قلب المعسكر فضرب الجند بعضهم بعضاً.

وفقد الأمير عبدالله معظم عبيده ورجال حاشيته فى ابتداء المعركة، ثم نجا بصعوبة على فرس قتلت تحته برصاصه فأبدلها بناقة حملته حتى الطائف. وقتل أيضاً أمير اللواء حلمى باشا قائد الجند النظامى، وأصيب معاونة الجنرال صبرى باشا بجروح بليغة وجرح أيضاً حامد باشا الوادى وإبراهيم بك الراوى، ويقدر عدد قتلى الأشراف فى تلك المعركة بخمسين. وقد استمرت نحو خمس ساعات مزق فيها جيش الأمير، وبلغت فلوله الطائف يوم ٢٨ شعبان.

وكان الجيش المهاجم يتألف من قبائل عتيبة وسبيع وقحطان والبقوم، وقد تجمع فى الخرمة بقيادة خالد بن لؤى، وفيه كبار شيوخ عتيبة ورؤساؤها، وكان ابن السعود يخيم يومئذ فى «اللصة» وتبعد عن الخرمة نحو ثلاث مراحل، لمساعدة خالد ورجاله عند الحاجة، فلما زحفوا إلى طربه لمهاجمتها، تقدم هو إلى الخرمة ونزل فى منازلهم لإنجادهم إذا احتاجوا إليه، وبعد ما تم له النصر وصل بجيشه إلى طربه وخيم فيها، وكانت أبواب الحجاز مفتتحة أمامه.

الإنكليز يتوسطون ثانية

وخاف أهل الطائف العاقبة وأوجسوا من شر هجوم يهجمه المنتصرون فرحل بعضهم إلى مكة، وبينهم أسرة الملك حسين وأسر الأشراف، وكانت تصطاف فيها، ولما بلغ الخبر الملك أرسل على الفور ٥٠٠ جندى نظامى إلى الطائف بقيادة محمود القيسونى باشا وزير حربيته واضطرب أشد اضطراب وخاطب رئيس حكومته الشيخ عبدالله سراج قائلاً «ماذا نفعل؟؟» فأجابه ليس لنا سوى الدفاع ومتابعه الحرب.

وللمرة الأولى سمح الملك لرئيس حكومته أن يتصل بالأجانب ويخاطبهم فى شؤون رسمية، فقد جرى منذ قيام حكومته على احتكار كل سلطة وحصرها فى شخصه، واتصل الشيخ ابن سراج تليفونياً من ثكنة جرول العسكرية بمعتمد انكلترا فى جده وخاطبه بما وقع فأجابه: لقد أرادت بريطانيا من الأول أن تنهى المسألة سلماً بعقد اتفاق يزيل أسباب الخلاف فلم يصغ الحسين إليها ثم وعده بمخاطبة حكومته وإبلاغه جوابها، وطلب منه إعداد مكان فى جده لنزول طيارات انكليزية فأعد، ووصلت يوم ٧ رمضان طيارتان.

واقترح المعتمد على رئيس الحكومة أن يجتمعا فى جدة للمفاوضة فى ما

ينهى المشكلة بين نجد والحجاز وقال إنه مستعد للسفر إلى لندن إذا لزم الأمر، وطلب منه إبلاغ هذا الاقتراح إلى الملك وموافاته بجوابه. ولما عرض الأمر عليه قال يجب بيان أمهات المسائل التى يتناولها البحث، فقال له الرئيس إنها لاتعرف إلا بعد الاجتماع، فقال الملك لابد من الاطلاع عليها. ولما أبلغ المعتمد تليفونياً ما جرى ضحك ووعد بالاهتمام فى الأمر، وبعد يومين أخبره أنه جاءه أمر من لندن بإبلاغ ابن السعود أن يعود إلى بلاده، وقال إنه أعد كتاباً بهذا المعنى له وسأله أن يرشده إلى من يتسلم الكتاب ليرسل إلى صاحبه فأرشده إلى الشيخ (محمد الطويل ناظر الجمارك فى الحجاز يومئذ) وزار هذا دار الاعتماد وتسلم الكتاب وشكر المعتمد باسمه وباسم الحكومة الحجازية على توسطها وأرسله فى الحال إلى مكة فتسلمه الملك صباح ١٢ رمضان، وكان مفتوحاً وأرسله مع «ركوبة» تتألف من ٨ هجانه فبلغوا طربه فى ٣ أيام أى أنهم قطعوا المسافة بنصف المدة المقررة وهى ٦ أيام.

وتلقى ابن السعود كتاب المعتمد ظهر يوم ١٥ رمضان وهو يشتغل بجمع الأسلاب والذخائر ويعد المعدات، ويرقب الحوادث لمعرفة ما يستقر عليه رأى عدوه، وقد لايبعد أن يكون وضع الخطط لمهاجمة الطائف، وبينها وبين طربة مرحلتان فقط، وكان الحسين قد حصنها وعهد بالقيادة فيها إلى صبرى باشا وهو الذى جرح يوم طربة وهذا كتاب المعتمد ملخصاً :

«أمرتنى حكومة جلالة الملك أن أبلغكم بأن تعودوا إلى نجد حالماً يصل إلى يدكم كتابى هذا، وتتركوا طربة والخرمة منطقة غير مملوكة حتى مفاوضات عقد الصلاح وتحديد الحدود، وإذا أبيتم الرجوع بعد الاطلاع على هذا الكتاب فحكومة جلالة الملك تعد كل معاهدة بينكم وبينها ملغية وتتخذ مايلزم من التدابير ضد حركاتكم العدائية، وبالعكس فهى تقدر عملكم إذا عدتم وتعتبر أنك قمتم بحوق الود والولاء وأخذتم بنصائحها الودية. لأنها تعد الجميع أصدقاء لها وهى تأسف

أشد الأسف لما وقع بين أصدقائها سواء كان النصر فى جانبكم أو فى جانب الحسين».

وأكرم ابن السعود الرسل كل الإكرام وبعد أن تلا الكتاب ووعاه، كتب رداً عليه وسلمه مغلقاً إلى الرسل ونادى فى قومه بالرحيل فرحلوا مساء ذاك اليوم عائدين إلى نجد، وعاد الرسل إلى مكة فأبلغوا الحكومة ما وقع وسلموها الكتاب فأرسلته إلى المعتمد فى جدة.

الأمير عبدالله في الطائف ومكة

وصل الأمير عبدالله إلى الطائف يركب ناقة وتحته خرج وعليه عباءة وفروة، ومعه شاكر بن زيد واثنان من خدمة الذين سلموا، فأقام فيها، ينحى باللائمة على والده ويقول إنى نصحته بعدم الإيغال فى العداء وأشرت عليه بأن أقيم فى الطائف وأبنى حولها سوراً وأكاتب القبائل وأستميلهم تدريجاً، وقلت له إنه لافائدة لنا من القتال. لأن جميع القبائل «تدينت» أى اعتنقت مذهب أهل نجد ويقول إنه كان واثقاً من النتيجة التى صار إليها وإنه لم يفعل ما فعله إلا امتثالاً لأمر أبيه.

وقضى أياماً هنالك فبنى سوراً من اللبن حول الطائف سلحه بالمدافع وشحنه بالمقاتله خوف المباغتة، وكتب إليه والده بأن يجمع القبائل ويستعد لحرب جديدة فأبى، فطلبه إلى مكه فجاءها فى أواخر رمضان ودخلها ليلاً، خلافاً لعادته وعادة إخوته فقد كانوا يدخلونها فى رابعة النهار وفى موكب رسمى، فأوفده والده إلى جدة فقابل معتمد إنكلترا وباحثه فى الوسائل التى يجب التوسل بها لحل المشكلة ولكنه فشل أمام عناد والده وكان يعارض فى عقد كل اتفاق.

وعاد الأمير عبدالله ثانية إلى الطائف، بأمر والده، للنظر فى أمر قبائل القسمة والجعدة والوزانين والطعمة والسبعة وبعضها ينزل بين مكة والطائف، فقد شقت عصا الطاعة بعد يوم طربة وأخذت تعتدى على السابلة فأخذها باللين والحكمة فاستقرت الأمور، وقضى نحو ستة أشهر فى الطائف جاءته فى خلالها بعض شيوخ البقوم وسبيع وغيرها مقدمة خضوعها وطاعتها، ثم رجع إلى مكة لمقابلة أخيه الملك على القادم على رأس قوة من المدينة، وكان يتولى إمارتها فى ذاك العهد.

وما كاد يستقر به المقام حتى تلقى أمراً من أبيه بأن يأخذ قوة أخيه وهى ٦٠٠ جندى ويستنفر القبائل الموالية ويزحف على طربه ويضرب خالداً وأنصاره ضربه شديدة، فقال له: أما أن تعد جيشاً نظامياً لايقل عدد رجاله عن ثمانية آلاف مجهزاً بالمعدات الحربية الحديثة، وجيشاً آخر من البدو بين هجانة وخيالة، ولايقل عدد الجيشين عن ١٥ ألف مقاتل، وأما أن تتركنى وشأنى أو تسير على سياستى السلمية فأسعى لاستمالة القبائل ولو بموافقتها على تدينها وأقضها تدريجاً من حول ابن السعود فلم يرض ذلك والده وأسمعه كلاماً. فأجابه لقد هزمت حينما أطعت أمركم، ولن أعرض نفسى لهزيمة أخرى.

واعتزل الأمير عبدالله على أثر ذلك عمله فى الطائف ولم يعد إليها ثانية، ولم يعد يتدخل فى شؤون الحكومة، وكان يجاهر بانتقاده لسياسه والده.

وبعد شهرين اتفق الملك وابنه على سراً على أن يتظاهر الأخير بأنه ذاهب إلى الطائف لبديل الهواء ويصحب معه قواه كلها وأخوه عبدالله، وحينما يبلغون السيل، ويبعد مرحلة عن الطائف، يقف انتظاراً لوصول تعليمات الملك، وحين وصولها يسلمها إلى أخيه وهى تقضى بأن يذهب بطريق حضن لمهاجمة خالد بن لؤى، وكان مجموع هذه القوات لايزيد عن الألفين، وفعلاً تلقوا وهم فى السيل أمراً مختوماً من الملك ففضه على وسلمه إلى أخيه فرفض الامتثال وقال له :

أذهب أنت وحدك إذا شئت فلن أذهب، ولا أسود صحيفتى. فحاول أن يقنعه بتلبيه الأمر فأبى وأخيراً قصدا الطائف، وهناك أتصل على بوالده تلفونياً فسأله عن أخيه وهل نفذ الأمر فأجابه أنه معى، وأن جميع القوى تحت أمركم فدعا بعبدالله فكلمه فأصر على الرفض.

وقضى الأميران نحو ثلاثة أشهر فى الطائف ثم رجعا إلى مكة، ومنها ذهب على إلى مقره فى المدينة، وكانت العلاقات فى أثناء ذلك فاترة بين عبدالله ووالده ثم انتهى الأمر باستقالته من وكالة الخارجية وسفره إلى شرقى الأردن على المنوال الذى بسطناه آنفا.

وخلاصة ما جرى بعد ذلك أن خالداً واصل شن الغارة بلا انقطاع على القبائل الموالية لحكومة مكة، وكانت المعارك سجالاً بينه وبينها حتى تم لها ولأنصاره احتلال الطائف يوم ٦ صفر سنة ١٣٤٣ ومنها زحف إلى مكة وقوض بناء تلك الحكومة، وقد استوفينا الكلام على ذلك فى أثناء إيراد سيرة الملك عبدالعزيز السعود.

بين الأمير عبدالله وابن السعود في شرقي الأردن

ما فتئ الأمير عبدالله منذ نزوله شرقى الأردن يكيد لابن السعود ويسعى للانتقام منه، ولقد حمل النجديون على عمان فى شهر أغسطس سنة ١٩٢٢ بقصد احتلالها فطردوا، ثم حملوا عليها ثانية فى سنة ١٩٢٣ فهزموا، فزاد ذلك فى تأريث الأحقاد، وخصوصاً بعد استصفاء ابن السعود للحجاز، وأخيراً رأى جلالة الملك فيصل أن يتدخل للإصلاح والتوفيق. كما تدخلت الحكومة البريطانية بواسطة رجالها السياسيين فتم الاعتراف رسمياً، وعقدت بين الحكومتين معاهدة صداقة وتحكيم.

معاهدة سايكس ـ بيكو

هذا نص معاهدة سايكس ـ بيكو السرية، وقد عقدت فى القاهرة يوم ٨ مايو سنة ١٩١٦ بين الحكومتين الإنكليزية والفرنسوية لتقرير مصير بلاد العرب، وقوبلت منذ عقدها بالاستياء الزائد :

المادة الأولى ـ أن فرنسا وإنكلترا مستعدتان أن تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة، أو حلف دول عربية تحت سيادة رئيس عربى فى المنطقتين (أ) و (ب)[1] المبينتين فى الخريطة الملحقة بهذه المعاهدة، ويكون لفرنسا فى منطقة(أ) ولإنكلترا فى منطقة(ب) حق الولاية فى المشروعات والقروض المحلية، وتنفرد فرنسا فى منطقة(أ) وإنكلترا فى منطقة(ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية، أو حلف الحكومات العربية.

المادة الثانية ـ يباح لفرنسا فى المنطقة الزرقاء [2] وإنكلترا فى المنطقة الحمراء [3] إنشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية.

المادة الثالثة ـ تنشأ إدارة دولية فى المنطقة السمراء [4] يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلى شريف مكة.

المادة الرابعة ـ تنال إنكلتره ما يأتى :

(١) مينائى حيفا وعكا.

---

(١) المنطقة (أ) هى داخلية سورية والمنطقة (ب) داخلية العراق حتى بغداد.
(٢) هى شقة سورية الساحلية.
(٣) هى العراق من بغداد إلى خلية العجم.
(٤) فلسطين.

(٢) يضمن مقدار محدود من مياه دجلة والفرات فى المنطقة(أ) للمنطقة(ب) وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بأن لاتدخل فى زمن ما فى مفاوضة مع دولة أخرى للتنازل عن قبرص إلا بعد موافقة الحكومة الإفرنسية أولاً.

المادة الخامسة ـ تكون إسكندرونة ميناء حراً لتجارة الإمبراطورية البريطانية ولا تنشأ معاملات مختلفة فى رسوم الميناء، ولا تسهيلات خاصة يرفض إعطاؤها للملاحة والبضائع البريطانية، وتباح حرية النقل للبضائع الإنكليزية عن طريق إسكندرونة وسكة الحديد فى المنطقة الزرقاء. سواء كانت تلك البضائع واردة إلى المنطقة الحمراء أو المنطقتين(أ) و (ب) أو صادرة منهما. ولا تنشأ معاملات مختلفة (بالذات أو بالتبع) على أى سكة من سكك الحديد، أو فى أى ميناء من موانى المناطق المذكورة تمس البضائع والبواخر الإنكليزية.

تكون حيفا ميناء حراً لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاد التى تحت حمايتها ولايقع اختلاف فى المعاملة ولاتسهيلات فى رسوم الميناء يرفض إعطاؤها للملاحة والبضاعة الفرنسوية، ويكون نقل البضائع الفرنسية حراً بطريق حيفا وعلى سكة الحديد الإنكليزية فى المنطقة السمراء. سواء كانت البضائع صادرة من المنطقة الزرقاء أو المنطقة الحمراء أو المنطقة(أ) أو المنطقة (ب) أو واردة إليها. ولايجرى أدنى اختلاف فى المعاملة بالذات أو بالتبع يمس البضائع أو البواخر الفرنسية فى أى سكة من سكك الحديد، ولا فى أى ميناء من الموانى فى المناطق المذكورة.

المادة السادسة ـ لاتمد سكة حديد بغداد فى المنطقة(أ) إلى ما بعد الموصل جنوباً ولا فى المنطقة (ب) إلى ما بعد سامراً شمالاً، وذلك إلى أن يتم إنشاء خط حديدى يصل بغداد بحلب. مارا بوادى الفرات، ويكون ذلك بمساعدة الحكومتين.

المادة السابعة ـ يحق لبريطانيا العظمى أن تنشئ وتدير وتكون المالكة الوحيدة لخط حديدى يصل حيفا بالمنطقة(ب) ويكون لها ماعدا ذلك حق دائم بنقل الجنود فى أى وقت كان على طول هذا الخط. ويجب أن يكون معلوماً لدى الحكومتين أن

هذا الخط يجب أن يسهل اتصال حيفا ببغداد وأنه إذا حالت دون إنشاء خط الاتصال فى المنطقة السمراء مصاعب فنية ونفقات وافرة لإدارته تجعل إنشاءه متعذراً فالحكومة الفرنسية تكون مستعدة أن تسمح بمروره فى طريق بربوره - أم قيس - ملقى - أيدار - غسطا - مغاير - قبل أن يصل إلى المنطقة(ب).

المادة الثامنة - تبقى تعريفة الجمارك التركية نافذة عشرين سنة فى جميع جهات المنطقتين الزرقاء والحمراء، والمنطقتين (أ) و (ب) فلا تضاف أى علاوة على الرسوم، ولا تبدل قاعدة التثمين فى الرسوم بقاعدة أخذ العين إلا أن يكون باتفاق بين الحكومتين.

ولا تنشأ جمارك داخلية بين أية منطقة وأخرى من المناطق المذكورة أعلاه، وما يفرض من رسوم الجمارك على البضائع المرسلة إلى الداخلة يدفع فى الميناء ويعطى لإدارة المنطقة المرسلة إليها البضائع.

المادة التاسعة - من المتفق عليه أن الحكومة الفرنسية لاتجرى مفاوضة فى أى وقت كان للتنازل عن حقوقها، ولاتعطى مالها من الحقوق فى المنطقة الزرقاء لدولة أخرى سوى الدولة أو حلف الدولة العربية بدون أن توافق على ذلك سلفاً حكومة جلالة الملك التى تتعهد للحكومة الفرنسوية بمثل هذا فى ما يتعلق بالمنطقة الحمراء.

المادة العاشرة - تتفق الحكومتان الإنكليزية والفرنسوية بصفتهما حاميتين للدولة العربية على أن تمتلكا ولا تسمحان لدولة ثالثة أن تمتلك أقطاراً فى شبه جزيرة العرب أو تنشئ قاعدة بحرية فى الجزائر على ساحل البحر الأبيض الشرقى، على أن هذا لايمنع تصحيحاً فى حدود عدن قد يصبح ضرورياً بسبب عداء الترك الأخير.

المادة الحادية عشرة - تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها لتعيين حدود الدولة أو حلف الدولة العربية.

المادة الثانية عشرة - من المتفق عليه عدا ما ذكر أن تنظر الحكومتان فى الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح إلى البلاد العربية.

حيدر أباد

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

أعظم الحكومات الإسلامية فى الهند شانا، وأكبرها مقاما، وأكثرها ثروة، وأعزها جنداً، وأشدها بالدين تمسكاً، وهى مشمولة بالحماية البريطانية كبقية الأقطار الهندية.

ويبلغ عدد سكانها بموجب إحصاء رسمى نشرته حكومة حيدر أباد نفسها سنة ١٩٢٦ كما يأتى :

١١,٢٢٦,١٣٦ هندوسياً و ١٧٣ لاريا و ٣٦ برهو و ٢٠بهرة و ٢١٠,٢٦٠ جينا و ٤٧٢٦ سيك و ١٣٠٠٩٩٠ مسلماً و ٥٤٢٩٩ أجنبياً، و ١٥٢٩٠زرادشتيا، و ١٢يهودياً و ٢٨٥٧٢٢ من عبدة الأرواح ويتألف جيشها من عناصر مختلفة.

وتبلغ مساحتها السطحية ٨٢٦٩٨ ميلاً مربعاً ومن مدنها المشهورة أورانج أباد ونظام أباد وكول بارجا وعادل أباد وإكسندر أباد، وجميع سكان الأخيرة من الأجانب وتتمتع باستقلال فى إدارتها الداخلية.

ويعول سكانها على الزراعة فى معايشهم ويجلس على عرشها صاحب السمو العالى مير عثمان بن محبوب على خان وهذا رسمه :



صاحب السمو مير عثمان بن علي (شاه حيدر أباد)

صاحب السمو العالي مير عثمان بن علي

شاه حيدر أباد

مولده ونشأته

ولد فى حيدر أباد الدكن سنة ١٨٨٦ ونشأ فى حجر والده مير محبوب على خان وتعلم فى مدارس الحكومة.

علومه - يستظهر سموه العالى القرآن الكريم، ويعرف لغة الأردو (لغة مسلمى الهند، وهى مزيج من أربع لغات : العربية، والفارسية، والتركية، والبشتو) كما يعرف لغة الإنكليز، ولغة الترك، ويفهم اللغة العربية ويتكلمها بصعوبة.

وقد اشتهر سموه، بشدة التمسك بالدين والغيرة عليه، والعناية بإقامة أحكامة وبترك مانهى عنه ومحاربته. كما أشتهر بالبذل والسخاء فى سبيل نشره وتأييده، ويقدر ما ينفقه سنوياً على طبع الكتب الدينية الإسلامية وتوزيعها فى أرجاء مملكته وفى بقية الأقطار الهندية بعشرات الألوف من الجنيهات يتبرع بها من جيبه الخاص، لخدمة الدين المبين.

ومع ما اشتهر به من الجود والإحسان للأعمال الخيرية فهو يكره الإنفاق بسخاء فى الأمور الأخرى، ومعنى ذلك أنه لايبذر ثروته كما يفعل معظم الأمراء وإنما يضع كل شئ فى موضعه.

ومما يستحق الذكر من أخباره، أنه يرقب بنفسه حالة موظفى دولته ولايوافق على تعيين موظف لايصلى، وفى نادى الموظفين فى حيدر أباد، وهو ناد فخم مؤثث على أحدث طراز، جامع يؤدى فيه الموظفون الصلاة فى أوقاتها ومتى تحقق أن موظفاً لايصلى أو يتناول المسكرات أمر بإخراجه من الخدمة.

وفى الحديقة العمومية فى حيدر أباد «ملت باغجه سى» مسجد فخم بنى على طراز مسجد يلدز، ويؤدى فيه المتنزهون الصلاة إذا أدركتهم ويزدحم عادة بالناس عند صلاة المغرب فلا يبقى أحد فى الحديقة لايصلى.

مقابلته ـ يتبع سموه فى داخل قصره أشد أصول «الإتيكيت» فلا يسمح بمقابلته إلا لكبار القوم، ولابد من طلب الأذن مقدماً لكل مقابلة بواسطة كبير الأمناء، وقد يتأخر ورود الجواب مدة طويلة لابد للطالب خلالها من الانتظار، ومن سمح له وجب عليه أن يدفع رسماً مقداره نحو جنيهين لصندوق الزكاة وينفق فى المشروعات الخيرية.

ملابسه ـ يلبس فى قصره ملابس بسطاء الهنود ـ أى جبة طويلة وقميص هندى طويل، ويضع على رأسه عرقية بيضاء. أما فى الحفلات الرسمية أو حفلات العرض فيضع على عمته تاجاً من الألماس لايقدر بثمن، ويلبس رداء (سترة) مرصعة باللؤلؤ الفاخر فوق سروال ضيق وحذاء أوربى.

أوصافه ـ هو قصير القامة، قمحى اللون، حسن الملامح، بشوش الوجه، لين، متواضع، أنيس، جواد، يعطف أشد العطف على إخوانه المسلمين ويبرهم، وقد خصص رواتب كبيرة لكثير من علماء المسلمين، وبينهم بعض علماء مصر والحجاز والهند يتناولونها بانتظام من خزينته، ولاتقل مبراته السنوية وخيراته عن نصف مليون جنيه.

ولما قرر الكماليون فى مارس سنة ١٩٢٤ طرد الخليفة عبدالمجيد خان من بلادهم وأخرجوه وعائلته من دون أن يعوضوهم شيئاً وعرف أن حالتهم المادية على غير مايرام خصص ٣٠٠ جنيه شهرياً للخليفة يتناولها من خزينته وينفقها على عائلته وأبناء سرته، ثم أبلغها إلى ألف فى سنة ١٩٣١ على أثر اتصالهما برابطة المصاهرة.

ثروته ـ يعد سموه من أغنياء العالم ويملك مجموعة من الجواهر منقطعة

النظير، ويقال أن بينها سبحة من اللؤلؤ عددها مئة حبة كل حبة بحجم «البندقة» لاتقوم بثمن لندرتها ولتشابه حباتها، وقد وضعت هذه المجوهرات فى أقبيه تحت الأرض يتفقدها من أونه إلى أخرى، ويشاهد تلك الكنوز الثمينة ومعظمها مما ورثه من أجداده.

ويقال إن ثروته الخاصة لاقل عن مائة مليون جنيه يبلغ ريعها ثلاثة ملايين سنوياً، لأنه يستغل بعضها، ولايقل الوفر السنوى من إيرادات مملكته ويقدر بستة ملايين جنيه يتناول الإنكليز منها مليوناً ومائتى ألف جنيه بنسبه عشرين بالمائة مقابل نفقات الإدارة المركزية ونفقات الأمن الخارجى، والباقى وقدره ٤٨٠٠٠٠٠جنيه يتصرف به كما يشاء فينفق ما ينفقه ويحتفظ بالباقى لنفسه ويقال إن ما يقتصده سنوياً بعد نفقات الحكومة لايقل عن مليون جنيه فى بعض السنين يضيفه إلى ثروته الخاصة.

أراؤه ـ هو محب للإصلاح ميال إليه، متمسك بالجامعة الإسلامية أشد التمسك. ينادى أنه لاحياة للمسلمين ولافوز إلا إذا تمسكوا بأحكام دينهم، وهو يقاوم أشد المقاومة اشتغال البنات المسلمات بالتمثيل والرقص والغناء، ولايسمح لجوقة تمثيل أو غناء فيها فتاه مسلمة بدخول بلاده والإقامة فيها، ويقول إنه يعجب كيف يقبل مسلم على نفسه أن تزاول إبنته أو زوجته أو أخته الرقص ويؤلمه سماح بعض الحكومات المسلمة للمغنيات المسلمات بمزاولة هذه المهن التى لايقرها الإسلام.

زوجاته ـ تزوج بأربع زوجات، وله ولدان وخمس بنات وقد أحسن تربيتهن.

واسم نجله الأكبر وولى عهده صاحب زاده نواب أكبر شاه وقد تزوج سموه سنة ١٩٣١ بالأميرة درشهوار كريمة الخليفة عبدالمجيد خان العثمانى.

رتبه العسكرية ـ فى سنة ١٩١٨رقى إلى رتبة فريق أول شرف (لفتننت جنرال) فى الجيش البريطانى، ومنحه الملك جورج لقب «صاحب السمو العالى» وهو لقب خاص أنشئ له.

كيف يقضي يومه ؟

يعيش سموه، عيشة البساطة التامة، فى قصره الخاص، الكائن فى داخل مدينة القصور التى يمكلها فى حيدر آباد. ويؤدى صلاة الصبح جماعة، ومثل ذلك بقية الفروض. ففى داخل قصره مؤذن يؤذن الأوقات كلها وإمام يقيم الصلوات، ويصلى سموه جماعة الأوقات كلها فى المسجد الكبير. ويخرج للصلاة يوم الجمعة فى موكب رسمى فخم.

ويتناول طعام الصباح فى داخل الحريم، ويتغدى مع حاشيته فى غرفة المائدة ويتعشى أيضاً وينام باكراً وينهض باكراً.

كيف ارتقي العرش ؟

في يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٩١١ توفى والده المرحوم مير محبوب على خان فخلفه على العرش باحتفال حافل، وقام بأمر البلاد خير قيام.

وهو العاشر يلى الأريكة من العائلة الآصافية، ومؤسسها ميرقمر الدين خان فاتح جنك نظام الدولة. كان وزيراً للسلطان محمد شاه سلطان دهلى وواليأ على الدكن وكوجارت. فاستقل سنة ١٧٢٣ وتسمى بآصف شاه وخلفه ابنه الرابع نظام على خان. فآصف شاه الثانى. فناصر جم. فنواب صلابة جم فإسكندر شاه. فنواب ناصر الدولة شاه. فأفضل الدولة فمير محبوب على خان والد عثمان خان الحالى.

عهده

نشأت دولة حيدر أباد الدكن فى الهند سنة ١٧٢٣ على أطلال الإمبراطورية الإسلامية المغولية وكانت تتمتع بالاستقلال التام حتى جاء الإنكليز الهند فى القرن التاسع عشر عاملين على استعمارها وبسط نفوذهم عليها فدخلت تحت حمايتهم (١).

ولزم نظام حيدر أباد الحياد حينما ثارت الهند على الإنكليز ثورتها العظمى سن ١٨٥٧ فلم يؤيد الثوار، ولم يقاتل الإنكليز فحفظ له هؤلاء هذه اليد، وكذلك كان شأن معظم أمراء المسلمين الهنود. فقد رأوا أن مصلحة قومهم هى فى عدم الانضمام إلى الهندوس الثائرين على الإنكليز.

وسلطان حيدر أباد، هو أعظم أقيال الهند مقاماً، وأكبرهم شأناً، ويعامله الإنكليز معاملة خاصة، تميزه عن الأمراء الآخرين، وهو الوحيد الذى يحق له أن يرسل نائباً عنه يمثله إلى مؤتمر الأمراء، ويعقد عادة برئاسة نائب الملك، فى دهلى عاصمة الهند السياسية، ويمثل حكومة الهند لدى بلاطه مندوب بريطانى، ويزوره أحياناً الملك فينزل فى قصر خاص فخم أقامة لنزوله.

ويزور سمو النظام عثمان دهلى فتطلق٢١ مدفعاً عند وصوله، ويستقبله نائب الملك استقبالاً فخماً. ولم يزر سموه العالى إنكلترا حتى الآن مع أن أمراء الهند لا يفتأون غادين رائحين إليها، والمفهوم أنه لايزورها إلا إذا دعاه الملك جورج رسمياً إلى زيارته.

---

(١) فى الهند إمارات اسلامية اخرى دون حيدر اباد مكانة، وهى بهوبال ورامبور وجهور وبهاويور وامراؤها مسلمون.

نظام الحكم في حيدر آباد

نظام الحكم فى حيدر أباد إسلامى فى روحه. مدنى فى مظهره، فهنالك حكومة مدنية ذات أنظمة وقوانين وأوضاع إدارية يرأسها هندوسى (مجوسى) ولعل منشأ ذلك كثرة عدد المجوس من رعاياها. وهنالك وزارات متعددة: وزارة المالية والحربية والداخلية والخارجية والعدلية والمعارف والأوقاف والوزراء جميعهم مسلمون.

وقد جرى أمراء هذه الدولة أن يتولوا الحكم بأنفسهم مباشرة من دون وزراء يساعدونهم كما يقضى مبدأ تقسيم الأعمال فى الدولة، وإلى سمو النظام الحالى يعود الفضل فى الأخذ بهذا المبدأ النافع. فقد عمل به منذ سنة ١٩١٦ فأنشأ مجلس وزراء يتألف من رئيس وسبع وزراء.

وكذلك أصلح الجيش ونسقه على الطراز الحديث، وجيش هذه الحكومة مزيج فى الوقت الحاضر من العناصر الآتية :

جيش عربى نظامى يقوده الشيخ محسن سعيد وهو حضرمى

جيش عربى غير نظامى (باشبوزق) وقائده السلطان عمر القيطعى

جيش تركى نظامى

جيش فارسى نظامى

جيش حبشى نظامى

وقد كان أمراء حيدر أباد يعتمدون فى العهد الماضى على هذه الأجناد يحشدونها من المهاجرين المسلمين الذين ينزلون بلادهم. وقد كان سمو النظام الحالى أول من فكر فى إصلاح الجيش وتنظيمه وأنشأ لهذه الغاية مدرسة حربية فى حيدر أباد يتخرج فيها الضباط.

وهنالك جيش آخر اسمه الجيش الإمبراطورى ويقوده ضباط إنكليز. وهو تحت تصرف نائب الملك فى الهند ومسلح أحسن تسليح.

وبهذه المناسبة نقول أن فى حيدر أباد جالية عربية كبيرة لايقل عددها عن ٤٠ ألفاً. بينها نحو ١٠ آلاف تعمل فى الجيش.

وقد كان لدى سمو النظام جيش من الفيلة يتألف من ٢٥٠ خفض عدده أخيراً إلى عشرين لعدم الحاجة، ويركبها سموه وهى من أكبر الفيلة فى العالم.

الإصلاحات في عهده

يمتاز عهد النظام الحالى بما تم فيه من إصلاحات عظمية كما يمتاز بما أنشأه من أبنية وشاده من مدارس وآثار تنطق بفضله وعظيم غيرته.

وأول آثاره وأعظمها الجامعة العثمانية التى أنشأها فى حيدر أباد سنة ١٩٢٠ وتتألف من كلية للآداب وأخرى للعلوم الرياضية، والكيمياء والطبيعيات وفيها ٦٠٠ طالب ويرسل كل سنة عدد من طلبتها إلى أوربا ومصر واليابان.

وكذلك فقد أنشأ فى سنة ١٩١٦ لجنة للتأليف والترجمة، كانت نواة الجامعة العثمانية ـ وقد تأسست بعدها، وتضم كبار علماء الهند وأفاضلها وتتولى الحكومة طبع ما تقرر طبعه من مؤلفات: وهى إما قديمة تراجع وتدقق، وإما حديثة منقولة عن لغات أجنبية أو جديدة، وتوزعه.

وفى مدينة أورانج أباد، مجمع علمى يشمله النظام برعايته ويعد أقدم مجمع علمى فى الهند ويعمل لنشر العلوم وتعزيزها.

مدرسة الأمراء ـ وكذلك أنشأ سنة ١٩٢٤ مدرسة لأبناء العائلة المالكة وسماها «مدرسة الأمراء» يتعلم فيها أبناء هذه العائلة، وبعد أن يتخرجوا منها

يستخدمون فى الحكومة بنسبة الشهادة التى يحملونها ويقول إنه يجب عليهم أن يتعلموا ويخدموا البلاد وينالوا أجوراً مقابل خدمتهم، وفى ما عدا ذلك فلا يعطيهم شيئاً.

دار الكتب ـ وكذلك أعد مكتبة فى حيدر أباد أنشأ لها داراً فخمة، وتضم المكتبة ٤٠ألف مجلد منها ١٥ ألف مجلد عربى، ومثلها بالفارسية والأردو، ويزور هذه المكتبة كل يوم ٢٠٠ زائر، وتبلغ ميزانيتها السنوية ٢٨ ألف روبية.

وأنشأ بناية فخمة لتكون دارا لوزارة العدلية، وأنشأ دوراً فخمة للمحاكم على اختلاف درجاتها.

ومما يستحق الذكر أن ٨٣ من المدارس الأولية فى حيدر أباد هى للمسلمين وكذلك فنسبه مدارسهم الثانوية ٤٥ فى المائة و ٤٤ من المدارس الابتدائية.

ألبانيا
معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

ألبانيا هى الدولة الإسلامية الوحيدة المستقلة فى أوربا، ولإيطاليا نفوذ كبير فيها.

وتبلغ مساحتها السطحية ٤٠٠٠٠كيلو متراً مربعاً، وتحدها يوغسلافيا من الشمال، واليونان من الشرق والجنوب، والبحر الإدرياتيكى من الغرب. وعاصمتها تيرانا. ويبلغ عدد نفوسها ٨٣٣٦١٨ كما جاء فى إحصاء نشر سنة ١٩٢٧ بينهم ١٨٢٠٥١ أرثوذكسيا و ٨٨٧٩٣ كاثوليكياً و ٣٢ يهودياً. والباقى مسلمون يتدينون على مذهب الإمام أبى حنيفة، ولألبانيا جالية كبيرة فى إيطاليا وفى أميركا وفى اليونان. ومن مدنها الكبرى اشقودره (سكوتارى) وكوريجه (غوريتزا) والبصان وبرات وفالونا ودراج واليسيو ودبره.

ويتكلم سكان البانيا اللغة الألبانية (شكيب) وهى مزيج من اللغات الأوربية الهندية، ويكتبونها بالأبجدية اللاتينية من سنة ١٨٧٩.

والبانيا بلاد جبلية اشتهر أبناؤها بالشدة والنجدة والفروسية، ولايزالون رغم وجودهم فى أوربا يعيشون معيشة القبائل ويسيرون على عاداتها، ومعولهم على الزراعة وعلى ما يرسله المهاجرون من أبنائهم إلى أميركا وإيطاليا.

والخدمة العسكرية إجبارية فى ألبانيا ولديها جيش عدده ٤٥٠٠ جندى، و ٣٥٠٠شرطى، وفى الجيش الألبانى مئة ضابط طليانى.

ونظام الحكم فيها ملكى، وملكها هو أحمد ماتى زوغو الأول، وهذا رسمه :



الملك أحمد زوغو (ملك ألبانيا)

الملك أحمد زوغو

ملك ألبانيا

مولده ونشأته

ولد يوم ٨ أكتوبر سنة ١٨٩٥ فى مدينة مات من أعمال تيرانا مقر قبيلته، ووالده المرحوم جمال باش ماتى زوغو، ووالدته فاطمة هانم طوبطانى شقيقة أسعد باشا طوبطانى رئيس حكومة ألبانيا بعد سفر البرنس دافيد غيليوم الألمانى.

وقضى طفوليته فى مات ونشأ فيها ثم أرسل إلى الآستانة ـ وكان والده يتقلد منصباً رفيعاً فى وزارة الحربية العثمانية ـ فأدخله مدرسة غلطه سراى (ليسيه) فنال شهادتها ودخل على أثر ذلك مدرسة الحقوق وظل فيها حتى نشبت الحرب العظمى فعاد إلى بلاده، وكانت قد انفصلت عن تركيا ودخلها بطريق يوغسلافيا، وقصد مدينة مات وأقام فيها زعيماً لمقاطعتها.

واغتنم النمسويون فرصة الحرب العظمى فدخلوا ألبانيا واحتلوا شمالها كما احتل الإيطاليون غربها، ونزل الفرنسويون غوريتزا والمقاطعة الوحيدة التى لم يطأها جندى أجنبى فى زمن الحرب ولم تخضع لنفوذ أجنبى هى مقاطعة مات فقد وقف زعيمها أحمد بك زوغو فى وجه الأجانب، وحال بينهم وبين بسط نفوذهم على بلاده. على أن الفريقين جلوا بعد الحرب عن ألبانيا كلها.

وانتخب نائباً عن مقاطعة مات فى الجمعية الوطنية التى اجتمعت فى لشنه يوم ٢ فبراير سنة ١٩٢٠، وقد صدر الأمر بانتخابها على أثر موافقة حكومة طرخان باشا المؤقتة على دخول ألبانيا تحت الحماية الإيطالية فأسقطت الجمعية تلك الحكومة، ولم تقر المعاهدة وألفت مجلساً أعلى لإدارة البلاد مؤلفاً من أربعة

أعـضـاء، وعهـد هـذا المجلس إلى سلـمان بك دلـفـينو بتـأليف الوزارة فـألفـهـا، وقلد أحمد بك زوغو وزارة الداخلية.

وفي ٥ ديـسـمـبـر سنة ١٩٢٢ استـقـال سليـمـان بك من رئاسـة الوزارة فألفـهـا أحـمـد بك زوغـو، وظل في الدسـت حـتى شـهـر مـارس سنة ١٩٢٤ فاسـتـقـال من الحكم فخلفته وزارة برئاسة شوكة فرلاشـي بك وهـو من أنصاره، وكانت مهمتها إدارة الانتـخـابات لعـقـد جـمـعـية وطنية تـقـرر نظام الحكم، وقـد أسـفـرت هذه الانتـخـابات عن فـوز أنصـار زوغو فـوزاً أقلق خـصـومـه فـتآمـروا وأعـدوا المعـدات لإضوام ثورة، تقضي على آماله، فأعلنت الثورة في أوائل شهر يونيو سنة ١٩٢٤ وزحف المتـأخرون على أشـقـودرة فاحـتلوها كـما احـتلوا مناطق أخـرى. فلم يطق أحـمد بك زوغـو ثباتاً فلـجأ إلى يوغـسلافـيا فـخلا الجو لخـصومـة، وفي يوم ١١ يونيـو تألفت الحكومـة الجـديدة برئاسـة الأب فـان ولي زعـيم الثـورة، وهـو كـاهـن أرثوذكسي.

وأقـام زوغـو في منفـاه يعـد المعـدات لثـورة يسـتـعـيد بهـا الحـكم، ولما وثق من النجـاح زحف على ألبـانيـا يوم ١٥ ديسـمـبـر سنة ١٩٢٤ على رأس جـيش من أنصـاره فاحـتل تيـراناً يوم ٢٣ منه، وفـر خـصـومـه إلى إيطاليـا. وفي يوم ٨ يناير سنة ١٩٢٥ أعـيد تأليف الوزارة الجـديدة برئاسـتـه، ودعيت الجـمـعـية الـتـأسـيـسـية على الفـور فـقررت في شـهـر فبـراير المناداة بالنظام الجـمـهـوري واخـتـارت أحـمـد زوغو رئيـسـاً للـجـمـهورية. وفي أول سـبـتـمـبـر سنة ١٩٢٨ أبدل النظام الجـمـهوري بنظام ملكي ونودي به ملكاً على ألبانيا.

كيف يقضي يومه؟

يقطن أحمد زوغو الأول فى قصر الطوبطانى فى تيرانا، ويقع على مقربة من شارع زوغو الأول وفيه دواوين الحكومة ومكاتبها، وقد انتقل إليه هذا القصر من أخواله، على أن الحكومة بدأت منذ عهد قريب بإنشاء قصر فخم ليكون مقراً لملوك ألبانيا.

ويدير شؤون الدولة فى هذا القصر وينام ويأكل فيه ويستقبل ضيوفه وزواره ولا يغادره إلا قليلاً، والمعروف عنه أنه يظل يعمل أحياناً كثيرة حتى بعد منتصف الليل، ولاينام إلا بعد إنجاز أعماله.

وتتألف أسرته فى الوقت الحاضر من والدته فاطمة هانم ومن شقيقته سنية هانم، وهى رئيسه جمعية الصليب الأحمر فى ألبانيا، وقد تزوج من سنوات بكريمة ورلازكى بك وهو من كبار المالكين ثم طلقها وذلك قبل أن يرقى العرش، ولم تلد له أولاداً، ويقال إنه يود الرجوع إليها أملاً بأن تلد له ولداً.

أوصافه ـ هو جميل الطلعة بهيها، مشهور بالجمال الساحر، ذو جاذبية مغناطيسية وتأثير سحرى غريب.

أخلاقه ـ شجاع، مقدام، جرئ، امتاز بالإقدام كما امتاز بالكرم والسخاء، وبهاتين الخصلتين الشجاعة والكرم ساد ألبانيا وامتلكها، وهو يعول على الشبان وحدهم، ومعظم موظفى الحكومة الألبانية اليوم من هؤلاء الذين يلتفون حوله ويؤيدونه ويثقون به وهو ديمقراطى، لا أثر للكبرياء والعظمة فى حركاته وسكانه.

علومه ـ يجيد اللغتين التركية والألمانية ويتكلم الفرنسوية والإيطالية واليوغسلافية، ويعرف قليلاً من العربية، وذلك عدا لغته الأصلية وهو واسع الاطلاع، كثير المعلومات، ميال إلى التقدم والإصلاح.

دينه ـ يتظاهر بالتدين، وكثيراً ما يخرج لأداء صلاة الجمعة فى موكب رسمى، وهو يبر العلماء وحفظه القرآن، ويجود عليهم بالعطايا والهبات من وقت إلى آخر، ويقولون إنه يصوم رمضان وإنه متعصب لدينه متسمك به.

ثروته ـ لايملك ثروة خاصة، ويعيش من راتبه ويبلغ ٢٠ ألف فرنك شهرياً (نحو ألف جنيه) وهو ينفقه ولايدخر منه شيئاً.

صحته ـ يقال إنه مصاب بمرض السل فى الحنجرة، وقد جاءوا له بجراحين من فينا لإجراء عملية جراحية فاعتذروا عن القيام بها، فجئ بجراحين إيطاليين تولوا فحصه ولم يصدروا قرارهم.

والمفهوم أن والدته تسعى لكى تعين وكيلة له فى خلال مرضه بالاشتراك مع ابن شقيقه حسين بك زوغو. على أنه لايزال يتولى بنفسه إدارة المملكة.

المؤامرات لاغتياله ـ دبرت مؤامرات عديدة لاغتياله أهمها مؤامرة شهر أكتوبر سنة ١٩٢٨ على أثر المنادة به ملكاً، وقد أعدم ١١ شخصاً بسببها وأعلن الأحكام العرفية.

وقد أطلق ألبانى فى شهر أغسطس سنة ١٩٣٣ الرصاص فى سلانيك على حسن بك برشتنه أحد زعماء الألبان المشهورين بعداء أحمد زوغو فقتله فأراح الملك من خصم عنيد قوى دبر عدة مؤامرات لاغتياله فى السنوات الأخيرة.

علاقاته الغرامية ـ اشتهر بمغامرات الغرامية. فقد كانت له معشوقة جميلة تدعى مدام زينت فلورا سمت نفسها وماتت فى لندرا.

وامتلكت قلبة حسناء إيطالية أقامت معه مدة طويلة فى قصره ثم غادرته عائدة إلى رومية، وقد ظهر بعد ذلك أنها جاسوسة تعمل لحساب حكومتها، وقصدت بعد ذلك باريس ثم جاءت إلى لندن وحاولت بيع رسائل الحب والغرام التى كتبها لها فتمكن أحد أصدقائه من انتزاع هذه الكتب بحيلة لطيفة منها فانتحرت على الأثر.

ظلت ألبانيا حتى إعلان الحرب البلقانية فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٢ تابعة للدولة العثمانية، فلما فاز البلقانيون عليها، وجلت عن مقدونية تألفت يوم ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٢ أول حكومة ألبانية فى فالونا، اعترف بوجودها مؤتمر السفراء يوم أول ديسمبر سنة ١٩١٢ وحدد حدودها، وفى يوم ٣ منه عين الأمير غليوم دى فيد أميراً عليها، فلم يطل مقامة بها بل غادرها يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩١٤ على أثر إعلان الحرب العظمى مستقيلاً. فخلفه أسعد باشا الطوبطانى بصفته نائب ملك.

وفى يوم ١٣ ديسمبر سنة ١٩١٨ اجتمع مندوبو ألبانيا وعددهم ٤٨ فى دراج ونادوا بطرخان باشا رئيساً للحكومة المؤقتة لألبانيا.

وفى يوم ٢٠ أغسطس سنة ١٩١٩ عقدت هذه الحكومة معاهدة مع إيطاليا وضعت بموجبها ألبانيا تحت الحماية الإيطالية فهاجت البلاد وماجت وسادتها روح وطنية أدت إلى اجتماع جمعية وطنية فى لشنه يوم ٢ فبراير سنة ١٩٢٠ فأسقطت حكومة طرخان باشا، وأنشأت مجلساً أعلى للحكم يتألف من أربعة أعضاء هم : عاكف باشا الألبصانى البكداشى، وعبدى بك الطوبطانى، والدكتور تور تولى (أرثوذكسى) والأسقف لويس بوقشى (كاثوليكى) وفى سنة ١٩٢١ حل محلهم عمر باشا فريونى، رفيق بك طوبطانى، سوتيربيجى. وأنطون بيستولى، وفى سنة ١٩٢٤ ظل الأخير وحده.

وفى شهر فبراير سنة ١٩٢٥ أنشئت الجمهورية فى ألبانيا ونودى بأحمد زوغو رئيساً لها، وفى أول سبتمبر ١٩٢٨ اجتمعت الجمعية الوطنية ونادت به ملكاً باسم أحمد زوغو الأول.

مطامع الإيطاليين في ألبانيا وصلتهم بها

للإيطاليين مصالح فى ألبانيا نشأت عن مجاورتها لهم فى بحر الإدرياتيك ويطمع الإيطاليون فى جعله بحيرة إيطالية، ولما كان الشعب الألبانى لايزال تقريباً على الفطرة فقد اغتنموا الفرصة وعملوا على توسيع نفوذهم باستمالة الزعماء وهكذا تم لهم فى يوم ٢٠ أغسطس سنة ١٩١٩ عقد معاهدة مع حكومة طرخان باشا وضعوا فيها هذه البلاد تحت حمايتهم. فهز عملهم الرأى العام الألبانى هزاً، ونشط الروح الوطنى فنهض الألبانيون ينادون بأنهم لايعترفون بما وقع. فنقض الاتفاق واضطر الإيطاليون إلى الجلاء عن ألبانيا بموجب اتفاق اليوزى يوم ٣ أغسطس سنة ١٩٢٠ ما عدا جزيرة ساسينو.

ورأى أحمد زوغو بك بعد ما أستتب له الأمر على أثر ثورة سنة ١٩٢٤ أن مصلحته تقضى بالتقرب من إيطاليا، خوف إضرام نار ثورة جديدة فى بلاده، فقد أشاعوا أن الأب فان نولى زعيم تلك الثورة لم يقم إلا بتحريض بعض موظفى إيطاليا وإغرائهم، وكان أحمد بك يميل إلى يوغسلافيا فى ذلك الوقت؛ يؤيد ذلك فرار الأب فان نولى وأنصاره إلى إيطاليا حينما فاز عليهم أنصار أحمد زوغو وهزموهم - نقول إن أحمد بك رأى أن مصلحته هى فى وصل حبله بإيطاليا. فعقد معها معاهدة تحالف عرفت باسم معاهدة تيرانا وهذه مقدمتها :

أن إيطاليا وألبانيا حبا بتوثيق العلاقات الودية بينهما ولتقوية دعائم السلام العالمى، وللمحافظة على موقف ألبانيا الحاضر من الوضعية السياسية والقضائية طبق ما حدد فى المعاهدات بين الفريقين، وطبق مقررات جمعية الأمم قررنا عقد ميثاق محبة وولاء، وعينا لهذه المهمة سعادة البارون إلوازى مندوباً عن صاحب الجلالة ملك إيطاليا، وسعادة حسين بك فيرونى وزير خارجية ألبانيا مندوباً عن عظمة رئيس جمهورية ألبانيا. فاتفق الفريقان بملء رضائهما على عقد المعاهدة المؤلفة من المواد الآتية :

المادة الأولى ـ إن كل خطر يهدد دولة ألبانيا. سواء كان سياسياً أو حقوقياً أو مؤدياً إلى اقتطاع جانب من أراضيها مخالف لمصالح الفريقين المتعاقدين السياسية.

المادة الثانية ـ للمحافظة على الحالة الراهنة فى ألبانيا ولاتقاء كل خطر يوجه إليها يتعهد الفريقان المتعاقدان بتأييد بعضهما بعضاً، وبأن يمتنع كل منهما عن عقد أى اتفاق عسكرى يضر بمصالح الفريق الآخر المحددة بموجب هذا الميثاق.

المادة الثالثة ـ يتعهد الفريقان بأن يحيلا إلى التحكيم كل مشكلة تنشأ بينهما ولا يستطيعان حلها وينظمان اتفاقاً خاصاً بذلك.

المادة الرابعة ـ مدة هذه المعاهدة خمس سنوات، ويجوز لأحد الفريقين أن يطلب فسخ أحكامها أو تعديل إحدى موادها قبل انتهاء هذا الأجل بسنة واحدة.

المادة الخامسة ـ بعدما يصدق مجلساً الأمة فى الحكومتين على هذه المعاهدة تسجل فى سجل جمعية الأمم، ويتم تبادل نسخها المصداقة فى روما.

وبعد التوقيع على هذه المعاهدة أرسل البارون إلوازى إلى وزير الخارجية الألبانية الكتاب الآتى :

سيدى الوزير :

«طلبتم إلى أن أوضح لكم رأى الحكومة الإيطالية فى بعض النصوص الواردة فى الاتفاقية الودية والسلمية المعقودة بيننا فى ٢٦ نوفمبر الماضى. وقد رغبتم إلى بصورة خاصة أن أعلمكم بما إذا كانت الحكومة الإيطالية تشارككم الرأى فى تفسير عبارة المعاهدات المنعقدة منذ دخول ألبانيا فى جمعية الأمم. فأنا أؤكد لكم كما أثبت لكم أثناء محادثتى الشفهية بأن حكومة روما تشاطركم رأيكم فى تفسير هذه العبارة».

وأخيراً لفتم نظرى إلى العبارة الواردة فى المادة الثانية القائلة «بالتأييد

المشترك والمناصرة الودية» فهذه العبارة صريحة واضحة لاتستدعى الشك والريب، فالتأييد المشترك والمناصرة الودية لايمكن تفسيرهما إلا بأنهما تكونان حينما تستدعى الحاجة إلى ذلك، ويطلبهما أحد الفريقين من الفريق الآخر.

وأخيراً لى الشرف أن أعلم سعادتكم بأنى على استعداد تام وذلك بحسب الأوامر التى تلقيتها من حكومتى فى روما للبدء فى المفاوضات اللازمة لعقد اتفاق تحكيمى كما ورد فى المادة الثالثة من المعاهدة. وفى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٧ أيدت إيطاليا هذا الاتفاق بقرض عقدته لألبانيا بخمسين مليون فرنك إيطالى.

وفى شهر أغسطس سنة ١٩٣٣ أرسلت الحكومة الإيطالية مذكرة إلى ألبانيا طلبت فيها المطالب الآتية :

١ ـ استبدال الإخصائيين الأجانب الموجودين فى خدمة ألبانيا بإخصائيين إيطاليين.

٢ ـ تسليم الأبنية العسكرية إلى الحكومة الإيطالية.

٣ ـ استبدال بعثة البوليس البريطانية ببعثة إيطالية.

٤ ـ إلغاء المعاهدات الاقتصادية والتجارية المعقودة بين ألبانيا والدول الأجنبية.

٥ ـ إعادة افتتاح المدارس التابعة للإرساليات الكاثوليكية التى أقفلتها الحكومة الألبانية.

٦ ـ إدخال اللغة الإيطالية فى المدارس واعتبارها لغة رسمية.

٧ ـ إنشاء مدرسة إيطالية فى غوريتزا بدلاً من المدرسة الفرنسوية الملغاة.

وفى ٢٨ أغسطس أصدر الملك أمراً ملكياً يقضى بجعل تعليم اللغة الإيطالية إلزامياً فى المدارس الألبانية، وجاء فى أمر آخر أن ٨٠ فى المائة من بعثات الطلاب التى ترسلها ألبانيا يجب أن تذهب فتدرس فى إيطاليا.

وفيما عدا ذلك فعلاقات ألبانيا مع الدول الأخرى حسنة، وقد دخلت عضواً فى جمعية الأمم سنة ١٩٢٨ بتعضيد إيطاليا ومساعدتها، وهى الدولة الإسلامية الرابعة المشتركة فى تلك الجامعة وهذه أسماؤها: إيران وتركيا والعراق وألبانيا.

ولمعظم الدول الأوربية وزراء مفوضون لدى الحكومة الألبانية يتصلون بوزير خارجيتها مباشرة، وعلاقاتها منظمة تنظيماً حسناً بالحكومة التركية وبينهما معاهدة صداقة وود.

***

وقد تمت فى عهد الملك الحالى كثير من الأعمال الإصلاحية فعبدت الطرق وأنشئت الجسور على الأنهر والترع، ولم يكن يوجد جسر واحد من قبل فأصبح باستطاعة المسافر أن يجول فى ألبانيا بالسيارة، وباشروا مد أول سكة حديد من تيرانا إلى دراج، كما أرسلت الحكومة الجديدة كثيراً من البعثات العلمية إلى الخارج، وفى مصر اليوم بعثة ألبانية أرسلتها حكومة زوغو إلى الأزهر لدراسة العلوم الدينية واللغة العربية. وبالإجمال فالحكومة الجديدة عاملة على الإصلاح.

نظام الحكم في ألبانيا

نظام الحكم فى ألبانيا دستورى ملكى فى الظاهر. إلا أنه دكتاتورى فى الواقع فالملك هو مصدر كل سلطة، وهو صاحب النفوذ المطلق فى مملكته.

ورئيس الوزارة الألبانية مسئول أمام الملك، وهنالك ست وزارات: داخلية وخارجية ومالية وحقانية وحربية وزراعة.

وللحكومة الألبانية مجلس نواب يتألف من ٧٢ نائباً ينتخبون على درجتين، ويتألف من حزبين رئيسيين. حزب الشعب وحزب المحافظين.

المغرب الأقصى

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

أكبر ممالك الإسلام فى أفريقية الشمالية مساحة، وأكثرها سكاناً، وهى خاضعة لثلاث حمايات :

الحماية الفرنسوية

والحماية الأسبانية.

والحماية الدولية.

وتبلغ مساحتها السطحية ٥٢٠٠٠٠كيلو متر مربع موزعة بين الحمايات كما يأتى : ٤١٥ ألف فى منطقة الحماية الفرنسوية و ١٠٤٦٠٠ فى منطقة الحماية الأسبانية و ٣٨٠ كيلو فى منطقة الحماية الدولية.

ويقدر إحصاء فرنسوى نشر سنة ١٩٢٦ سكان المغرب الأقصى ٤٧٥٠٠٠٠ نسمة. منهم ٤٢١٦٨٢٦ فى المنطقة الفرنسوية عرب مسلمون يتدينون على مذهب الإمام مالك. بينهم ١٠٧٥١٢ يهودياً متجنسون بالجنسية المغربية، و ٦٦٢٢٧ فرنسوياً، أما الباقون وعددهم ٧٠٠ ألف فينزلون فى المنطقة الأسبانية والمنطقة الدولية. على أن الخبيرين بشؤون المغرب الأقصى يؤكدون أن عدد سكانه لايقل عن أثنى عشر مليوناً من العرب المسلمين.

ورباط الفتح هى العاصمة السياسية فى هذه الأيام، وقد كانت فى مراكش وفاس من قبل، ومن أشهر مدنه الدار البيضاء ومكناس وسلا وتازا فى المنطقة الفرنسوية، ومليلاً وسوتا وطيطوان والعريش والقصر فى المنطقة الأسبانية وطنجه فى المنطقة الدولية.

ويحد المغرب الأقصى الجزائر وموراتيانى الأسبانية والبحر المحيط والصحراء. والجانب الأكبر منه جبلى، ويحيا سكان الجبال حياة البداوة وهم فى نضال مستمر مع الفرنسويين والأسبانيين.

وسلطان المغرب الأقصى اليوم هو محمد بن يوسف، وهذا رسمه :



السلطان محمد بن يوسف (سلطان المغرب الأقصى)

السلطان محمد بن يوسف

سلطان المغرب الأقصى

مولده ونشأته

ولد في فاس (عاصمة المغرب الأقصى القديمة) ووالده السلطان يوسف بن مولاى الحسن، سليل أشراف تافيلات الحسنيين، وقد أسسوا دولتهم في المغرب الأقصى سنة ١٦٦٤ وأصلهم حجازيون هاجروا من ينبع، ويلقب السلطان منهم بلقب الخلافة، ويخطب باسمه على المنابر ولم يعترفوا بخلافة العثمانيين ولم يقروها.

ونشأ في قصر أبيه ثم أدخل مدرسة ابتدائية في فاس تعلم فيها القراءة والكتابة ودرس اللغة الفرنسوية، ولما تقلد والده السلطنة وانتقل إلى الرباط انتقل معه إليها وأدخل في المدرسة اليوسفية الثانوية ودرس فيها.

وهو يعرف اللغتين العربية والفرنسوية تكلماً وكتابة.

عائلته ـ تزوج سنة ١٩٢٦ بإحدى الأميرات من أبناء عمومته، في حياة والده، وقد أقام بمناسبة هذا الزواج أعراساً فخمة. وولد له مولود ذكر صحبه معه في رحلته الأخيرة إلى فرنسا.

أوصافه ـ هو طويل القامة، نحيف البنية، مستطيل الوجه، ذو لحية قصيرة، ولون ضارب إلى السمرة.

ويلبس الملابس المغربية، وفوقها البرنس ويضع على رأسه طربوشاً.

ويغلب عليه اللين والتواضع، وهو قليل الاهتمام بما يجرى حوله.

رحلاته ـ يزور فرنسا بلا انقطاع وأكثر ما تكون زياراته لها في فصل الصيف، فيقضى الأسابيع في مصايفها الجميلة، وآخر زياراته كانت في شهر يوليو سنة ١٩٣٣ ثم غادرها يوم ٢ سبتمبر سنة ١٩٣٣ مع ولده وحاشيته.

وقد أهداه جلالة الملك فؤاد الوشاح الأكبر من وسام محمد على سنة ١٩٢٩ فسلم إليه في حفلة أقيمت في دار المفوضية المصرية بباريس.

كيف يقضي يومه ؟

يقطن السلطان الشاب مع أسرته فى القصر السلطانى فى رباط، وهو ينام باكراً وينهض باكراً، ويؤدى الصلاة فى أوقاتها المفروضة. ويصوم شهر رمضان.

ولقد كان أول ما فعله عند مبايعته أنه أمر بكبير أمناء والده السيد ابن عبابو فطرد من القصر شر طرد وصودرت أملاكه وأمواله وتقدر بنحو مائة مليون فرنك، وذلك لأنه كان شديد الوطأة عليه وهو صغير. كما أنه كان مشهوراً بمقاومة السياسة البربرية وسيأتى الكلام عليها.

والسلطان الشاب قليل الاختلاط بأبناء شعبه لايكاد يعرفهم ولايكادون يعرفونه، وقد نشأ هذا الفتور بسبب الطريقة التى تولى فيها العرش، وهو يعتمد على تأييد الفرنسويين، كما يعتمدون عليه فى تنفيذ خططهم وأغراضهم.

كيف أرتقي العرش ؟

توفى والده السلطان يوسف يوم الخميس ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٧ على أثر رجوعه من فرنسا بعد رحلة رسمية رحلها إليها ومرض فى خلالها، وخلف ثلاثة أولاد ذكور: إدريس وهو الأكبر، وقد أوصى له أبوه بولاية العهد من بعده، وحسن وحمادة وهو الأصغر.

ورأى ولاة الأمور الفرنسويون أن مصلحتهم تقضى بإصعاد حمادة الصغير إلى العرش. فأخذوا له البيعة من العلماء ورجال الدولة والأمراء وفى جملتهم الأميران حسن وإدريس وذلك يوم الجمعة ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٧ وتسمى السلطان الجديد باسم محمد الثالث، وأذاع الفرنسويون على أثر ذلك أنهم أيدوه لأنه يعرف اللغة الفرنسوية ويحب فرنسا.

ولما جاءه المقيم العام يهنئه بارتقائه العرش يوم ٢٢ نوفمبر خطب فقال «أنه يأمل الحصول على فوائد كثيرة تصيبها بلاده بإرشاد فرنسا، ويطلب منها أن تظل ساهرة على ملكه ومصير بلاده».

عهده

انصـرفت فـرنسـا منذ تم لهـا الاسـتيـلاء على الجـزائر إلى اسـتـصـفـاء المغـرب الأقصى وضمه إلى إمبراطوريتها الاستعمارية فى أفريقية الشمالية.

ولقـد كـان مـولاى السلطان عـبـدالعـزيـز بن مـولاى الحسـن أول من تنبـه إلى أغراضـهـا، وأدرك ما تضمـره لبلاده فعـمل على إصلاح جيشه وتنسيـقه وتحسـين النظام الإدارى. مسـتـعـيناً على ذلك ببـعض ضـبـاط الـترك، وكـانوا يفـرون من منافـيـهم السـحـيـفـة فى طرابلس الغـرب وبنغـازى وفـزان فى العـهـد الحـمـيـدى، فيستخدمهم وينتفع بمواهبهم، ورأى الفرنسويون، وكانوا يرقبون أحوال المغرب الأقصى عن كثب، أن نجاح الحـركة الإصلاحـية قد يعـرقل مشروعـاتهم فقـاوموا السلطان ودفعوا «أبا حمارة» وهو من أبناء القبائل المغربية فـأشعل نار الفتنة فى البـلاد واسـتـولـى على الريف منادياً أنـه ثار على السلطـان لخـروجـه عـلى أحكام الدين ومحاولته التشبه بالإفرنج واقتـباس نظمهم فجندت الحكومة القوى لمقاتلته وقد أفنت تلك الثورة قوى المغـرب، وأودت بالسلطان وعرضه فتنازل عن الملك فى سنة ١٩٠٨ فخلفـه أخوه مولاى عبـدالحفيظ، وقـد مهد له الفرنسـويون للوصـول إلى العـرش مقـابل وعده لهم بوضـع بلاده تحت حمايتهم، وقد أنجـز وعده فوضـع يوم ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ معـاهـدة الحماية فى فاس وهـى ملخـصـة :

المادة الأولى ـ اتفقت الحكومـتان على إجراء الإصـلاحات التى تحسـبها فـرنسـا مـوافـقــة لمراكش، ورضـى السـلطـان بقـبـول كل الإصـلاحـات القـضـائيـة والماليـة والعسكرية التى ترى فرنسا تنفيذها.

المادة الثانية ـ تتعهد الحكومة الفرنسـوية بأن جميع الإصلاحات التى تقوم بها فى داخل المغـرب الأقصى لاتمـس الدين الإسـلامـى بسـوء فى كـثيـر ولا قليل، ولا تجلب أى ضـرر على الحالة الدينية، ولاتلحق أى أذى بنفوذ السـلطان.

المادة الثالثة ـ تتعهد فرنسا بالمحافظة على حقوق أسبانيا فى مراكش ومركز طنجه الدولى(١).

المادة الرابعة ـ يحق لفرنسا أن تحتل احتلالاً عسكرياً أى جهة أرادت إذا رأت الحالة داعية إلى ذلك للمحافظة على الأمن، وأن تتولى أعمال البوليس سواء فى البر أو البحر.

وتعد فرنسا السلطان بتعضيده، وجميع المشروعات الإدارية تقترحها فرنسا ويقررها السلطان.

المادة الخامسة ـ يمثل فرنسا معتمد عام يقيم فى البلاد، وتكون له القوة التى للجمهورية الفرنسوية، وهو الوسيط الوحيد بين المغرب وسائر ممثلى الدول الأجنبية.

وللمعتمد أن يوافق على أوامر السلطان العالية، وعلى فرنسا أن تمثل الأمة المغربية، وتحمى مصالحها فى البلاد الأجنبية.

المادة السادسة ـ رضى السلطان أن لايتدخل فى شئ من المعاهدات الدولية، وأن لايعقد قرضاً، ولايمنح أى امتياز بدون رضى فرنسا.

المادة السابعة ـ الحكومتان المتعاقدتان تحفظان لأنفسهما حق تنظيم مالية البلاد.

***

وثار الناس فى فاس حينما عرفوا أن السلطان قبل الحماية الفرنسوية، وهاجموا قصره يريدون الفتك به. فسافر إلى الدار البيضاء ناجياً بنفسه، ووقعت

---

(١) فى يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٢ عقدت معاهدة بين أسبانيا وفرنسا لحل مشكلة المنطقة الأسبانية وقد تقرر فيها أن ينتدب السلطان مندوبا يمثله فى هذه المنطقة ويسمونه خليفة. وحددت منطقة طنجا نهائيا فى سنة ١٩١٣ وعقد لأجلها اتفاقان دوليان الأول يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٣ والثانى يوم ٥ يوليو سنة ١٩٢٨ ويمثل السلطان مندوب فى طنجة وهى واقعة فعلا تحت النفوذ البريطانى.

بين المهاجمين والجند الموالى للسطان معارك شديدة سالت فيها الدماء أنهاراً، وتدخل الفرنسويون لحماية السلطان والدفاع عنه، وأعلنت الأحكام العرفية على الأثر، ولم يتم للفرنسويين إخماد الثورة إلا بعد عناء وتعب شديدين.

ولم يطل الأمر به. بل تنازل عن الملك ولحق بأخيه الأكبر عبدالعزيز ولايزال الاثنان على قيد الحياه، الأول فى طنجه والثانى (عبدالحفيظ فى باريس) فجاء الفرنسويون بأخيهما يوسف، وولوه العرش بعد ما أخذوا عليه العهود والمواثق بأن يكون طوع أمرهم.

وفى عهد هذا السلطان انصرف الفرنسويون إلى تنفيذ سياستهم البربرية فى المغرب الأقصى، وسدى هذه السياسة ولحمتها خلق قومية بربرية مستقلة عن القومية العربية ومنفصلة عن الجامعة الإسلامية، وإن كان البربر يتكلمون اللغة العربية ويدينون بالدين الإسلامى، كما فعلوا ببرابرة الجزائر من قبل.

وهنالك غاية أخرى يرمى إليها الفرنسويون، وهى تجزئه البلاد المغربية إلى ساحل وجبل أو ريف فيضعون لكل جزء نظاماً خاصاً به ويفصلونهما عن بعضهما. ويشبه هذا من وجوه كثيرة ما فعلوه فى سورية، فقد جزءوها إلى أربع دول، وأحيوا عنصريات لم تكن معروفة، وكذلك فقد فتحوا باب التجنس بالجنسية الفرنسوية فى تونس على مصراعيه أمام كل طالب لإضعاف الجامعة الوطنية.

وكان أول ما فعلوه لتنفيذ هذه السياسة، هو أنهم استصدروا من السلطان يوسف (ظهيرا) مرسوماً يوم ١١ سبتمبر سنة ١٩١٤ جاء فيه ما نصه:

نظراً إلى أن قبائل جديدة تنضم يوماً فيوماً إلى الإمبراطورية المغربية بفضل الأمن والسلام، ونظراً إلى أن هذه القبائل من الجنس البربرى لها قوانين وعادات خاصة تستعمل عندها منذ القدم ولها بها تعلق شديد، ونظراً إلى انه يلزم لخير

رعايانا ولطمأنينة إيالتنا السعيدة، رعاية الحالة العرفية التى تدير هذه القبائل، أصدرنا المرسوم الآتى :

المادة الأولى ـ قبائل العرف البربرى تكون محكومة ومنظمة طبق قوانينها وأعرافها الخاصة تحت مراقبة السلطات الفرنسوية، وتبقى محكومة ومنظمة كذلك.

المادة الثانية ـ تصدر قرارات من وزيرنا الأكبر بالاتفاق مع الكاتب العام للحكومة الشريفة تعين شيئاً فشيئاً وحسب الحاجة :

أولاً : القبائل التى تدخل فى دائرة العرف البربرى. ثانياً: تضع نصوص القوانين والتنظيمات التى تطبق على قبائل العرف البربرى.

وأدرك السلطان ما تنطوى عليه فكره خلق شعب بربرى مستقل فى المغرب الأقصى لما ينطوى عليه من أخطار تهدد كيان سلطنته فرفض توقيع مرسوم عرضه عليه الفرنسويون فى سنة ١٩٢٤ يسمح للأجانب (أى الفرنسويين) بامتلاك العقارات فى أراضى القبائل البربرية وترفض أعرافها صراحة السماح لهؤلاء بالتملك فى أراضيها، وأبى أن يسير فى تنفيذ هذه السياسة وهدد بالاستقالة فصبر الفرنسويون على مضض رغم تحدث بعض رجالهم بضرورة خلعه وإقصائه بحجة أنه لايملك حق معارضة مشروعات فرنسا. بل عليه أن ينفذها بدون تردد ولا إبطاء. ولم يعمر السلطان طويلاً بعد ذلك بل مات على المنوال الذى وصفناه عقب زيارته لعاصمتهم.

وعاد الفرنسويون إلى إتمام ما بدأوا به فحلموا السلطان الجديد يوم ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ على توقيع (ظهير) مرسوم جاء فى مادته الأولى: أن جميع المخالفات التى يرتكبها المغاربة فى القبائل ذات العوائد البربرية فى بقية نواحى مملكتنا السعيدة يقع الفصل فيها من طرف رؤساء القبائل.

وجاء فى المادة الثانية أن القضايا المدنية والتجارية والمختصة بالعقارات

والمنقولات تنظر فيها مـحاكم خاصة تدعى المحاكم العرفية. ابتدائيـاً أو نهائياً طبقاً للحـدود التى يجرى تعـيينهـا بقرارات وزيرية. كـما تنظر هذه المحـاكم نفسـها فى جـميع القـضـايا المتـعلقـة بالأحـوال الشـخـصـية أو بأمـور الإرث وتـطبق فى كل الأحوال العوائد المحلية.

وجاء فى المادة الرابعة أن المحاكم الاستئنافية «العرفية» تنظر فى قضايا الجنايات ابتدائياً ونهائياً.

وجاء فى المادة الثانية أن القضايا المدنية والتجارية والمختصة بالعقارات والمنقولات تنظر فيها مـحاكم خاصة تدعى المحاكم العرفية. ابتدائيـاً أو نهائياً طبقاً للحـدود الذى يجرى تعـيينهـا بقرارات وزيـرية كمـا تنظر هذه المحاكم نفسـها فى جـميع القـضـايا المتـعلقـة بالأحـوال الشـخـصـية أو بأمـور الإرث وتـطبق فى كل الأحوال العوائد المحلية.

وجاء فى المادة الرابعة أن المحاكم الاستئنافية «العرفية» تنظر فى قضايا الجنايات ابتدائياً ونهائياً.

وجاء فى المدة السادسة أن المحاكم الفرنسوية التى تفصل فى الأمـور الجنائية طبـقاً للقـوانين الخـاصـة بها لهـا الحق فى نظر الجنايات التـى ترتكب فى النواحى البربرية.

وجاء فى المادة السابعة أن القضايا المتعلقة بالعقارات إذا كان الطالب والمطلوب فيها من الأشـخاص الراجع أمرهـم للـمحاكم الفـرنسوية تعـتبر من اخـتصـاصـات المحاكم نفسها.

ولغة هذه المحاكم هى الفرنسوية.

ولما نشـر هذا الظهـير والغـاية منه منع البربر مـن التـقـاضى أمـام المحـاكم الشرعية الإسلامـية أقفلت المدن احتجاجاً ولجأ الناس إلى المسـاجد قائلين بصوت

واحد «اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير. لاتفرق بيننا وبين أخواننا البربر» وتألفت الوفود من جميع المدن وقصدت رباط الفتح وقدمت إلى السلطان مطالب الأمة المغربية وهى :

أولاً - احترام نفوذ جلالة السلطان أيده الله بالإيالة الشريفة وتثبيت سلطته الدينية والدنيوية وذلك بجعل الولاة المخزنيين من قضاة وقواد وبشاوات ومحتسبين ونظار وأمناء الأملاك مسئولين أمام الحكومة الشريفة.

ثانياً - إصدار ظهير مولوى يجعل سائر الحواضر والبوادى خاضعين لحكم الشريعة الإسلامية.

ثالثاً - تنظيم المحاكم الشريفة وإصلاحها وتولية الأكفاء فيها. سواء الشرعية منها أو محاكم البشاوات والقواد والمحتسبين وتعميمها فى سائر القطر المغربى لافرق بين حواضره وبواديه.

رابعاً - توحيد برنامج التعليم فى سائر المدارس التى تؤسس لتعليم الأهالى سواء فى المدن أو القبائل وتعميم اللغة العربية التى هى لغة القرآن فيها وتعميم تعليم الدين الإسلامى.

خامساً - احترام اللغة العربية، لغة البلاد الدينية والرسمية فى الإدارات كلها بالإياله الشريفة وكذلك فى سائر المحاكم وعدم إعطاء أى لهجة من اللهجات البربرية أية صفة رسمية، ومن ذلك عدم كتابتها بالحروف اللاتينية.

سادساً - إيقاف حركة المبشرين على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم ومنعهم من التجول فى القبائل والحضور فى الأسواق والمواسم، ونشر أى شئ يمس بكرامة الإسلام وحرمة النبى ﷺ بأى نوع من أنواع النشر.

سابعاً - لاتعطى أى إعانة من ميزانية الدولة الشريفة أو ملك من أملاك المخزن الشريف للجمعيات التبشيرية الساعية فى تشييد الكنائس ومنتديات التبشير فى أطراف البلاد المغربية.

ثامناً ـ عدم السماح للمبشرين بإحداث ملاجئ للأيتام واللقطاء ومدارس صناعية وعلمية للبنين والبنات والإنفاق عليها من المال المعد للمصالح العامة وأموال جماعة المسلمين كما هو مقرر فى الشريعة الإسلامية. أما ما سبق تأسيسه فإما أن تقوم به الحكومة الشريفة، وأما أن يقفل. وعلى أى حال لاينبغى أن تبقى هذه الأوضاع تحت نفوذ المبشرين.

تاسعاً ـ لايعين الرهبان والمبشرون للتدريس فى مدارس الحكومة أو لإدارتها.

عاشراً ـ عدم التعرض لفقهاء المكاتب والمشارطين بالقبائل وإعطاء الحرية للوعاظ والعلماء وشيوخ الطرق الصوفية للتجول فى الأنحاء المغربية لتعليم الناس أحكام دينهم وحثهم على إقامة شعائره.

حادى عشر ـ إسقاط جوازات السفر بداخل الإيالة، ويحصل بها بعد الحضرى عن البدوى، ويتعذر بذلك تفقيه الأمة فى الدين والاكتفاء عند التنقل بورقة التعريف الشخصية.

ثانى عشر ـ اعتبار جميع السكان الموجودين بالبلاد المغربية ماعدا الأجانب تحت رعايا مولانا السلطان وسلطته خاضعين للمحاكم الشرعية والمخزنية التى تؤسس باسمه الشريف، وكذلك اعتبار جميع المغاربة ـ ما عدا اليهود ـ مسلمين بمعنى أنه لاتوجد ملة ثالثة للمغاربة الوطنيين.

ثالث عشر ـ منح العفو العام عن جميع المسجونين والمنفيين فى هذه النهضة، وعدم التعرض لمن خاض فيها.

ولما تلقى السلطان هذه المطالب عقد اجتماعاً عاماً حضرة وزراؤه ورجال فرنسا وأراد أصدار ظهير (مرسوم) يلغى به الظهير الأخير الذى اضطره الفرنسويون إلى توقيعه فعارضه هؤلاء معارضة شديدة فسكت، وأخيراً اضطرت السلطة الفرنسوية إلى كتابة رسالة دعى الناس إلى المساجد فى المدن والقرى وأسواق البوادى لسماعها فحضروا يوم ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٤٩هـ

فتليت عليهم باسم السلطان وقد جاء فيها أن فرنسا تعترف مبدئياً بأن كل قبيلة بربرية تطلب التقاضى إلى محكمة إسلامية تجاب إلى طلبها.

نظام الحكم في المغرب الاقصي

نظام الحكم فى المغرب مستمد اسمياً من الشريعة الإسلامية. فليس هنالك دستور مدون، ولاقوانين ولا أنظمة، وإنما هى «أعراف» تواضعوا عليها وكانوا يرجعون إلى الشريعة لاستخراج الأحكام منها.

وكان للمغرب الأقصى فى عهد استقلالة حكومة عليها مسحة مدنية تتألف من رئيس وزراء، ووزير للداخلية وأخر للمالية والأوقاف والحقانية، وكانوا يسمون وزير الخارجية (وزير البحر).

وقد قضى الفرنسويون على هذه الأوضاع كلها واختزلوا الحكومة المغربية. فهى تؤلف اليوم من رئيس وزراء ووزير للعدلية وأخر للأوقاف ليس لهم من السلطة سوى الاسم. فقد استقرت السلطة الحقيقية فى دار الحماية الفرنسوية (المقيم العام) وأنشأ الفرنسويون لكل فرع من فروع الإدارة مديرية عينوا لها موظفاً فرنسوياً. فهنالك مدير للمالية وأخر للداخلية وثالث للعدلية ورابع للأوقاف الخ. وهم يعدون القوانين واللوائح والأنظمة ويرسلونها إلى رئيس الوزراء فيوقعها مع زميليه ويرفع ما يحتاج منها إلى مراسيم للسلطان فيصدر المرسوم اللازم.

ويقدر عدد الموظفين الفرنسويين فى المغرب الأقصى بستين فى المائة من مجموعة الموظفين. والوظائف الصغيرة خاصة بالمغاربة والكبيرة بالفرنسويين.

وكذلك وضعوا يدهم على البلديات المغربية فالمجالس البلدية هنالك تؤلف فى

كل مدينة من عدد متساو من الوطنيين والفرنسويين، مهما كان عدد هؤلاء قليلاً ويرأس المجلس حاكم المدينة، وينوب عنه قانوناً فى حالة غيابه عضو فرنسوى، ولما كان الحكام لايحضرون هذه الاجتماعات فالبلديات كلها فى يد الفرنسويين. وكذلك وضعوا يدهم على الجيش المغربى وضباطه منهم وهم يستخدمونه فى أغراضهم الاستعمارية.

وهنالك هيئة تشريعية يطلقون عليها اسم «الجمعية الشورية» ومقرها فى رباط الفتح، وأعضاؤها فرنسويون تنتخبهم الجالية الفرنسوية بالاقتراع المباشر وليس فيها مغربى. وتجتمع كل سنة مرة، ويمكن أن تدعى إلى دورات استثنائية إذا دعت الحاجة. وهى تنظر فى ميزانية الدولة وتصدقها، ومهمتها الحقيقية حماية مصالح الاستعمار، وتخفيف الضرائب عن الأجانب وتحميلها للوطنيين.

تونس

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

تونس قطر إسلامى كبير فى ساحل أفريقية الشمالى (المغرب الأدنى) مشمول بالحماية الفرنسوية، ويلقب أميره بلقب الباى [1].

ويقول إحصاء فرنسوى شبه رسمى نشر سنة ١٩٢٦ أن سكانها يبلغون ٢١٥٩٧٠٨ نسمة منهم ٥٤٢٣٤ يهودياً و ١٦٠ ألف أوربى بينهم ٧١ ألف فرنسوى، والباقى عرب مسلمون، ويؤكد أهل الخبرة من التونسيين أن سكان تونس لايقلون عن ثلاثة ملايين عربى مسلم وأن عدد الأجانب فيها كما يأتى :

١٣٠ ألف طليانى، ٧٠ ألف فرنسوى، ١٢٠ ألف يهودى، ١٢ ألف أجنبى من جنسيات أخرى، ومساحتها السطحية ١٦٧٤٠٠ كيلو متر مربع، وتحدها الجزائر من جهتين، وطرابلس الغرب والبحر الأبيض، وعاصمتها تونس، ومن أشهر مدنها صفاقس وسوسة والقيروان وبنزرت وقابس والمهدية.

وكان لتونس فى عهد استقلالها جيش وطنى يتألف من ٥٠ ألف جندى فى زمن السلم فألغاه الفرنسويون حينما بسطوا حمايتهم عليها، وألحقوا وحداته بجيش الاحتلال ويستخدمونه فى أغراضهم الاستعمارية.

وتونس قطر زراعى مشهور بخصب أرضه وجوده إقليمة، ووفره معادنه، وغناه الطبيعى.

وباى تونس اليوم هو سمو أحمد بن على بك وهذا رسمه :

(١) محرفة من كلمة «بك» الفارسية ومعناها فى الأصل «أمير» وهى اليوم لقب شائع يطلق على رجال الطبقة الراقية فى مصر وبعض بلاد العرب.



أحمد باشا بن علي (تونس)

مولاي أحمد باشا بن علي

باى تونس

مولده ونشأته

ولد فى قصر والده الخاص فى المرسى يوم ١٣ شوال سنة ١٢٧٨هـ وانتقلت إليه ولاية العهد يوم ١١ يناير سنة ١٩٢٨ وولى الحكم يوم ١١ فبراير سنة ١٩٢٩ على أثر وفاة ابن عمه محمد الحبيب، وهو السابع عشر يلى الإمارة من العائلة الحسينية.

نشأته وعلومه ـ نشأ فى تونس وتربى فى قصر والده المرحوم على بك، وتعلم القراءة والكتابة على أساتذة جئ له بهم. منهم المرحوم أحمد جمال الدين والشيخ بن يوسف شيخ الإسلام الحنفى الحالى وغيرهم من الأساتذة والمدرسين، ولم يدخل مدرسة، ولم يتقن لغة عدا لغته العربية، ولم يتخصص فى علم من العلوم، إنما هو ذو ميل إلى الأدب العربى نشأ عن اتصاله وهو شاب بالأدباء واجتماعه إليهم ومطالعته كتب الأدب.

وقد أشتهر بين أمراء العائلة الحسينية بالاقتصاد وجمع المال، ترك له والده ثروة كبيرة حينما توفى سنة ١٩٠٢م فنماها وهى تزداد من سنة إلى أخرى بما يتقاضاه من راتب وما يضاف إليها من ريع أملاكه الخاصة وتقدر ثروته بالملايين.

أخلاقه ـ هو مشهور بالمحافظة على أحكام الدين، يقيم الصلاة فى أوقاتها، ويصوم رمضان، ويبتعد عن المحرمات وقد اشتهر بالعفاف والتقوى، وهو قليل الكلام، قليل الحركة، بعيد عن الأذى، ينام باكراً وينهض باكراً، ويقطن مع أسرته فى قصر المرسى، وقد ورثه عن والده، ويعد من القصور الفخمة. أما الحفلات الرسمية فتقام فى قصر الحكم فى تونس أو فى قصر المرسى، وهو المقر الرسمى للباى، وقد أعتاد الأمراء أن يسكنوه. بيد أن الأمير الحالى فضل

الإقامة فى قصره الخاص، وهو يشهد الحفلات الرسمية أو شبه الرسمية فى القصرين المذكورين.

وقصور التاج متعددة فى تونس. فهنالك قصر باردو وقصر الحكم وقصر المرسى وقصر حمام الأنف (هو قصر الشتاء) والقصر السعيد، وقد اعتادوا أخيراً أن ينقلوا إليه جثث الأمراء بعد وفاتهم فتخرج منه بموكب رسمى للدفن.

ويتغدى الباى مع حاشيته ومع من يكون هنالك من الضيوف. أما فى شهر رمضان فتقام حفلات الأفطار كل مساء ويراسها الباى بالذات ويدعى إليها الكبراء والعلماء والأعيان ثم يصلون التروايح جماعة فى مسجد القصر وفى كل قصر من قصور التاج مسجد للصلاة وإمام ومؤذن وتقام الصلاة جماعة عقب كل أذان ويؤديها الباى.

أسرته ـ تزوج وهو شاب بإحدى الأميرات من بنات عمه فولدت له أولاداً توفى كبيراهم الطيب والمختار. فحزن عليهما حزناً شديداً ولديه أولاد صغار ذكوراً وإناثاً.

أوصافه ـ هو طويل القامة، معتدل الجسم، أبيض اللون، كث الشعر، أزج الحواجب، يلبس الملابس الإفرنجية، ويميل إلى الهدوء والبساطة ويبتعد عن البهارج والزخارف.

وهو يقرأ الصحف الوطنية التونسية، وقد عرف بميله إليها وعطفه عليها، قبل أن يلى العرش، ومما رووه عنه أنه ما كان يقرأ الصحف المناوئه للحركة الوطنية.

أسفاره ـ سافر للمرة الأولى بعد تقلده زمام الأمر إلى باريس فى سنة ١٩٣٠ فزارها فاحتفت به حكومة الجمهورية الفرنسوية وادبت له مأدبة رسمية تبودلت فى أثنائها الخطب بينه وبين رئيس الجمهورية، وبعد ما قضى بضعة عشر يوماً فى هذه الرحلة قفل إلى عاصمة بلاده.

راتبه ـ يتناول الباى من صندوق الحكومة التونسية راتباً سنوياً يبلغ ثلاثة ملايين من الفرنكات.

هو السابع عشر يلى الأريكة من هذه العائلة، ومؤسسها هو حسين باشا بن على، تركى الأصل، كردى المنبت، جاء تونس فى أوائل القرن الثانى عشر للهجرة ضابطاً فى الجيش التركى، وظل يترقى حتى عين حاكماً عسكرياً لمقاطعة «الكاف» ولما ثار التونسيون سنة ١١١٧هـ على المراديين اختاروه أميراً وكان برتبه أميرالاى وكتبوا إلى الباب العالى فأقره واصدر فرماناً بتوليته على أن تكون الإمارة وراثية فى عقبة ومنحه رتبة باشا، ولقد ظل الأمراء التونسيون يعينون بفرمان سلطانى حتى الاحتلال الفرنسوى سنة ١٨٨١ فانقطعت على أثره الصلات السياسية بين الآستانة وتونس. على أنهم ظلوا يخطبون باسم الخليفة العثمانى فى جوامع تونس حتى انتهاء عهد السلطان محمد رشاد سنة ١٩١٨.

وهذه أسماء الأمراء الذين تعاقبوا على الأريكة من هذه الأسرة: حسين باشا ابن على تركى، على باشا، محمد باشا بن حسين، على باشا الثانى، حموده باشا، عثمان باشا، محمود باشا، حسين باشا، مصطفى باشا، أحمد باشا، محمد باشا، محمد الصادق باشا، وفى عهده احتل الفرنسويون تونس، على باشا، محمد الهادى باشا، محمد الناصر باشا، محمد الجيب باشا.

كيف استعمر الفرنسويون تونس ؟

ظلت تونس حتى سنة ١٨٨١ خاضعة خضوعاً اسمياً للباب العالى فكان يكتفى بإصدار الفرمانات : بتعيين أمرائها وبالخطبة على المنابر باسم الخليفة وبالعملة تسك باسمه، وفيما عدا ذلك فكان أمراء تونس يتمتعون باستقلال تام داخلى وخارجى ويعقدون المعاهدات السياسية والمحالفات.

واتجهت أنظار الفرنسويين - بعدما استقرت أقدامهم في الجزائر سنة ١٨٥٠ - إلى الاستيلاء على تونس، وأدرك التونسيون غاية الفرنسويين وخافوا عاقبة التهاون، ورأوا أن يستعينوا بدول أوربا لمقاومة الخطط الفرنسوية وإحباطها، وكان من جملة ما فكروا فيه أن يفتحوا أبواب بلادهم للأجانب ويكثروا من منحهم الامتيازات الاقتصادية ويسهلوا لهم سبل القدوم إلى بلادهم ليستخدموهم في مناصب الحكومة التونسية، وحسبك أنهم وزعوا المناصب بين رعايا الدول فاختصوا الفرنسويين بوظائف الجيش والتعليم والهندسة، والإيطاليين بوظائف القصر والصحة، والإنكليز بالأسطول وغايتهم من ذلك إذ كاء نيران التنافس بين الدول والحيلولة دون تنفيذ خطط الاستعمار الفرنسوى ومهدوا لهذه السياسة بإرسال الأمير حسين بك إلى رومية فزار ملكها زيارة رسمية تبودلت في أثنائها الخطب وقد تضمنت وصفاً مسهباً لما بين تونس وإيطاليا من صلات قديمة.

ولم تخف غاية التونسيين عن الفرنسويين فقرروا التعجيل بالعمل واغتنموا فرصة حدوث اضطرابات بين قبائل خمير وهي تقطن على الحدود بين تونس والجزائر، فزحف جيش فرنسوى لجب يتألف من ٤٠ ألف مقاتل فاخترق الحدود التونسية، وتقدم بلا مقاومة حتى القصر السعيد (قصر الباى) وهو على ٣ كيلو مترات من تونس، فضرب نطاقاً حوله وأرسل قائده الجنرال بريار مشروع المعاهدة التي يقترح عقدها إلى الباى يطلب إليه أن يوقع عليها في خلال ساعتين وإلا فهو ينفذ ما يراه لازماً من التدابير.

واستدعى الباى (محمد الصادق) وزراءه وكبار رجال دولته على عجل واستشارهم في ما يعمل فأشار العربي بن زروق (وزير المعارف) بالمقاومة وقال للباى أنه يجب عليه أن يبرح القصر في الحال إلى تونس فيحشد الجند ويستعد للنضال.

قال : ولْكن الخزينة فارغة، قال إن رجال الدولة أغنياء وفى استطاعة كل منهم أن يدفع مبلغاً كبيراً من المال.

قال : والجند قليل، قال نجمعه حالاً.

قال : أو تريد أن تلطخ لحيتى بدمى، وأمسك لحيته البيضاء بيده. قال : وما شأن نفس واحدة فى سبيل مليونين من المسلمين.

وتناول الباى على أثر هذه المحاورة مشروع المعاهدة ووقعه.

نص معاهدة الحماية(١)

ويسمونها معاهدة باردو

أرادت الدولتان، دولة الجمهورية الفرنسوية ودولة باى تونس أن يقطعوا أسباب الشغب والقلق الواقع قريباً فى حدود الدولتين وفى الشطوط التونسية، وأرادوا أن يربطوا العلائق القديمة، علائق المودة والجوار الحسن فاعتمدوا على ذلك، وعقدوا هذه المعاهدة لنفع الجهتين، وعلى موجب ذلك فإن رئيس الجمهورية الفرنسوية عين مندوبه الجنرال بريار للاتفاق مع حضرة الباى السامية فاتفقا على الشروط الآتية :

المادة الأولى ـ المعاهدات الصلحية والودادية والتجارية وغيرها المعقودة بين الجمهورية الفرنسوية وحضرة الباى يتحتم إقرارها واستمرارها.

المادة الثانية ـ ليسهل على دولة الجمهورية إتمام الوسائل الموصلة إلى المقصود الذى بقى بالمهتمين العظيمتين فحضرة الباى ترضى بأن السلطة

(١) عدلت هذه المعاهدة بعد ذلك بمعاهدة المرسى فى شهر يونيو سنة ١٨٨٣ تعديلا قضى بجعل الاحتلال ابديا.

العسكرية الفرنسوية تضع العساكر فى المراكز التى تراها لازمة لتقرير الراحة وتوطيدها، والأمان فى الحدود والشطوط وجلاء العساكر يكون باتفاق السلطتين العسكريتين الفرنسوية والتونسية. على أن الدولة التونسة قادرة على تقرير الراحة فى البلاد.

المادة الثالثة ـ تتعهد دولة الجمهورية لحضرة الباى بأن يستند عليها دائماً فى الدفاع عن جميع ما يتخوف منه من الضرر. سواء فى نفسه أو فى عائلته أو فى مايوجب قلق دولته.

المادة الرابعة ـ دولة الجمهورية الفرنسوية تضمن إجراء المعاهدات الموجودة الآن بين الدولة التونسية والدول الأوربية المختلفة.

المادة الخامسة ـ يمثل دولة الجمهورية الفرنسوية لدى حضرة الباى وزير معين للنظر فى إجراء هذه المعاهدة، وهو يكون واسطة بين الدولة الفرنسوية وذوى الأمر والنهى من التونسيين، وكذا فى كل الأمور المشتركة بين المملكتين.

المادة السادسة ـ يعهد إلى النواب السياسيين والقناصل الفرنسويين فى الممالك الأجنبية بحماية أعمال تونس وشؤون رعيتها، وفى مقابل ذلك فحضرة الباى يتعهد بأن لايعتمد معاهدة عمومية من غير إعلام دولة الجمهورية بها ومن غير أن يحصل على موافقتها من قبل.

المادة السابعة ـ دولة الجمهورية الفرنسوية ودولة حضرة الباى يبقيان لأنفسهما الحق فى أن ينظما المالية التونسية ليمكن لهما بذلك دفع الدين التونسى العام، وهذا التنظيم يضمن حقوق أصحاب الدين التونسى.

المادة الثامنة ـ تحمل القبائل العاصية بالحدود والشطوط على دفع غرامة حربية، وتعقد دولة الجمهورية مع حضرة الباى فيما بعد شروطاً على تقديرها وطرق جبايتها ودولة حضرة الباى تضمن ذلك.

المادة التاسعة ـ تتعهد دولة الباى يمنع إدخال السلاح والآلات الحربية إلى المملكة الجزائرية الفرنسوية من جزيرة جربا وقابس وبقية المراسى الجنوبية فى المملكة.

المادة العاشرة ـ تعاد هذه المعاهدة بعد إبرامها من قبل الجمهورية الفرنسية إلى تونس فى أقرب وقت وتسلم إلى حضرة الباى السامية.

حرر فى ١٢ مايو سنة ١٨٨١ بالقصر السعيد

الجنرال بريار   محمد الصادق باى

ومما يستحق الذكر أنه بينما كان الباى ووزراؤه يتشاورون فى قبول الإنذار أو رفضه، كان المسيو كلمنصو، يهاجم فى قصر البوربون وزارة المسيو جول فرى، مطالباً بإسقاطها، تؤيده أكثرية النواب لأنها فتحت بمغامرتها فى تونس بابا على فرنسا لايسد، وخاف رئيس الوزارة العاقبة، فتوارى عن المثول أمام المجلس ريثما يتبين موقف الباى، فلما جاءه البرق بموافقته وتوقيعه المعاهدة سرى عنه وقابل المجلس بوجه يتدفق بشرا فهتف له. وغادر السيد العربى بن زروق، وهو الذى أشار بالمقاومة القصر على الفور فلجأ إلى دار القنصلية البريطانية فتوسط القنصل وجاء ببارجة من مالطة حملته إلى الآستانة فقضى فيها مدة ضيفاً مكرماً لدى السلطان عبدالحميد، ثم رحل إلى المدينة المنورة فجاور فيها حتى مات قبيل الحرب العظمى.

وما كاد الباى يوقع على هذه المعاهدة حتى حدثت ثورات واضطرابات فى القيروان وصفاقس والسواسى وغيرها من المدن والمقاطعات لقى الفرنسويون تعباً ونصباً فى إخمادها.

الحركة الوطنية في تونس

يرجع عهد الحركة الوطنية فى تونس ابتداء الاحتلال الفرنسوى. فقد أيقظ النفوس بضغطه، ونشط الهمم بأساليبه، على أن التجاء المحتلين إلى تدابير الشدة جعل البلاد تهدأ بعد ثورتها الأولى سنة ١٨٨٣.

ولقد أيقظ اشتداد الضغط، وخصوصاً فى سنى الحرب العظمى ما هجع من نشاط التونسيين. فهبوا فى سنة ١٩١٩ ـ أى بعد ختام الحرب العظمى ـ يطالبون فرنسا بحقوقهم واستقلالهم ويستنجزونها عهودها بالجلاء عن بلادهم، عملاً بالمبادئ التى أعلنها الحلفاء فى إبان الحرب العظمى، ومكافأة لهم على ما بذلوه فى سبيلها. فقد أشترك فيها ٦٥ ألف جندى تونسى قتل وجرح منهم ٤٥ ألفاً كما قدمت تونس ٣٠ ألف عامل لمصانع فرنسا الحربية، ووضعت مواردها المادية الأخرى تحت تصرفها.

وأرسل التونسيون وفداً إلى باريس برئاسة الأستاذ عبدالعزيز الثعالبى ـ زعيم الحركة الوطنية للمطالبة بحقوقهم، فلم يلق سوى مطل وتسويف ثم قبض على الأستاذ الثعالبى، وألقى فى غياهب السجون متهماً بتهم كاذبة مفتراه.

وهذا بيان موجز عن مطالب التونسيين وقد حملها وفدهم إلى باريس :

١ ـ يعتبر تونسيا ويتمتع بكل ما للمواطن التونسى من حقوق ويؤدى ما عليه من واجبات كل من يتجنس بالجنسية التونسية من الذين ولدوا فى تونس وتوطنوها أو أقاموا فيها عشر سنوات.

٢ ـ إطلاق الحرية الفردية من كل قيد يقيدها إلا فى الأحوال الشرعية التى يرجع أمرها إلى المحاكم والحق العام. وينطوى تحت هذا المبدأ :

مبدأ حرية العمل. وحرية إنشاء الشركات والنقابات. وحرية الكلام. وحرية المطبوعات وحق الشكوى. وصيانة المساكن والممتلكات.

ومبدأ المساواة التامة أمام القانون والتساوى فى الأعباء السياسية، ويتفرع عن ذلك الغاء الامتيازات الخاصة والامتيازات المالية وأن يكون لكل تونسى من دون نظر إلى مذهبه الحق فى أن يتقلد من وظائف الدولة ما يتناسب مع كفاءته الشخصية.

٣ ـ إعادة تنظيم السلطات العامة على منوال جديد مع الاحتفاظ بالإمارة للعائلة المالكة وبنظام ولاية العهد.

٤ ـ إعادة تنظيم الدوائر الإدارية على منوال جديد أيضاً.

٥ ـ حرية التسليم، على أن يكون التعليم الابتدائى إلزامياً للبنين باللغة العربية، وعلى أن يكون تعلم لغة أجنبية إلزامياً ـ فى الصفوف الثانوية.

٦ ـ مسح الأراضى الزراعية، والاحتفاظ بمبدأ التسجيل العقارى.

٧ ـ توزيع الأعمال العمومية على البلاد بنسبة الحاجة، وطبقاً لما توحى به الحالة الاقتصادية.

٨ ـ الاعتراف للعمال وأصحاب الصناعات والمهن والمستخدمين والموظفين ورؤساء الأعمال بحق إنشاء النقابات وحق الاعتصاب.

٩ ـ وضع قوانين اجتماعية لحماية الطفولة والمرأة والشيخوخة.

١٠ ـ إنشاء مجلس نيابى ينتخب أعضاؤه مباشرة على أن تكون الوزارة مسؤولة أمامه، ويستثنى من المسئولية الوزارية، وزير الخارجية، المقيم العام، ووزير الحربية، قائد جيش الاحتلال، ووزير البحرية، وقائد الأسطول الفرنسوى ـ اهـ.

ولقد كان التونسيون يعلقون آمالاً عظيمة على الباى الحالى قبل أن يلى

العرش لما اشتهر به من العطف على الحركة الوطنية، شأن بقية أمراء وأميرات العائلة المالكة، وبالفعل فقد وقف فى ابتداء أمره مواقف مشرفة، فامتنع عن تعطيل بعض الصحف الوطنية حينما أراد الفرنسيون تعطيلها، كما أقال الوزير الأكبر، خليل بو حاجب وشيخ الإسلام أحمد بن بيرم لاشتهارهما بتأييد الاحتلال، وأبدلهما بمن كان الوطنيون يثقون بهما.

ولما ظهرت حركة التجنيس فى تونس، بمناسبة رفض الشعب دفن الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسوية فى مقابر المسلمين باعتبارهم مرتدين، قامت تونس وقعدت واهتزت من أقصاها إلى أقصاها حينما حاول الفرنسويون إرغام الناس فى أول الأمر على دفن هؤلاء فى مقابرهم، وصادف فى تلك الأثناء حلول عيد النحر فخرج الباى من قصره فى اليوم الرابع عملاً بالتقاليد القديمة يرد الزيارة للأعيان الذين جاءوه معيدين، فأحاط به الناس، وأخبروه بما وقع فبكى متأثراً وكلفهم أن يؤلفوا وفداً لمقابلته فى قصر المشتى.

وأراد مأمور مركز حمام الأنف - وهو فرنسوى - منع الوفد من الوصول إلى القصر حينما جاء، وطلب من قائد حرس الباى إرسال نجدة لتفريق الجماهير ولما عرض الأمر على الباى أمر بأن يفسح للوفد. فمثل بين يديه فسمع مطالبه وسداها ولحمتها رفض دفن المتجنسين بالجنسية الفرنسوية من المسلمين فى المقابر الإسلامية فوعدهم خيراً.

ولما جاءه الوزير الأكبر فى الغداة وعرف بما جرى قال: له إذا كنت قد فزت فى إقصاء الوزير الأكبر السابق وتغيير شيخ الإسلام فلن توفق فى إلغاء قانون الجنسية، ولن يتساهل معك الفرنسويون، ولايبعد أن ينقموا عليك فيقصوك عن العرش وينشئوا جمهورية وتكون جنيت على نفسك وأهلك ووطنك فلزم الاعتدال.

نظام الحكم في تونس

أنشأ الفرنسويون فى تونس بعد احتلالها، نظام حكم غريب شاذ ينفذه الباى، ولاتزال البلاد تحكم باسمه، ولايزال صاحب السلطة العليا بحسب القوانين النافذة.

وتتألف القوة التنفيذية فى الحكومة التونسية من الباى رئيساً اعلى يحكم بواسطة مجلس وزرائه، وكان هذا المجلس يتألف فى عهد الاستقلال من سبع وزارات أما فى الوقت الحاضر فيتألف كما يأتى :

الوزير الأكبر وهو تونسى ويتقلد منصب وزارة الداخلية

وزير القلم والاستشارة

وزير العدلية

هؤلاء هم التونسيون فى مجلس الوزراء. أما الفرنسويون من أعضائه فهم :

المقيم الفرنسوى العام بصفته وزير الخارجة التونسية

قائد جيش الاحتلال الفرنسوى بصفته وزير الحربية التونسية

أميرال الأسطول الفرنسوى بصفته وزير البحرية التونسية.

مديرون عامون للداخلية والعدلية والمالية والمعارف والأشغال العامة والفلاحة والتجارة والبريد والبرق وجميعهم من الفرنسويين، وهم أعضاء طبيعيون فى مجلس الوزراء وبإضافتهم إلى المقيم والقائد والأميرال يصبح عدد الفرنسويين ١١ مقابل ٣ من الوطنيين.

ويجتمع مجلس المديرين أسبوعياً فى دار المقيم العام وبرئاسته فيبت فى شؤون الدولة ويبلغ ما يقرره إلى الوزير الأكبر لإصدار المراسيم اللازمة.

وتوضع ميزانية الحكومة التونسية فى وزارة الخارجية فى باريس، وقد جرت العادة أن يقصدها المديرون سنوياً الواحد بعد الآخر لدرسها هناك وترسل بعد إقرارها إلى المقيم العام لعرضها على الهيئة التشريعية وإقرارها وتنفيذها.

الهيئة التشريعية - ولايقل نظام الهيئة التشريعية لتونس فى غرابته عن نظام الهيئة التنفيذية ولايخفى أنه كان لتونس قبل الاحتلال الفرنسوى دستور نالته سنة ١٨٥٠ ويسمونه (عهد الأمان) وقد نص على إنشاء مجلس نيابى (المجلس الكبير).

ولقد ظل هذا المجلس يجتمع فى دوراته المقررة حتى سنة ١٨٧٣ ففى تلك السنة ثار على بن غداهم - من كبار شيوخ القبائل على حكومة الباى [١] طالباً بتخفيض الضرائب وتنفيذ أحكام الشريعة. فاضطرب حال الحكومة وساءت الأمور فلجأت إلى إعلان الحكم العرفى وظل مضروباً حتى عهد الحماية.

ولم يدع المجلس الكبير إلى الاجتماع بعد الاحتلال، بل استبدلوه بجمعية تشريعية جميع أعضائها من الفرنسويين وعددهم ٣٠ ثم أضافوا إليها سنة ١٩٠٩ خمس عشر عضواً تونسياً تعينهم الحكومة تعييناً، وظل هذا شأنها حتى

---

(١) يقال فى بعض المصادر إن المسيوليون روش المستشرق الفرنسى الشهير هو الذى أغراه على الثورة ودفعه إليها تمهيداً للاستيلاء على تونس، وذلك أنه بعد ما قضى سنوات مجاوراً فى الأزهر بمصر اتقن فى خلالها اللغة العربية هاجر إلى مكة واقام فيها مدة لدراسة شئون المسلمين، ثم سافر إلى الجزائر واتصل بالمرحوم مولاى عبد القادر، وكان يقاتل الفرنسويين ويناضلهم فاندس بين رجال بطانته متظاهراً بالتقوى والاخلاص فوثق به الأمير واختاره كاتبا له فوقف على أسراره وابلغها حكومته، وبعد ما فاز فى الجزائر عينته حكومته قنصلا عاماً لها فى تونس ليمهد للاستيلاء عليها فجاءها واقام فى عاصمتها مدة ثم طلب من الحكومة إجازة للخروج إلى الصيد. فكان يخرج بلا انقطاع ويدرس شؤون القبائل عن كثب واخيراً تعرف إلى المرحوم على بن غداهم وكان من اذكى الشيوخ واوسعهم نفوذاً فاستضافه مشترطاً عليه ان يعد له حجرة صغيرة فى منزله فاجابه إلى طلبه، ولما دخلها طلب طشتاً وإبريقا ثم اغلق عليه الباب وقام يصلى وظل فى صلاته سحابه النهار والليل فرآه الخدم فابلغوا سيدهم امره فجاء فى الغداة يطلب لثم راحته لأنه من الصالحين الاتقياء فقال له ارجوك أن تكتم أمرى لاننى أخاف أن يعرفه الفرنسويون فيفتكون بى وانا لم أقبل منصبى إلا خدمة للمسلمين وبعد ما وثق به أخذ يطعن فى الحكومة عن طريق الدين يقول له كيف تقبلون هذه الحالة وأنتم مسلمون وما زال به حتى حمله على الثورة والانتقاض ولما وقعت الواقعة عاد إلى فرنسا.

سنة ١٩٢٢ فعدلوها تعديلاً جديداً، وتتألف الآن من دائرتين: دائرة فرنسوية وعدد أعضائها ٥٠ عضواً ينتخبهم الفرنسويون فى تونس بالاقتراع المباشر. ودائرة وطنية تتألف من ١٨ عضواً ١٣ منهم يختارون بموجب نظام إنتخابى ضيق محدود. يشترط فى الناخبين والمنتخبين أن يكونوا مزارعين ومن أصحاب الأملاك ـ أى أنه ليس لأهل المدن أن يشتركوا فى انتخابهم، والغاية من ذلك إقصاء الأكفاء عنها، أما الخمسة الباقون فهم موزعون كما يلى : اثنان يهوديان وثالث تختاره البلديات، ورابع تنتخبه غرف التجارة وخامس تنتخبه غرف الزراعة.

ويرأس المقيم العام أو نائبه دائرتى المجلس، ولايجوز لهما أن يجتمعا سواء، وتدرس كل دائرة الميزانية على حدة، وتؤلف لجنة يسمونها المجلس الأعلى عند حدوث خلاف بينهما للفصل فيه، قوامها ثلاثة من النواب الوطنيين ومثلهم من الفرنسويين، وتجتمع برئاسة المقيم العام أو معاونته ويشترك فيها المديرون العامون الفرنسويون فتحل الخلاف بما تراه.

ولايجوز للمجلس الكبير ـ وقراراته استشارية ـ أن ينظر فى مخصصات العائلة المالكة، ولا فى مخصصات دار الإقامة العامة، ولا فى القروض وفوائدها، ولا فى مخصصات الشرطة، ولا يحق له أن يناقش الحكومة ولا يسألها عن تصرفاتها.

ويبلغ عدد الموظفين الفرنسويين فى تونس ١٢ ألف موظف. يتقلدون جميع المناصب العليا والوسطى تقريباً، وهنالك أربعة آلاف وطنى يتقلدون المناصب الصغيرة، ويتناول الموظفون الفرنسويون ٥٣ فى المائة من مجموع الإيرادات السنوية للحكومة وتقدر بستمائة مليون فرنك.

وللمستعمرين من الفرنسويين (Colon) النازلين فى تونس امتيازات واسعة يراد بها تشجيعهم على الاستعمار، ويملكون القسم الأكبر من الأراضى الزراعية الجيدة.

لحج

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

مخلاف يمانى مشمول بالحماية البريطانية فى اليمن السفلى (جنوب اليمن) يبلغ عدد سكانه ٩٠ ألفا، وهم عرب مسلمون يتدينون على مذهب الإمام الشافعى، ويعولون على الزراعة فى معايشهم، وقد تقدمت تقدماً عظيماً فى الأيام الأخيرة ومساحته مع مساحة النواحى التسع اليمانية نحو ٢٥٠٠ ميل، وهى واقعة بين عدن وحدود الدولة المتوكلية.

وعاصمة لحج مدينة الحوطة وسكانها اثنا عشر ألف نسمة. بينهم عدد من يهود اليمن والصوماليين وبعض الأخلاط، ومن أشهر مدنها وقراها: بير أحمد ودار الأمير وبير فضل والمجحفة ولها موانئ على البحر الأحمر أشهرها جبل حسان.

وعدد جند سلطان لحج زمن السلم ألفان يزاد عددهم زمن الحرب بمن ينضم إليهم من رجال القبائل وتؤلف أكثريه سكان السلطنة.

وسلطان لحج هو عبدالكريم بن على محسن فضل العبدلى، وهذا رسمه :



السلطان عبد الكريم الفضل (سلطان لحج)

السلطان عبدالكريم الفضل

سلطان لحج

مولده ونشأته

ولد فى الحوطة (عاصمة لحج) سنة ١٢٩٨هـ ونشأ فى حجر والده المرحوم السلطان فضل بن على محسن فجاء له بمؤدبين ومشايخ فقرأ عليهم علوم اللغة العربية والفقه الإسلامى وتعلم الفروسية وركب الخيل حينما بلغ أشده، وشب كما يشب غيره من الأمراء.

أوصافه ـ هو نحيل الجسم، طويله، عصبى المزاج، مستطيل الوجه، دقيق الأنف، غائر العينين، تبدو التجاعيد فى وجهه لما قاساه من أهوال زمن الحرب ـ وهو عربى صميم مضياف، سخى، حلو الحديث، واسع الاطلاع، صريح، مصلح نهض ببلاده، وجعلها فى مقدمة بلاد اليمن عمرانا.

وله ذوق فى الموسيقى، ويحسن عزف بعض الأدوار على البيانو، محب للأدب والعلوم. يقرأ الصحف والكتب، ويتابع سير الحركتين الأدبية والسياسية فى بلاد العرب وفى بلاد الشرق، فلا يفوته خبر من أخبارها.

ملابسه ـ يلبس سموه ملابس إفرنجية ويضع جنبية تحت عباءة بنية وعمامته هندية ملونة، ولباسه يجمع بين الذوقين العربى والإفرنجى. وكذلك مطبخه فهنالك المآكل العربية والإفرنجية، والسلطان متدين يؤدى الصلاة فى أوقاتها، ولايشرب المسكر، ومجلسه فى الغالب يضم صفوه الأدباء والفضلاء، وقد اعتاد أن ينام عند الساعة العاشرة مساء، وينهض باكراً ويشرف على شؤون بلاده بنفسه.

أسفاره ـ زار الهند للمرة الأولى سنة ١٩٠٥ صحبة عمه السلطان أحمد بن محسن للاشتراك فى حفلة تتويج الملك إدوارد السابع فى دهلى.

ودعى فى سنة ١٩١٧ للسفر إلى مصر ومقابلة الدوق أون كنوت لمباحثته فى شؤون اليمن. فسافر إليها مع عدد من رجاله وحاشيته. فقلده الدوق نيشان

امبراطورية الهند من الدرجة الثانية كى. سى. آى. إى. مع لقب سير. ودعى إلى مأدبة عامة أدبت له فى دار نائب ملك بريطانيا فى مصر، وقابل جلالة الملك فؤاد خلال تلك الزيارة ثم عاد إلى مقره فى عدن.

وأدب له بعد رجوعه حاكم عدن الإنكليزى مأدبه تكريم قدم له فى ختامها سيفاً أهداه إليه اللورد ولينجدن حاكم بومباى يومئذ، وخطب الحاكم خطبة أشار فيها إلى الصلات الطيبة التى تصل العائلة العبدلية بالإمبراطورية الإنكلزية، وقال: «إن خدمات السلطان عبدالكريم لاتقدر بثمن».

وفى شهر شعبان سنة ١٣٤٠ (١٩٢١) زار الهند للمرة الثانية وقضى مدة فى بونا (مصيف الهند) وقصد حيدر أباد الدكن بدعوة من صديقه السلطان غالب القعيطى فقضى فيها مدة.

وفى سنة ١٩٢٣ زار مصر للمرة الثانية فقضى فيها أياماً ثم سافر إلى لندن فقابل الملك جورج فى قصر بكنجهام. فأدب له مأدبه خاصة كما أدب له المستر مكدونلد رئيس الوزارة البريطانية يومئذ مأدبة فاخرة، ثم زار باريس وروما وبرن، وقضى فى رحلته هذه ثلاثة أشهر شاهد فيها المدنية الأوربية عن كثب.

ولما اشتد الخلاف بين حكومة الإمام يحيى وحكومة عدن سنة ١٩٢٨م وخيف من وقوع حرب توجه السلطان عبدالكريم ومعه الميجر فاول معاون والى عدن والسيد علوى بن حسن الجفرى وزير لحج إلى تعز فقابلوا السيد على بن الوزير أميرها، وفاوضوه للوصول إلى اتفاق. ولما كان هذا لايملك حق الفصل فى الأمور عادوا من دون أن ينجزوا شيئاً.

وفى سنة ١٩٣٢ زار مصر للمرة الثالثة، وقصد إلى سورية فأقام أياماً فى دمشق يتفقد آثارها ومعالمها ثم جاء جبل لبنان للاصطياف وقضى أياماً فى مصايفه الشهيرة، وخصوصاً فى مصيف حمانا وزار بيروت أيضاً ثم عاد إلى بلاده.

علومه ـ يجيد اللغة العربية، ويتكلم الإنكليزية، ويميل إلى الأدب العربى ويطالع كتبه وكتب التاريخ.

كيف يقضي يومه ؟

أنشأ السلطان عبدالكريم قصراً جديداً فى الحوطة يعد من أرقى القصور وأبهاها لا فى اليمن وحدها، وإن كان لانظير له فى اليمن، بل فى جميع بلاد العرب، وغرس حوله حديقة بهجة غناء مزدانة بأنواع الزهور والأشجار. وهو مفروش على أحدث طراز ومؤنث بأفخر أثاث.

ولهذا القصر ثلاثة أجنحة: جناح للمكاتب وفيه ديوان السلطان وهيئة سكرتاريته، وجناح للزوار، وجناح خاص به يقطنه فى النهار. وينام فى المساء فى سراى الحريم وهى منعزلة عن القصر.

وينام السلطان مبكراً وينهض مبكراً، فيصلى الصبح ويقرأ جانباً من القرآن ثم يقصد قصر الحكم، فيستقبل زائريه، ويظل على ذلك حتى الظهر فيصلى جماعة فى مسجد القصر وراء الإمام. ثم ينتقل إلى غرفة المائدة، وهى منسقة أجمل تنسيق فيجلس السلطان وحوله ضيوفه، ومن يكون قد استبقاهم من زواره لتناول الطعام معه، فيأكلون الطعام وهم جلوس على كراسى حول مائدة صفت فوقها الجفان مملوءة بالمآكل - أى أنهم لا يأتون بالطعام تدريجاً على الطريقة الأوربية، بل يأتون به دفعة واحدة، فيأكل كل إنسان من اللون الذى يختاره ويفضله، ويأكل السلطان بالشوكة والسكين ويتأنى ويحادث جلساءه فى مختلف الشؤون ويباسطهم.

ويتناول طعام العشاء على الطريقة نفسها، وبعد أداء صلاة العشاء يعود إلى قصر الحريم بعد ما يسمر مع جلسائه فينام فيه بين نسائه وأولاده.

راتبه - ليس للسلطان راتب خاص من أموال الحكومة، وإنما له ما يفيض عن حاجات بيت المال، ينفقه فى أغراضه وشئونه، ولا يجبى السلطان ضرائب من رعاياه، وإنما يكتفى بدخل الجمرك، وبالعشر، وبإيرادات مزارعه الخاصة وتدر عليه كثيراً بعد ما أصلحها وأتقنها.

فى السنة الثانية للحرب العظمى سنة ١٩١٥ حمل على سعيد باشا القائد التركى فى اليمن على النواحى التسع المشمولة بالحماية البريطانية، وأعلن أنه يقصد عدن لافتتاحها وقطع المواصلات البحرية بين إنكلترا ومستعمراتها.

وبلغ الجيش التركى لحج بدون عناء فهاجم الحوطة فصمد له العبادلة وقاتلوه بقيادة المرحوم السلطان على بن أحمد، وكانوا يعتمدون على مساعدة الحكومة البريطانية لهم فى مقاومة الترك ومن أنضم إليهم من عرب اليمن، وقد زحفوا بحملة قدر عدد رجالها بثمانية آلاف مجهزة بالمدافع الجبلية والرشاشات، ولما تأخر وصول النجدات تراجعوا فدخل المهاجمون الحوطة من الجانب الغربى فى الساعة العاشرة من ليلة الإثنين (٢٨ شعبان سنة ١٣٣٣) وظل القتال دائراً حتى قبيل الفجر فخرج السلطان قاصداً عدن. فمر بكمين للإنكليز فظنوه من الأعداء فأطلقوا عليه الرصاص فأصابوه بسبع منها وقتلوا فرسه فحمله رجاله مجروحاً على الأكتاف إلى قصره وكان الترك يرمونهم بالبنادق من أطراف المدينة فجرحوا بعضهم ثم نقل فى الغداة بسيارة إلى عدن ومات فيها. فاجتمع أصحاب الحل والعقد من قومه وبايعوا السلطان عبدالكريم الفضل غرة رمضان سنة ١٣٣٣ فاتخذ عدن مقاماً له ولرجاله، وقدر عدد الذين هاجروا معه بأربعة آلاف أو يزيدون تفرقوا فى البلاد. ونهب الترك وجنودهم الحوطة ولم يتركوا فيها شيئاً.

وكانت معركة الحوطة خاتمة المعارك التى دات فى ذلك الميدان. فقد قنع الترك بلحج وأقاموا فيها يستغلون أراضيها ويتنعمون بخيراتها كما قنع الإنكليز منهم بعدم ازعاج حامية عدن، وظل الحال على هذا المنوال حتى عقدت الهدنة بين الحلفاء والترك يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ فاستسلم قائد القوات التركية فى لحج إلى الإنكليز فأرسلوه إلى مصر.

وبعد ما تم جلاء الترك عن لحج نهائياً واستقرت الأمور غادر السلطان عدن يوم ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٣٧ ومعه أمراؤه ورجاله ووالى عدن الإنكلزى وقائدها العسكرى، وهيئة أركان الحرب قاصدين الحوطة فدخلوها فى موكب عظيم وألقى الميجر جنرال استيورت قائد عدن خطبة هنأ فيها السلطان بعودته إلى عاصمة ملكه باسم الدولة البريطانية، وقال بعد ما أشار إلى حوادث الحرب «وقد التزمتم سموكم الصبر وانتظرتم الوفاء كل هذه المدة الطويلة. وإنى شاكر لسموكم عن نفسى لمساعدتكم ومناصحتكم لى».

ثم قرأ برقية من جلالة الملك جورج الخامس أرسلها لتهنئة سلطان لحج بمناسبة عودته إلى عاصمة ملكه وهى :

«أهنئ سموكم تهنئة صميمية على ارتقائكم كرسى سلطنتكم فى قاعدة مملكتكم، ولقد سمعت بسرور عن إخلاصكم الذى هو سجيه عائلتكم على ممر الأزمان. لقد قاسى سموكم محناً فى السنين الغابرة، ولكن تم لنا النصر الآن فكل رجائى أن يعود الخير لأهالى لحج عاجلاً بحسن تدبيركم السديد، وتنمو لهم السعادة كما كانت سابقاً».

ورد السلطان على خطبة الجنرال القائد وعلى تهنئة الإمبراطور شاكراً ما لقيه من حفاوتهم مدة اقامته فى عدن ومرافقتهم له فى عودته إلى عاصمته.

كيف دخلت لحج تحت الحماية ؟

ظل مخلاف لحج حتى أواسط القرن الثانى عشر للهجرة تابعاً لحكومة صنعاء، ففى سنة ١١٤٥هـ نهض الشيخ فضل بن على العبدلى السلامى(١)

(١) السلاميون قبيلة قديمة فى لحج اصلها من ذى سلمة.

يشد أزره اليوافع. فطرد الجند الأمامى واستقل بهذا المخلاف وخلفه ابنه عبدالكريم فعبد الهادى بن عبدالكريم ففضل بن عبدالكريم فأحمد عبدالكريم فمحسن فأحمد محسن فضل فعلى محسن فضل ففضل بن على محسن فضل ففضل بن محسن فضل فاحمد فضل محسن فضل فالسلطان الحالى وهو الثانى عشر.

واتجهت أنظار الإنكليز إلى عدن منذ بدأوا باستعمار الهند فى القرن الثامن عشر، فنصبوا لها الشراك وبدأوا يعملون للاستيلاء عليها متدرجين فى تنفيذ خططهم.

وأولى معاهداتهم معها تلك التى عقدت فى عدن يوم ٦ سبتمبر سنة ١٨٠٢م ومثل إنكلترا فيها الماركيز ويلسلى أحد أعضاء مجلس شورى الدولة المنوطة به أعمال ملك بريطانيا فى الهند الشرقية بواسطة نائبة السر هوم بوفهام مع السلطان أحمد عبدالكريم سلطان لحج القائم من طرفه الأمير أحمد باصهى «لربط العلائق الودية والتجارية بين الطرفين».

وتقع هذه المعاهدة فى ١٧ مادة جاء فى الأولى فيها أنه يسمح بالاتجار بين رعايا بريطانيا ورعايا السلطان. وجاء فى المادة الثانية أن هذا يفتح ميناء عدن لجميع البضائع الواردة على المراكب الإنكليزية مقابل مكس يتناوله على البضائع والتجارة بنسبة ما هو مدون فى قوائم البضاعة اثنين فى المائة ولا زيادة لمدة عشر سنوات. وله بعد أن تنقضى أن يزيد رسومه إلى ثلاثة فى المائة.

وجاء فى المادة الثامنة أنه يجب أن يجعل سجل يسجل فيه أسماء رعايا الإنكليز القاطنين فى عدن، وأن يعطى كل واحد منهم شهادة مقيدة فى ديوان القاضى ووالى عدن لكى لايحدث نزاع بعد الآن، وتعهد السلطان عن نفسه وورثائه فى المادة العاشرة ببذل المساعى التى فى وسعه لاسترداد الديون التى لرعايا الإنكليز عند رعاياه. وجاء فى المادة الثانية عشرة أن جميع المشاجرات بين

رعـايا الدولة البـريطانية ورعـايا السـلطان تفـصل بمقـتضـى قـوانين البلد المقـررة، ووافق الـسـلطان فى المادة ١٤ أن يعطى للـدولة البـريطـانيـة أرضـاً فى غـربى المدينة بعوض مالى لكى تسـتعملها، وجاء فى المادة ١٥ أن للبريطانيين أن يدخلوا المدينة من أى باب وأن يركـبـوا الخيل والبـغـال والحـمـيـر وأى حيـوان آخـر يسـتحـسـنون ركـوبه، وجـاء فى المادة ١٦ أن السـلطان يـعطى قطعـة أرض تكـون مـقـبـرة عـامـة للـرعايـا البـريطانيين الذين يموتمـون فى حـدوده مـجانـاً فلا يدفعـون سـوى نفـقات الدفن.

وحـدث فـى سنة ١٢٥١هـ أن غـرق مـركب هـندى اسـمـه (دريا دولـت) ملك السيدة بيجم الهـندية، وفيه بضـائع وحـجاج فنهب العربان البـضـائع وسلبوا الذين سلمـوا من ركابه أمـوالهـم وعـروهـم من ثيـابهم. فتـدخل الإنكليـز وجاء عـدن من الهند القـبطان هنس وقابل السلطان وطلب إليـه أن يعيـد الأشيـاء المنهـوبة أو يدفـع ١٢ ألـف ريال فأرجع السـلطان ما قـيمتـه ٧٨٠٨ ريالات، وكـتب على نـفسـه سـنداً تعهد فيه بدفع الباقى بعد سـنة.

احتلال عدن

وفى سنة ١٢٥٤هـ عـاد القبطان هـنس إلـى عدن منتـدبـاً لاحـتـلالـها بأى طريقـة كانت فـاقـترح عـلـى السـلطان تسليـمـها مـقابل ٨ آلاف ريال سـنوياً فـرفض الطلب فـحاصـر عـدن ودارت مـعـركة بين الفـريقين يوم ٢٥ شـوال سنة ١٢٥٤هـ ومـا هى إلا أيام حتى وصلت إلى أمـام عدن قوة مـؤلفة من ثلاثة مراكب حـربية ومعـها ٣٠ مـدفـعـاً وقـوة مـن الجـند إنكليـزاً وهـنوداً فـضـربوهـا بالمدافع، ووقـع قـتـال انتـهى بانسـحاب السلطان من عدن فاستولوا عليها.

على أن هنس نفسه عاد فى السنة التالية سنة ١٢٥٥هـ فعقد عهداً جديداً مع السلطان محسن فضل هذه خلاصته :

تعهد السلطان محسن فضل وأولاده أحمد وعلى وعبدالله وفضل بحماية الفقير والضعيف وسلامة قبائلهم وتأمين الطرق وأنه مسئول عن أى عمل سئ يرتكبه أصحابه فى الطرق وأن لايحدثوا أى نوع من المقاومة ضد الدولة البريطانية، وأن تكون مصلحة الفريقين واحدة.

وفى مقابل ذلك تعهدت الدولة البريطانية أن تدفع المعاشات للفضلى واليافعى والحوشى وقبائل الأمير، وأن تعطى للسلطان محسن وأولاده ما تناسلوا معاشاً قدره ٦٥٠٠ ريال سنوياً إبتداء من شهر ذى القعدة سنة ١٢٥٤ وأن الأرض من المجراد إلى لحج وإلى جميع حدود قبيلة العبادلة المعروفة يظل تحت سيطرة السلطان، وعند حدوث أى هجوم على لحج أو على قبائل العبادلة أو عدن أو على عساكر بريطانيا فالسلطان محسن والدولة البريطانية يكونان يداً واحدة، وإذا دخل أحد رعايا السلطان عدن فعليه إطاعة قوانين الدولة البريطانية وعلى رعايا الدولة البريطانية أن يطيعوا أحكام السلطان فى لحج والسلطان وأولاده معافون من العوائد عند دخولهم عدن وخروجهم منها.

ولم يلبث العبادلة أن هاجموا عدن فى تلك السنة بقصد أسترجاعها فلم يوفقوا فكرروا الهجوم مثنى وثلاث ففشلوا وقطعت حكومة عدن المرتبات المقررة بموجب المعاهدة السابقة. على أن السلطان محسناً عاد فصالح الإنكليز سنة ١٢٥٩هـ فأعادوا له الراتب.

وفى يوم ٧ جمادى الآخر سنة ١٢٩٨ (٥ مايو سنة ١٨٨١) عقد السلطان فضل بن على بن محمد محسن معاهدة جديدة مع حكومة بريطانيا التزم فيها ما يلى :

١ ـ أن يكون مسئولاً عن كل ما يحصل من أفعال التعدى من قبيلة الصبيحة.

٢ ـ تعهد عن نفسه وعن حلفائه بأن لايعقد معاهدة من أى نوع كان مع أى

دولة أخرى ببيع أو رهن أو إيجار أو هبة فى أى قسم كان من البلاد الواقعة الآن أو التى تقع فى المستقبل تحت حكم سلاطين العبادلة من دون رضاء الدولة البريطانية.

٣ ـ لاتعمر قلاع أو عمارات أخرى على ساحل البحر من دون إجازة والى عدن ولا يستورد أو يصدر سلاحا أو ذخائر أو رقيقا أو تجارة أو مسكرات أو مكيفات من جهة من جهات الساحل بدون إجازة والى عدن.

ولاتزال هذه المعاهدة نافذة حتى الآن، ويعمل السلطان الحالى لتعديلها على منوال موافق، وقد باحث بعض ولاة الأمور البريطانيين، ولكنه لم يصل إلى نتيجة حاسمة ويتناول راتباً شهرياً من عدن قدره ٣٢٠٠ روبية وتطلق ٢١ مدفعاً عند زيارته لها.

***

ويمتاز عهد السلطان الحالى بما تم فيه من إصلاح وتقدم جعل بلاد لحج فى مقدمة بلاد اليمن عمراناً وازدهارا فتحسنت زراعتها ونمت ثروتها واستقرت أمورها وغبطها جيرانها.

ففى عهد هذا السلطان المصلح أنشئ أول مستشفى فى الحوطة، وأنيرت بالكهرباء وشقت فيها الشوارع الواسعة، وغرست على جوانبها الأشجار حتى صارت تضاهى بجمالها وبهائها أجمل المدن الحديثة، وفى عهده شقت الترع والجداول واستخدم البخار فى إرواء الأراضى وغرست أنواع الأشجار والفاكهة فجادت ونمت، وهنالك مجلس للزراعة مؤلف من كبار المزارعين يرأسه السلطان بالذات، ويشترك فيه عدد من الإخصائيين الذين جاء بهم ومهمته السعى لترقية الزراعة وإنهاضها، وكذلك عنى السلطان بالعلم فأنشأ عدة مدارس وجاء بمعلمين من مصر وسورية كما أنشأ مسجداً فخماً وبالإجمال فهو لايفتأ يعمل على إنهاض إمارته وترقيتها بما تصل إليه يده، حتى صارت فى عهده وبشهادة جميع الذين زاروها ودرسوا أحوالها أرقى إمارات اليمن.

مؤتمر النواحي التسع

وفى عهد هذا السلطان وللمرة الأولى عقد فى سنة ١٩٣٠م أول مؤتمر فى الحوطة، ضم سلاطين النواحى التسع وشيوخها، وحضره السلطان عبدالكريم بنفسه والسلطان عبدالله بن حسين الفضل والسلطان عيدروس بن محسن العفيفى والسلطان محمد بن صالح الهردى والسلطان فضل بن محمد الهردى والسلطان عوض بن عبدالله العوالقى والسلطان صالح ابن حسين العوذلى وأمير الضالع نصر بن شايف والسلطان محسن بن على مانع الحوشى وغيرهم من الشيوخ.

وقد افتتح هذا المؤتمر الكولونيل سيمس حاكم عدن ورأس جلساته السلطان عبدالكريم وتم الاتفاق على وضع ميثاق تضامن على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإنشاء مجلس يحكم بحل المشاكل التى تقع بين هذه الإمارات الصغيرة بالطرق الودية، ثم عقد هذا المؤتمر ثانية فى السنة التالية سنة ١٩٣١ ورأسه السلطان أيضاً، وفيه تم التوقيع على ميثاق التضامن وعند انتهائه أدب للسلاطين والأمراء والمشايخ مأدبة حافلة فى حديقة قصره حضرها أيضاً والى عدن وكبار رجال حكومته وضباطه وقدر الذين شهدوها بالمئات.

نظام الحكم في لحج

نظام الحكم فى لحج هو الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام الشافعى ويدير السلطان البلاد مباشرة بمؤازرة وزيره السيد علوى بن حسن الجفرى، وهو مصدر كل سلطة، وهناك قضاة شرعيون يفصلون فى القضايا.

ولقد أراد السلطان عبدالكريم أن يدخل تعديلاً على نظام ولاية العهد، وذلك بأخذ البيعة لنجله الأكبر الأمير فضل، والقاعدة المتبعة عندهم فى انتقال الحكم أن يجتمع أمراء العائلة المالكة مع العقال أى (الحكام الإداريون للمدن) ومشايخ القبائل فيختارون أحد أمراء العائلة المالكة ويكون عادة الأكبر، فيقف من يدعى «المنصب» فيعلن الذين أشتركوا فى مأتم السلطان المتوفى انتخاب السلطان الجديد فيبايعونه ويقرون ما وقع.

تلك هى القاعدة القديمة التى أراد سموه تعديلها، وبيان ذلك أنه يوم ٣ شوال سنة ١٣٥١هـ دعا الأمير فضل نجل السلطان إلى قصره رجال القبائل وشيوخها وأبلغهم أن والده اختاره لولاية العهد وسألهم رأيهم فوافقوا وكذلك استمال أمراء بيت على محسن فوافقوا أيضاً. ولما اتصل ذلك بالأمراء منصور محسن وعبدالله محسن وعبدالكريم محسن عقدوا اجتماعاً ليلة الأربعاء ١٣ شوال فى دار الأمير أحمد منصر قرروا فيه عدم الاعتراف بما جرى من أخذ بيعة ولاية العهد للأمير فضل، ووضعوا فيما بينهم الإجراءات التى تنفذ عند موت السلطان الحالى وانتخاب من يخلفه. كما وضعوا مذكرة احتجاج أبلغوها إلى الحكومة الإنكليزية طالبين منها أن لاتعترف بالبيعة.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد اعتدى محمد سعد الأمير ليلة ٢٥ شوال على الأمير فضل نفسه (ولى العهد) وأطلق عليه رصاصتين من مسدسه أصابت الواحدة عينه والثانية فخذه فنقل إلى عدن للمعالجة وشفى وقتل الفاعل، وعلى أثر ذلك اعتقل بأمرالسلطان الأمراء الذين اتفقوا على عدم الاعتراف بولاية العهد لابنه فى نفس الدار التى اجتمعوا فيها حينما قرروا عدم الاعتراف ثم نفوا إلى سيشل.

حضرموت

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

مخلاف يمانى، مشمول بالحماية البريطانية يعد من جملة النواحى التسع. يحده من الشرق شعب وادى الزهور، ومن الغرب عين بامعبد، ومن الشمال رمال نجد والربع الخالى، ومن الجنوب البحر العربى. وتبلغ مساحته السطحية ١٢٠ ألف كيلو متر مربع، وعدد سكانه ٢٠٠ ألف عربى مسلم سنى.

وفى حضرموت حكومتان : حكومة القعيطية تحكم الساحل مع ما أنضم إليه غربى عين بامعبد وجميع دوعن والقطن وشبام وحجر ابن دغار، وحكومة الداخل، وتشمل تريم وسيون ويلحق بهما ثلاث قرى. وعاصمة الأولى المكلا وعاصمة الثانية سيون. وهما مرتبطتان بمعاهدة عقدت بينهما فى عدن سيأتى الكلام عليها.

وأعظم مدن الدولة القعيطية : الشحر وشبام والمكلا، وهى العاصمة، ودوعن، وأعظم مدن الدولة الكثيرية بعد العاصمة تريم وغياث. ويعول سكانها على الزراعة وعلى إمدادات الجاليات الحضرمية فى جاوه وفى الهند. وفى حضرموت كثير من آثار الحميريين القديمة التى تدل على علوكعبهم فى فن البناء. وعلاقاتها مقطوعة بالعالم المتمدن تقريباً. ولايزال سكانها على الفطرة. ولايسمح بدخول الأجانب إليها.

وللدولة القعيطية جيش نظامى لايزيد عدده عن الفين وتستطيع أن تجند ٨٠٠٠ متطوع عند الحاجة.

وسلطان هذه الدولة هو عمر بن عوض القعيطى اليافعى، وهذا رسمه :



السلطان عمر بن عوض القعيطي (حضرموت)

السلطان عمر بن عوض القعيطي

سلطان حضرموت

مولده ونشأته

هو رابع سلاطين هذه الدولة ولد فى حيدر أباد سنة ١٢٨٧هـ على الأرجح ونشأ فيها، وتخرج فى مدرستها الحربية، ثم انتظم فى سلك جيشها، وهو القائد العام للجيش العربى غير النظامى فى حكومة حيدر أباد، ويعد من أركانها كما أشرنا إلى ذلك من قبل ورتبته العسكرية (جمعدار) ولايزال مضطلعاً بعمله العسكرى هنالك، فيقضى شهرين أو ثلاثة كل سنة فى عاصمة بلاده، يشرف على شؤونها، ويقضى الأجزاء الأخرى فى حيدر أباد، ولآل القعيطى قصور فخمة فى تلك العاصمة ينزلونها، وقد ورثوها عن أسلافهم، ويعدون فى جملة الأغنياء أصحاب الثروات الكبيرة، وله قصر صغير فى عدن ينزل فيه أثناء مروره فيها.

أوصافه ـ هو طويل القامة، عريض الجثة، أبيض البشرة، حليق الذقن، له شاربان مرتفعان، يلبس الملابس الإفرنجية أحياناً، والعربية اليمانية، أو الهند أحياناً، ويتمنطق بخنجر ويلبس فى خنصر يده اليسرى خاتماً يحتوى على فص ثمين من الزمرد.

أخلاقه ـ مشهور بالاقتصاد وصفاء القلب والميل إلى العظمة، وهو يحب السينما والتصوير وفى قصره بالمكلا ماكنة لعرض أشرطة السينما تعمل بلا انقطاع إبان إقامته. كما أنه مغرم بتصوير ماتقع عليه عينه من المناظر الطبيعية وغيرها.

زوجاته ـ يقال إن عدد زوجاته لايقل عن العشرين بين عربيات وهنديات

وجوار وهن يصحبنه فى أسفاره بين المكلا وحيدر آباد فيحضرن معه إذا حضر ويرحلن إذا رحل، ولديه أيضاً عدد غير قليل من الأولاد أكبرهم فى الخامسة عشر من سنه وهم ينشأون على الطريقة الهندية.

قصوره ـ للسطان قصران فى المكلا : قصر المعين وقد بناه أخيراً على أحدث طراز وعلى نسق قصره الخاص فى حيدر آباد وجهزه بجميع معدات الراحة وأثثه بأفضل تأثيث وبلغت أكلافه نحو ٢٠٠ ألف روبية. وقصر الباغ (الحديقة) وهو قصر الحكومة وفيه مقرها.

وقد اعتاد السلطان أن يقفل قصر المعين حين رحيله إلى الهند ولا يفتح إلا حين رجوعه ولايسمح لأحد بدخوله.

علومه ـ يجيد لغة الأوردو، لغة مسلمى الهند، كتابه وقراءة ويتكلم اللغة العربية ولايجيد الكتابة فيها، ويتكلم الإنكليزية أيضاً، وحديثه طلى، وهو واسع الاطلاع خبير بشؤون العالم ملم بحالته.

ملابسه ـ يلبس فى الأوقات العادية الملابس العربية ويتمنطق بخنجر. أما فى الحفلات الرسمية فيضع على رأسه عمامة يزينها تاج من الألماس، ويلبس ستره طويلة، يضع على صدرها ثلاثة أحبال من الألماس على طريقة أمراء الهند.

كيف يقضي يومه ؟

قلنا إن أيام السلطان مقسمة بين المكلا وحيدر أباد فهو يقضى شهرين أو ثلاثة من كل سنة فى الأولى، فيقيم فى قصر المعين الذى أنشأه حديثاً، مع نسائه وأنجاله، ويقضى الشهور الباقية فى حيدر أباد يقوم بواجبه العسكرى على المنوال الذى وصفناه.

وقصوره سواء فى الهند أو فى المكلا أو فى عدن مفروشة على أبدع طراز، وفيها طائفة كبيرة من الخدم والحشم وهم يتبعون نظاماً دقيقاً لايقل فى دقته عن النظام المتبع فى قصور الملوك، ويلبسون على نسق واحد.

ويتناول السلطاتن طعام الصباح فى قصر الحريم ويتغدى فى غرفه المائدة سواء فى حيدر أباد أو فى المكلا أو عدن مع من يكون هنالك من الزوار أو مع الذين دعاهم أو استبقاهم، وفى كل قصر من قصوره غرفة فاخرة للطعام وهم يأتون بأصناف الطعام دفعه واحدة فى جفانها ويضعونها على المائدة. فيتناول كل واحد حسب اشتهائه وحاجته، ويأكل السلطان بالسكين والشوكة ويؤدى الصلاة فى أوقاتها.

سياحته - قصد الحجاز فى سنة ١٩٢٨م فأدى فريضة الحج ثم زار مصر فى رجوعه إلى الهند وقضى فيها أياماً، ثم زارها للمرة الثانية إبان رحلته إلى أوربا سنة ١٩٣٠ وقد امتدت أشهراً، وقصد لندن فاحتفى به الإنكليز، وفضلاً عن ذلك فهو لايبرح ذاهباً أيبا بين عدن والمكلا وحيدر أباد.

كيف أرتقي العرش ؟

ارتقى العرش فى سنة ١٩٢٣ على أثر وفاة أخيه السلطان غالب، عملاً بتقاليدهم، وهى تقضى بانتقال الأمر إلى الأكبر فالأكبر.

وأصل هذا البيت من يافع (قبيله فى اليمن السفلى) هاجر أبناؤه من عهود طويلة إلى حيدر أباد والتحقوا بجيش النظام، وقد أثرى أحدهم وهو الحاج عمر بن عوض من التجارة ومن خدمة الجيش، فأصبح ذا نفوذ ومكانة بين قومه اليوافع، فحدثته نفسه بالاستيلاء على حضرموت مغتنماً فرصة الاضطرابات وسوء الحالة فأخذ يعد لذلك العدة وفى سنة ١٢٧٤هـ احتل مدينة شبام وخلفه ابنه عوض فسار سيرة أبيه، وهو أول من لقب بسلطان من أمراء هذه العائلة فظفر سنة ١٢٨٤ بالشحر وقد هاجمها بجيش كبير من البحر جاء به من الهند ثم استولى على حجر سنة ١٣١٠هـ وتملك بعدها دوعن، وتوفى سنة ١٣٢٧هـ فخلفه ابنه السلطان غالب، فسار على منهاج أبيه، وتوفى سنة ١٣٤٣هـ فخلفه أخوه السلطان عمر الحالى.

كيف دخلت حضرموت تحت الحماية ؟

ظلت حضرموت مستقلة فى شؤونها الداخلية والخارجية حتى سنة ١٨٨٨م ففى تلك السنة، عقد السلطان عوض ـ والد السلطان الحالى ـ معاهدة مع حكومة عدن، رضى فيها ببسط الحماية البريطانية على بلاده، وتعهد بأن لايؤجر شيئاً من أراضيه لدولة أجنبية إلا بعد موافقة بريطانيا.

وللسلطان القعيطى راتب اسمى من حكومة عدن، أسوة بحكام النواحى

التسع، يبلغ ستين روبية سنوياً لايتناوله لسعة ثروته، وتطلق المدافع تحية له عند وفوده إلى عدن، ويرحب فيه ولاة الأمور الإنكليز.

وفى يوم ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٦هـ عقدت بتوسط حكومة عدن الإنكليزية معاهدة بين الحكومة القعيطية وبين الحكومة الكثيرية حكومة آل عبدالله، لتنظيم علاقتهما والقضاء على الاختلافات الداخلية، ونحن نورد خلاصتها لخطورة شأنها.

جاء فى مقدمتها ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد قول الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾. وقال الله تعالى ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾. وها نحن ولله الحمد مؤمنون ومتبعون لهدى نبينا محمد ﷺ ومعتقدون بأن فى إجماع الكلمة ما يعود نفعه للمسلمين وصلاح العباد والبلاد وراغبين فيما يوجب الأمن والراحة للأهالى ورفاهيتهم فى داخل البلاد، وخارجها. فلهذا. الدول الكرام القعيطية وآل عبدالله عقدوا بينهما معاهدة مؤبدة إلى أن يشيب الغراب ويفنى التراب، وهما السلطان السر غالب بن عوض ابن عمر وعمر بن عوض بن عمر القعيطى عن أنفسهما وورثائهما وخلفائهما ومن يكفلهما من جهة، والسلاطين منصور بن غالب ومحسن بن غالب آل عبدالله عن أنفسهما وورثائهما وخلفائهما ومن يكفلهما من جهة، وجعلوا الشروط الآتية :

الشرط الأول - يرتضى السلطان القعيطى مولى الشحر والمكلا وسلاطين آل عبدالله أهل كثير أن يكون أقليم حضرموت أقليماً واحداً، وأن الإقليم المذكور يكون من متعلقات الدولة البريطانية تابعاً لسلطان الشحر والمكلا.

الشـرط الثاني - يقـر السلطان القعيطي مولى الشـحر والمكلا أن سـلاطين آل عـبدالله هـم سـلاطين الشنافـر، ولكن آل عـبدالله يحكمـون في داخل حـضرمـوت على مـدن وقـرى سـيـون. وتريم. وتريس. والـعـزف. ومـريميه. والغـيل. وصـار الاعـتراف أن فـخـذ الشنافـر الآتي ذكـرهـم تابعون لـسلاطين آل عـبـدالله، وهـم آل عـمر وآل عـامـر والفـخايذ آل كـثـيـر والعوامـر وآل باجـرى وآل جـابر وما شـملتـه حدودهـم وهـى معروفة مشـهـور وجاء فى الشـرط الرابع أن سـلاطين آل عبدالله لن يعـتـرضـوا بأى طريقـة كـانت للحكم على حـضـر مـوت. ماعـدا المدن المذكـورة فى الشـرط الثانى ويقروا ويعترفوا بأن ليس لهم حق التعرض فى المحلات الأخرى.

وجاء فى الشـرط الخامس أن سلاطين آل عبدالله يقبلون المعاهدة المعقودة بين الدولة البـريطانيـة ودولة القـعيطى رابطة لهم، ويرتضـون أن يمتـثلوا شـروطهـا بأمـانة ويرتضـوا أن تـكون جمـيع مـعامـلاتهم ومـراسـلاتهم مع الدولة الـبريطانيـة بواسطة السلطان القعيطي مولى الشحر والمكلا.

وجاء فى السـادس أن كلا الفريقين يـوقف الفتن فى الحال والاسـتـقبال ويعـفو عـمـا سلف ويحـافظ فى المسـتـقبل على الأمـان فى السـبل الكائنة فى حـدودهـمـا المعروفـة وإجراء العدالة طـبقاً للشـريعة واحتـرام السادة العلوية وإسـعاف المظلوم وإقامة العدالة العامة.

وتعهدا فى الشـرط السـابع بمساعدة بعضـهما بعضـاً إذا حصـل خلاف من أحد الحـزبين على رعاياهـم وأصحـابهم ومن تعلق بهم أو شـريف أو عـابر سـبـيل وأن تؤخذ العشـورات بالمقدار المرتب على جميع الناس.

وجـاء فى الشـرط العـاشـر أن سـلاطين القـعـيطى وسـلاطين آل كـثـير يقـبلـون بالسـوية أن يعاونوا بعـضـهما بعضـاً بحسب مقدرتهم واستطاعـتهم فى أى تدبير فيه صـلاح حال حضـرمـوت ورقيها.

وتعهـدت الدولة البريطانيـة فى الشـرط الحـادى عشـر بأن تجتـهـد فى أن تصـلح جميع المخـاصـمات الناشـئة فى المسـتـقبل بين سلاطين القعيطى وكثـير بعد تاريخ هذه المعاهدة بالتحكيم بواسطة والى عدن.

عهده

نشطت الحركة الإصلاحية فى حضرموت فى عهد السلطان الحالى، فقد هال عقلاء الحضارمة ومفكروهم ما آلت إليه حالة بلادهم من التأخر والانحطاط فتنادوا إلي إصلاحها وإنهاضها، وبدأوا فعقدوا مؤتمراً فى شهرى ربيع الثانى وجمادى الأولي سنة ١٣٤٦ فى المكلا حضره مندوبو الدولتين (القعيطية والكثيرية) ونخبة من سادات البلاد وأعيانها فقرروا بادئ ذى بدء الاتصال بالجاليات الحضرمية فى المهاجر والاستعانة بها ، وانتدبوا الشيخ الطيب الساسى لهذه المهمة فسافر إلي سنغافورة، مندوباً عن الدولتين والمؤتمر، ودعا كبار الحضارمة هنالك إلي الاشتراك فى هذا الواجب الوطنى، فلبت دعوته أربع جمعيات كبيرة فى جزائر جاوة، وعقدوا مؤتمراً فى سنغافورة فى دار النادى العربى، ابتدأ يوم الثلاثاء ٢٥ شوال، وانتهي يوم ١٠ ذى القعدة سنة ١٣٤٦هـ اختتم بإذاعة منشور مطول بالقرارات الآتية:

القرار الأول ـ قرر المؤتمر إرسال وفد إلي البنادر وحضرموت مؤلف من حضرات الذوات الآتية أسماؤهم:

السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف، السيد أبو بكر بن عبد الله بن أحمد العطاس، الشيخ سعيد بن عبد الله باجرى، الشيخ أبوبكر بن محمد الثوى يحمل قرارات هذا المؤتمر المحتوية علي الخطة العملية التى انعقد المؤتمر لوضعها بناء علي دعوة حضرة المندوب الشيخ الطيب الساسى يعرضها ويبلغها إلي الحكومتين القعيطية والكثيرية والوفد الحضرمى ويشارك فى تأليف الجمعية الوطنية ووضع قوانينها، ويرفع إلي اللجنة التنفيذية التى ألفها المؤتمر ما يتفق عليه مع الحكومتين والوفد الحضرمى.

القرار الثانى ـ يفتقر الإصلاح العام إلي نفقات كبيرة لا مناص عنها بالنسبة

لحالة فقر البلاد الحالى. ولما كان اشتراك الحضرميين فى المهاجر لايتحقق تمام التحقيق فى الإصلاح المطلوب إلا بالإسعاف والمساعدة المادية فقد قرر المؤتمر تكليف الوفود الممثلة فيه غير الجمعيات ، تبليغيها عقب انفضاضه ، طلبه بأن تفتح فوراً باب اكتتاب يرصد باسم الإصلاح الوطنى، وأن تنشر دعاية قومية إليه وتنظم له الوسائل اللازمة . ثم توافى لجنة المؤتمر التنفيذية بما يتم فى هذا الشأن .

أما المبالغ المكتتب فيها فتبقي فى أيدى المكتتبين إلي أن تبلغهم تباشير الإصلاح بواسطة اللجنة المشار إليها، وتعين الوجوه والطرق التى ينظم بها صرف المال المكتتب به وضبطه، وهنالك يدفع المكتتبون اكتتاباتهم إلي اللجنة التنفيذية.

القرار الثالث ـ رغبة فى وجود جو من الثقة والاحترام بحكومة حضرموت وتعزيزاً لحسن سمعتها ثم إيجاد ما يقنع الرأى العام بوجوب المساعدة المالية للإصلاح الوطنى العام يرغب المؤتمر إلي كل من الحكومتين القعيطية والكثيرية أن تقدم سنوياً ميزانيتها العامة للجمعية الوطنية أو ما يقوم مقامها الآن لتبدى رأيها فيها وتعدل ما تراه مفتقراً إلي التعديل فى أبواب الإيرادات والمنصرفات وأن يكون قرارها بشأن الميزانيتين مقبولاً ومرعياً لدي كل من الحكومتين وأن ينشر بالميزانيتين بعد ذلك بيان رسمى للعموم.

القرار الرابع ـ بما أن تنظيم الجمارك من صالح الحكومتين والأمة فإن المؤتمر يطلب منها تنظيم الجمارك، ووضع قانون وقواعد لها تنحسم بها الشكوي. بحيث تكون مواد القانون والقواعد جلية لا تحتمل سوي وجه واحد صريح. أما مسألة تثمين معشرات البضائع فى الجمارك فيوضع لها حد، وهو أنه إذا رأي من يجب عليه دفع العشور أن عليه غبناً فى التثمين وأراد أن يدفع عشوراً من نفس الصنف المعشر فله ذلك. وعلي إدارة الجمرك أن تقبل الصنف بدلاً من العشور وتصريفه. إذ الغرض من الجمارك هو النقد.

القرار الخامس - يري المؤتمر أن البضائع لا تجمرك إلا إذا اجتازت الحواجز الجمركية المعروفة. فالبضائع التى تمر بالكلا مثلاً، ولا تتعدي حواجزها الجمركية إلى الداخل ثم تنقل إلي ميناء أخر فلا تعشر بالطبع فيه إلا عندما تتعدي الحاجز الجمركى، وهذا هو « الترنزيت» المعروف أو شبهه، أما البضائع التى تكون قد تعشرت فى إحدى موانئ حضرموت وخرجت منها إلي إحدي موانيها الأخري فلا تعشر ثانية.

القرار السادس - حيث إن الوطن خال من الأعمال التعاونية وأهمها الأمور التجارية فقد قرر المؤتمر السعى فى تأسيس شركة تجارية وطنية مركزها المكلا وتكون أسهمها بيد الحضرميين ، وقد رأي المؤتمر أن السبيل الموصل إلي تأسيس هذه الشركة فى الوقت الحاضر هو أن يقوم بتأسيسها ذو شخصية مالية معتبرة. فطلب من السيد الهمام عبد الرحمن بن شيخ الكاف مباشرة السعى فى تأسيسها والدعوة إليها ، فتفضل حضرته بقبول الطلب .

القرار السابع - رغبة فى تقدم هذه الشركة وانتفاع أبناء البلاد بها ، يطلب المؤتمر من الحكومتين القعيطية والكثيرية أن تعاملا هذه الشركة معاملة تفضيلية، وأن تمنحاها التسهيلات اللازمة لتقدمها ونجاحها، وقد خول المؤتمر السيد عبد الرحمن حق الاتفاق مع الحكومتين فيما يتعلق بالمعاملة.

القرار الثامن - يخصص خمسة فى المائة من صافى ربح الشركة للشؤون الخيرية فى الوطن كالمعارف والملاجئ والمستشفيات ويتولي صرف ذلك مجلس إدارة الشركة.

القرار التاسع - يطلب المؤتمر أن تشترى الحكومتان خمسة فى المائة من مجموع أسهم الشركة كل حكومة بنسبة حالتها المالية.

القرار العاشر - يطلب من الحكومتين تشكيل إدراة عامة للمعارف فى الوطن تتولى النظر فى أمور التعليم. بالإشراف العالى على جميع المدارس هناك لتحسين نظامها وتوحيد برامجها وتوسيع دائرة التعليم بقدر الإمكان.

القرار الحادى عشر - (أ) - استقلال القضاء: يرئي المؤتمر وجوب استقلال القضاء بالبلاد الحضرمية، وإبعاد كل تأثير أو تدخل خارجى عنه. (ب) - مرتبات القضاء: دفع الحكومتين مرتبات شهرية للقضاة كافية لسد حاجتهم حفاظاً لكرامتهم وتنزيههم عن أن يكونوا موضعاً لشبهة. (ج) - الشهود: فحص حالة الشهود الذين يؤدون شهاداتهم فى الدوائر القضائية التثبت من صدق الشاهد بكل ما تساعد عليه الأقوال فى مذهب الإمام الشافعى من اختلاء القاضى بالشهود والتفريق بينهم والتدقيق فى استفهاماتهم وغير ذلك حتي يقضى علي شهادة الزور التى فشا أمرها بين صغار النفوس وأدنيائها. (د) - المحاماة: تنظيم قانون للمحاماة بحيث لايباح لشخص احترافها إلا بشهادة فى يده من لجنة تتألف من العلماء القضاة، ولا يجوز الاعتراف بوظيفة المحاماة لمن كان موظفاً فى دوائر الحكومة. (ه) - دوائر القضاء: تأسيس دوائر رسمية منظمة للقضاء وإيجاد سجلات لجميع الأحكام وتدوينها مسجلة. (و) - الأحكام: ويري المؤتمر لزوم تفكير الحكومتين من الآن فى إيجاد مجلة تجمع وتنظم فيها الأحكام المعتمدة من مذهب الإمام الشافعى حتي يحفظ القضاء من مسائل التأويل وتناقض الأحكام، وتكون هذه المجلة علي مثال مجلة الأحكام الشرعية التى وضعت فى الآستانة.

القرار الثانى عشر - بما أن الجمعية الوطنية لابد لها من قواعد عامة تؤسس بموجبها فقد قرر المؤتمر تخويل وفده حق المناقشة والمفاوضة فيها مع الوفد الحضرمى والاشتراك معه فى وضعها. لأنه بتبادل الأفكار مع من بالوطن فى المحيط الذى ستتكون فيه الجمعية يظهر لهم ما لا يلاحظه البعيد.

القرار الثالث عشر - حيث إن المؤتمر يرى أن يبقى الباب مفتوحاً للحضرميين فى المهجر للاشتراك فى الجمعية الوطنية ومساعدتها فإنه يطلب أن يكون للجمعيات الحضرمية فى المهجر حق التمثيل فى الجمعية الوطنية.

القرار الرابع عشر ـ بما الإصلاح الوطنى التام لاتتم الفائدة المطلوبة منه مادام الحضرميون متنازعين ومنشقين ومختلفين فى المهجر فضلاً عن أن اتحادهم وزوال الاختلاف من بينهم هو أول درجات الإصلاح. فالمؤتمر يطلب من الحكومتين القعيطية والكثيرية أن تعينا لجنة يرئسها السلطان صالح بن غالب بعضوية فرد من السادة العلويين وفرد من غيرهم تنظر فى هذا الخلاف الواقع بين الحضرميين فى المهجر، وتسعي للتوفيق بينهم فإن لم تتمكن من ذلك تدعو المختلفين إلي المحاكمة لديها وتطلب منهم إرسال وفودهم إليها أو توكيل من يدافع عنهم، وبعد أن تسمع أقوال الفريقين وحججهم ومستنداتهم وتنظر فى أمرهم بدقة وإمعان تصدر حكماً أدبيا علي من يظهر لها خطأه وتعنته وتعديه من الفريقين وتشفع هذا الحكم بحيثياته وأسبابه ثم تنشره فى الجرائد مع إصدار منشور مستقل به معزز بالطلب من الرأى العام أن يحتقر الفريق الذى صدر عليه الحكم وينبذه حتي يكون لهذا الحكم تأثير يضع حداً لمن تحدثه نفسه بالتعنت وينفض الناس من حوله فيبقي وجوده كعدمه، وبذلك يقضى علي الخلاف. أما إذا حصل صلح حقيقى ووفاق تام قبل وصول وفد المؤتمر إلى حضرموت فلايبقي لهذا القرار موضع ولا معني .

القرار الخامس عشر ـ سعياً فى تمهيد السبيل بالقطر الحضرمى للإصلاح العام المطلوب، فإن المؤتمر يطلب من الحكومتين القعيطية الكثيرية أن تسعيا وتقيما صلحاً بين قبائل حضرموت فى الدم والثراث والطوارف لمدة أقلها خمس سنوات .

القرار السادس عشر ـ إذا أخطأ فرد أو أفراد قليلون من إحدي القبائل الحضرمية وعجزت قبيلتهم عن ردعهم وإخضاعهم وتبرأت منهم فلا يحق للحكومتين أذي أى فرد من أفراد هذه القبيلة سوي المتمرد أو المتمردين، لكن يجب علي قبيلة المتمرد مساعدة الحكومتين علي إخضاعه، وتقديم ما يلزم للحكومتين من الضمانات الجارية المعروفة.

القرار السابع عشر ـ رغبة فى إيجاد أداة صلة بين الحكومتين ورعاياهما فى المهجر تكون أثراً لوجودها بينهم فالمؤتمر يطلب من الحكومتين القعيطية والكثيرية أن تعملا لتحقيق هذه الرغبة كأن تعين موظفاً تلحقه بالقنصليات الإنجليزية فى البلاد الأخري أو موظفاً متصلاً بقلم الجوازات فى البلاد الإنجليزية ليكون مساعداً لتسهيل أعمال الحضرميين من تصديق علي جوازات سفر أو وكايل ونحوها، ويترك المؤتمر للحكومتين الشكل فى تنفيذ هذا الطلب .

القرار الثامن عشر ـ لايحق لوفد المؤتمر أن يقبل أى تعديل كان فى القرار الثالث المختص بميزانية الحكومتين. لأن سمعتهما واطمئنان الشعب وثقته بحكومتيه متعلقة بتقديم الميزانية السنوية وإعلانها للرأي العام .

القرار التاسع عشر ـ جعل المؤتمر لوفده الحق فى قبول تعديل القرار العاشر المختص بالمعارف فيمكن تعديله بالاكتفاء بإيجاد ناظر عام للمعارف أو موظف كبير يكون أداة لربط المدارس واتصالها بعضها ببعض وتوحيد أو تقريب برامجها إذا اقتضي الحال فى الوطن هذا التعديل.

القرار العشرون ـ خول المؤتمر لوفده الحق فى قبول زيادة عدد أعضاء اللجنة التى تدعو المختلفين فى المهجر إلي المحاكمة إليها تبعاً للقرار الخامس عشر إذا طلبت الحكومتان هذه الزيادة.

القرار الحادى والعشرون ـ لتعقب قرارات المؤتمر الاتصال بوفده المسافر إلي البنادر فحضرموت وللاتصال بالجمعيات الحضرمية فى المهجر ، شكل لجنة أسماها « اللجنة التنفيذية لمؤتمر الإصلاح الحضرمى الثانى بسنغافورة» من حضرات الذوات الآتية أسماؤهم وجعل مقرها سنغافورة:

رئيس: السيد إبراهيم بن عمر بن محمد السقاف، نائب رئيس وأمين صندوق: السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف، سكرتير: السيد أبو بكر طه عبد القادر السقاف، معاونه: الشيخ أبو بكر بن محمد بن على الشوى .

تنحصر اختصاصات هذه اللجنة فيما يلي:

١ـ تعقب قرارات المؤتمر. ٢ ـ الاتصال بوفد المؤتمر الذى قرر إرساله إلي البنادر فحضرموت. ٣ ـ الاتصال بوفود الجمعيات التى مثلت فى هذا المؤتمر. ٤ ـ مكاتبة الجمعيات الهيئات والأشخاص الشهيرين الذين لم يحضروا المؤتمر. ٥ ـ دعوتهم للاكتتاب باسم الإصلاح الوطنى العام والسعى فيه. ٦ـ طلبها موافاتهم لها بما ينتج بهذا الشأن. ٧ ـ جمع قيمة الاكتتاب للإصلاح الوطنى العام حينما يأتى دور جمعها. ٨ ـ نشر النشرات التى تراها ضرورية ومساعدة علي أعمال الإصلاح الوطنى المطلوب. ٩ ـ إعلان الجمعيات الحضرمية بالمهجر حينما يتم تأسيس الشركة التجارية الوطنية، وطلبها منها جمع أفرادها وحثهم علي الاشتراك للفائدة والتعاون الوطنى. ١٠ ـ عقد مؤتمر إذا دعت الحاجة والمصلحة إليه.

القرار الثانى والعشرون ـ بما أنه يلزم مبدئياً فتحت اعتماد مالى قدر بخمسة آلاف ريال للمصاريف الإدارية للجنة التنفيذية ولسفر الوفد الذى تقرر سفره إلي الوطن من أول شهر سبتمبر سنة ١٩٢٨ فقد قرر المؤتمر بعد موافقة جميع أعضائه فتح اكتتاب بينهم ليكتتبوا بما تيسر لذلك. فاكتتبوا بما بلغ مجموعه ٣١٤٠ ريالا وكلف المؤتمر سكرتيره بالكتابة للأعضاء الذين لم يحضروا ليشتركوا فى هذا الاكتتاب.

صودق على هذه القرارات جميعها من جميع الأعضاء الموقعين أدناه فى الجلسة الختامية للمؤتمر ليلة السبت ٢٢ ذى القعدة سنة ١٣٤٦هـ، ١٢مايو ١٩٢٨ فى منزل رئيس المؤتمر السيد إبراهيم بن عمر السقاف بطريق جنسرى لين رفلم بسنغافورة.

رئيس المؤتمر: إبراهيم بن عمر السقاف، السكرتير: أبو بكر طه السقاف، أعضاء: السيد عبد الرحمن شيخ الكاف، السيد أبو بكر العطاس، علوى بن طاهر

الحداد، عيدروس المشهور، عبد الرحمن بن عمر جواس، سقاف بن محمد السقاف، أبو بكر بن محمد الشوى، سعيد بن عبد الله بابحرى، سعيد بن طالب بن جعفر بن طالب.

رد السلطان على المؤتمر

وعلي أثر إذاعة المنشور والقرارات أرسل عظمة السلطان الرسالة الآتية إلي واضع هذا الكتاب فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٧لينشر فى مجلة الشرق الأدني فى القاهرة قبل تعطيل الحكومة لها فنشره فى عددها ٤٤ الصادر فى ١٤ربيع الأول. قال السلطان:

ظهرت لنا بوادر حركة إصلاح مباركة من القطر الحضرمى أملنا منها الإصلاح ونشر العلوم وتقوية الروابط بين أهالى القطر الحضرمى بنبذ الضغائن التى أخرت البلاد عن الإصلاح أولاً ثم السير بها تدريجياً فى معارج الفلاح حسب ما تقتضيه الحاجة حتي لاتصطدم الحركة بفشل من المحافظين.

فكر السلطان صالح بن غالب القعيطى النائب عنا وقت غيابنا فى الهند، وهو مملوء الفؤاد بحب النهوض للأمة الحضرمية، ورأي مع ذلك يقظة أفكار رجالها فى حضرموت واتجاه أنظارهم للإصلاح فى عقد مؤتمر بالمكلا جمع فيه ذوى اليسار وبعض أعيان الجهة الحضرمية وقرروا أن يوفدوا إلي سنغافورة رجلاً يدعو رؤساء الجمعيات وذوى الشخصيات البارزة من الحضارم فى جاوه ليعقدوا مؤتمراً فى سنغافورة لأجل الشروع فى معدات الإصلاح وتقديم الأهم علي المهم حتي يتسني للأمة الحضرمية النهوض من كبوتها فى جو صاف من الضوضاء.

ولكن عين لهذا العمل المهم رجل غريب يدعي الطيب الساسى ليس له أدنى معرفة بحضرموت وقبائلها غير ما سمعه مدة إقامته القصيرة فى تريم.

ولما وصل الساسى إلي سنغافورة أرسل دعوة لحضرات رؤساء الجمعيات وذوى الحيثيات وكثير من غيرهم من الأدباء الحضارم القاطنين بجاوة وذلك بواسطة بعض رجال فى سنغافورة فأنكر ذوو العقول الراجحة دعوة رجل غريب لا ناقة له ولاجمل فى حضرموت، فلم يلب دعوته إلا أناس قليلون لايتجاوزون عدد الأصابع، ومع ذلك عقدوا مؤتمراً ـ كما يزعمون ـ باسم الإصلاح الحضرمى ورتبوا قرارات كما يدعون تنطوى علي أغراض شخصية تعود علي القطر الحضرمى بأضرار جسيمة، وإن كانت فى ظاهرها لمن ليس له معرفة بحالات الجهة الحضرمية ربما ظن أنها تنطوى علي شئ من الإصلاح. ومن هذا تجنب ذوو المكانة وذوو العقل حضور جلسات مؤتمر سنغافورة لما يعرفون عن حقيقة الحالة وما تنطوى عليه تلك القرارات من التفرقة بين أهل حضرموت. وحيث إننا بكل قوانا وغاية جهدنا مصممون علي تقدم بلادنا وتحضيرها وترقيتها عارفون منابت الإصلاح ورجاله فإنا من الآن شارعون فى رقيها علي يد الرجال الذين نعتمد عليهم فى الإصلاح الحقيقى المرغوب ، فبعد اطلاعنا على ما قرره مؤتمر سنغافورة المزعوم بدعوة الساسى فنحن رفضناه لمعرفتنا بضرره علي أمتنا.

سلطان الشحر والمكلا

عمر بن عوض القعيطى

رد اللجنة التنفيذية على السلطان

ولما اطلعت اللجنة التنفيذية علي كتاب السلطان أرسلت إلي مجلة الشرق الأدني الكتاب الآتى:

«لقد اطلعت اللجنة علي كتاب منسوب إلي السلطان عمر بن عوض القعيطى فاستبعدت صدوره من سموه لما ذكر فيه من بعض ما يتناقض مع الحقيقة ويثير الدهشة. كالقول بأن الأستاذ الساسى أرسل دعوته إلي المؤتمر بنفسه ولم يترك ذا شأن من الحضرميين بهذه الجهات، وأما ما جاء من إنكار ذوى العقول الراجحة دعوة رجل غريب. فذلك ما لا نفقه له معنى. وهل أرسل الدعوة بصفته الشخصية أو باسم منتدبيه الذين أحدهم السلطان نفسه.

وبعد فهل يجوز التعريض بمن أجابوا هذه الدعوة بمحاولة التقليل من شأنهم ومن إحساساتهم إلا إذا كان يجب أن نفهم بعد اليوم أنه لايمكن أن نعتبر أى مندوب يحمل تواقيع أى رجال مسؤلين فى دول حضرموت، ولولا ما ورد للجنة من كتب قبل وبعد سفر المندوب من أولئك الذين انتدبوه، وما ورد فى نفس هذا الكتاب الذى نتكلم عنه مما يؤيد تفويض الأستاذ الساسى، لجاز لنا من الدهشة أن نشك فى أن تلك التواقيع مزيفة، ولكن حتي علي فرض هذا المستحيل من التزييف أو حصول سوء تفاهم مع المندوب أو منتدبيه. فنظرة بسيطة بعين العدل والإنصاف لاتدع لغير التشجيع والثناء سبيلاً إلي أعمال المؤتمر نفسه وقراراته. وهل يمكننا أن نلغى عقولنا ونتجاوز عما يمس كرامة رجال المؤتمر فنسكت علي ما قيل فى الكتاب بأن قرارات المؤتمر تنطوى علي أغراض شخصية تعود علي القطر الحضرمى بأضرارجسيمة؟.كلا! وإن اللجنة لتتحدي كل من يستطع أن يأتيها بفقرة واحدة غير جزيلة الفائدة للوطن حكومة وشعباً من تلك القرارات، وترفع الصوت عالياً بذلك انتصاراً للحق. أما إذا كان فى

الأمـر وشاية أو دسـيسة جعلت من الحسن قبيحاً والحق باطلاً ـ كما نخاله ـ فليخسأ مثيروها الذين لايعيشون علي نور الإصلاح، ولا تحلو لهم الحياة إلا فى ظلام الفوضي والخراب، وليعلموا أن الباطل زهوق، وسوف لا يمضى إلا القليل حتي تتجلي الحقيقة لذى عينين، ويتبدد ما أثاره هؤلاء المفسدون المغرضون من غبار الوشاية والغش، ويقدر السلطان عمر رجال المؤتمر ويفخر بهم، لأنهم الذين أجابو الإصلاح، وتداولوا فيه بصدق ونزاهة وإخلاص وأدوا للوطن واجبه الأسمي، بعكس أولئك الذين لم يريدوا إلا أن يكونوا حجر عثرة فى عرقلة الإصلاح، وحسبهم ذلك وخزاً للضمير إن كان لهم ضمير وخزياً عند الله والناس وهو حسبنا ونعم الوكيل».

ولم يكتف السلطان بما كتب بل أمر بإقصاء المرحوم العلامة السيد محمد بن عقيل والشيخ الطيب الساسى عن حضرموت .

وفى شهر سبتمبر سنة ١٩٣١ (٢٠جمادى الأولي سنة ١٣٥٠) وصل إلي المكلا وفد من السادة آل الكاف لمباحثة عظمة السلطان عمر فى إصلاح القطر الحضرمى. فدار البحث حول دعوة مؤتمر إصلاحى وطنى تنفذ الحكومتان قراراته وإنشاء طريق للسيارات فلم تنتج تلك المحادثات نتيجة تذكر.

نظام الحكم في حضرموت

نظام الحكم فى حضرموت هو الشريعة الإسلامية، السلطان هو مصدر كل سلطة، وينوب عنه السلطان صالح بن غالب مدة وجوده فى الهند، وهو صاحب ولاية العهد عملاً بتقاليد آل القعيطى.

ويدير حركة الحكومة ويصرف شؤون البلاد وزير الدولة الأكبر، واسمه أبو

بكر بن الحسين بن حامد المحضار، وقد ورث هذا المنصب عن أبيه، ويساعده فى عمله عمه عبد الرحمن، ومنهماومن السلطان تتألف هيئة الحكومة القعيطية، وهنالك مجلس شوري تختار الحكومة أعضاءه من كبار رجال البلاد، وتعرض عليه الخطير من الشؤون، ورأيه استشارى، ولابد من أخذ رأيه إذا أريد فرض ضرائب جديدة، وهنالك مجلس آخر للنظر فى القضايا يرأسه السلطان بالذات.

ويتألف دخل الحكومة من إيرادات الجمارك، وتقدر بنحو نصف مليون روبية، يضاف إليها نحو مائة الف من أبواب أخري غير مباشرة ينفق منها نحو نصفها أو أكثر من النصف علي مرافق البلاد ومصالحها، ويتسرب الباقى إلي خزينة السلطان ويأخذه معه فى رجوعه إلي الهند. ويسمى ضباط الجيش عندهم «مقادمة» ويسير جيش هذه الحكومة علي الأنظمة القديمة .

وقد أنشأ السلطان مستشفي فى المكلا للحكومة، وفيها خمس مدارس ابتدائية بعضها أهلى وبعضها حكومى.

مسقط

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

سلطنة عربية فى خليج فارس مشمولة بالحماية البريطانية، تقوم فى مبتدئه من جهة الهند وهى أقرب قطر عربى إليها كما أن الكويت أقربها إلي العراق، وفى الخليج عدد غير قليل من الحكومات أو المشيخات العربية، وأكبرها ثمان، وهذه أسماؤها بحسب وضعها الجغرافى :

مسقط ، رأس الخيمة، الشارقة، أبو ظبى، دبى، قطر، البحرين،الكويت.

وجميعها مشمولة بالحماية البريطانية وقد أغفلنا الكلام عن المشيخات الأخري لضآلة شأنها .

ولقد ضعف أمر مسقط كثيراً بعد ثورة سنة ١٩١٣فقد نهض رعاياها من سكان الداخلية يقاتلونها لقبولها الحماية البريطانية ، وانتهت الثورة بانفصالها عنها وإنشاء إمارة دينية عاصمتها نزوي سيأتى الكلام عليها.

ومساحة مسقط وعمان ١٤٠الف كيلو متر مربع، وطول ساحلها نحو ٤٠٠كيلو متر، وسكانها عرب مسلمون يبلغ عددهم نحومليون ونصف مليون تقريباً سنيون والباقى إباضية، وهنالك عدد قليل من الهندوس. وتنتج هذه البلاد نوعاً من التمر (البلح) الأسود لامثيل له، يحبه الأمريكيون ويبتاعونه فى أول موسمه، وفيها معادن كثيرة وتربتها جيدة وإقليمها مناسب، وزراعتها نامية.

ومسقط عاصمة البورسعيديين، ونزوي عاصمة إمام عمان، ومن مدنها المشهورة: مطرح، والشحر، وشيناس، ولوا، وبرقة، وسميل، وصور، ونخيل ....آلخ.

وتمتد حدودها من ظفار فى حضرموت حتي قطر علي الخليج الفارسى، ومن البحر العربى حتي الربع الخالى.

وسلطان مسقط هو سعيد بن تيمور البوسعيد. وهذا رسمه:



السلطان سعيد بن تيمور (سلطان مسقط)

السلطان سعيد بن تيمور

سلطان مسقط

مولده ونشأته

ولد فى مسقط ونشأ فى قصر والده، ودرس فيه القراءة والكتابة، ولما بلغ أشده أرسل إلى بمباى (الهند) فدخل مدرسة القديس كزافيه الإنكليزية. فأتم الدراسة الثانوية ونال شهادة البكالوريا، ثم أرسل إلى بغداد سنة ١٩٢٦ فدخل طالباً فى المدرسة الثانوية المركزية لتعلم اللغة العربية. فقضى فيها سنة وفى نهايتها عاد إلى مسقط.

وكان يشرف عليه مدة وجوده للدراسة فى بمباى وبغداد ويتولى تثقيفه وتهذيبه أحد فضلاء العرب الذين نشأوا فى الهند وتعلموا تعليماً راقياً. فأنشأ منه رجلاً مهذباً يعد فى طليعه شبان العرب الناهضين.

أوصافه ـ حنطى اللون، بهى الطلعة، ذو عينين جميلتين، ذكى جذاب، نحيف النية.

ملابسه ـ يلبس الملابس الإفرنجية، وهو كثير التأنق، جميل الهندام.

أخلافه وآراؤه ـ بعيد عن الصلف والكبرياء، ميال إلى الجد، كثير التفكير، منطيقى، يتتبع باهتمام الحركتين السياسية والأدبية فى بلاد العرب خاصة والعالم عامة، يؤيد فكرة الجامعة العربية ويميل إليها.

وظائفة ـ لم يكد يعود إلى مسقط بعد إتمام دراسته حتى تقلد منصب رئاسة الوزارة ووزارة الداخلية بدلاً من عمه الأمير نادر. فأدارهما بمهارة وظل فيهما حتى تنازل له والده عن السلطنة فبويع بها كما سيأتى بيانه.

علومه ـ يعرف اللغات العربية والأوردية والإنكليزية، وله إطلاع على العلوم الحديثة، ويطالع الصحف والكتب ويميل إلى الأدب العربى.

زواجه ـ تزوج بعد عودته إلى مسقط بإحدى الأميرات من قريباته وقد ولدت له ولداً ذكراً ولم يتزوج سواها.

راتبه ـ يتناول فى الوقت الحاضر راتباً قدره ثلاثة آلاف روبية فى الشهر بدلاً من سبعة آلاف، وقد خفض هذا التخفيض بسبب سوء الحالة الاقتصادية، ويقال أيضاً إنه باع يخته وسيارته بسبب هذه الضائقة أيضاً.

ويقطن قصور سلاطين البوسعيد القائمة على شاطئ مسقط، وهى سلسلة قصور فخمة، وفيها ينام ويأكل وفيها مكتبه الرسمى، وفيها يستقبل زواره وقاصديه.

وهو ينهض مبكراً فيتوضأ ويصلى ويستحم ويتزين ويفطر ثم يبدأ باستقبال الزوار، ويتناول طعام الغداء فى غرفة المائدة من القصر، وهى مؤثثة على الطراز العصرى مع حاشيته ورجال حكومته وزواره، ثم يؤدى صلاة الظهر جماعة فى مسجد القصر، وبعد ذلك يدخل إلى الجناح الخاص بالحريم فيظل فيه إلى العصر. فيخرج للصلاة، ويؤدى بقية الفروض على هذا المنوال وينام مبكراً.

كيف أرتقي العرش ؟

فى أوائل سنة ١٩٣٠ غادر السلطان تيمور بن فيصل عاصمة بلاده مسقط قاصداً الهند فناب عنه ولى عهده ورئيس وزرائه نجله الأمير سعيد، وفى أواخر سنة ١٩٣١ دار على الألسنة بأنه سيتنازل عن الملك لولده القائم مقامه. وفعلاً أرسل فى أواخر شهر رمضان سنة ١٣٥٠ كتاباً إلى أمراء العائلة السلطانية يقول فيه أنه نظراً لعجزه عن القيام بمهام السلطنة ولاشتداد المرض عليه، ولما أبرزه ولى العهد فى خلال هذ المدة من الكفاءة فى إدارة البلاد فهو يتنازل له عن السلطنة، ويوصيهم به خيراً ويرجو الالتفاف حوله وتأييده وشد عضده والمحافظة على السلطنة، ورعاية المعاهدات التجارية والودية المعقودة مع الدول وخصوصاً مع بريطانيا.

وفى يوم أول شوال سنة ١٣٥٠ وزعت أوراق الدعوة على الكبراء والعلماء والعظماء والموظفين والتجار للاجتماع فى قصر السلطنة يوم ٢ منه فلما جاءوا وقف سمو ولى العهد وقال: قد دعوناكم لسماع الأوامر الشريفة الصادرة من جلالة والدى السلطان تيمور، ثم ناول السكرتير الخاص الكتاب الصادر من والده والموجه إلى أمراء العائلة السلطانية فتلاه، وقد أوردنا خلاصته آنفاً، والناس وقوف، وبعد انتهائه، قال الأمير نادر كبير العائلة السلطانية: سمعنا وأطعنا وردد الحاضرون هذا القول، ثم طلبوا إليه أن يجلس على العرش الذى كان يجلس عليه والده. فجلس فصافحوه مهنئين، وأطلقت المدافع والبنادق ابتهاجاً بما تم وتبودلت الخطب المعتادة، وهو الحادى عشر من عائلة البوسعيد ومؤسسها الإمام السيد أحمد بن سعيد. بويع بالإمامة سنة ١١٦١ فقام بالأمر خير قيام وقاتل الفرس وأجلاهم عن مسقط وغيرها من بلاد عمان. وخلفه نجله السيد سعيد فالسيد سلطان بن أحمد فالسيد سعيد بن سلطان فالسيد ثوينى فالسيد سالم فالسيد عزان فالسيد تركى فالسيد فيصل فالسيد تيمور وهو والده.

عمان

خضعت عمان لحكومة الخلفاء الراشدين منذ ابتدأت الدعوة الإسلامية، وأول عامل وليها هو عمرو بن العاص فاتح مصر، ثم انفصلت إدارياً فى أوائل عهد الأمويين، ولما ولى الحجاج العراق جهز الجيوش لإخضاعها فتم له ما أراد، واغتنم العمانيون فرصة ضعف الدولة الأموية فى أواخر عهدها فانفصلوا عنها وبايعوا إماماً منها، فجهز أبو جعفر المنصور قوة قتلت الإمام ومزقت جيشه، وعاد العمانيون إلى الانتقاض فى عهد هارون الرشيد فقاتلهم ولم ينل منهم منالاً، وظلت الإمامة فى عمان قائمة وقد تقلب عليها كثيرون، وعظم أمر هذه الدولة فى القرون الوسطى وحاربت البرتغاليين فى القرن السادس عشر حينما أرادوا بسط نفوذهم على الخليج الفارسى، وطردتهم واستولى أسطولها الحربى على شواطئ الهند كما غزا سواحل أفريقية الشرقية، واستولى عليها حتى رأس الرجاء الصالح. وقد بلغ أحد ملوكها الرياض وفتحها.

وضعف أمر هذه الدولة فى السنين الأخيرة، بسبب الحروب المتواصلة، واغتنم الإنكليز الفرصة فتدخلوا فى شؤونها محاولين بسط حمايتهم عليها، وفى سنة ١٨٦١ عقدوا أول معاهدة معها، فكانت مقدمة للحماية التى ضربت بعدئذ.

وفى سنة ١٣٣١ عقد السلطان فيصل بن تركى، جد السلطان الحالى معاهدة ثانية معهم، رضى بوضع بلاده تحت الحماية الإنكليزية وبأن لايعقد معاهدة مع دولة، ولايهب امتيازاً إلا بعد موافقة الحكومة الإنكليزية مقدماً، وما شاع ذلك حتى عمت الثورة البلاد فى جمادى الآخرة سنة ١٣٣١ انتقاضاً على السلطان وحكومته، فوقعت معارك بين الثوار الذين ألفوا حكومة اتخذت نزوى عاصمة لها، وبين جند حكومة السلطان، وفى أوائل سنة ١٣٣٨ عقد مؤتمر فى السيب حضره رجال الحكومتين، فعقد صلح بينهم على بنود أهمها عدم تدخل السلطان فى داخلية البلاد، وعدم تدخل أمام عمان فى بلاد السلطان.

وأول من بويع بالإمامة فى عمان الإمام سالم بن راشد الخروصى، وذلك فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٣١ أى على اثر الثورة فقام بالأمر خير قيام حتى اغتاله اعرابى اسمه سيطن ولد التويل الفزازى سنة ١٣٣٨ لأنه أراد إنفاذ حكم عليه، فبايع العمانيون الإمام محمد بن عبدالله الخليلى وهو القائم بالأمر الآن.

وحكومة عمان دينية، شرعية، تسير فى أحكامها وسننها سيرة الخلفاء الراشدين؛ ويجتمع أهل الحل والعقد من رجالها عند وفاة الإمام فيختارون من تتوفر فيه الكفاءة والشروط المطلوبة فيقوم بالأمر، والقريشية غير شرط عندهم.

ولم تحدد الحدود نهائياً بين الحكومتين، وإنما هنالك حدود وهمية فحكومة مسقط تملك السواحل، ويبلغ طولها نحو ٤٠٠ كيلو متر، وحكومة عمان تسيطر على الداخل، ولايتجاوز عرض أراضى الأولى ٤٠ كيلو متراً فى بعض الجهات.

نظام الحكم في مسقط وعمان

نظام الحكم فى عمان دينى، وحكومتها مستقلة استقلالاً تاماً لاشائبة فيه، ويحيط بالإمام نخبة من العلماء والكبراء يشاورهم فى الأمور ويشركهم فى إدارة البلاد.

أما فى مسقط فهنالك نظام مدنى، وتتألف الحكومة من رئيس وزراء يختاره السلطان ويكون مسؤولاً أمامه، ويتقلد بالإضافة إلى الرئاسة وزارتى الداخلية والخارجية. ويتقلد وزارة المالية إنكليزى، يتمتع بنفوذ عظيم فى هذه الحكومة العربية المسلمة.

ومما تمتاز به حكومة مسقط وجود قنصل فرنسوى وآخر أميركى يمثلان

حكومتيهما لديها يضاف إليهما قنصل بريطانى، ولايوجد قناصل أجانب لدى حكومات الخليج العربية الأخرى.

ولايوجد قناصل لدى حكومة نزوى العمانية، وقد حدث بين هذه الحكومة وبريطانيا خلاف فى سنة ١٩٢٨ وإليك صورة المذكرة التى أرسلتها تلك الحكومة إلى قنصل إنكلترا فى مسقط يوم ٢٤ شهر ربيع الآخر سنة ١٣٤٧هـ :

«جناب قنصل بريطانيا العظمى فى مسقط:

أما بعد فقد تواترت الأخبار عن مؤامرات ضد سلامة استقلال بلادنا العمانية، وأن شيخ قبيلة بوعلى رفع راية أجنبية على منزله فى قرية العقيقة التابعة لمركز صور معلناً انفصال قبيلة بوعلى عن المملكة العمانية والتحاقها بأجنبى عنها، ولذلك رأينا ضرورة إعلام جنابكم باسم الأمة العمانية بأن الأمة لاتعترف بأى اتفاق خارجى يتعلق بالبلاد مع أى شخص كان، ولا تقبل أية مداخلة أجنبية بأى صورة كانت، وتمزق بسيوفها كل راية محدثة مهما كانت صفتها ولو فى شبر من الأرض فى داخل حدود مملكتها العمانية من ظفار إلى قصر، ومن البحر إلى الربع الخالى، وإنها مستعدة لمحاربة كل من يتوسل إلى ذلك بأى وسيلة كانت مادامت فى أفراد رجالها ذرة من الحياة. لأنها ترى مملكتها جسماً واحداً لايقبل التجزئة بوجه من الوجوه. فنرجو تبليغ هذا إلى حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تلغرافياً ليكون فى علمها خدمة للسلام وحقناً للدماء».

الكويت

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

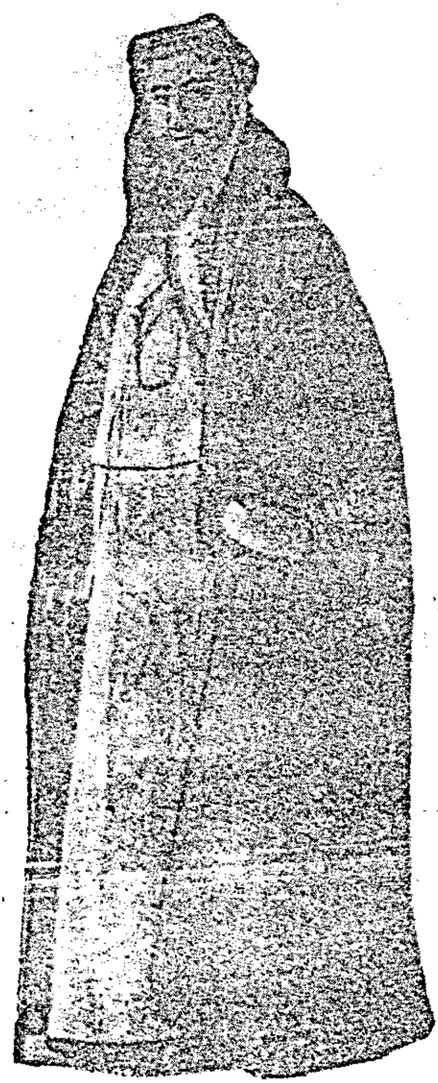
إحدى الإمارات العربية المشمولة بالحماية البريطانية فى الخليج الفارسى قائمة بين العراق ونجد وكلاهما طامع فى ضمها إلى بلاده، وبينها وبين الأخيرة شقة حياد رسمت سنة ١٩٢٣.

وعاصمتها الكويت، وتعد فى مقدمة موانئ الخليج أهمية وعمراناً، وتجارتها فى اللؤلؤ نامية واسعة، والكويتيون مشهورون بالغوص عليه وعدد سكانها ١٢٠ ألفاً عرب سنيون يتدينون على مذهب الإمام مالك، ويمتون بأصلهم إلى قبيلة مطير بينهم نحو ٤٠٠٠ زنجى وألف فارسى، ويأتيها تجار من اليهود والهندوس فى موسم اللؤلؤ، ويقدر عدد سكان ملحقاتها بأربعين ألفاً. وأشهرها :

الوبرة والصبيحة وأم الرءوس.

وليس للكويت جيش نظامى. بل شرطة بلدية للمحافظة على الأمن فى داخلها، ويتجند أهلها للدفاع عنها إذا هاجم، مهاجم وكان لهاسور يعول عليه فى رد غارات العربان فقد أهميته فى هذه الأيام.

وشيخ الكويت هو سمو الشيخ أحمد الجابر آل صباح وهذا رسمه :



الشيخ أحمد الجابر (الكويت)

الشيخ أحمد الجابر

شيخ الكويت

مولده ونشأته

هو نجل الشيخ جابر بن الشيخ مبارك آل صباح، ولد فى الكويت سنة ١٨٨٠ على الأرجح ونشأ فيها وتعلم القراءة والكتابة فى قصر والده.

أوصافه ـ هو ربعة القامة، حنطى اللون، ممتلئ الجسم، كث الشعر، بهى المنظر، لطيف الحديث، جذاب الملامح.

أخلاقه وثروته ـ واللطف والتواضع من أخلاقه، وهو يحسن مقابلة زائريه ويرضيهم بحديثه، يميل إلى معالجة الأمور باللين والحكمة، بعيد عن العنف وسفك الدماء، بعيد عن الحرمات وتعاطيها، معروف بالميل إلى الاقتصاد، ولديه ثروة كبيرة تقدر بالملايين.

ملابسه ـ يلبس الملابس العربية، ويضع الصمادة والعقال على رأسه، ويتدثر بالعباءة ويتمنطق بخنجر فى وسطه، على عادات أمراء العرب.

آراؤه وعلومه ـ وهو متأدب واسع الاطلاع يرقب سير الحركة الأدبية والعلمية والسياسية فى الشرق العربى عن كثب، ويقرأ الكتب والصحف، ويجالس الأدباء والعلماء، وهو معجب بالمدنية الأوربية ميال إليها.

ومن الخطة التى سار عليها أن يوافيه إلى قصره فى كل مساء أحد شيوخ الدين فيتلو درساً فى الفقه أو الحديث والعلوم الإسلامية الأخرى، فيستمع إليه الأمير مع من يكون هنالك من ضيوفه وزواره، ويظل على هذه الحالة حق أذان العشاء.

كيف يقضي يومه ؟

يقطن الشيخ مع أسرته فى قصر دسمان، وهو واقع على ٣ كيلو مترات من الكويت، يطل على خليج فارس، وقد جدده حديثاً وأثثه بالأثاث الفاخر وجهزه بجميع وسائل الراحة الحديثة.

وينهض سموه مبكراً فيتوضأ ويصلى، ويقرأ ما تيسر من القرآن ويشرب القهوة ويفطر ثم ينتقل بالسيارة إلى قصر الحكم فى داخل مدينة الكويت، فيستقبل الزائرين، ويقابل الموظفين وينظر فى الرسائل والكتب والشؤون الأخرى حتى الظهر فيتغدى مع من يكون هنالك من الزوار والحاشية، ثم يصلى جماعة فى مسجد القصر مع الموجودين ثم يستريح حتى قرب العصر، فيغادر إلى قهوة السوق (قهوة كائنة فى وسط سوق الكويت التجارى) وحوله رجال البوليس والحجاب. فيجلس فيها فيلتف الناس حوله فينظر فى مصالحهم وقضاياهم، ويفصل فيها. أى أنه يأتى إلى المتقاضين بدلاً من أن يأتوا إليه، وتلك عادة قديمة من عادات شيوخ الكويت، وبعد أن ينتهى من نظر القضايا، يعود بالسيارة إلى قصره قرب المغرب فيصلى جماعة فى مسجد القصر مع من يكون هنالك من الزوار والحجاب والخدم وراء أمام القصر الخاص، ثم يتعشى مع الزوار والحاشية فى غرفة المائدة، وهى مؤثثة على طراز عصرى حديث، وينتقل مع ضيوفه إلى (مشرب القهوة) وهو بهو خاص (Fimoire) فيشربون القهوة ويسمرون، وينام الشيخ عادة مبكراً.

وقصر دسمان منار بالكهرباء، وفيه مولد للكهرباء مؤلف من جهازين بقوة خمسة أحصنة.

أسفاره ـ حج للمرة الأولى فى سنة ١٣٣٦ أى فى عهد الملك الحسين فأكرم وفادته، ودعته الحكومة البريطانية سنة ١٩١٩ على أثر ختام الحرب العظمى وهو ولى للعهد إلى زيارة عاصمتها لندن. فلبى الدعوة وسافر إليها بطريق بمباى

فبلغها فى شهر صفر سنة ١٣٣٨ فأهدى إلى ملك الإنكيز حصاناً عربياً وسيفاً وخنجراً مذهبين فقبل الإمبراطور هديته شاكراً.

وزار بعض مدن انكلترا وشاهد المراكز الصناعية فأعجب بها، وبعد ما قضى مدة فى ضيافة الإنكليز عاد إلى مدينته وقد أهدته الحكومة الإنكليزية وسام سى آى إى.

وقصد الرياض يوم ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٣٩هـ ومعه أحد أنجال الشيخ خزعل خان لمفاوضة عبدالعزيز السعود بالصلح بعد ما هاجم الإخوان النجديون الجهرة (الكويت) وقتلوا من أهلها كثيرين، وحاصروا أميرها فى قصره، ولم يخرجهم منها سوى تدخل الإنكليز وتهديدهم بإطلاق النار. ولما اتصل بعبدالعزيز خبر انتدابه للمفاوضة سر كثيراً لأنه يوده ويعجب بأخلاقه، وقال له حينما التقيا «أنا سيف مسلول بيدك فاضرب به كما تشاء».

ولم تطل إقامته فى الرياض فقد جاءه نعى عمه وانتخابه خلفاً له. فعاد على عجل إلى الكويت، وفى يوم ١١ رجب سنة ١٣٣٩هـ بويع بالإمارة وارتقى العرش باحتفال رسمى.

وفى شهر ديسمبر سنة ١٩٣١ ركب الباخرة البريطانية «جكلام» فأبحرت به إلى مسقط، ومعه رئيس قناصل الإنكليز فى خليج فارس ومندوب من قبل فرقه الطيران الإنكليزية فزارها كما زار البحرين ودبى، واجتمع بحكامها، وقيل إن الحكومة البريطانية انتدبته للقيام بهذه الرحلة ومفاوضة هؤلاء الحكام فى إنشاء اتحاد عربى يشمل إمارات الخليج العربية ثم قصد بغداد لهذه الغاية.

وقصد فى شهر إبريل سنة ١٩٣٢م الرياض فزار جلالة الملك عبدالعزيز لحل المشاكل القائمة بين الكويت ونجد وفى مقدمتها مسألة «المسابلة» أى الاتجار ولم يوفق إلى حلها.

وهو يكثر من التردد على البصرة فى العراق، ولآل الصباح أملاك كثيرة فيها وقد زار بغداد زيارة رسمية سنة ١٩٣١.

عهده

نعى إلى سمو الشيخ أحمد وهو فى نجد عمه الشيخ سالم، فى شهر رجب سنة ١٣٣٩ فعاد على الأثر إلى الكويت وتقلد زمامها.

وهو التاسع من آل صباح الذين تتابعوا على إمارة الكويت وأولهم الشيخ عبدالله الصباح، مؤسس هذا البيت، تولى الحكم سنة ١٧٥٦م ثم ابنه جابر، فصباح، فعبدالله، فحمد، فمبارك، فجابر، فسالم، وأصلهم من ربيعة، قدم الكويت جدهم الأعلى (صباح) فى القرن الثامن عشر، وكانت عبارة عن بيوت صغيرة حقيرة لبنى خالد فتديرها، وعمل على إصلاحها فنمت وعظم أمرها، وخلفه ابنه الشيخ عبدالله، وهو أول من حكم رسمياً، فازهرت على يده وتقدمت.

كيف دخلت تحت الحماية ؟

ولقد كانت الكويت بحكم وضعها الجغرافى، ووقوعها بين العراق ونجد، وكانتا خاضعتين للحكم العثمانى فى القرن الماضى عثمانية، وكان شيوخها يتمتعون باستقلال داخلى كمعظم شيوخ العرب إذ أبقت الدولة لهم نظمهم وعاداتهم.

ودخلت الكويت تحت الحماية الإنكليزية سنة ١٩١٣هـ على أثر حادث مؤلم خلاصته أن الشيخ مباركا الصباح، أتفق مع ولده على أن يذبحا الشيخ عبدالله شيخ الكويت وأخاه جراحا ليتربع الأول مكانه فى دست الإمارة. فذبح مبارك الشيخ. وذبح أبنه أخا الشيخ واستوليا على الحكم فضجت الكويت لهذا الحادث وذهب أبناء القتيل إلى البصرة طالبين من الدولة العثمانية التدخل ومعاقبة عمهم وولده. فأرسلت بارجة من البصرة إلى الكويت تحمل بعض الموظفين مع قوة عسكرية لإبلاغ مبارك أمر الدولة بالسفر إلى الآستانة. فيدخل عضواً فى مجلس شورى الدولة، أو يختار الإقامة فى مكان آخر فتجرى عليه الدولة راتباً.

وقبل وصول البارجة كاتب الشيخ مبارك المعتمد الإنكليزى فى أبى شهر طالباً حمايته. فارسل بارجة حربية رست فى الكويت ومنعت البارجة العثمانية من القيام بأدنى عمل، وبذلك دخلت الكويت فعلياً تحت الحماية البريطانية.

وعلى أثر هذا الحادث عقد اتفاقاً مع الحكومة الإنكليزية شبيهاً بالاتفاقات الأخرى التى تعقدها مع أمراء اليمن، وقد تعهد فيه بأن لايكون للكويت علائق مع حكومة أجنبية مهما كانت، وفى مقابل ذلك تعهد الإنكليز بحماية الكويت من البحر.

وفى يوم ٢٩ يوليو سنة ١٩٠٣ عقد الباب العالى اتفاقاً مع الحكومة البريطانية بواسطة السفير العثمانى فى لندن تنازلت فيه الدولة عن سيادتها على الكويت والبحرين وبقية جزر الخليج الفارسى، وتعهدت بأن لاتجند سكانها المقيمين فى العراق ولا تأخذ من صياديها رسوماً.

ولما عقدت الحكومة البريطانية معاهدتها الأولى مع أمير نجد يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ جاء فى المادة السادسة منها ما نصه :

«يتعهد ابن السعود كما تعهد آباؤه من قبل بأن يتحاشى الاعتداء على الكويت والبحرين ومشايخ قطر وسواحل عمان المشمولة بحماية الحكومة البريطانية، ولها صلات عهديه مع الحكومة المذكورة، وأن لايتدخل فى شؤونها. وتحدد حدود هذه الأقطار فى مابعد».

وكذلك نص فى المادة السادسة من المعاهدة التى عقدتها الحكومة البريطانية مع الملك عبدالعزيز آل السعود فى جده يوم ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ على حماية الكويت والبحرين فقالت ما نصه «يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة على علاقات حسن الجوار مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العمانى الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية».

خلافها مع نجد

ولابد لنا من الإشارة إلى الجفاء الذى استحكم فى السنوات الماضية بين الكويت ونجد، ومصدره الخلاف على الرسوم الجمركية. فقد طلبت حكومة الرياض من حكومة آل الصباح أن تدفع لها جانباً من دخل جماركها لأن معظم متاجر الكويت تباع فى نجد، ولما رفضت طلبها أصدر ابن السعود أمراً إلى رعاياه بعدم الاتجار معها، وبذلت وسائط كثيرة لحل هذه المشكلة دوياً. فلم يتيسر ذلك حتى الآن لتمسك كل حكومة بموقفها. فحكومة الكويت تقول إن ما تجبيه من التجار باسم ضريبة جمركية هو حق من حقوقها، ويقول النجديون إنه لما كانت هذ العروض التى تتقاضى عليها حكومة الكويت الرسوم تباع للنجدين فيجب أن يكون لحكومتهم نصيب منها.

وزاد فى طنبور الخلاف نغمة هجوم الإخوان النجديين المتتابع على أراضى الكويت، وآخرها هجوم قبائل مطير يوم ٣١ يناير سنة ١٩٢٨ على أم الريان بقيادة الشيخ فايد بن سلوان، وذبحهم السكان ونهبهم الماشية والأموال. ولما اتصل ذلك بحكومة الكويت جهزت جندها فى ٣٠ سيارة مع مائة فارس وعدد من الهجانة فأدركوا الإخوان فى أم الركبة ودارت بين الفريقين معركة سقطت فيها كثير من القتلى وبينهم ثلاثة من آل صباح: عبدالله آل جابر، وخليفة وعلى آل سلى،م وفاز الكويتيون فى النهاية واستردوا المنهوبات.

ولما خرج فيصل الدرويش على ابن السعود فى شتاء ١٩٢٨م وجهز هذا القوى لمطاردته أرسل فيصل كتاباً إلى شيخ الكويت يرجو السماح له بالمسابلة، ويهدد بالهجوم إذا رفض طلبه. فعقد الشيخ مجلسه فقرر رفض الطلب وإعلان النفير العام والاستعداد للطوارئ.

وعلى أثر ذلك هاجم النجديون الجدى يوم ١٩ فبراير سنة ١٩٢٨ فصدوا

واشتركت السفن الإنكليزية الحربية التى أرسلت إلى الكويت فى الدفاع عنها، وقد سكنت الحالة بعد ذلك، ولم تحدث حوادث وإن كانت المسألة الجمركية لم تحل حتى الآن.

نظام الحكم في الكويت

الشريعة الإسلامية هى نظام الحكم فى الكويت، والأمير هو مصدر كل سلطة وهو يشرف على أعمال حكومته بنفسه، ومعظم دخل هذه الحكومة من إيرادات الجمارك ومن الضرائب غير المباشرة.

ولحكومة الكويت مجلس شورى ينظر فى شؤونهم، ويعقد برئاسة الشيخ وأعضاؤه كبار البلاد، ورأيه استشارى فى الغالب.

وليس لولاية العهد نظام خاص فى الكويت، واندمجوا على أن يتولاها الأكبر فالأكبر من آل الصباح. والقاعدة عندهم أن تتم مبايعة الأمير الجديد بعد وفاة الأمير ـ باتفاق سابق يتم بين آل صباح ومعتمد الحكومة البريطانية.

ولا يتدخل المعتمد الإنكليزى فى شؤون الكويت مباشرة، بل يتصل بالشيخ سراً، ويتجنب الإنكليز جهدهم الظهور على مسرح السياسة الكويتية، عكس موقفهم فى البحرين تماماً.

وقد تم فى عهد الأمير الحالى، إنشاء المكتبة الأهلية والنادى الأدبى وتأسيس كثير من المدارس، وأرسلت الكويت بعثة علمية إلى بغداد لتلقى العلم العراقى مدارسها، وهى الأولى من نوعها.

وفى عهد الأمير أيضاً، انتقل مركز رئاسة الخليج البريطانية من أبى شهر إلى الكويت، ونالت شركة عراقية امتيازا بإنارة الكويت لكهرباء وشرعت فى العمل.

البحرين

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

البحرين، أو جزر أوال، اسم لمجموع جزر متجاورة فى خليج فارس هى المنامة، والمحرق، والرفاع، والحد، والبديع، وهى مشمولة بالحماية البريطانية، شأن جميع الإمارات العربية فى الخليج.

ومساحتها السطحية ٥٥٢ كيلو متراً مربعاً، وعدد سكانها مائتا ألف، أكثرهم من الشيعة العرب. الذين يتعبدون على مذهبى الأصولية الشيخية ويشتغلون بالزراعة، وسكان المدن عرب سنيون يتدينون على مذهب الإمام مالك، وهنالك عدد من الشيعة الإيرانيين والهنود.

وتعد جزر البحرين من مراكز التجارة الكبرى فى خليج فارس، وتصدر منها كميات عظيمة من اللؤلؤ سنوياً إلى الهند وأوربا وأميركا، كما تعد مركزاً لتجارة نجد يقصدها أهل الحسا والقطيف.

وعاصمتها السياسية المحرق، وفيها قصر الشيخ - وأكبر جزرها المنامة، ويبلغ عدد سكانها ٤٠ ألفاً وهى عاصمة التجارة.

وليس للبحرين قوة عسكرية، وهنالك قوة صغيرة للشرطة، وشيخ البحرين هو سمو الخليج أحمد بن الشيخ عيسى آل خليفة.



الشيخ حمد بن عيسى (البحرين)

الشيخ حمد بن عيسى خليفة

شيخ البحرين

مولده ونشأته

ولد فى قصر والده فى المحرق سنة ١٨٨١م على الأرجح ونشأ فيه وتعلم القراءة والكتابة، ولايعرف لغة غير العربية.

أوصافه ـ هو حنطى اللون، ربعة، مكتنز الجسم، كث اللحية، خفيف الروح، غير مقتر ولامقتصد، ميال إلى البداوة، وتبدو عليه فى حركاته وسكناته.

وهو هادئ، متواضع، مسالم، بعيد عن الضرر والأذى، بعيد عن الحركتين السياسية والأدبية، لايشغله عن نياقه وصيده شاغل.

راتبه ـ كانت خزائن البحرين حتى سنة ١٩٢٣ تحت تصرف الشيخ ينفقها كيفما شاء ويتصرف فيها، وتغير الحال بعد ما وضع الإنكليز يدهم على حكومة الجزيرة. فقد خصصوا للشيخ راتباً شهرياً قدره عشرة آلاف روبية، يتناولها شهرياً كما خصصوا رواتب أخرى للمشايخ من آل خليفة، وليس للشيخ ثروة خاصة سوى ماورثه حديثاً من والده المرحوم الشيخ عيسى وقد كان ذا ثروة كبيرة.

أسرته ـ هو متزوج بإحدى بنات عمه، وله أولاد عديدون وأكبرهم فى الثالثة والعشرين، وهو يتعلم فى بيروت.

كيف يقضي يومه ؟

خالف الشيخ حمد عادة الشيوخ من آل خليفة، وقد كانوا ينزلون في قصورهم بالمحرق، فانتقل إلى المنامة، وأقام في قصر له هنالك مع أسرته وأولاده، وهو يستقبل فيه زائريه.

ويستقيظ من نومه مبكراً، فيتوضأ ويصلي الصبح ويقرأ ما تيسر من القرآن ثم يخرج إلى البهو الخارجي لاستقبال الزائرين ويتناول معهم القهوة العربية.

ولاتوجد غرفة للمائدة في قصر المنامة، بل يأكلون على خوان يمد على الأرض، ويختارون غرفة الطعام بحسب الحاجة، فإذا كان الآكلون كثيرين، اختاروا غرفة كبيرة، وفرشوا الخوان ثم جاءوا بالأرز وفوقه اللحم فيجلس الآكلين ومعهم الشيخ على طول الخوان فيأكلون، وحينما ينتهون يأتي الخدم فيأخذون الآنية ويطوون الخوان. وهذا شأنهم كل يوم، ويختارون غرفة صغيرة إذا كان عدد الآكلين قليلاً، ويتغدى ويتعشى مع من يكون هنالك يومياً من الزوار والحاشية.

ويصلي الظهر جماعة في مسجد القصر، كما يصلي العصر والمغرب والعشاء في أوقاتها وينام مبكراً.

وهو ولوع بصيد الحبارى (طائر معروف في البحرين) فهو يخرج دائماً لصيده مع حاشيته، على هجنه وهو كثير العناية بهذه الهجن، كما هو ولوع بالصيد، والصيد سلوته الوحيدة.

زيارته لإنكلترا - في سنة ١٩٢٥م سافر الشيخ حمد إلى إنكلترا مع بعض حاشيته بدعوة من الحكومة الإنكليزية فقصد لندن وقضى فيها مدة شاهد آثارها ومعالمها ولقي حفاوة من الإنكليز ثم عاد إلى بلاده، وقد اعتاد في صباه أن يزور الهند من دون انقطاع لقرب المسافة.

عهده

هو التاسع من آل خليفة، وأولهم الشيخ محمد بن خليفة، فابنه الشيخ خليفة، فابنه الشيخ أحمد، فالشيخ سلمان، فالشيخ عبدالله، فالشيخ محمد، فالشيخ على، فالشيخ عيسى، فالشيخ حمد.

ولى الحكم فى شهر مايو سنة ١٩٢٣م بأمر المعتمد البريطانى، وذلك أن خلافاً نشب بين نجدى وإيرانى من سكان المنامة بسبب ساعة اتهم الأول الآخر بسرقتها. فتعصب لكل منهما أبناء قومه فتشاجروا وتضاربوا، فلما اتصل ذلك بمعتمد إنكلترا السياسى فى بوشهر جاء ببارجتين حربيتين، وطلب من الشيخ عيسى اعتزال الحكم وقد تولاه من سنة ١٨٧١ بحجة ضعفه وبلوغه درجة الشيخوخة فأبى فجمع المعتمد أعيان الجزيرة، وأبلغهم أنه عين الشيخ حمد مكان أبيه وهكذا كان.

وتلا هذا التبديل سلسلة من الإجراءات أفضت إلى انتقال السلطة فعلياً إلى يد ممثل الحكومة البريطانية وختم الشيخ فى يده.

***

فى أواخر القرن الثانى عشر للهجرة قدم الزيارة (بلدة فى قطر المناوحة لجزر البحرين) من الكويت تاجر اسمه الشيخ محمد بن خليفة أحبه الناس لورعه وبره وكرمه، وولوه أمرهم ورغبوا إليه أن يقيم بينهم فأطاعهم وخلفه ابنه الشيخ خليفة فالشيخ أحمد، ويلقب بالفاتح فقد حارب عامل البحرين الفارسى واسمه الشيخ نصر آل مذكور، واستولى على الجزيرة سنة ١٧٨٢ وأقام عاملاً من قبله ثم عاد إلى الزيارة، ولم يطل به المقام فتوفى وخلفه ابنه سلمان وفى عهده غزا سلطان مسقط البحرين فصالحه ودخل فى طاعته فلم يرق ذلك قومه فكاتبوا أمير نجد (وهو يومئذ الأمير عبدالعزيز الأول) فأرسل جيشاً إلى الزبارة

والبحرين فاحتلهما وضمهما إلى نجد، ولما يئس آل خليفة من عدل ابن السعود جهزوا جيشاً حمل على البحرين وطرد السعوديين، ومن ذلك اليوم دخلت فى حوزتهم.

وتولي الجزيرة بعد وفاة الشيخ سلمان الشيخ عبدالله ثم خلفه الشيخ محمد وفى عهده هذا دخلت البحرين فى حماية الإنجليز علي اثر حروب وقعت بينه وبين خصومه آل خليفة. إذ قبل ما عرضه عليه المعتمد البريطامى فى أبى شهر، فعقد معه معاهدة تضمن له سلامة بلاده وترد عنها كل غارة مقابل تنازله عن حقه فى تجهيز الجنود والسفن البحرية .

وثار أهل قطر سنة ١٨٦٧م علي حكومة البحرين - وكانوا يتبعونها - فأرسل الشيخ محمد اخاه إلي أبى شهر يطلب النجدة من معتمد إنجلترا السياسى عملاً بالاتفاق المعقود بينهما. كما أخذ يعد عدته للمقاومة فوقعت بينه وبين الثوار معركة دامية نقم عليه المعتمد بسببها. وكان قد سافر إلي قطر حينما وصل هذا علي مركب حربى إلي البحرين فعد سفره نكثا للعهد، وما نكثه العهد سوي قيامه بالدفاع عن بلاده. فأطلق المدافع علي القلعة فدمرها وطلب من الشيخ علي شقيق الشيخ عبدالله أن يتولي الحكم مكان أخيه الذى سقطت حقوقه بسفره فقبل الشيخ علي ما عرض عليه وتولي الحكم فساء ذلك أخاه فبدأت الحرب بينهما وانتهت بانهزام الشيخ على وسقوطه قتيلاً، فعاد الشيخ محمد إلي الحكم ولم يلبث طويلاً حتي قبض عليه بعض آل خليفة وسجنوه. فأدي ذلك إلي نشوب فتنة جديدة جاء علي أثرها معتمد الإنجليز السياسى وتولي أمر البحرين بعدما أطلق بضعة مدافع علي المنامة ثم جمع مجلساً من الأهالى واستشارهم فيمن يولي حاكما فاختاروا الشيخ عيسي بن الشيخ علي فنودى به شيخاً علي البحرين.

وكان أول ما فعله الشيخ الجديد هو أنه عقد معاهدة مع الإنجليز يوم ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٨٠هذا نصها:

نحن عيسي بن علي آل خليفة شيخ البحرين أتعهد باسمي واسم من سيخلفني من بعدى فى إمارة البحرين أن لا أقدم علي عقد أية معاهدة كانت مع أى دولة كانت لعقد أى اتفاق كان دون الحصول علي رضي وموافقة الدولة البريطانية، وفى الوقت نفسه أتعهد بأن لا أمنح بدون الحصول علي رضى بريطانيا أى امتياز كان لأية دولة كانت بتأسيس قنصليات أو بتأسيس محطات لأخذ الفحم. إن هذا الاتفاق لايؤثر قط علي المخابرات الحبية الموجودة بين حكومتنا والحكومات المجاورة ولاينفذ عليها.

وفى يوم ١٣مارس سنة ١٨٩٢وقع الشيخ عيسى نفسه العهد الآتى:

نحن شيخ البحرين عيسي بن علي آل خليفة نتعهد رسمياً أمام اللفتننت كولونيل ا. س تالير الموظف السياسى البريطلنى فى خليج فارس باسمنا واسم ورثائنا من بعدنا بإتمام الشروط الآتية:

١ـ أن لا ندخل فى مخابرة واتفاقات مع أية دولة كانت عدا بريطانيا.

٢ ـ لانسمح بأية صورة من الصور لأى مندوب من مندوبى الدول الأجنبية بالبقاء أو تأسيس علاقات له مع بلادنا دون الحصول علي موافقة بريطانيا .

٣ ـ نتعهد بعد استثناء الحكومة البريطانية بأن لا نرهن ولا نعطى ولا نبيع أية قطعة من أراضى بلادنا إلي أى كان، ولا نسمح قط بأى صورة كانت لأى أجنبى أن يتملك قطعة من بلادنا.

وبعد توقيع هذا الابفاق عينت إنجلترا لها معتمدا سياسياً لمراقبة أمور الجزر اتخذ المنامة مقراً له، واحتفل برفع العلم البريطانى عليها رسمياً.

وفى ٣٠إبريل سنة ١٨٩٨عقد الشيخ عيسى معاهدة ثالثة مع إنجلترا تعهد فيها بأن يمنع إدخال السلاح إلي بلاده أو أن يجعلها مركزاً لتصدير السلاح إلي غيرها من البلاد.

وفى ١١ نوفمبر سنة ١٨٩٢ بعثت بريطانيا مذكرة إلي حكومة الباب العالى بواسطة سفارتها فى الآستانة هذا نصها:

« لما كانت السفارة البريطانية فى الآستانة قد تلقت تعليمات من وزارة الخارجية بأن جزر البحرين هى تحت مطلق الحماية البريطانية فلى الشرف أن أعرب لدولتكم أن بريطانيا لاتنظر بعين الرضي إلي تدخل الموظفين العثمانيون فى شؤون رعايا تلك الجزيرة» فرد عليها الباب العلى مصراً على التمسك بحقوق سيادته ومذكراً بكتبه الرسمية إلى الحكومة البريطانية. فأجابته السفارة أن حكومة الهند تعتبر البحرين مستقلة من سنة ١٨٢٠ وأنها بسطت حمايتها علي تلك الجزيرة باتفاقات عقدتها معها فى أوقات مختلفة. علي أن الترك عادوا فتنازلوا عن مدعياتهم علي تلك الجزيرة بموجب معاهدة لندن المعقودة يوم ٢٩ يوليو سنة ١٩١٣ بينهم وبين انجلترا فقد جاء فى المادة ١٣ منها ما نصه:

« تتعهد الدولة العلية العثمانية بالتنازل عن سائر حقوقها فى جزر البحرين مع جزيرتى لبنان الأعلي ولبنان الأدني وتعترف باستقلال البحرين وتصدق عليه.

« وتعلن الحكومة البريطانية أنه ليس فى نيتها قط إلحاق جزر البحرين بممتلكاتها»

ولما عقدت معاهدة جدة يوم ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧م بين الحكومتين الإنجليزية والحجازية، وتعهد ابن السعود فى المادة السادسة منها بالمحافظة علي علاقات حسن الجوار مع الكويت والبحرين أرسلت الحكومة الإيرانية فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٧ مذكرة إلي جمعية الأمم تحتج علي هذه المادة مدعية أن البحرين من الأملاك الفارسية، وأنها تعد هذا الاتفاق خرقا لسيادة إيران فردت عليها انجلترا بمذكرة مؤرخة فى ٢٩ نوفمبر سلمتها إلي سفير إيران فى لندن قالت فيها إن بريطانيا لا تعرف أى أساس يصح أن تبنى عليه إيران دعواها بالسيادة علي هذه

الجزر. فهى ليست جزءاً من إيران من الوجهة الجغرافية وليست مأهولة بأناس من عنصر إيرانى. علي أن الحكومة البريطانية تعلم أن الجنود الإيرانيين وأتباع الزعماء أغاروا مرة خلال القرن السابع عشر، وفى خلال الجزء الأخير من القرن الثامن عشر علي جزائر البحرين، واحتلوها ولكن القبائل العربية أغارت عليها حوالى سنة ١٧٨٣ بقيادة الزعيم الذى تحدر منه شيخها الحالى وانتزعتها من حكومة الشاه، ومن ذلك الحين لم تقع قط تحت سلطنة إيران الفعلية.

نظام الحكم في البحرين

الشريعة الإسلامية هى نظام الحكم فى البحرين. ينفذها الشيخ صاحب الحكم ، هكذا كانت الحالة حتي شهر مايو سنة ١٩٢٣ أما بعد ذلك فقد انتقل الحكم إلي يد المعتمد البريطانى فعلاً لا اسماً.

وفى البحرين اليوم ثلاثة مجالس: الأول يحضره الشيخ والمعتمد البريطانى ويفصل فى المسائل الخطيرة. ولاسيما فى ماله علاقة بالأجانب، والأجانب هم العرب من أبناء الأقطار العربية وبعض الفرس وجميعهم مسلمون، والثانى هو المجلس العرفى أى المجلس الذى يحل الاختلافات والدعاوى بموجب العرف والعادة. ويتألف من ٨ أعضاء: أربعة منهم يختارهم الشيخ من العرب، وأربعة يختارهم المعتمد الإنجليزى من العرب الأجانب. والمجلس الثالث هو المجلس البلدى، ويتألف من ٢٠ عضواً ينتخب الأهلون نصفهم، وينتخب الشيخ النصف الآخر وينظر فى الشئون المحلية.

وتبلغ قوة الشرطة فى الجزيرة ٥٠ جندياً لحفظ الأمن وتنفيذ أوامر المحاكم وهنالك قوة أخري تسمي الليفى وعددها ١٥٠ جندياً بقيادة ضابط بريطانى وهى تابعة للمعتمد مباشرة.

ملحق خاص

جلالة الملك غازي الأول

ملك العراق

فجع العرب ونحن نعد الجزء الثانى من كتابنا بوفاة جلالة الملك فيصل الأول مؤسس النهضة العربية، وانتقال العرش إلي جلالة الملك غازى الأول، فأعددنا هذا الملحق خاصاً بجلالته، وهذا رسمه:



جلالة الملك غازي الأول بن فيصل (ملك العراق)

جلالة الملك غازي الأول بن فيصل

ملك العراق

مولده ونشأته

ولد فى مكة فى شهر مارس سنة ١٩١٢ وكان جلالة المغفور له والده يقود حملة أبها لتأديب السيد محمد علي الإدريسى الثائر فى عسير علي الدولة العثمانية. فسمي «غازي» تيمناً بغزو أبيه، ووالدته الملكة حزيمة كريمة الشريف ناصر باشا بن علي، ويتصل نسبه من ناحية الأبوين بالنبى محمد بن عبد الله القرشى العدنانى. فهو غازى بن فيصل بن الحسين بن على بن محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد اللــــه بن حسن بن أبى نمى بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن علي بن عجلان بن رميثة ابن أبى نمى بن حسن بن علي بن قتادة (أول الأمراء فى مكة) بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسي بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد الثائر بن موسي بن عبد الله بن محمد الثائر بن يونس بن عبد الله بن موسي الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبى طالب.

ونشأ فى حجر والدته تحت رعاية جده المغفور له الحسين بن علي ملك الحجاز لغياب والده زمن طفولته عن مكة، يعالج الأحداث التى تتالت علي بلاد العرب، فمن إعلان الحرب العظمي إلي إعلان الثورة العربية وإعدادها إلي تجهيز الجيوش وسوقها إلي إنشاء دولة دمشق إلي السفر لحضور مؤتمر الصلح إلي معركة ميسلون إلي لندن فالحجاز فبغداد وفيها حط رحاله، وأنشأ هذا الملك الضخم وكونه فى أحسن تكوين .

وتولي الشيخ ياسين البسيونى، إمام الملك الحسين الخاص، إقراءه القرآن فى

داخل القصـر وتعليمـه القراءة والكتـابة، ثم جئ له بالسيـد حسن العلوى فـدرسه قواعد اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامى ·

وزار الأمـير عبد الله الحـجاز فى صيف سنة ١٩٢٣ لأداء فريضة الحج وصلة الرحم، وعـاد بالباخـرة رضوي الحـجازية فـركبها من جدة إلي العـقبـة، فصـحبه الأمير غازى ابن أخيه، وهى المرة الأولي التى يغادر فيها الحـجاز، وكان فى الحادية عشرة من سنيه، ولما بلغا عمان يوم ٢٠أغسطس سنة ١٩٢٣استـقبله وفد عراقى يتـألف من صـفـوة باشـا العـوا وحسـين بك السـعـدون ، وعـبـد الله بن مـسـفـر، ورافـقوه إلي بغـداد بطريق دمشق فـاستقبل اسـتـقبـالاً رسـميـاً، ووضع من ذاك اليـوم تحت اشراف المغـفور له والده مـباشـرة، فـقد تولي بنفسـه اختـيار المعلمين الأسـاتذة له، وأنشـأه نشـاه صـالحة، وأنبته نباتاً حسـنا، وأعـده لهذا العمل الخطير، والمنصب الكبير. أما جلالـة الملكة والدته وصـاحبات السـمو الأميرات شـقـيقاته فقد وفدن إلي العراق بعد ذلك بسنة تقريباً، فـغادرن الحـجاز إلي بغداد علي أثر الغزوة النجدية (سـبتمير سنة ١٩٢٤).

وتولت المسـز فلى الإنجليزية مـهمة تربيـته وتدريسـه اللغة الإنجليـزية فكانت تصـحـبـه فى غـدواته وروحـاته ، وفى شـهـر إبريل سنة ١٩٢٦غـادر بغـداد بطريق عـمان ومـعـه تحسـين بك قدرى فـجاء القـاهرة وقضـي فـيـهـا يومين ضـيفـاً علي المندوب السـامى البريطانى (اللورد جورج لويد) فى داره بقصـر الدوبارة، ثم ركب البحر إلي إنجلتـرا فدخل كلية هارو وقضـي فيهـا سنتين ونصف سنة تقريباً وفى أواسط شـهر أكتوبر سنة ١٩٢٨غادرها بحـراً إلي الأسـكندرية فوصـلها يوم الثلاثاء ٢٣منه. فـاستـقبل فـيـهـا بالحـفـاوة اللائقـة ونزل فى فندق سـان اسـتـفـانو وأدب له المندوب السـامى البريطانى فى المسـاء مأدبة عشـاء، كمـا أدب له بعد ظهـر الأربعاء مـحـمـد مـحـمـود باشـا وئيس الوزارة المصـرية يومـئذ مـأدبة غـداء فى الأسـكندرية شهدهـا الـوزراء والكبـراء، ثم جاء القاهـرة فى الغداة فبات فى دار القنصـلية العراقية

وركب الطيارة إلي بغداد فاستقبل فيها بالحفاوة الفائقة، وأدخل علي الأثر طالباً فى المدرسة الحربية.

وقد صحبه مدة إقامته فى انجلترا الأستاذ الشيخ كاظم الدجيلى، قنصل العراق اليوم فى المحمرة لتدريسه اللغةالعربية، وبمناسبة مروره بالقاهرة وما لقيه من حفاوة أرسل المرحوم عبد المحسن السعدون رئيس الوزارة العراقية يومئذ الكتاب الآتى إلي محمد محمود باشا رئيس الوزارةالمصرية قال:

حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس وزراء المملكة المصرية بالقاهرة

يا صاحب الدولة

بلغ حضرة صاحب الجلالة ملك العراق ما لاقاه ولى عهده سمو الأمير غازى خلال مروره بعاصمة المملكة المصرية فى طريقه إلي بغداد من العناية التى خصه بها حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول، وما أظهرتموه دولتكم نحو سموه من اللطف فسر جلالته لذلك، وأعرب عن تقديره لهذا العطف السامى الذى تجلت فيه روح المودة والصداقة بين المملكتين بأجلي مظاهرها .

إن الأمة العراقية تحفظ فى قلبها أجمل العواطف نحو مصر، ولاشك فى أن الأمة المصرية تشعر بنفس هذا الشعور، وقد جاءت الحفاوة التى لاقاها الأمير غازى دليلاً ساطعاً علي هذا الشعور المتقابل. وإنى أنتهز هذه الفرصة الحسنة فأقدم إلي دولتكم باسمى وبالنيابة عن الحكومة العراقية أخلص عبارات الشكر والامتنان راجياً لوادى النيل العز والرفاه وتفضلوا ياصاحب الدولة بقبول فائق احترامى.

١٤ تشرين الثانى سنة ١٩٢٨

المخلص

عبد المحسن السعدون

رئيس وزراء العراق

فأجابه بالرد الآتى:

حضرة صاحب السعادة عبد المحسن باشا السعدون رئيس وزراء المملكة العراقية ببغداد:

لقد تشرفت بتسلم كتاب سعادتكم المؤرخ ١٤تشرين الثانى سنة ١٩٢٨والذى تفضلتمم فيه بتوجيه الشكر إلي الحكومة المصرية فى شخصى للحفاوة التى قوبل بها ولى عهد حضرة صاحب الجلالة ملك العراق عند مروره بمصر عائداً إلي بغداد، مما كان له أطيب الأثر فى نفس حضرة صاحب الجلالة والده الكريم، وقد كانت الحكومة المصرية مدفوعة بما قامت به بواجب التحية والضيافة لأمير كريم تربط بلادنا ببلاده أمتن روابط المودة والصداقة. وإنى شخصياً وبصفتى رئيساً للحكومة المصرية لسعيد جداً بالفرصة التى أتاحتها زيارة سمو الأمير غازى لبيان ما انطوت عليه جوانح أمتنا من أرق العواطف وأصدق الأمانى إحداهما للأخري. كما إنى أغتنم الفرصة لاشكر لسعادتكم وللحكومة العراقية جميل تمنياتكم لبلادنا العزيزة وما تفضلتم بإسدائه إلي من شكر. متمنياً أصدق التمنيات وأعذبها لخير المملكة العراقية وسعادة شعبها الكريم. وتفضلوا يا صاحب السعادة بقبول فائق الاحترام ·

القاهرة فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٨

رئيس مجلس الوزراء

محمد محمود

واصدرالمغفور له والده تعليمات خاصة إلي مدير المدرسة الحربية بأن لايميزه فى معاملة، ولايفرق بينه وبين زملائه، وكان زائر المدرسة يجد قطعة تعلو سريره الخاص كتب عليها « الشريف غازى بن فيصل» مجردة من لقب الإمارة.

وأتم دروسه العسكرية وتخرج برتبة ملازم ثان فى الجيش العراقى فى شهر

يوليــو سنة ١٩٣٢م وغــادر المدرســة مــودعــاً من زمــلائه وتـاركـاً بينهـم أطيب الذكريات، وقد كان يشـترك معهم فى المناورات والتمرينات، ويقـوم بعمله اليومى فينظف سلاحه ويرتب فراشه بنفسه كبقية زملائه الطلاب، وعلي أفضل منوال.

وألحقه والده بعد ذلك بهيئة المرافقين العسكريين (ياوران)فى البلاط الملكى فكان يعمل فـى غرفتهـم، وإذا دخلوا علي والده لتهنئته بعيد أو موسم يدخل فى أخرهم عملاً بقاعدة القدم فى الجندية. وكان يحضر مأدب البلاط الرسمية بدعوة والده، ويشترك فيما يدور علي المائدة من أحاديث.

وقام مقام المغفور له والده فى أعمال التاج حينما غادر بغداد يوم ٥ يونيو سنة ١٩٣٣لزيارة إنجلترا تلبيـة لدعـوة الملك جورج، وحـلف اليمـين الدسـتورية أمـام مجلس النواب، ثم تولاها ثانية حينما غـادر بغداد يوم ٢سبـتمـبر سنة ١٩٣٣إلي برن، وقد وافتـه منيته فى تلك الرحلة فخلفه علي العـرش يوم ٨ سـبتـمبـر سنة ١٩٣٣ و١٨جـمـادى الأولي سنة ١٣٥٢هـ والمرجـو أن يكون خـيـر خلف لافضل سلف.

كيف يقضي يومه ؟

نشأ جلالتة نشأة عسكرية. فهو ينام مبكراً وينهض مبكراً، يستيقظ عادة بين الساعة الرابعة والخامسة فيستحم ويتوضأ ويصلى ثم يتزين ويفطر، ويتألف فطوره عادة من الفواكه والبوريج والدجاج المشوى والبيض ويشرب الشاى، فإذا كان الفصل صيفاً ،ركب جواده ومعه ياوره وخرج يتريض مدة ساعة أو أكثر فى الحقول، ثم يعود بعدها إلى البلاط الملكى . وقد اعتاد قبل أن يلى العرش خلال فصل الربيع الماضى أن يدخل علي المغفور له والده فى مكتبه الخاص بالبلاط الملكى ، فيتلو بين يديه فصلاً من كتاب عصر المأمون تأليف الدكتور أحمد فريد الرفاعى، ثم يلخصه شفاهاً ثم كتابة، وكانت هذه العملية تستغرق ساعة علي الأقل كل يوم ، وفى اختيار هذا الكتاب للمطالعة مغزي لايخفي .

وينام جلالته فى قصر الحريم، إلي غربى دجلة، وتقطنه جلالة الملكة والدته وصاحبات السمو شقيقاته الأميرات، وفيه يتغدي ويتعشي، ويسير علي غرار المغفور له والده فيأتى البلاط الملكى فى الساعة السابعة كل صباح، ويظل حتي الساعة الواحدة بعد الظهر، ثم يخرج بسيارته فيقصد قصر الحريم لطعام فيأكل فى قاعة المائدة مع الذين يدعوهم ثم يستريح حتي الأصيل. وهو يدخن قليلاً.

ولجلالته ولع زائد بالألعاب الرياضية، وهو يجيد لعب التنس وكرة القدم والقفزوالبولو والكروكيت. كما يجيد ركوب الخيل ، وهو كثير العناية بخيوله ويقود سيارته بنفسه، وكثيراً ما ساقها بمعدل ١٢٠كيلو متراً فى الساعة، كما هو مغرم بالصيد أيضاً، وقد كان إبان دراسته فى المدرسة الحربية يغتنم فرصة عطلة يوم الجمعة فيخرج مبكراً للصيد، ويعود بعد الظهر فيستحم ويتغدي، ومن عاداته أن يشرب الشاى بعد كل طعام علي الطريقة الحجازية ثم يرجع إلي المدرسة.

وله ميل إلي الطيران وقد اقترح علي المغفور له والده أن يسمح له بتعلمه فقال له: نحن ملك الأمة لاملك انفسنا

أوصافه ـ هو حنطى اللون، ممشوق القامة. منتصبها، أشهل العينين، جذاب الملامح، حليق الذقن ، قوى البنية، مفتول العضل، تقرأ البسالة والإقدام فى تقاطيع وجهه، وتشع عيناه ذكاء.

ملابسه ـ يتأنق كثيراً فى ملابسه وفى هندامه، ويبدو فى أحسن الحلل وأتقنها، وهو يلبس الملابس الملكية فى الأوقات الخاصة، ولباسه المعتاد هو اللباس العسكرى ولم يظهر حتي الآن فى الملابس العربية.

أخلاقه ـ هو كثير التواضع، جم الحياء، يميل إلي البساطة وهو كثير العطف علي إخوانه وأصدقائه شديد الحدب عليهم ، وقد كان وهو صاحب ولاية العهد يدعو زملاءه فى المدرسة وأصدقاءه إلي شرب الشاى ، أو إلى العشاء معه ، بدون انقطاع ، ومن أظهر صفاته الكرم والسخاء والحنو، ويروي الناس فى بغداد عن كرمه روايات عديدة. ومما يقولونه أن صحفياً قصد البلاط يوماً يطلب مساعدة، ثم خرج مغاضباً لأنه لم ينل شيئاً. فالتقي به الأمير فى الطريق وسأله عن خطبه فقص عليه قصته فقال له انتظر، ثم ذهب إلي غرفته وجاءه بعشرين ديناراً وهى كل ما كان يملكه وصرفه مسروراً .

وقصد الموصل يوم ٢٧أغسطس سنة ١٩٣٣لاستعراض الجيش واغتنم الفرصة فزار المستشفي العسكرى، وتفقد الجرحي الذين كانوا يعالجون فيه (جرحي ثورة الأشورين) وأهدي لكل واحد منهم ديناراً فى منديل من حرير تقديراً لبسالتهم .

ولما حلت الكارثة العظمي بفقد المغفور له والده أصدر أمره إلي ناظر خزينته الخاصة بإطعام الفقراء فى جميع أنحاء العراق صدقة علي روح والده ساكن الجنان، فنفذ أمره.

خطبته ـ احتفل فى بغداد يوم ١٨سبتمبر سنة ١٩٣٣بعقد قرانه علي الأميرة عالية كريمة عمه الملك على بن الحسين وتولي صيغة العقد الشيخ

يوسف عطا مفتي بغداد، وتزف إليه في شهر نوفمبر المقبل. وقد جرت الخطبة عملاً بوصية المرحوم والده.

أسفاره ـ زار خلال إقامته في إنجلترا للدراسة سويسرا وفرنسا وإيطاليا واسبانيا وقصد الأندلس فوقف علي أطلال الحمراء وغرناطة وقفة أثرت في نفسه وتركت أبلغ العظات، وجعلته يكثر من الكلام عن الأندلس ومجد العرب وماضيهم العظيم وضرورة إحيائه. وزار مصر والقدس والشام ويطوف العراق بلا انقطاع باحثاً في شؤونه مجتمعاً إلى رجاله .

وهو كثير العناية بشؤون بلاد العرب، وخاصة بشؤون سورية ويحبها ويعد زعيم أنصار الوحدة العربية، ومن أشد دعاة السياسة القومية.

وكذلك فهو من أنصار الإصلاح والتجديد ومن الميالين إلي التقدم ، كما أنه جرئ مقدام، ولما حدثت ثورة الآشوريين في العراق (شهر يوليو سنة ١٩٣٢) وكان يقوم بأعباء العرش، وتناقلت الألسنة أن بعض الموظفين الإنجليز في العراق، يؤيدون هؤلاء ويعطفون عليهم، زار دار السفارة البريطانية وقابل القائم بأعمالها وقال له ما معناه: «أريد بياناً عى مصدر الأسلحة والوثائق التى صادرها الجيش عند الآشوريين وإعلامى عن سر تأييد بعض الموظفين البريطانيين لهؤلاء

ـ ليذكر سمو الأمير أن جلالة والده لايخاطبنى بمثل هذه اللهجة.

ـ لست مسؤولاً عن والدى، وأنا الآن نائبه ومسؤول عن حالة المملكة فى غيابه، وقدحدث هذا الحادث فى زمنى وأنا المسؤول عنه، ثم قطع الحديث وانصرف

وقد كان لهذه الحادثة صدي كبير فى نفوس العراقيين الذين أعجبوا بموقف أميرهم وشهامته ومضاء عزيمته

أساتذته ـ تولي تدريسه العلوم العسكرية الفريق طه باشا الهاشمى، ودرس اللغة العربية وآدابها والتاريخ والجغرافية والعلوم الأخري علي أساتذة كانوا يزورونه يومياً فى قصره. منهم الدكتور فاضل الجمالى ومنير القاضى وأحمد الناصفى وكاظم الدجيلى وعز الدين آل علم الدين.

كيف ارتقي العرش؟

فى الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة من ليلة الجمعة ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٣ فاضت روح جلالة الملك فيصل إلى باريها فى فندق بلفى من برن (سويسرا) حيث كان يستشفى على أثر نوبة قلبية لم تمهله، فأرسل على الفور نورى باشا السعيد وزير الخارجية ورستم بك حيدر وزير الاقتصاد، وكانا فى معية جلالته البرقية الآتية إلى رئيس الوزراء فى بغداد:

«فجعت الأمة اليوم عند منتصف الليل بوفاة سيدها وحبيبها جلالة الملك فيصل إثر نوبة قلبية (تصلب الشرايين القلبية والذبحة الصدرية) كان الله بعون الجميع على هذا المصاب الجلل».

وفى الساعة الثامنة من صباح الجمعة قصد رئيس الوزراء الاستاذ رشيد عالى الكيلانى وياسين باشا الهاشمى وزير المالية وجلال بك بابان وزير الدفاع والسيد عبدالمهدى وزير المعارف وجميل بك المدفعى رئيس مجلس النواب والفريق طه باشا الهاشمى رئيس أركان حرب الجيش إلى قصر الحريم فقابلوا الامير غازى وكان يذرف الدمع سخيناً فعزوه، ثم طلبوا إليه ان يقسم اليمين الدستورية، وبعد ما أقسمها أعلن رئيس الوزراء تتويجه ملكاً على العراق، وأطلقت حينئذ المدافع (مائة طلقة وطلقة) إيذانا بجلوس الملك الجديد ثم أذيع البلاغ الرسمى الآتى:

جرى تحليف سمو ولى العهد فى الساعة ١٠ من هذا اليوم (١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٥٢ و٨ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣٣ وفقاً للمادة الحادية والعشرين من القانون الأساسى (الدستور) وأصبح متوجاً ملكاً على العراق باسم الملك غازى الأول بن الملك فيصل الأول.

وبعد ظهر ذلك اليوم سار جلالته من قصر الحريم إلى البلاط الملكى بموكب

رسمى وقف فى قاعة المراسم ومن ورائه الوزراء فدخل كبار القوم عليه صفاً صفاً يهنئونه ومروا من أمامه مروراً.

وعملا بأحكام الدستور دعى البرلمان العراقى إلى الاجتماع وضرب يوم الاثنين ١١ سبتمبر موعداً له ليقسم جلالة الملك اليمين الدستورية بحضوره وعقد فى الوقت المضروب فقصده جلالته واقسم اليمين(١).

---

(١) هذا نص المادة ١٩ من الدستور العراقى الخاص باليمين: يقسم الملك أمام مجلس النواب والأعيان يمين المحافظة على الدستور واستقلال البلاد والإخلاص للوطن.

عهده

ما كادت بيعة جلالة الملك غازى الأول تتم ويجلس على عرش والده، حتي رفع إليه رئيس الوزارة العراقية الكتاب الآتى:

إلي أعتاب صاحب الجلالة الملك المعظم

بناء علي تبوء جلالتكم عرش المملكة العراقية باليمن والإقبال أتشرف بأن أرفع إلي سدتكم الملكية استقالتى من رئاسة الوزارة راجياً من الله عز وجل أن يؤيد جلالتكم بتوفيقاته الصمدانية ٩سبتمبر سنة ١٩٣٣

رشيد عالى الكيلانى

فرد جلالته بكتاب وجه فيه رئاسة الوزارة إلي الرئيس نفسه، وهذا نصه:

وزيرى الأفخم رشيد عالى:

نظراً إلي استقالتكم من رئاسة الوزاة ونظراً إلي اعتمادنا علي درايتكم وإخلاصكم فقد عهدنا إليكم برئاسة الوزارة الجديدة علي أن تنتخبوا زملاءكم وتعرضوا أسماءهم علينا والله ولى التوفيق.

وأعيد فى اليوم نفسه تأليف الوزارة بلا تغيير ولا تبديل.

وفى يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٣ وصلت رفات جلالة الملك فيصل من سويسرا محمولة علي متن الهواء فاحتفل بدفنها احتفالاً لم تعرف بغداد له مثيلاً فى تاريخها، وعلي أثرذلك أصدر جلالة الملك غازى إلي أبناء أمته هذا البيان وهو أول بيان يصدره:

أن عواطف الإخلاص والمحبة التى انبعثت من قلوب أبناء أمتى علي أثرالكارثة العظمي التى حلت بالبلاد بفقد قائدها وبانى كيانها جلالة والدى المعظم - تغمده الله برحمته - كان لها أعمق أثرفى نفسى، وكانت أكبر سلوي فى مصابى ولا

شك فى أنها كانت دليلاً علي تقدير الجميع للأعمال الخالدة التى نهض بها والتضحيات العديدة - وأخرها حياته الغالية - التى بذلها فى سبيل أمته وإعلاء شأنها. والآن وقد ودعناه والأسي ملء القلوب. فقد أضحي من واجبنا نحن الذين شاءت الأقدار أن نبقي بعده أن نسترشد دائماً بتلك السياسة الحكيمة التى كان هدفها الأسمى السير بالمملكة إلي أوج التقدم والعمران والمنعة وأن نتخذ من مثاله الأعلي مثلاً عالياً فى التفانى فى خدمة الأمة التى أحبها فوق كل شئ وخدمها بكل قواه وودعها الوداع الأبدى وهو مرتاح لأنه قام بواجبه. والواجب - أى واجبنا جميعاً الذى أمرنا به هو أن نتمسك بالقوة والاتحاد ونجعل من وصينه هذه الأخيرة منهاجاً نسير عليه فى مستقبل أيامنا وفى هذه الساعة التى يجيش قلبى فيها بالالام والفراق وبشكر الأمة علي عواطفها الصادقة المؤسسة. يحق لى أن انتظر من أبناء شعبى أن يؤازرونى بكل قواهم كما آزروا والدى فى جهاده، وأن يساعدونى علي النهوض بالمسؤولية العظمي التى ألقتها القدرة الإلهية علي، وذلك ببذل كل ما فى وسعنا فى سبيل تحقيق أمانيه السامية.

هذا وإنى باسمى واسم صاحبة الجلالة الوالدة، وباسم الأسرة الهاشمية أكرر ثنائى وشكرى إلي أبناء أمتى، وأرجو لهم جميعاً صبراً جميلاً ورفاها شاملا

غازى.

***

ولقد بايع أهل فلسطين وسورية جلالته ملكاً عليهم ، بصفته وارث أبيه الذى بايعه السوريون والفلسطينيون بيعة شرعية صحيحة يوم ٨ مارس سنة ١٩٢٠ يعدونها قائمة، ويرون أنها قد انتقلت إليه بطريق الإرث الشرعى، ويلقبونه بملك العرب، ويعلقون الآمال عليه.

مصادر هذا الكتاب

اسم الكتاب	اسم مؤلفه	لغته
جلالة الملك فؤاد	كريم ثابت	عربى
ملوك العرب	أمين الريحانى	عربى
نفحة اليمن	عبد الواسع الواسعى	عربى
هدية الزمن	أحمد فضل العدلى	عربى
رحلة إلي الثغرين	محمد بن هاشم العلوى	عربى
مذكرات الدكتور شهبندر	الدكتور عبد الرحمن شهبندر (لم تنشر)	عربى
بهلوى	نوبخت	فارسى
سالنامة أ فغانستان	حكومة أفغانستان	فارسى
أفغانستان الجديدة Nouveau Afganstan	حكومة أفغانستان	فرنسى
دليل العالم الإسلامى Annuaire Monde Musuleman	ماسنيون L . Massigonn	فرنسى
دائرة المعارف البريطانية Encycleopeodia Britenica		
نوسال	قناعت كتبخانه سى	تركى
سيرة مصطفي كمال	أمين محمد سعيد	عربى

مذكرات مصطفي كمال	عبد العزيز الخانى(ترجمة)	تركى
مذكرات الأستاذ الثعالبى	عبد العزيز الثعالبى(لم تنشر)	عربى
القول الحق فى تاريخ سورية ولبنان والعراق	نزيه المؤيد العظم (ترجمة)	
إنجليزى	تأليف: ج. دى ف. لودر	
فرنسا وسياستها البربرية فى المغرب الأقصي	محمد المكى الناصرى	
عربى		

مجلات المقتطف، كل شئ، المنهاج، الشرق الأدني

فهرست الجزء الأول

الموضـــــــــوع	الصفحـــة

الموضـــــــــوع	الصفحـــة

الموضـــــــــوع	الصفحـة

الموضـــوع	الصفحة

فهرست الوثائق والمعاهدات السياسية الموجودة في الكتاب

الموضــــــــــوع	الصفحــة
بروتوكول تحكيم بين العراق والمملكة السعودية	١٢٢
معاهدة تبادل المجرمين بين العراق والمملكة السعودية	١٢٢
معاهدة صداقة وحسن جوار بين العراق والمملكة السعودية	١٢٢
معاهدة صداقة بين العراق واليمن	١٢٤
معاهدة صداقة بين العراق وأفغانستان	١٢٥
سلسلة معاهدات بين العراق وإيران	١٢٦
اتفاق تسليم جده	١٥٢
بيان ابن السعود بعد الاستيلاء على الحجاز	١٥٤
كتاب ابن السعود إلى ملوك المسلمين	١٥٥
كتاب بيعة ابن السعود	١٥٧
معاهدة مكة بين ابن السعود والأدارسة	١٥٨
قانون التعليمات الأساسية لحكومة الحجاز	١٦٢
كتاب بيعة الأمير سعود بولاية العهد	١٦٢
وصايا ابن السعود لابنه	١٦٣
معاهدة العقير بين إنكلترا وابن السعود	١٦٦
معاهدة جدة بين إنكلترا وابن السعود	١٦٩
معاهدة صداقة بين اليمن وابن السعود	١٧٦
معاهدة صداقة بين فرنسا وابن السعود	١٧٨
معاهدة صداقة بين إيطالى وابن السعود	١٨٤
المكاتبات السياسية بين شرقى الأردن وابن السعود	١٨٧
بلاغ حكومة مكة عن مفاوضات شرقى الأردن وابن السعود	١٨٨
معاهدة القدس بين شرقى الأردن وابن السعود	١٩٠
بروتوكول تحكيم بين شرق الأردن وابن السعود	١٩٠
مشروع اتفاق بين تركيا والإمام يحيى	٢٠١
اتفاق دعان بين تركيا والإمام يحيى	٢٠٤

الموضـــــــــوع	الصفحـة

الموضــــــــــوع	الصفحــة

الموضـــــــوع	الصفحـة
ظهير ١١ سبتمبر سنة ١٩١٤ البربرى	٤٤٤
ظهير ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ البربرى	٤٤٥
مطالب المغاربة من حكومتهم	٤٤٧
معاهدة الحماية بين فرنسا وتونس	٤٥٩
معاهدة قصر المرسى بين فرنسا وتونس	٤٥٩
مطالب التونسيين	٤٦٢
عهد الأمان	٤٦٦
معاهدة ٦ سبتمبر ١٨٠٢ بين لحج وإنكلترا	٤٧٨
معاهدة تحالف بين لحج وإنكلترا	٤٨٠
معاهدة حماية بين لحج وإنكلترا	٤٨٠
ميثاق التضامن بين أمراء النواحى التسع	٤٨٢
معاهدة عدن بين حضرموت وإنكلترا	٤٩٢
معاهدة عدن بين الحكومتين القعيطية والكثيرية	٤٩٣
قرار مؤتمر الإصلاح الحضرمى فى سنغافورة	٤٩٥
رد السلطان على المؤتمر	٥٠٢
كتاب سلطان مسقط بتنازله عن العرش	٥١٣
معاهدة مسقط التجارية مع إنكلترا	٥١٤
معاهدة الحماية بين مسقط وإنكلترا	٥١٤
معاهدة السيب بين مسقط وعمان	٥١٤
مذكرة حكومة عمان لانكلترا	٥١٦
معاهدة لندن بين إنكلترا وتركيا بشأن الكويت	٥٢٥
معاهدة الشيخ محمد خليفة مع إنكلترا	٥٣٦
معاهدة ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٨٠ بين البحرين وإنكلترا	٥٣٦
معاهدة ١٣ مارس سنة ١٨٩٢ بين البحرين وإنكلترا	٥٣٧
معاهدة ٣٠ أبريل سنة ١٨٩٨ بين البحرين وإنكلترا	٥٣٧

الموضــــــــــوع	الصفحــة

هذا الكتاب

يحتوي على تاريخ مفصل للنهضة الوطنية الشرقية الجديدة وفيه سيرة ١٩ ملكاً وأميراً مسلماً وبتان واف عن نشأتهم وطراز معيشتهم ودولهم ونظمها السياسية وعلاقاتها الدولية وبسط لقضايا الشعوب الشرقية.

وفي الكتاب بيانات تاريخية عن حالة ثماني عشرة دولة وإمارة إسلامية. ثلاث منها في إفريقية وهي: مصر وتونس والمغرب الأقصى، وأربع عشرة في آسيا وهي: تركيا والعراق وسورية وشرقي الأردن وبلاد العرب السعودية واليمن ولحج وحضرموت وحيدر أباد «الهند» وأفغانستان وإيران والكويت والبحرين ومسقط. ودولة في أوروبا وهي ألبانيا، وعن نظمها السياسية وتطورها الاجتماعي ووضعها الدولي، وترجمنا كل ملك من ملوكها وأمير من أمرائها ويقترن اسم معظمهم باسم الدولة أو الإمارة الجديدة. فهوفي الغالب مؤسسها ومنشؤها، مع وصف شامل لأخلاقه ومبادئه وآرائه وميوله السياسية والاجتماعية والدينية وطراز ميعشته. وذلك في أسلوب طريف لم ينسج على منواله حتى الآن في كتب التاريخ العربية.

وأسهبنا في الكلام عن قضايا شعوب الشرق السياسية وعن حركاتها الوطنية وعن مطالبها وأمانيها، وأتبعناه بما أجمعت عليه من مواثيق وطنية تسعى لتنفيذها وتحقيقها، فيعرف كل شعب مطلب جاره، فجاء سجلاً وافيا للنهضة الشرقية بعد الحرب العظمى، وسفراً جامعاً لأخبارها وحوادثها.